بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الفاتحة من المختصر في التفسير

سورة الفاتحة: مَكيّة

مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ: تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى.

التَّفْسِيرُ: سُمِّيت سورةَ الفاتحة لافتتاح كتاب الله بها، وتسمَّى أم القرآن لاشتمالها على موضوعاته؛ من توحيد لله، وعبادة، وإشارة إلى قصص وغير ذلك، وهي أعظم سورة في القرآن، وهي السَّبعُ المثاني.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ﴾

١ - باسم الله أبدأ قراءة القرآن، مستعينًا به تعالى متبركًا بذكر اسمه. وقد تضمنت البسملة ثلاثة من أسماء الله الحسنى، وهي: ١ - "الله"؛ أي: المعبود بحق، وهو أخص أسماء الله تعالى، ولا يسمى به غيره سبحانه. ٢ - "الرَّحْمَن"؛ أي: ذو الرحمة الواسعة. فهو الرحمن بذاته. ٣ - "الرَّحِيم"؛ أي: ذو الرحمة الواصلة. فهو يرحم برحمته من شاء من خلقه ومنهم المؤمنون من عباده.

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ﴾

٢ – الثناء الكامل وجميع أنواع المحامد من صفات الجلال والكمال هي لله وحده دون من سواه؛ إذ هو رب كل شيء وخالقه ومدبره. و "العالَمون" جمعُ "عالَم" وهم كل ما سوى الله تعالى.

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ ﴾

٣ - ثناء على الله تعالى بعد حمده في الآية السابقة.

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ﴾

٤ - تمجيد لله تعالى بأنه المالك لكل ما في يوم القيامة، حيث لا تملك نفس لنفس شيئًا. فـ "يوم الدين": يوم الجزاء والحساب.

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ﴾

٥ - نخصُّك وحدك بأنواع العبادة والطاعة، فلا نشرك معك غيرك، ومنك وحدك نطلب العون في كل شؤوننا، فبيَدِكَ الخير كله، ولا مُعين سواك.

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾

٦ - دُلَّنا إلَى الصراط المستقيم، واسلكْ بنا فيه، وثبِّتنا عليه، وزدنا هدى. و"الصراط المستقيم" هو الطريق الواضح الَّذي لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام الَّذي أرسل الله به محمدًا - صلى الله عليه وسلم -.

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾

٧ - طريق الذين أنعمت عليهم من عبادك بهدايتهم؛ كالنبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقًا، غير طريق المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه كاليهود، وغير طريق الضالين عن الحق الذين لم يهتدوا إليه لتفريطهم في طلب الحق والاهتداء إليه كالنصارى.

مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ:

• افتتح الله تعالى كتابه بالبسملة؛ ليرشد عباده أن يبدؤوا أعمالهم وأقوالهم بها طلبًا لعونه وتوفيقه.

• من هدي عباد الله الصالحين في الدعاء البدء بتمجيد الله والثناء عليه سبحانه ثم الشروع في الطلب.

• تحذير المسلمين من التقصير في طلب الحق كالنصارى الضالين، أو عدم العمل بالحق الَّذي عرفوه كاليهود المغضوب عليهم.

• دلَّت السورة على أن كمال الإيمان يكون بإخلاص العبادة لله تعالى وطلب العون منه وحده دون سواه.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الفاتحة

الكلمة	المعنى
بسم الله	أبدأ قراءة القرآن مستعينًا باسم الله تعالى متبركًا بذكر اسمه
الرحمن	ذو الرحمة الواسعة
الرحيم	ذو الرحمة الواصلة للخلق
الحمدُ لله	الثناء الكامل وجميع أنواع المحامد لله وحده
ربِّ العالمين	خالق العالَمين ومدبّرهم
يومِ الدين	يوم الجزاء والحساب
نَستَعِين	نطلب العون في كل شؤوننا
اهدِنا	دلّنا واسلك بنا وثبّتنا وزدنا
الصّراط المستقيم	الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام
المغضُوب عليهم	الذين عرفوا الحق ولم يتّبعوه كاليهود
الضّالّين	الذين لم يهتدوا إلى الحق لتفريطهم في طلبه كالنصارى

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقف والابتداء في سورة الفاتحة

حمدا لك اللهم، وصلاة وسلاما على نبيك ومصطفاك، أما بعد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله أيها المباركون في هذه الوقفات مع الوقف والابتداء في سورة الفاتحة.

أول المسائل التي تواجهنا في هذه السورة من حيث الوقف والابتداء هي مسألة: هل يُشرع الوقوف على رؤوس الآيات أو لا؟

الصحيح أنه يشرع الوقوف على رؤوس الآيات، لأن السنة وردت بذلك، فقد ذكرت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول صلى الله عليه وسلم فقالت: كان يقطّع قراءته آيةً آيةً، حتى ذكرت تطبيق ذلك فقالت: كان يقول: (الحمد لله رب العالمين) ثم يقف (الرحمن الرحيم) ثم يقف (مالك يوم الدين) ثم يقف وهكذا، وهذا هو الذي تلقته الأمة عن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يقطع قراءته فتلقوا عنه هذه الفواصل على رؤوس الآيات.

لذلك نص العلماء على أن رؤوس الآيات توقيفية، بمعنى أنها مأخوذةٌ من النبي صلى الله عليه وسلم لا مجال للاجتهاد فيها، وما حصل من خلافٍ في بعض المواضع هل هو رأس آيةٍ أو لا له تفصيلٌ ذكره بعض أئمة الإقراء، خلاصته أنه قد يكون ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الموضع الواحد أنه وقف مرةً ووصل أخرى، ووجّهوا ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم يكون وقف أولاً لبيان أنها رأس آية، ثم وصل لارتباط الجملة بما بعدها، والله أعلم.

ونحن نتكلم عن هذه المسألة، فالمقصود الأول منها هو ما إذا كان رأس الآية متصلاً بما بعدها لفظًا ومعنًى، فإذا كان متصلاً بما بعدها لفظًا ومعنًى كما عندنا هنا في سورة الفاتحة، فهنا وقع الخلاف بين الأئمة ما الذي يقدَّم؟ فمنهم من يقول: إن الوقف على رؤوس الآيات كالوقف على غيرها، وبالتالي إذا كان رأس الآية ينتهي بمعنًى تامٍ وقفنا عليه، فإن لم ينته بمعنًى تامٍ لا نقف عليه بل نصله بما بعده، وآخرون قالوا: بل رؤوس الآيات مقاطع مقصودةٌ للشارع، فلا بد من الوقف عليها على جميع الأحوال ولو اتصلت بما بعدها لفظًا ومعنًى، كما عندنا في بداية سورة الفاتحة: (الحمد لله رب العالمين ❋ الرحمن الرحيم) فهذا متصلٌ بالآية الأولى لفظًا ومعنًى، فـ (الرحمن) صفة لله و (الرحيم) صفة و(مالك

يوم الدين) أيضًا صفة، فكلها مجرورة لأنها صفاتٍ لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، أربع صفاتٍ لله سبحانه وتعالى، فهذا كله متصل وإن كان في ثلاث آيات.

فأصحاب القول الأول يقولون: لا نقف بل نصله كله إلى أن نصل إلى (مالك يوم الدين)، وأصحاب القول الثاني يقولون: بل نقف لأن رؤوس الآيات مقصودةٌ في نظم القرآن، وتوسّط علماء آخرون فقالوا: يوقف على رؤوس الآيات إن لم يكن هناك ارتباطٌ لفظيٌّ بينها وبين ما بعدها، فإن كان هناك ارتباطٌ لفظيٌّ كما عندنا هنا، فإننا نقف أولاً على رؤوس الآيات عملاً بالسنة، ثم نعود فنصل آخر الآية بالآية التي بعدها.

يعني على مذهبهم نقول (الحمد لله رب العالمين) نقف ثم نعود ونقول (رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) أو(الرحمن الرحيم) ونقف ثم نعود ونقول (الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) وهكذا، فهم يريدون الجمع بين القولين، بين العمل بالسنة وارتباط المعنى، لأن ارتباط المعنى أيضًا مقصودٌ في نَظم القرآن وهو جزءٌ من إعجاز القرآن.

ولابن عاشور رحمه الله كلامٌ جيدٌ في هذه المسألة في مقدمة تفسيره، فهو يقول: وكان من جملة طُرق الإعجاز ما يرجع إلى محسّنات الكلام من فن البديع، ومن ذلك فواصل الآيات وهي مرادةٌ في نظم القرآن لا محالة، فكان عدم الوقف عليها تفريطًا في الغرض المقصود منها، إلى إن قال: فكان الاعتبار بفواصله التي هي مقاطع آياته عندهم أهم، لأن عجز قادتهم وأولي البلاغة والرأي منهم تقوم به الحجة عليهم وعلى دهمائهم. ا.هـ. يعني أن هذا جزءٌ من إعجاز القرآن الذي يبين إعجازه، والذي عجز العرب أن يأتوا بمثله.

ولعل الأقرب والعلم عند الله أن نقول: أن الوقف على رؤوس الآيات مطلقًا سنةٌ متبعةٌ، والله تعالى أعلم.

بناءً على هذه المقدمة نأتي الآن على تطبيق هذا على سورة الفاتحة.

أولاً: نعلم أن عدد آيات سورة الفاتحة سبع آيات، (هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته) كما جاء في الحديث، وكما قال الله: (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم)، فأجمع العلماء على أن

سورة الفاتحة سبع آيات، لكنهم اختلفوا في عدّها، فالكوفيون عدّوا البسملة آية من سورة الفاتحة، وبناءً عليه عندهم البسملة آية:

(بسم الله الرحمن الرحيم) آية، ثم (الحمد لله رب العالمين) آية، ثم (الرحمن الرحيم) آية، ثم (مالك يوم الدين) آية، ثم (إياك نعبد وإياك نستعين) آية، ثم (اهدنا الصراط المستقيم) آية، ثم (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) آية واحدة، فهذه هي السبع في عد الكوفيين، بينما غيرهم من البصريين والمدنيين لم يعدوا البسملة آية، وبناء على قولهم (صراط الذين أنعمت عليهم) رأس آية، (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) آية، وحفصٌ عن عاصمٍ هم من الكوفيين الذين يعدون البسملة آية.

نأتي الآن إلى التطبيق، نقول: (الحمد لله رب العالمين) رأس آية فيسن الوقف عليه، وإن اتصل بما بعده لفظًا ومعنًى، (الرحمن الرحيم)، صفةٌ لرب العالمين فهو متصلٌ لكن نقول نقف من باب أنه رأس آية، (الرحمن الرحيم) نقف لأنه رأس آية وإن اتصل بما بعده لفظًا ومعنًى، لأن مالك صفة لها فيوقف عليها، (مالك يوم الدين) وقفٌ صحيحٌ بالاتفاق، لأن (إياك) جملةٌ مبتدأةٌ ليست مرتبطة بما قبلها فيصح الوقف عليها من الوجهين، من وجه كونها رأس آية، ومن وجه أنه تم الكلام عليها وابتدأ بكلامٍ جديدٍ، (إياك نعبد) لا يصح الوقف عليها، لأن الواو بعدها واو عطف فهي جملتان معطوفتان.

وسيأتي الكلام على عطف الجمل تفصيلا بإذن الله في حلقاتٍ قادمةٍ، لأنها من المسائل التي فيها نقاشٌ طويلٌ، لكن الأحوط فيها والأفضل والأسلم والأيسر أننا لا نفصل المعطوفات عن بعضها ولو كانت جملاً.

و (إياك نعبد وإياك نستعين) أيضًا وقفٌ صحيح. ثم يأتي (اهدنا الصراط المستقيم) وقفٌ صحيحٌ أو لا؟ وقف صحيح لأنه رأس آية وإن كان متصلا بما بعده لأن (صراط) التي بعدها بدلٌ منها، ثم قال: (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) هنا وقع خلافٌ بين الكوفيين من جهة وبين البصريين والمدنيين من جهةٍ أخرى، فالكوفيون ومنهم حفصٍ عن عاصمٍ الذي نقرأ بروايته غالبًا لا يرونها رأس آية، وبالتالي ليس عندهم هنا وقفٌ، لأن الجملة لم تتمّ، وبناءً عليه لا بد أن يقرأ القارئ (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) كاملةً بدون وقف فيها كاملةً لمن يقرأ

بقراءة حفصٍ، أما على قراءة البصريين والمدنيين وغيرهم فيصح الوقف؛ لأنها رأس آية، يصح أن نقف (صراط الذين أنعمت عليهم)، والله أعلم.

ويدل للوقف الذي اعتبرناه وقفًا متفقًا عليه في هذه السورة، وهي ثلاثة مواضع: الموضع الأول: (مالك يوم الدين)، لأن بعدها جملة جديدة، والثاني: (إياك نعبد وإياك نستعين) لأن بعدها جملةٌ مستأنفة، ونهاية السورة.

يدل على هذه الثلاث آيات حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يروي عن ربه عز وجل: قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال: (الحمد لله رب العالمين) قالَ اللهُ : حمِدني عبدي ، فإذا قالَ: (الرحمن الرحيم) قالَ اللهُ : أثنى عليَّ عبدي ، فإذا قال: (مالك يوم الدين) قال: مجّدني عبدي، ثم قال: هذا بيني وبين عبدي، لمّا يقول: (مالك يوم الدين) بمعنى: الثناء على الله سبحانه وتعالى من الحمد والثناء والتمجيد انتهى عند قوله: (مالك يوم الدين)، ثم جاءت الآية المتوسطة (إياك نعبد وإياك نستعين) بينه وبين حق الله سبحانه وتعالى، وبينه وبين ما يقوم به العبد تجاه ربه سبحانه وتعالى، ثم قال: ولعبدي ما سأل، ثم يبدأ سؤال العبد في قوله: (اهدنا الصراط المستقيم ❋ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل).

فهذا يبين أن الوقف على (مالك يوم الدين)، (وإياك نستعين)، (ولا الضالين)، هذه الثلاث الأوقاف متفقٌ عليها وهي تامةٌ يصح الوقف عليها على جميع الأقوال والأوجه.

في ختام هذا المقطع أود أن أنبه إلى أن معرفة رؤوس الآيات مهمةٌ لقارئ القرآن، كما ذكرنا الآن هنا، لأنها أمرٌ توقيفيّ أُخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيستفيد منه القارئ في معرفة أين يقف حتى لو اتصل بما بعده لفظًا ومعنًى. والخطأ في هذا يكثر في السور التي فيها آياتٌ قصيرةٌ، كالصافات والشعراء وكثيرٌ من قصار المفصل وما شابه ذلك، فينبغي العناية بذلك، والله تعالى أعلى وأعلم.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لفهم كتابه وتدبره والعمل به، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الفاتحة

فضائل سورة الفاتحة:

عن أبي سعيد بن المعلى، قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: (ألم يقل الله: {استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم}). ثم قال لي: (لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد). ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: (ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟)، قال: {الحمد لله رب العالمين} (هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته). صحيح البخاري (٦/ ١٧).

عن ابن عباس، قال: بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم، سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: " هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته". صحيح مسلم (١/ ٥٥٤)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: انطلق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا، لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم، فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم، والله إني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه، ويقرأ: (الحمد لله رب العالمين)، فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبة، قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له، فقال: «وما

يدريك أنها رقية؟»، ثم قال: «قد أصبتم، اقسموا، واضربوا لي معكم سهما» وفي لفظ: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم. صحيح البخاري (٣/ ٩٢) صحيح مسلم (٤/ ١٧٢٧)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عليه أبيٌّ أم القرآن، فقال: «والذي نفسي بيده، ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها، إنها السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أعطيت». أخرجه الترمذي (٥/ ٥) وأحمد (١٤/ ٣١٠).

فوائد عامّة في سورة الفاتحة:

قال البغوي: لها ثلاثة أسماء معروفة: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني:

سميت فاتحة الكتاب لأنه تعالى بها افتتح القرآن.

وسميت أم القرآن: لأنها أصل القرآن، منها بدئ القرآن، وأم الشيء أصله... وقيل: لأنها مقدمة وإمام لما يتلوها من السور، يبدأ بكتابتها في الصحف، وبقراءتها في الصلاة.

والسبع المثاني: لأنها سبع آيات باتفاق العلماء، وسميت مثاني لأنها تثنى في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة. وقال مجاهد: سميت مثاني؛ لأن الله تعالى استثناها لهذه الأمة فادّخرها لهم. تفسير البغوي (١/ ٧٠).

قال بعض السلف: إن الله جمع الكتب المنزلة في القرآن، وجمع علم القرآن في المفصّل، وجمع علم المفصل في فاتحة الكتاب، وجمع علم فاتحة الكتاب في قوله: (إياك نعبد وإياك نستعين). مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ١٨).

وقال ابن القيم: قوله {الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين} يتضمن الأصل الأول، وهو معرفة الرب تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، والأسماء المذكورة في هذه السورة هي أصول الأسماء الحسنى، وهي اسم الله والرب والرحمن، فاسم الله متضمن لصفات الألوهية، واسم الرب

متضمن الربوبية، واسم الرحمن متضمن لصفات الإحسان والجود والبر، ومعاني أسمائه تدور على هذا.

وقوله {إياك نعبد وإياك نستعين} يتضمن معرفة الطريق الموصلة إليه، وأنها ليست إلا عبادته وحده بما يحبه ويرضاه، واستعانته على عبادته.

وقوله {اهدنا الصراط المستقيم} يتضمن بيان أن العبد لا سبيل له إلى سعادته إلا باستقامته على الصراط المستقيم، وأنه لا سبيل له إلى الاستقامة إلا بهداية ربه له، كما لا سبيل له إلى عبادته إلا بمعونته، فلا سبيل له إلى الاستقامة على الصراط إلا بهدايته.

وقوله {غير المغضوب عليهم ولا الضالين} يتضمن بيان طرفي الانحراف عن الصراط المستقيم، وأن الانحراف إلى أحد الطرفين انحراف إلى الضلال الذي هو فساد العلم والاعتقاد، والانحراف إلى الطرف الآخر انحراف إلى الغضب الذي سببه فساد القصد والعمل.

فأول السورة رحمة، وأوسطها هداية، وآخرها نعمة، وحظ العبد من النعمة على قدر حظه من الهداية، وحظه منها على قدر حظه من الرحمة، فعاد الأمر كله إلى نعمته ورحمته، والنعمة والرحمة من لوازم ربوبيته، فلا يكون إلا رحيما منعما، وذلك من موجبات إلهيته، فهو الإله الحق وإن جحده الجاحدون وعدل به المشركون.

فمن تحقق بمعاني الفاتحة علما ومعرفة وعملا وحالا فقد فاز من كماله بأوفر نصيب، وصارت عبوديته عبودية الخاصة الذين ارتفعت درجتهم عن عوام المتعبدين. لابن القيم (ص: ١٩)

وقال ابن القيم: ولما كانت التوبة هي رجوع العبد إلى الله، ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين، وذلك لا يحصل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم، ولا تحصل هدايته إلا بإعانته وتوحيده، فقد انتظمتها سورة الفاتحة أحسن انتظام، وتضمنتها أبلغ تضمن، فمن أعطى الفاتحة حقها - علما وشهودا وحالا ومعرفة - علم أنه لا تصح له قراءتها على العبودية إلا بالتوبة النصوح، فإن الهداية التامة إلى الصراط المستقيم لا تكون مع الجهل بالذنوب، ولا مع الإصرار عليها، فإن الأول جهل ينافي

معرفة الهدى، والثاني غي ينافي قصده وإرادته، فلذلك لا تصح التوبة إلا بعد معرفة الذنب، والاعتراف به، وطلب التخلص من سوء عواقبه أولا وآخرا. مدارج السالكين (١/ ١٩٧)

وقال ابن القيم: ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة، لرأى لها تأثيرا عجيبا في الشفاء. ومكثت بمكة مدة يعتريني أدواء ولا أجد طبيبا ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرا عجيبا، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألما، وكان كثير منهم يبرأ سريعا. الداء والدواء (ص: ٩)

وقال ابن القيم: ولقد مر بي وقت بمكة سقمت فيه وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بها، آخذ شربة من ماء زمزم، وأقرؤها عليها مرارا، ثم أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع. زاد المعاد (٤/ ١٦٤).

وقال السعدي: هذه السورة على إيجازها، قد احتوت على ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن:

فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله: (رَبِّ الْعَالَمِينَ).

وتوحيد الإلهية وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ من لفظ: (اللهِ)، ومن قوله: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ).

وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، وقد دل على ذلك لفظ (الْحَمْدُ) كما تقدم.

وتضمنت إثبات النبوة في قوله: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) لأن ذلك ممتنع بدون الرسالة.

وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، وأن الجزاء يكون بالعدل، لأن الدين معناه الجزاء بالعدل.

وتضمنت إثبات القدر، وأن العبد فاعل حقيقة، خلافا للقدرية والجبرية. بل تضمنت الرد على جميع أهل البدع والضلال في قوله: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)؛ لأنه معرفة الحق والعمل به. وكل مبتدع وضال فهو مخالف لذلك.

وتضمنت إخلاص الدين لله تعالى، عبادة واستعانة في قوله: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فالحمد لله رب العالمين. تفسير السعدي (ص ٤٠).

الاستعاذة:

قال ابن كثير: ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث، وتطييب له، وتهيؤ لتلاوة كلام الله، وهي استعانة بالله، واعتراف له بالقدرة، وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني، الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه، ولا يقبل مصانعة، ولا يدارى بالإحسان... وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشري يوم بدر، ومن قتله العدو البشري كان شهيدا، ومن قتله العدو الباطني كان طريدا، ومن غلبه العدو الظاهر كان مأجورا، ومن قهره العدو الباطن كان مفتونا أو موزورا، ولما كان الشيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشيطان.

والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير، كما قال المتنبي:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ... ولا يهيضون عظما أنت جابره

ومعنى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أي: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه. تفسير ابن كثير (١/ ١١٤).

البسملة:

قال ابن كثير: أخرج الإمام أحمد بن حنبل... عن رديف النبي صلى الله عليه وسلم قال: عثر بالنبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: تعس الشيطان. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تقل: تعس الشيطان. فإنك إذا قلت: تعس الشيطان تعاظم، وقال: بقوتي صرعته، وإذا قلت: باسم الله، تصاغر حتى يصير مثل الذباب)... فهذا من تأثير بركة بسم الله؛ ولهذا تستحب في أول كل عمل وقول.

فتستحب في أول الخطبة لما جاء: (كل أمر لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم، فهو أجذم).

وتستحب البسملة عند دخول الخلاء لما ورد من الحديث في ذلك.

وتستحب في أول الوضوء لما جاء في مسند الإمام أحمد والسنن، من رواية أبي هريرة، وسعيد بن زيد، وأبي سعيد مرفوعا: (لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه)، وهو حديث حسن. ومن العلماء من أوجبها عند الذكر هاهنا، ومنهم من قال بوجوبها مطلقا.

وكذا تستحب عند الذبيحة في مذهب الشافعي وجماعة، وأوجبها آخرون عند الذكر، ومطلقا في قول بعضهم.

وهكذا تستحب عند الأكل لما في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لربيبه عمر بن أبي سلمة: (قل: باسم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك). ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه.

وكذلك تستحب عند الجماع لما في الصحيحين، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا). تفسير ابن كثير (١/ ١٢٠-١٢١).

(الحمد لله رب العالمين):

قال ابن تيمية: (الحمد لله) أحق ما قاله العباد؛ ولهذا أوجب قوله في كل صلاة، وأن تفتتح به الفاتحة، وأوجب قوله في كل خطبة، وفى كل أمر ذي بال. والحمد ضد الذم، والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له، كما أن الذم يكون على مساويه مع البغض له. مجموع الفتاوى (١٤/ ٣١٢).

وقال ابن تيمية: فهم يفتحون القيام في الصلاة بالتحميد، ويختمونها بالتحميد، وإذا رفعوا رءوسهم من الركوع يقول إمامهم: سمع الله لمن حمده، ويقولون جميعا: ربنا ولك الحمد، ويختمون صلاتهم بتحميد، بجعل التحيات له والصلوات والطيبات. وأنواع تحميدهم لله مما يطول وصفه. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٢٧١).

وقال السعدي: (ربّ العالمين) تربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة.

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب. فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة. تفسير السعدي (ص ٣٩).

وقال ابن عثيمين: من فوائد الآية: إثبات الحمد الكامل لله عز وجل، وذلك من (أل) في قوله تعالى: {الحمد}؛ لأنها دالة على الاستغراق. والله تعالى مستحق مختص بالحمد الكامل من جميع الوجوه؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أصابه ما يسره قال: (الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات)؛ وإذا أصابه خلاف ذلك قال: (الحمد لله على كل حال). تفسير الفاتحة والبقرة (١/ ١٠).

وقال ابن عثيمين: تقديم وصف الله بالألوهية على وصفه بالربوبية؛ وهذا إما لأن (الله) هو الاسم العَلَم الخاص به، والذي تتبعه جميع الأسماء؛ وإما لأن الذين جاءتهم الرسل ينكرون الألوهية فقط. تفسير الفاتحة والبقرة (١/ ١٠).

(الرحمن الرحيم):

قال ابن عثيمين: هذه الربوبية مبنية على الرحمة الواسعة للخلق الواصلة إليهم؛ لأنه تعالى لما قال: {رب العالمين} كأن سائلاً يسأل: ما نوع هذه الربوبية؟ هل هي ربوبية أخذ وانتقام؛ أو ربوبية رحمة وإنعام؟ قال تعالى: {الرحمن الرحيم}. تفسير الفاتحة والبقرة (١/ ١١).

(مالك يوم الدين):

قال الألوسي: الذي يحمده الناس ويعظمونه إنما يكون حمده وتعظيمه لأحد أمور أربعة: إما لكونه كاملا في ذاته وصفاته وإن لم يكن منه إحسان إليهم، وإما لكونه محسنا إليهم ومتفضلا عليهم، وإما لأنهم يرجون لطفه وإحسانه في الاستقبال، وإما لأنهم يخافون من كمال قدرته، فهذه هي الجهات

الموجبة للحمد والتعظيم، فكأنه سبحانه يقول: يا عبادي، إن كنتم تحمدون وتعظمون للكمال الذاتي والصفاتي فاحمدوني فإني أنا (الله)، وإن كان للإحسان والتربية والإنعام فإني أنا (رب العالمين)، وإن كان للرجاء والطمع في المستقبل فإني أنا (الرحمن الرحيم)، وإن كان للخوف فإني أنا (مالك يوم الدين). روح المعاني (١/ ٨٨).

وقال ابن عثيمين: من فوائد الآية: إثبات ملك الله عز وجل، وملكوته يوم الدين؛ لأن في ذلك اليوم تتلاشى جميع الملكيات، والملوك... فإن قال قائل: أليس مالك يوم الدين، والدنيا؟
فالجواب: بلى؛ لكن ظهور ملكوته، وملكه، وسلطانه، إنما يكون في ذلك اليوم؛ لأن الله تعالى ينادي: {لمن الملك اليوم} فلا يجيب أحد؛ فيقول تعالى: {لله الواحد القهار}. تفسير الفاتحة والبقرة (١/ ١٢)

(إياك نعبد وإياك نستعين):
قال ابن تيمية: تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}. وقال: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} تدفع الرياء، و {إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} تدفع الكبرياء. المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٧٥)

وقال ابن تيمية: كل مخلوق فهو محتاج إلى الله مفتقر إليه، والحاجة والفقر للمخلوق وصف لازم، لا يفارقه لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل العبد محتاج إلى الله من جهة ألوهيته ومن جهة ربوبيته، فهو محتاج إلى أن يعبد الله لا يعبد غيره، ومحتاج إلى أن يستعِين بالله لا يستعين بغيره، كما قال تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، فإن لم يعبده بل عبدَ غيرَه أو أعرضَ عن العبادة خَسِرَ الدنيا والآخرة. جامع المسائل لابن تيمية (٤/ ٢٨٥).

وقال الألوسي: العبادة أعلى مراتب الخضوع، ولا يجوز شرعا ولا عقلا فعلها إلا لله تعالى؛ لأنه المستحق لذلك؛ لكونه موليا لأعظم النعم من الحياة والوجود وتوابعهما، ولذلك يحرم السجود لغيره سبحانه؛ لأن وضع أشرف الأعضاء على أهون الأشياء وهو التراب وموطىء الأقدام والنعال غاية الخضوع. روح المعاني (١/ ٨٩).

وقال السعدي: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) أي: نخصّك وحدك بالعبادة والاستعانة، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه. فكأنه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، ولا نستعين بغيرك. وقدّم العبادة على الاستعانة، من باب تقديم العام على الخاص، واهتماما بتقديم حقه تعالى على حق عبده...

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة. والاستعانة: هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك...

والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما. وإنما تكون العبادة عبادة، إذا كانت مأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصودا بها وجه الله. فبهذين الأمرين تكون عبادة...

ذكر (الاستعانة) بعد (العبادة) مع دخولها فيها، لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى. فإنه إن لم يعنه الله لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر، واجتناب النواهي. تفسير السعدي (ص ٣٩).

(اهدنا الصراط المستقيم):

قال ابن تيمية: ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: {اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين}، فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شر لا في الدنيا ولا في الآخرة.

لكن الذنوب هي من لوازم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى في كل لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الأكل والشرب. ليس كما يقوله طائفة من المفسرين: إنه قد هداه، فلماذا يسأل الهدى؟ وأن المراد بسؤال الهدى: الثبات، أو مزيد الهداية. مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/ ٣٢٠).

وقال ابن تيمية: الحاجة إلى الهدى أعظم من الحاجة إلى النصر والرزق؛ بل لا نسبة بينهما؛ لأنه إذا هدي كان من المتقين {ومن يتق الله يجعل له مخرجا. ويرزقه من حيث لا يحتسب} مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٩).

وقال ابن تيمية: وقد أمرنا الله أن نتبع هذا الصراط المستقيم، ولا نعدل عنه إلى السبل المبتدعة. فقال تعالى: {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون}، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا، وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال: (هذا سبيل الله، وهذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه. ثم قرأ: {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله}). ولهذا أمرنا الله أن نقول في صلاتنا: {اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين}. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون). وهو صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى بين الدين وأوضح السبيل، وقال: (تركتكم على البيضاء النقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك). وقال صلى الله عليه وسلم (ما تركت من شيء يقربكم من الجنة إلا وقد حدثتكم به، ولا من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به). مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٧١-٣٧٢).

وقال ابن القيم: لما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب: علّم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم، توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء. مدارج السالكين (١/ ٤٧).

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في الصلاة، لم يذكر الله عز وجل، ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عجل هذا)، ثم دعاه فقال له ولغيره: (إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه، ثم ليصلّ على النبي، ثم ليدع بعد بما شاء). مسند أحمد (٣٩/ ٣٦٣) وأبو داود (٢/ ٧٧) والترمذي (٥/ ٣٩٤) وغيرهم.

وقال ابن القيم: على قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذه الصراط يكون سيره على ذاك الصراط، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الركاب، ومنهم من يسعى سعيا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يحبو حبوا، ومنهم المخدوش المسلم، ومنهم المكردس في النار، فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا، حذو القذة بالقذة، جزاء وفاقا {هل تجزون إلا ما كنتم تعملون}. مدارج السالكين (١/ ٣٣).

وقال السعدي: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) أي: دلنا وأرشدنا ووفقنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا إلى الصراط، واهدنا في الصراط. فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط: تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علما وعملا. فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد، ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك. تفسير السعدي (ص ٣٩).

وقال ابن عثيمين: لا بد في العبادة من إخلاص؛ يدل عليه قوله تعالى: {إياك نعبد}؛ ومن استعانة يتقوّى بها على العبادة؛ يدل عليه قوله تعالى: {وإياك نستعين}؛ ومن اتباع للشريعة؛ يدل عليه قوله تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم}؛ لأن {الصراط المستقيم} هو الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم. تفسير الفاتحة والبقرة (١/ ١٦).

وقال ابن عثيمين: بلاغة القرآن، حيث حذف حرف الجر من {اهدنا}؛ والفائدة من ذلك: لأجل أن تتضمن طلب الهداية: التي هي هداية العلم، وهداية التوفيق؛ لأن الهداية تنقسم إلى قسمين: هداية علم وإرشاد؛ وهداية توفيق وعمل؛ فالأولى ليس فيها إلا مجرد الدلالة؛ والله عزّ وجلّ قد هدى بهذا المعنى جميع الناس، كما في قوله تعالى: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدًى للناس}؛ والثانية فيها التوفيق للهدى واتباع الشريعة، كما في قوله تعالى: {ذلك الكتاب لا ريب فيه هدًى للمتقين}، وهذه قد يحرمها بعض الناس، كما قال تعالى: {وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى}: {فهديناهم} أي: بيّنّا لهم الحق، ودَلَلْناهم عليه؛ ولكنهم لم يوفقوا. تفسير الفاتحة والبقرة (١/ ١٦).

(صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين):

قال ابن عثيمين: انقسام الناس إلى ثلاثة أقسام: قسم أنعم الله عليهم؛ وقسم مغضوب عليهم؛ وقسم ضالون...

وأسباب الخروج عن الصراط المستقيم: إما الجهل أو العناد؛ والذين سببُ خروجهم العناد هم المغضوب عليهم. وعلى رأسهم اليهود؛ والآخرون الذين سبب خروجهم الجهل كل من لا يعلم الحق. وعلى رأسهم النصارى؛ وهذا بالنسبة لحالهم قبل البعثة. أعني: النصارى؛ أما بعد البعثة فقد علموا الحق وخالفوه؛ فصاروا هم، واليهود سواءً. كلهم مغضوب عليهم. تفسير الفاتحة والبقرة (١/ ١٩-٢٠).

(آمين):

قال ابن كثير: يستحب لمن قرأ الفاتحة أن يقول بعدها: آمين مثل: يس، ويقال: أمين بالقصر أيضا مثل: يمين، ومعناه: اللهم استجب، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد وأبو داود، والترمذي، عن وائل بن حجر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قرأ: {غير المغضوب عليهم ولا الضالين} فقال: (آمين)، مد بها صوته، ولأبي داود: رفع بها صوته، وقال الترمذي: هذا حديث حسن...

وعن أبي هريرة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا {غير المغضوب عليهم ولا الضالين} قال: (آمين) حتى يُسمع من يليه من الصف الأول، رواه أبو داود، وابن ماجه، وزاد: يرتجّ بها المسجد، والدارقطني وقال: هذا إسناد حسن.

قال أصحابنا وغيرهم: ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة، ويتأكد في حق المصلي، وسواء كان منفردا أو إماما أو مأموما، وفي جميع الأحوال، لما جاء في الصحيحين، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أمّن الإمام فأمّنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه)... قيل: بمعنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الزمان، وقيل: في الإجابة، وقيل: في صفة الإخلاص. وفي صحيح مسلم عن أبي موسى مرفوعا: (إذا قال -يعني الإمام- {ولا الضالين}، فقولوا: آمين. يجبكم الله). تفسير ابن كثير (١/ ١٤٤-١٤٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الفاتحة

١- داوِم على حمد الله تعالى في كل حين وآن، بل اجعل لسانك رطبا بالحمد، لأن الله هو المستحق للحمد لكونه رب العالمين، ولأنه الرحمن الرحيم، ولأنه مالك يوم الدين (الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين).

٢- الله سبحانه هو رب العالمين، فهو رازقهم ومدبر أمورهم، فسلْه حاجاتك كلها (رب العالمين).

٣- الله سبحانه هو الرحمن الرحيم ، فتعرّض لرحمته بتعاطي أسبابها من الصلاة والدعاء وبر الوالدين والإحسان إلى الضعفاء والفقراء (الرحمن الرحيم).

٤- استعدّ للحساب يوم القيامة بمحاسبة نفسك في الدنيا، ولا تغترّ بما تملك في الدنيا من المال والجاه فكل ذلك زائل (مالك يوم الدين).

٥- أخلِص عبادتك لله وحده لا شريك له، مستحضِرا أنه لا يستحق العبادة إلا هو (إياك نعبد).

٦- كُن مستعينا بالله وحده في أمور دينك ودنياك، متوكّلا عليه وحده في تحقيق جميع حاجاتك، وأهم الحاجات التي تحتاج إلى طلب العون من الله القيام بعبادته على وجهها (وإياك نستعين).

٧- أكثِر من طلب الهداية من الله تعالى، وألحّ عليه في ذلك، حتى تنجو من فتن الشبهات والشهوات التي أحاطت بك من كل جانب (اهدنا الصراط المستقيم).

٨- تعرّف على سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وهدي أصحابه الكرام حتى تقتفي آثارهم في ذلك (صراط الذين أنعمت عليهم).

٩- احذر أن تكون عالِما بحكم من أحكام الشريعة تاركًا للعمل به فتكون من المغضوب عليهم (غير المغضوب عليهم).

١٠- احرِص على طلب العلم في كل شأن من شؤون حياتك، حتى تعبد الله على علم وبصيرة، وتنجو من سبيل الضالين الذين يعبدون الله على جهل، وتسلم من الوقوع في البدع والمحدثات (ولا الضالين).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الإخلاص والفلق والناس من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة الإخلاص: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] تفرد الله بالألوهية والكمال، وتنزُّهه عن الولد والوالد والنظير.

(قل هو الله أحد)

قل -أيها الرسول- هو الله المنفرد بالألوهية، لا إله غيره.

(الله الصمد)

هو السيّد الذي انتهى إليه السُّؤدَد في صفات الكمال والجمال، الَّذي تصمد إليه الخلائق.

(لم يلد ولم يولد)

الَّذي لم يلد أحدًا، ولم يلده أحد، فلا ولد له -سبحانه- ولا والد.

(ولم يكن له كفوا أحد)

ولم يكن له مماثل في خلقه.

سورة الفلق: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] الحث على الاعتصام بالله من الشرور.

(قل أعوذ بربّ الفلق)

قل -أيها الرسول-: أعتصم بربّ الصبح، وأستجير به.

(من شر ما خلق)

من شرّ ما يؤذي من المخلوقات.

(ومن شر غاسق إذا وقب)

وأعتصم بالله من الشرور التي تظهر في الليل من دواب ولصوص.

(ومن شر النفاثات في العُقد)

وأعتصم به من شرّ السواحر اللائي يَنْفُثْن في العُقَد.

(ومن شر حاسد إذا حسد)

وأعتصم به من شرّ حاسد إذا عمل بما يدفعه إليه الحسد.

سورة الناس: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] الحث على الاستعاذة بالله من شر الشيطان ووسوسته.

(قل أعوذ بربّ النّاس)

قل -أيها الرسول-: أعتصم برب الناس، وأستجير به.

(ملك الناس)

ملك الناس، يتصرف فيهم بما يشاء، لا ملك لهم غيره.

(إله الناس)

معبودهم بحقّ، لا معبود لهم بحق غيره.

(من شرّ الوسواس الخناس)

من شرّ الشيطان الَّذي يلقي وسوسته إلى الإنسان إذا غفل عن ذكر الله، ويتأخر عنه إذا ذكره.

(الذي يوسوس في صدور الناس)

يلقي بوسوسته إلى قلوب الناس.

(من الجنة والناس)

وهو يكون من الناس كما يكون من الجن.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

- إثبات صفات الكمال لله، ونفي صفات النقص عنه.
- ثبوت السحر، ووسيلة العلاج منه.
- علاج الوسوسة يكون بذكر الله والتعوذ من الشيطان.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الكافرون والنصر والمسد

الكلمة	المعنى
ولا أنا عابد ما عبدتم	ولا أعبد مستقبلا ما عبدتم من الآلهة الباطلة
لكم دينكم وليَ دين	لكم كفركم وشرككم ولي توحيدي وإخلاصي
والفَتْح	وفتحُ مكة في السنة الثامنة من الهجرة
أفواجًا	جماعات بعد جماعات
فسبّح بِحَمد ربّك	فنزّه الله عن كل ما لا يليق به حامدا له على كماله ونعمائه
توّابًا	كثير التوفيق للتوبة كثير القبول لها
تبّت	خسرت وهلكت
أبي لهب	عمّ النبي صلى الله عليه وسلم، واسمه عبد العزّى بن عبد المطلب
وتبّ	وخاب سعيه وتحقق خسرانه
ما أغنى عنه	أيّ شيء أغنى عنه
سيَصْلى نارًا	سيدخل نار جهنّم ويقاسي حرّها
حمّالةَ الحطب	التي كانت تحمل الشوك فتلقيه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم لأذيّته
في جيدِها	في عنقِها
من مسَد	من ليف خشن مفتول بشدة

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الإخلاص والفلق والناس

الفضائل الجامعة لسور الإخلاص والفلق والناس:

عن عبد الله بن خبيب، عن أبيه، أنه قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة، نطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي لنا، فأدركناه، فقال: أصليتم؟ فلم أقل شيئا، فقال: «قل» فلم أقل شيئا، ثم قال: «قل» فلم أقل شيئا، ثم قال: «قل» فقلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «قل: (قل هو الله أحد) والمعوذتين حين تمسي، وحين تصبح، ثلاث مرات تكفيك من كل شيء». سنن أبي داود (٤/ ٣٢٢)، سنن الترمذي (٥/ ٤٥٩).

عن عقبة بن عامر، قال: «أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة». مسند أحمد (٢٨/ ٦٣٤)، سنن أبي داود (٢/ ٨٦)، سنن النسائي (٣/ ٦٨).

عن عبد العزيز بن جريج، قال سألت عائشة أم المؤمنين بأي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: كان يقرأ في الركعة الأولى بـ (سبح اسم ربك الأعلى)، وفي الثانية بـ (قل يا أيها الكافرون)، وفي الثالثة بـ (قل هو الله أحد)، والمعوذتين. مسند أحمد (٤٣/ ٧٩)، سنن أبي داود (٢/ ٦٣)، سنن الترمذي (١/ ٥٨٦)، سنن ابن ماجه (١/ ٣٧١).

عن ابن عباس، قال: (كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث: بـ(سبح اسم ربك الأعلى)، و (قل يا أيها الكافرون)، و (قل هو الله أحد) مسند أحمد (٥/ ٧٩)، سنن النسائي (٣/ ٢٣٦)، سنن ابن ماجه (١/ ٣٧٠).

عن عائشة، رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه، نفث في كفيه بـ (قل هو الله أحد) وبالمعوذتين جميعا، ثم يمسح بهما وجهه، وما بلغت يداه من جسده» قالت عائشة: «فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به». صحيح البخاري (٧/ ١٣٣).

فضائل سورة الإخلاص خاصة:

عن أبي سعيد الخدري، أن رجلا سمع رجلا يقرأ: (قل هو الله أحد) يرددها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، وكأنّ الرجل يتقالّها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن». صحيح البخاري (٦/ ١٨٩).

وعن قتادة بن النعمان: أن رجلا قام في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ من السحر: (قل هو الله أحد) لا يزيد عليها، فلما أصبحنا أتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم نحوه. صحيح البخاري (٦/ ١٨٩).

عن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟» قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: «(قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن». صحيح البخاري (٦/ ١٨٩)، صحيح مسلم (١/ ٥٥٦).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احشدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن»، فحشد من حشد، ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ: (قل هو الله أحد)، ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: إني أرى هذا خبر جاءه من السماء فذاك الذي أدخله، ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن». صحيح مسلم (١/ ٥٥٧).

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله جزّأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل (قل هو الله أحد) جزّءا من أجزاء القرآن». صحيح مسلم (١/ ٥٥٦).

عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ (قل هو الله أحد)، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «سلوه لأي شيء يصنع

ذلك؟»، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أخبروه أن الله يحبه». صحيح البخاري (٩/ ١١٥)، صحيح مسلم (١/ ٥٥٧).

عن معاذ بن أنس الجهني صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قرأ: (قل هو الله أحد) حتى يختمها عشر مرات، بنى الله له قصرا في الجنة)، فقال عمر بن الخطاب: إذا نستكثر يا رسول الله؟ فقال: (الله أكثر وأطيب). مسند أحمد (٢٤/ ٣٧٦)، سنن الدارمي (٤/ ٢١٥٦).

عن بريدة قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد. فقال: (قد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب). مسند أحمد (٣٨/ ٦٤)، سنن الترمذي (٥/ ٣٩٢)، سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٦٧).

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الفجر: (قل يا أيها الكافرون)، و (قل هو الله أحد). صحيح مسلم (١/ ٥٠٢).

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب، بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة: (قل يا أيها الكافرون)، و (قل هو الله أحد). مسند أحمد (٨/ ٣٨١)، سنن النسائي (٢/ ١٧٠).

عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: ما أحصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل صلاة الفجر بـ {قل يا أيها الكافرون}، و {قل هو الله أحد}. سنن الترمذي (١/ ٥٥٧).

وفي حديث جابر في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ في الركعتين بعد الطواف: (قل هو الله أحد) و (قل يا أيها الكافرون). صحيح مسلم (٢/ ٨٨٨).

فضائل سورة الفلق والناس خاصة:

عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط، (قل أعوذ برب الفلق)، و (قل أعوذ برب الناس)». صحيح مسلم (١/ ٥٥٨).

عن أبي سعيد قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الإنسان، حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما. سنن الترمذي (٣/ ٤٦٣)، سنن ابن ماجه (٢/ ١١٦١).

عن ابن عابس الجهني، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا ابن عابس ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟) قلت: بلى يا رسول الله، قال: (قل أعوذ برب الفلق)، و (قل أعوذ برب الناس). مسند أحمد (٢٤/ ١٨٣)، سنن النسائي (٨/ ٢٥١).

عن عقبة بن عامر قال: اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب فوضعت يدي على قدمه فقلت: أقرئني يا رسول الله سورة هود، وسورة يوسف. فقال: «لن تقرأ شيئا أبلغ عند الله من (قل أعوذ برب الفلق)، و (قل أعوذ برب الناس)». سنن النسائي (٢/ ١٥٨).

فوائد عامّة في سورة الإخلاص:

سبب النزول: أخرج أحمد والبخاري في تاريخه والترمذي وابن جرير وابن خزيمة وابن أبي حاتم في السنة والبغوي في معجمه وابن المنذر في العظمة والحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي بن كعب رضي الله عنه: أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد انسب لنا ربك،

فأنزل الله: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد}، لأنه ليس يولد شيء إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله لا يموت ولا يورث، {ولم يكن له كفوا أحد} ليس له شبيه ولا عدل، وليس كمثله شيء. الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ٦٦٩).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفؤا أحد). صحيح البخاري (٦/ ١٨٠).

وقال ابن جُزي: واختلف في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن).
فقيل: إن ذلك في الثواب، أي: لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن.
وقيل: إن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم، وذلك أن علوم القرآن ثلاثة: توحيد وأحكام وقصص، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد، فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار، وهذا أظهر. التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٢٣).

وقال ابن عثيمين: تعدل ثلث القرآن لكن لا تقوم مقام ثلث القرآن، بدليل أن الإنسان لو كررها في الصلاة الفريضة ثلاث مرات لم تكفه عن الفاتحة، مع أنه إذا قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن كله، لكنها لا تجزىء عنه، ولا تستغرب أن يكون الشيء معادلاً للشيء ولا يجزىء عنه. فها هو النبي عليه الصلاة والسلام أخبر أن من قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فكأنما أعتق أربعة أنفس من بني إسماعيل، أو من ولد إسماعيل»، ومع ذلك لو كان عليه رقبة كفارة، وقال هذا الذكر، لم يكفه عن الكفارة، فلا يلزم من معادلة الشيء للشيء أن يكون قائماً مقامه في الإجزاء. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٥١).

(قل هو الله أحد):

قال ابن كثير: {قل هو الله أحد} يعني: هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير، ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله. تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٧).

(الله الصمد):

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له، بعد إيراده كثيرا من هذه الأقوال في تفسير "الصمد": وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربنا عز وجل، فهو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه. تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٩).

وقال ابن عثيمين: {الصمد} أجمع ما قيل في معناه: أنه الكامل في صفاته، الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته. فقد روي عن ابن عباس أن الصمد هو الكامل في علمه، الكامل في حلمه، الكامل في عزته، الكامل في قدرته، إلى آخر ما ذكر في الأثر، وهذا يعني أنه مستغنٍ عن جميع المخلوقات لأنه كامل.

وورد أيضاً في تفسيرها أن الصمد هو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، وهذا يعني أن جميع المخلوقات مفتقرة إليه، وعلى هذا فيكون المعنى الجامع للصمد هو: الكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٤٩-٣٥٠).

(لم يلد ولم يولد):

قال ابن عثيمين: {لم يلد} لأنه جل وعلا لا مثيل له، والولد مشتق من والده وجزء منه، كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في فاطمة: «إنها بَضْعَةٌ مني»، والله جل وعلا لا مثيل له، ثم إن الولد إنما يكون للحاجة إليه إما في المعونة على مكابدة الدنيا، وإما في الحاجة إلى بقاء النسل. والله عز وجل مستغنٍ عن ذلك. فلهذا لم يلد لأنه لا مثيل له؛ ولأنه مستغنٍ عن كل أحد عز وجل.

وقد أشار الله عز وجل إلى امتناع ولادته أيضاً في قوله تعالى: {أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم} . فالولد يحتاج إلى صاحبة تلده، وكذلك هو خالق كل شيء، فإذا كان خالق كل شيء فكل شيء منفصل عنه بائن منه.

وفي قوله: {لم يلد} رد على ثلاث طوائف منحرفة من بني آدم، وهم: المشركون، واليهود، والنصارى، لأن المشركين جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثـًا، وقالوا: إن الملائكة بنات الله. واليهود قالوا: عزير ابن الله. والنصارى قالوا: المسيح ابن الله. فكذبهم الله بقوله: {لم يلد ولم يولد} لأنه عز وجل هو الأول الذي ليس قبله شيء، فكيف يكون مولوداً؟! تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٥٠).

فوائد عامة في سورة الفلق:

سبب النزول: قال البغوي: قال ابن عباس وعائشة: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدبت إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة أسنان من مشطه، فأعطاها اليهود، فسحروه فيها، وتولى ذلك لبيد بن الأعصم رجل من اليهود، فنزلت السورتان فيه. تفسير البغوي (٥/ ٣٣٢).

وقال ابن تيمية: سورة الفلق فيها الاستعاذة من شر المخلوقات عموما وخصوصا، ولهذا قيل فيها برب الفلق، وقيل في هذه برب الناس، فإن فالق الإصباح بالنور يزيل بما في نوره من الخير ما في الظلمة من الشر، وفالق الحب والنوى بعد انعقادهما يزيل ما في عقد النفاثات، فإن فلق الحب والنوى أعظم من حل عقد النفاثات، وكذلك الحسد هو من ضيق الإنسان وشحه، لا ينشرح صدره لإنعام الله عليه، فرب الفلق يزيل ما يحصل بضيق الحاسد وشحه، وهو سبحانه لا يفلق شيئا إلا بخير، فهو فالق الإصباح بالنور الهادي، والسراج الوهاج الذي به صلاح العباد، وفالق الحب والنوى بأنواع الفواكه والأقوات، التي هي رزق الناس ودوابهم، والإنسان محتاج إلى جلب المنفعة من الهدى والرزق. مجموع الفتاوى (١٧/ ٥٠٨).

(قل أعوذ برب الفلق):

قال ابن القيم: المستعاذ به هو الله وحده، رب الفلق، ورب الناس، ملك الناس، إله الناس، الذي لا ينبغي الاستعاذة إلا به، ولا يستعاذ بأحد من خلقه، بل هو الذي يعيذ المستعيذين ويعصمهم ويمنعهم من شر ما استعاذوا من شره، وقد أخبر الله تعالى في كتابه عمن استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته طغيانا ورهقا، فقال حكاية عن مؤمني الجن: {وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا} جاء في التفسير أنه كان الرجل من العرب في الجاهلية إذا سافر فأمسى في أرض قفر قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح، أي: فزاد الإنس الجن باستعاذتهم بسادتهم رهقا، أي: طغيانا وإثما وشرا، يقولون: سدنا الإنس والجن. بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٣).

وقال ابن القيم: الفلق: الصبح الذي هو مبدأ ظهور النور، وهو الذي يطرد جيش الظلام وعسكر المفسدين في الليل، فيأوي كل خبيث وكل مفسد وكل لص وكل قاطع طريق إلى سرب أو كن أو غار، وتأوي الهوام إلى أحجرتها، والشياطين التي انتشرت بالليل إلى أمكنتها ومحالها، فأمر الله تعالى عباده أن يستعيذوا برب النور الذي يقهر الظلمة ويزيلها ويقهر عسكرها وجيشها. بدائع الفوائد (٢/ ٢١٩).

(من شر ما خلق):

قال ابن عثيمين: {من شر ما خلق} أي: من شر جميع المخلوقات ومنه النفس، لأن النفس أمارة بالسوء، فإذا قلت (من شر ما خلق) فأول ما يدخل فيه نفسك، كما جاء في خطبة الحاجة «نعوذ بالله من شرور أنفسنا»، وقوله: {من شر ما خلق} يشمل شياطين الإنس والجن والهوام وغير ذلك. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٥٢).

(ومن شر غاسق إذا وقب):

قال ابن عثيمين: الغاسق قيل: إنه الليل. وقيل: إنه القمر، والصحيح إنه عام لهذا وهذا.

أما كونه الليل، فلأن الله تعالى قال: {أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل}. والليل تكثر فيه الهوام والوحوش، فلذلك استعاذ من شر الغاسق أي: الليل.

وأما القمر فقد جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام أن النبي صلى الله عليه وسلّم أرى عائشة القمر، وقال: «هذا هو الغاسق»، وإنما كان غاسقـاً لأن سلطانه يكون في الليل...

فالليل إذا دخل بظلامه غاسق، وكذلك القمر إذا أضاء بنوره فإنه غاسق، ولا يكون ذلك إلا بالليل.

تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٥٢-٣٥٣).

(ومن شر النفاثات في العقد):

قال ابن عثيمين: {النفاثات في العقد} هن الساحرات. يعقدن الحبال وغيرها، وتنفث بقراءة مطلسمة فيها أسماء الشياطين، على كل عقدة تعقد ثم تنفث، تعقد ثم تنفث، تعقد ثم تنفث، وهي بنفسها الخبيثة تريد شخصـاً معينـاً، فيؤثر هذا السحر بالنسبة للمسحور. وذكر الله النفاثات دون النفاثين؛ لأن الغالب أن الذي يستعمل هذا النوع من السحر هن النساء، فلهذا قال: {النفاثات في العقد}. ويحتمل أن يقال: إن النفاثات يعني الأنفس النفاثات فيشمل الرجال والنساء. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٥٣).

(ومن شر حاسد إذا حسد):

قال ابن عثيمين: الحاسد هو الذي يكره نعمة الله على غيره، فتجده يضيق ذرعـاً إذا أنعم الله على هذا الإنسان بمال، أو جاه، أو علم أو غير ذلك. فيحسده، ولكن الحسّاد نوعان: نوع يحسد ويكره في قلبه نعمة الله على غيره، لكن لا يتعرض للمحسود بشيء، تجده مهمومـاً مغمومـاً من نعم الله على غيره، لكنه لا يعتدي على صاحبه. والشر والبلاء إنما هو بالحاسد إذا حسد. ولهذا قال: {إذا حسد}.

ومن حسد الحاسد العين التي تصيب المُعان يكون هذا الرجل عنده كراهة لنعم الله على الغير فإذا أحس بنفسه أن الله أنعم على فلان بنعمة خرج من نفسه الخبيثة (معنى) لا نستطيع أن نصفه لأنه مجهول، فيصيب بالعين، ومن تسلط عليه أحيانـاً يموت، وأحيانـاً يمرض، وأحيانـاً يُجن. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٥٣).

وقال ابن عثيمين: ذكر الله عز وجل الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد؛ لأن البلاء كله في هذه الأحوال الثلاثة يكون خفيًّا. الليل ستر وغشاء: {والليل إذا يغشى}، يكمن به الشر ولا يعلم به. {النفاثات في العقد} أيضـًا السحر خفي لا يعلم. {الحاسد إذا حسد} العائن أيضـًا خفي، تأتي العين من شخص تظن أنه من أحب الناس إليك وأنت من أحب الناس إليه ومع ذلك يصيبك بالعين. لهذا السبب خص الله هذه الأمور الثلاثة. الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد، وإلا فهي داخلة في قوله: {من شر ما خلق}.

فإذا قال قائل: ما هو الطريق للتخلص من هذه الشرور الثلاثة؟

قلنا: الطريق للتخلص أن يعلق الإنسان قلبه بربه، ويفوض أمره إليه، ويحقق التوكل على الله، ويستعمل الأوراد الشرعية التي بها يحصن نفسه ويحفظها من شر هؤلاء، وما كثر الأمر في الناس في الآونة الأخيرة من السحرة والحساد وما أشبه ذلك إلا من أجل غفلتهم عن الله، وضعف توكلهم على الله عز وجل، وقلة استعمالهم للأوراد الشرعية التي بها يتحصنون، وإلا فنحن نعلم أن الأوراد الشرعية حصن منيع، أشد من سد يأجوج ومأجوج. لكن مع الأسف أن كثيًرا من الناس لا يعرف عن هذه الأوراد شيئـًا، ومن عرف فقد يغفل كثيراً، ومن قرأها فقلبه غير حاضر، وكل هذا نقص، ولو أن الناس استعملوا الأوراد على ما جاءت به الشريعة لسلموا من شرور كثيرة، نسأل الله العافية والسلامة. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٥٤).

فوائد عامة في سورة الناس:

قال ابن كثير: هذه ثلاث صفات من صفات الرب، عز وجل؛ الربوبية، والملك، والإلهية: فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له، مملوكة عبيد له، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات، من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له الفواحش، ولا يألوه جهدا في الخبال. والمعصوم من عصم الله، وقد ثبت في الصحيح أنه: (ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرينه). قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: (نعم، إلا أن الله أعانني عليه،

فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير)، وثبت في الصحيح، عن أنس في قصة زيارة صفية النبي صلى الله عليه وسلم وهو معتكف، وخروجه معها ليلا ليردها إلى منزلها، فلقيه رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعا، فقال رسول الله: (على رسلكما، إنها صفية بنت حيي). فقالا: سبحان الله، يا رسول الله. فقال: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا، أو قال: شرا). تفسير ابن كثير (٨/ ٥٣٩).

(قل أعوذ برب الناس):

قال ابن جُزي: إن قيل: لم أضاف الرب إلى الناس خاصة وهو رب كل شيء؟

فالجواب: أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس، فخصهم بالذكر لأنهم المعوذين بهذا التعويذ، والمقصودون هنا دون غيرهم.

فإن قيل: لم قدم وصفه تعالى برب ثم بملك ثم بإله؟

فالجواب: أن هذا على الترتيب في الارتقاء إلى الأعلى، وذلك أن الرب قد يطلق على كثير من الناس، فيقال: فلان رب الدار وشبه ذلك، فبدأ به لاشتراك معناه، وأما الملك فلا يوصف به إلا أحد من الناس، وهم الملوك، ولا شك أنهم أعلى من سائر الناس، فلذلك جاء به بعد الرب، وأما الإله فهو أعلى من الملك، ولذلك لا يدعي الملوك أنهم آلهة فإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير، فلذلك ختم به. التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٢٩).

(من شر الوسواس الخناس):

قال ان جُزي: وسوسة الشيطان في صدر الإنسان بأنواع كثيرة منها: إفساد الإيمان والتشكيك في العقائد، فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي، فإن لم يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات، فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات ليحبطها، فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه واستكثار عمله، ومن ذلك أنه يوقد في القلب نار الحسد والحقد والغضب، حتى يقود الإنسان إلى شر الأعمال وأقبح الأحوال.

وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء: واحدها: الإكثار من ذكر الله. وثانيها: الإكثار من الاستعاذة بالله منه، ومن أنفع شيء في ذلك قراءة هذه السورة. وثالثها: مخالفته والعزم على عصيانه. التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٣٠).

وقال ابن عثيمين: {الخناس} الذي يخنس وينهزم ويولي ويدبر عند ذكر الله عز وجل وهو الشيطان. ولهذا إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي النداء أقبل حتى إذا ثوب للصلاة أدبر، حتى إذا قضي التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى. ولهذا جاء في الأثر: «إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان»، والغيلان هي الشياطين التي تتخيل للمسافر في سفره وكأنها أشياء مهولة أو عدو أو ما أشبه ذلك فإذا كبر الإنسان انصرفت. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٥٥-٣٥٦).

(الذي يوسوس في صدور الناس):

قال البغوي: قوله: (في صدور الناس) أراد بالناس ما ذكر من بعد وهو الجنة والناس، فسمى الجن ناسا كما سماهم رجالا، فقال: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن)، وقد ذُكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث: جاء قوم من الجن فوقفوا، فقيل: من أنتم؟ قالوا: أناس من الجن. تفسير البغوي (٥/ ٣٣٦).

وقال ابن جُزي: فإن قيل: لم قال في (صدور الناس) ولم يقل: في قلوب الناس؟
فالجواب: أن ذلك إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة، وأنها غير حالة في القلب بل هي محوّمة في صدور حول القلب. التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥٣٠).

(من الجنة والناس):

قال القرطبي: أخبر أن الموسوس قد يكون من الناس.

قال الحسن: هما شيطانان، أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس فيأتي علانية.
وقال قتادة: إن من الجن شياطين، وإن من الإنس شياطين، فتعوذ بالله من شياطين الإنس والجن.
وروي عن أبي ذر أنه قال لرجل: هل تعوذت بالله من شياطين الإنس؟ فقال: أو من الإنس شياطين؟ قال: نعم، لقوله تعالى: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن) الآية. تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٦٣).

المناسبة بين سورتي الفلق والناس:

قال ابن تيمية: تظهر المناسبة بين السورتين من وجه آخر، وهو أن المستعاذ منه هو الشر، كما أن المطلوب هو الخير: إما من فعل العبد وإما من غير فعله، ومبدأ فعله للشر هو الوسواس الذي يكون تارة من الجن وتارة من الإنس، وحسم الشر بحسم أصله ومادته أجود من دفعه بعد وقوعه، فإذا أعيذ العبد من شر الوسواس الذي يوسوس في الصدور فقد أعيذ من شر الكفر والفسوق والعصيان، فهذا في فعل نفسه، وتعم الآية أيضا فعل غيره لسوء معه، فكانت هذه السورة للشر الصادر من العبد، وأما الشر الصادر من غيره فسورة (الفلق)، فإن فيها الاستعاذة من شر المخلوقات عموما وخصوصا. مجموع الفتاوى (١٧/ ٥٣٥- ٥٣٦).

وقال ابن القيم: هذه السورة مشتملة على الاستعاذة من الشر الذي هو سبب الذنوب والمعاصي كلها، وهو الشر الداخل في الإنسان الذي هو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة، فسورة الفلق تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو ظلم الغير له بالسحر والحسد، وهو شر من خارج، وسورة الناس تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه، وهو شر من داخل.
فالشر الأول: لا يدخل تحت التكليف، ولا يطلب منه الكف عنه؛ لأنه ليس من كسبه. والشر الثاني: في سورة الناس يدخل تحت التكليف، ويتعلق به النهي. فهذا شر المعائب، والأول شر المصائب، والشر كله يرجع إلى العيوب والمصائب، ولا ثالث لهما، فسورة الفلق تتضمن الاستعاذة من شر المصيبات، وسورة الناس تتضمن الاستعاذة من شر العيوب التي أصلها كلها الوسوسة. بدائع الفوائد (٢/ ٢٥٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الإخلاص والفلق والناس

١- داوِم على قراءة سور الإخلاص والفلق والناس في الصباح والمساء، وفي أدبار الصلوات المكتوبات، وفي السنن الرواتب، وارْقِ بها نفسك قبل النوم، وستجد أثر ذلك ظاهرا في تحصين نفسك، واطمئنان قلبك، وراحة بالك.

٢- سورة الإخلاص صفة الرحمن، فأكثر من قراءتها وتدبّرها كل يوم وليلة، حتى يحبّك الله.

٣- المخلوقات كثيرة، وشرورها متنوّعة، وأعظمها شرا ما كان شره خفيا غير ظاهر كالساحر والحاسد والذي يتخفّى ليلا ليصيب بأذاه من يريد، وأخطرها على الإطلاق: الشيطان الرجيم، ولا نجاة من شرورها كلها إلا بالاستعاذة بالله من شرها كلها، وذلك مجموع في سورتي الفلق والناس، فأكثر من التعوّذ بهما، فما تعوّذ متعوّذ بمثلهما.

٤- الله سبحانه هو الإله الأحد الواحد، الذي قد كمُل في صفاته، والذي يقصده الخلق لقضاء حوائجهم، فعظّم ربّك وكبّره، وسبّحه ومجّده، وتوجّه إليه وحده بحوائجك كلها (قل هو الله أحد ❋ الله الصمد).

٥- من أصول الإيمان وأسس الإسلام اعتقاد أن الله منزه عن الصاحبة والولد؛ لكماله سبحانه وغناه عن خلقه، واعلم أنه لا يصحّ إيمان العبد حتى يعتقد كفر من نسب إلى الله الولد (لم يلد ولم يولد).

٦- من عظمة الله سبحانه أنه ليس له نظير ولا مثيل ولا عديل ولا شبيه، ذلك أنه الرب الملك الإله، فلا أحد يستحق العبادة غيره (ولم يكن له كفوا أحد)، (قل أعوذ برب الناس ❋ ملك الناس ❋ إله الناس).

٧- احرص على تحصين نفسك وأولادك قبل غروب الشمس خاصة، فإن شياطين الإنس والجن تنتشر حينئذ، والحيوانات المؤذية والدواب الضارة تخرج حينئذ (ومن شر غاسق إذا وقب).

٨- احذر من التعامل مع السحرة والمشعوذين، أو التستّر عليهم، فإن خطرهم على المجتمعات عظيم، وشرّهم مستطير، وما انتشروا في مجتمع إلا وعانى من المشكلات الاجتماعية

والاقتصادية، فاحذرهم وحذّر منهم، وتحصّن من أذاهم بالاستعاذة بالله من شرّهم، وإذا آذوك بشيء فأكثر من قراءة سورة الفلق تنجُ من أذاهم (ومن شر النفاثات في العقد).

٩- ابتعد عن الحسد، فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وما أقلّ من يسلم منه؟! وابتعد عن أسبابه من مدّ العينين إلى نعم الناس، والبحث عن أسرارهم، وتعمّد رؤية أصحاب النعيم منهم، بل انظر إلى من هو أسفل منك، فهو أجدر أن لا تزدري نعمة الله عليك (ومن شر حاسد إذا حسد).

١٠- عدوّك الأكبر (الشيطان الرجيم) يترصّد لك في كل حركة وسكون، فإذا غفلت عن ذكر الله وسوس لك، وإذا ذكرت الله خنس وولّى وهرب، فكن يقظا لهذا العدو، واعلم أنك في حرب ضروس معه ما دامت روحك في جسدك، فإياك أن يسلب منك أغلى ما تملك (إيمانك)، واستعذ بالله من شره دائما. (قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس * من شرّ الوسواس الخنّاس * الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الكافرون والنصر والمسد من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة الكافرون: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] البراءة من الكفر وأهله.

(قل يا أيها الكافرون)

قل -أيها الرسول-: يا أيها الكافرون بالله.

(لا أعبد ما تعبدون)

لا أعبد في الحال ولا في المستقبل ما تعبدون من الأصنام.

(ولا أنتم عابدون ما أعبد)

ولا أنتم عابدون ما أعبده أنا؛ وهو الله وحده.

(ولا أنا عابد ما عبدتم)

ولا أنا عابد ما عبدتم من الأصنام.

(ولا أنتم عابدون ما أعبد)

ولا أنتم عابدون ما أعبده أنا، وهو الله وحده.

(لكم دينكم ولي دين)

لكم دينكم الَّذي ابتدعتموه لأنفسكم، ولي ديني الَّذي أنزله الله عليّ.

سورة النصر: مَدَنيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بالنصر، وختام الرسالة.

(إذا جاء نصر الله والفتح)

إذا جاء نصر الله لدينك -أيها الرسول- وإعزازه له، وحدث فتح مكة.

(ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا)

ورأيت الناس يدخلون في الإسلام وفدًا بعد وفد.

(فسبّح بحمد ربّك واستغفره إنه كان توّابا)

فاعلم أن ذلك علامة على قرب انتهاء المهمة التي بُعِثْتَ بها، فسبِّح بحمد ربك؛ شكرًا له على نعمة النصر والفتح، واطلب منه المغفرة، إنه كان توابًا يقبل توبة عباده، ويغفر لهم.

سورة المسد: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] بيان خسران أبي لهب وزوجه.

(تبّت يدا أبي لهب وتبّ)

خسرت يدا عم النبي صلى الله عليه وسلم أبي لهب بن عبد المطلب بخسران عمله؛ إذ كان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم، وخاب سعيه.

(ما أغنى عنه ماله وما كسب)

أيّ شيء أغنى عنه ماله وولده؟ لم يدفعا عنه عذابًا، ولم يجلبا له رحمة.

(سيصلى نارا ذات لهب)

سيدخل يوم القيامة نارًا ذات لهب، يقاسي حرّها.

(وامرأته حمّالة الحطب)

وستدخلها زوجته أم جميل التي كانت تؤذي النبي صلى الله عليه وسلم بإلقاء الشوك في طريقه.

(في جيدها حبل من مسد)

في عنقها حبل مُحْكَم الفَتْل تساق به إلى النار.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• المفاصلة مع الكفار.

• مقابلة النعم بالشكر.

• سورة المسد من دلائل النبوة؛ لأنها حكمت على أبي لهب بالموت كافرًا، ومات بعد عشر سنين على ذلك.

• صِحَّة أنكحة الكفار.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الكافرون والنصر والمسد

الكلمة	المعنى
ولا أنا عابد ما عبدتم	ولا أعبد مستقبلا ما عبدتم من الآلهة الباطلة
لكم دينكم وليَ دين	لكم كفركم وشرككم ولي توحيدي وإخلاصي
والفَتْح	وفتحُ مكة في السنة الثامنة من الهجرة
أفواجًا	جماعات بعد جماعات
فسبّح بِحَمد ربّك	فنزّه الله عن كل ما لا يليق به حامدا له على كماله ونعمائه
توّابًا	كثير التوفيق للتوبة كثير القبول لها
تبّت	خسرت وهلكت
أبي لهب	عمّ النبي صلى الله عليه وسلم، واسمه عبد العزّى بن عبد المطلب
وتبّ	وخاب سعيه وتحقق خسرانه
ما أغنى عنه	أيّ شيء أغنى عنه
سيَصْلى نارًا	سيدخل نار جهنّم ويقاسي حرّها
حمّالةَ الحطب	التي كانت تحمل الشوك فتلقيه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم لأذيّته
في جيدِها	في عنقِها
من مسَد	من ليف خشن مفتول بشدة

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الكافرون والنصر والمسد

فضائل سورة الكافرون والنصر:

عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: (هل تزوجت يا فلان؟) قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج به، قال: (أليس معك قل هو الله أحد؟) قال: بلى، قال: (ثلث القرآن)، قال: (أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح؟) قال: بلى، قال: (ربع القرآن) قال: (أليس معك قل يا أيها الكافرون؟) قال: بلى، قال: (ربع القرآن)، قال: (أليس معك إذا زلزلت الأرض؟) قال: بلى، قال: (ربع القرآن)، قال: (تزوج تزوج). مسند أحمد (٢١/ ٣٢)، سنن الترمذي (٥/ ١٦) وحسّنه.

عن فروة بن نوفل، أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! علمني شيئا أقوله إذا أويت إلى فراشي، قال: (اقرأ: (قل يا أيها الكافرون) ثم نم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك). مسند أحمد (٣٩/ ٤٨٨)، سنن أبي داود (٤/ ٣١٣)، سنن الترمذي (٥/ ٣٤٥).

عن شيخ أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قال: خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فمر برجل يقرأ: (قل يا أيها الكافرون)، فقال: «أما هذا، فقد برئ من الشرك»، قال: وإذا آخر يقرأ: (قل هو الله أحد)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «بها وجبت له الجنة». مسند أحمد (٣٨/ ٢٤٧)، سنن الدارمي (٤/ ٢١٥٥).

عن عبد العزيز بن جريج، قال سألت عائشة أم المؤمنين بأي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: كان يقرأ في الركعة الأولى بـ (سبح اسم ربك الأعلى)، وفي الثانية بـ (قل يا أيها الكافرون)، وفي الثالثة بـ (قل هو الله أحد)، والمعوذتين. مسند أحمد (٤٣/ ٧٩)، سنن أبي داود (٢/ ٦٣)، سنن الترمذي (١/ ٥٨٦)، سنن ابن ماجه (١/ ٣٧١).

عن ابن عباس، قال: (كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث: بـ(سبح اسم ربك الأعلى)، و (قل يا أيها الكافرون)، و (قل هو الله أحد) مسند أحمد (٥/ ٧٩)، سنن النسائي (٣/ ٢٣٦)، سنن ابن ماجه (١/ ٣٧٠).

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الفجر: (قل يا أيها الكافرون)، و (قل هو الله أحد). صحيح مسلم (١/ ٥٠٢).

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب، بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة: (قل يا أيها الكافرون)، و (قل هو الله أحد). مسند أحمد (٨/ ٣٨١)، سنن النسائي (٢/ ١٧٠).

عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: ما أحصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل صلاة الفجر بـ {قل يا أيها الكافرون}، و {قل هو الله أحد}. سنن الترمذي (١/ ٥٥٧).

وفي حديث جابر في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ في الركعتين بعد الطواف: (قل هو الله أحد) و (قل يا أيها الكافرون). صحيح مسلم (٢/ ٨٨٨).

فوائد عامة في سورة الكافرون:

سبب النزول: عن ابن عباس: أن قريشا وعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطئوا عقبه، فقالوا له: هذا لك عندنا يا محمد، وكف عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل، فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح. قال: (ما هي؟) قالوا: تعبد آلهتنا سنة: اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة، قال: (حتى أنظر ما يأتي من عند

ربي)، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: (قل يا أيها الكافرون) السورة، وأنزل الله: (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) ... إلى قوله: (فاعبد وكن من الشاكرين). تفسير الطبري (٢٤/ ٦٦٢).

قال ابن تيمية: قوله في هذا الحديث (حتى أنظر ما يأتيني من ربي)، قد يقول هذا من يقصد به دفع الظالمين بالتي هي أحسن، ليجعل حجته أن الذي عليه طاعته قد منع من ذلك، فيؤخر الجواب حتى يستأمره، وإن كان هو يعلم أن هذا القول الذي قالوه لا سبيل إليه. وقد تُخطب إلى الرجل ابنته فيقول: حتى أشاور أمها، وهو يريد أن لا يزوجها بذلك، ويعلم أن أمها لا تشير له. وكذلك قد يقول النائب: حتى أشاور السلطان. فليس في مثل هذا الجواب تردد ولا تجويز منه أن الله يبيح له ذلك. مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٤٤).

وقال الطبري: (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألوك عبادة آلهتهم سنة، على أن يعبدوا إلهك سنة (يا أيها الكافرون) بالله (لا أعبد ما تعبدون) من الآلهة والأوثان الآن، (ولا أنتم عابدون ما أعبد) الآن (ولا أنا عابد) فيما أستقبل (ما عبدتم) فيما مضى (ولا أنتم عابدون) فيما تستقبلون أبدا (ما أعبد) أنا الآن، وفيما أستقبل...

وكان بعض أهل العربية يقول: كرّر قوله: (لا أعبد ما تعبدون) وما بعده على وجه التوكيد، كما قال: (فإن مع العسر يسرا. إن مع العسر يسرا)، وكقوله: (لترون الجحيم. ثم لترونها عين اليقين).

وقال ابن تيمية: وسورة {قل هو الله أحد} أفضل من {قل يا أيها الكافرون}، وتلك أمر بأن يقال: ما هو صفة الرب، وهذه أمر بأن يقال ما هو إنشاء خبر عن توحيد العبد، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقدّم ذلك الصنف، كقوله في الحديث الصحيح: {اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر

لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت} . فهذا الذكر تضمن الأنواع الثلاثة. فقدم ما هو خبر عن الله واليوم الآخر ورسوله، ثم ذكر ما هو خبر عن توحيد العبد وإيمانه، ثم ختم بالسؤال. وهذا لأن خبر الإنسان عن نفسه سلوك يشهد فيه نفسه وتحقيق عبادة الله عز وجل. وأما الثناء المحض فهو لا يشهد فيه إلا الله عز وجل بأسمائه وصفاته. وما جُرّد فيه ذكر الله تعالى أفضل مما جُرد فيه الخلق أيضا؛ ولهذا فضّلت سورة {قل هو الله أحد}، وجعلت تعدل ثلث القرآن؛ لأنها صفة الرحمن، وذِكره محضا، لم تشب بذكر غيره، لكن في ابتداء السلوك لا بد من ذكر الإنشاء، ولهذا كان مبتدأ الدخول في الإسلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. بخلاف حال العبادة المحضة فإنه يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. مجموع الفتاوى (٢٢/ ٣٨٩-٣٩٠).

قال ابن تيمية: قال عكرمة: برأه الله بهذه السورة من عبادة جميع الأوثان ودين جميع الكفار. وقال قتادة: أمر الله نبيه أن يتبرأ من المشركين فتبرأ منهم. وروى قتادة عن زرارة بن أوفى: كانت تسمى (المقشقشة). يقال: قشقش فلان، إذا برئ من مرضه، فهي تبرئ صاحبها من الشرك. مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٤١).

وقال ابن تيمية: لينظر العاقل في سبب براءتي من الشرك وما أنتم عليه، واختياري به عداوتكم، والصبر على أذاكم، واحتمالي هذه المكاره العظيمة. بعد ما كنتم تعظموني غاية التعظيم، وتصفوني بالأمانة، وتسموني الأمين، وتفضلوني على غيري، ونسبي فيكم أفضل نسب، وتعرفون ما جعل الله فيّ من العقل والمعرفة ومكارم الأخلاق وحسن المقاصد وطلب العدل والإحسان، وأني لا أختار لأحد منكم سوءا، ولا أريد أن أصيب أحدا بشرّ. فاختياري للبراءة مما تعبدون وإظهاري لسبهم وشتمهم. أهو سدى ليس له موجب أوجبه؟ فانظروا في ذلك. مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٦١).

وقال ابن تيمية: هذه السورة يؤمر بها كل مسلم وإن كان قد أشرك بالله قبل قراءتها، فهو يتبرأ في الحاضر والمستقبل مما يعبده المشركون في أي زمان كان، وينفي جواز عبادته لمعبودهم، ويبين أن مثل هذا لا

يكون ولا يصلح ولا يسوغ، فهو ينفي جوازه شرعا ووقوعا. فإن مثل هذا الكلام لا يقال إلا فيما يستقبح من الأفعال، كمن دعي إلى ظلم أو فاحشة فقال: أنا أفعل هذا؟ ما أنا بفاعل هذا أبدا. فهو أبلغ من قوله: لا أفعله أبدا. وهذا كقوله {وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض} . فهو يتضمن نفي الفعل بغضا فيه وكراهة له، بخلاف قوله: لا أفعل. فقد يتركه الإنسان وهو يحبه لغرض آخر. فإذا قال: ما أنا عابد ما عبدتم، دل على البغض والكراهة والمقت لمعبودهم ولعبادتهم إياه. وهذه هي البراءة. مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٥٤-٥٥٥).

وقال ابن القيم: تكرير الأفعال بلفظ المستقبل حين أخبر عن نفسه وبلفظ الماضي حين أخبر عنهم. ففي ذلك سر، وهو الإشارة والإيماء إلى عصمة الله لنبيه عن الزيغ والانحراف عن عبادة معبوده، والاستبدال به غيره، وأن معبوده الحق واحد في الحال والمآل على الدوام، لا يرضى به بدلا، ولا يبغي عنه حولا، بخلاف الكافرين فإنهم يعبدون أهواءهم، ويتبعون شهواتهم في الدين وأغراضهم. فهم بصدد أن يعبدوا اليوم معبودا، وغدا غيره. فقال: (لا أعبد ما تعبدون) يعني الآن، (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي: الآن أيضا. ثم قال: (ولا أنا عابد ما عبدتم) يعني: ولا أنا فيما يستقبل يصدر مني عبادة لما عبدتم أيها الكافرون. التفسير القيم (ص: ٥٩٠-٥٩١).

وقال ابن القيم: المشرك يعبد الله ويعبد معه غيره، كما قال أهل الكهف: (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) أي: اعتزلتم معبوديهم إلا الله، فإنكم لم تعتزلوه. وكذا قال المشركون عن معبوديهم: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)، فهم كانوا يعبدون معه غيره، فلم ينف عنهم الفعل لوقوعه منهم، ونفى الوصف لأن من عبد غير الله لم يكن ثابتا على عبادة الله موصوفا بها.

فتأمل هذه النكتة البديعة، كيف تجد في طيها أنه لا يوصف بأنه عابد لله، وأنه عبده المستقيم على عبادته: إلا من انقطع إليه بكليته، وتبتل إليه تبتيلا، لم يلتفت إلى غيره، ولم يشرك به أحدا في عبادته، وأنه إن عبده وأشرك معه غيره، فليس عابدا لله، ولا عبدا له. وهذا من أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة، التي

هي إحدى سورتي الإخلاص، التي تعدل ربع القرآن، كما جاء في بعض السنن. وهذا لا يفهمه كل أحد، ولا يدركه إلا من منحه الله فهما من عنده. فله الحمد والمنة. التفسير القيم (ص: ٥٩٢-٥٩٣).

وقال ابن القيم: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرنها بسورة (قل هو الله أحد) في سنة الفجر وسنة المغرب. فإن هاتين السورتين سورتا الإخلاص، وقد اشتملتا على نوعي التوحيد الذي لا نجاة للعبد ولا فلاح له إلا بهما، وهما:

توحيد العلم والاعتقاد: المتضمن تنزيه الله عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد والوالد، وأنه إله أحد صمد لم يلد فيكون له فرع ولم يولد فيكون له أصل ولم يكن له كفوا أحد فيكون له نظير. ومع هذا فهو الصمد الذي اجتمعت له صفات الكمال كلها. فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله من صفات الكمال، ونفي ما لا يليق به من الشريك أصلا وفرعا ونظيرا. فهذا توحيد العلم والاعتقاد.

والثاني: توحيد القصد والإرادة، وهو: ألا يعبد إلا إياه، فلا يشرك به في عبادته سواه، بل يكون وحده هو المعبود. وسورة (قل يا أيها الكافرون) مشتملة على هذا التوحيد.

فانتظمت السورتان نوعي التوحيد وأخلصتا له، فكان صلى الله عليه وسلم يفتتح بهما النهار في سنة الفجر، ويختتمه بهما في سنة المغرب. وفي السنن «أنه كان يوتر بهما». فيكونان خاتمة عمل الليل كما كانا خاتمة عمل النهار. التفسير القيم (ص: ٥٩٣-٥٩٤).

وقال الشنقيطي: في هذه السورة منهج إصلاحي، وهو عدم قبول ولا صلاحية أنصاف الحلول ؛ لأن ما عرضوه عليه صلى الله عليه وسلم من المشاركة في العبادة، يعتبر في مقياس المنطق حلا وسطا لاحتمال إصابة الحق في أحد الجانبين، فجاء الرد حاسما وزاجرا وبشدة؛ لأن فيه - أي: فيما عرضوه - مساواة للباطل بالحق، وفيه تعليق المشكلة، وفيه تقرير الباطل إن هو وافقهم ولو لحظة. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/ ١٣٦).

(قل يا أيها الكافرون):

قال ابن تيمية: الخطاب للمشركين كلهم، من مضى ومن يأتي إلى يوم القيامة، وقد أمره الله بالبراءة من كل معبود سواه. وهذه ملة إبراهيم الخليل، وهو مبعوث بملته. قال الله تعالى: {وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرني فإنه سيهدين. وجعلها كلمة باقية في عقبه}. وقال الخليل أيضا: {يا قوم إني بريء مما تشركون. إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين}. وقال {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده}. وقال لنبيه: {وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون}. مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٤٥-٥٤٦).

(لا أعبد ما تعبدون):

قال ابن تيمية: لفظ (ما) يدل على الصفة بخلاف (مَن) فإنه يدل على العين، كقوله: {فانكحوا ما طاب لكم من النساء}، أي: الطيب، {والسماء وما بناها}، أي: وبانيها. ونظيره قوله: {إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك} ولم يقل: من تعبدون من بعدي. وهذا نظير قوله: {ولا أنتم عابدون ما أعبد} سواء. فالمعنى: لا أعبد معبودكم ولا أنتم عابدون معبودي. مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٥٠).

(ولا أنتم عابدون ما أعبد):

قال ابن تيمية: وأما قوله عن الكفار: {ولا أنتم عابدون ما أعبد} فهو خطاب لجنس الكفار وإن أسلموا فيما بعد، فهو خطاب لهم ما داموا كفارا. فإذا أسلموا لم يتناولهم ذلك. فإنهم حينئذ مؤمنون لا كافرون، وإن كانوا منافقين فهم كافرون في الباطن فيتناولهم الخطاب. وهذا كما يقال: قل يا أيها المحاربون والمخاصمون والمقاتلون والمعادون. فهو خطاب لهم ما داموا متصفين بهذه الصفة. وما دام الكافر كافرا فإنه لا يعبد الله وإنما يعبد الشيطان؛ سواء كان متظاهرا أو غير متظاهر به كاليهود. فإن اليهود لا

يعبدون الله وإنما يعبدون الشيطان؛ لأن عبادة الله إنما تكون بما شرع وأمر. وهم وإن زعموا أنهم يعبدونه فتلك الأعمال المبدلة والمنهي عنها هو يكرهها ويبغضها وينهى عنها، فليست عبادة. فكل كافر بمحمد لا يعبد ما يعبده محمد ما دام كافرا. مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٥٥-٥٥٦).

(لكم دينكم ولي دين):

قال ابن القيم: هذا الإخبار بأن لهم دينهم وله دينه، هل هو إقرار فيكون منسوخا؟ أو لا نسخ في الآية ولا تخصيص؟

فهذه مسألة شريفة من أهم المسائل المذكورة، وقد غلط في السورة خلائق وظنوها منسوخة بآية السيف، لاعتقادهم أن هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم، وظن آخرون أنها مخصوصة بمن يقرون على دينهم، وهم أهل الكتاب، وكلا القولين غلط محض، فلا نسخ في السورة ولا تخصيص، بل هي محكمة، وعمومها نص محفوظ، وهي من السور التي يستحيل دخول النسخ في مضمونها، فإن أحكام التوحيد الذي اتفقت عليه دعوة الرسل يستحيل دخول النسخ فيه، وهذه السورة أخلصت التوحيد، ولهذا تسمى سورة الإخلاص كما تقدم.

ومنشأ الغلط: ظنهم أن الآية اقتضت إقرارهم على دينهم، ثم رأوا أن هذا الإقرار زال بالسيف، فقالوا: هو منسوخ.

وقالت طائفة: زال عن بعض الكفار، وهم من لا كتاب لهم. فقالوا: هذا مخصوص بأهل الكتاب.

ومعاذ الله أن تكون الآية اقتضت تقريرا لهم أو إقرارا على دينهم أبدا، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الأمر وأشَده عليه وعلى أصحابه أشد في الإنكار عليهم، وعيب دينهم، وتقبيحه والنهي عنه، والتهديد والوعيد لهم كل وقت، وفي كل ناد، وقد سألوه أن يكف عن ذكر آلهتهم. وعيب دينهم، ويتركونه وشأنه، فأبى إلا مضيا على الإنكار عليهم وعيب دينهم، فكيف يقال: إن الآية اقتضت تقريره لهم؟ معاذ الله من هذا الزعم الباطل، إنما الآية اقتضت براءته المحضة كما تقدم، وأن ما أنتم عليه من الدين لا نوافقكم عليه أبدا، فإنه دين باطل، فهو مختص بكم، لا نشارككم فيه، ولا أنتم تشاركوننا في ديننا الحق. وهذا غاية البراءة والتنصل من موافقتهم في دينهم، فأين الإقرار؟ حتى يدّعوا النسخ أو

التخصيص؟ أفترى إذا جوهدوا بالسيف كما جوهدوا بالحجة لا يصح أن يقال: (لكم دينكم ولي دين)؟ بل هذه آية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين إلى أن يطهر الله منهم عباده وبلاده. التفسير القيم (ص: ٥٩٦-٥٩٧).

فوائد عامة في سورة النصر:

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعا؟ قلت: «نعم، إذا جاء نصر الله والفتح»، قال: صدقت. صحيح مسلم (٤/ ٢٣١٨).

عن ابن عباس، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من قد علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: {إذا جاء نصر الله والفتح}؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: «هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له»، قال: {إذا جاء نصر الله والفتح}، «وذلك علامة أجلك»، {فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا}، فقال عمر: «ما أعلم منها إلا ما تقول». صحيح البخاري (٦/ ١٧٩).

قال ابن تيمية: وقد كان عمر يسأل ويسأل عن معاني الآيات الدقيقة، وقد سأل أصحابه عن قوله {إذا جاء نصر الله والفتح}، فذكروا ظاهر لفظها. ولما فسرها ابن عباس بأنها إعلام النبي صلى الله عليه وسلم بقرب وفاته قال: ما أعلم منها إلا ما تعلم. وهذا باطن الآية الموافق لظاهرها. فإنه لما أمر بالاستغفار عند ظهور الدين، والاستغفار يؤمر به عند ختام الأعمال، وبظهور الدين حصل مقصود الرسالة، علموا أنه إعلام بقرب الأجل. مجموع الفتاوى (١٦/ ٤١٧-٤١٨).

وقال ابن كثير: الذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر، رضي الله عنهم أجمعين، من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه - يعني: نصلي - ونستغفره معنى مليح صحيح، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات، فقال قائلون: هي صلاة الضحى. وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها، فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافرا لم ينو الإقامة بمكة؟ ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان قريبا من تسعة عشر يوما يقصر الصلاة ويفطر هو وجميع الجيش، وكانوا نحوا من عشرة آلاف. قال هؤلاء: وإنما كانت صلاة الفتح، قالوا: فيستحب لأمير الجيش إذا فتح بلدا أن يصلي فيه أول ما يدخله ثماني ركعات. وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن. تفسير ابن كثير (٨/ ٥١١-٥١٢).

(إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا):

قال ابن كثير: والمراد بالفتح هاهنا فتح مكة قولا واحدا، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي. فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانا، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، ولله الحمد والمنة. وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال: لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت الأحياء تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون: دعوه وقومه، فإن ظهر عليهم فهو نبي. الحديث...

وعن جار لجابر بن عبد الله قال: قدمت من سفر، فجاءني جابر بن عبد الله، فسلم عليّ، فجعلت أحدثه عن افتراق الناس وما أحدثوا، فجعل جابر يبكي، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الناس دخلوا في دين الله أفواجا، وسيخرجون منه أفواجا). تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٣).

(فسبّح بحمد ربّك واستغفره إنه كان توابا):

عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي) يتأوّل القرآن. صحيح البخاري (١/ ١٦٣)، صحيح مسلم (١/ ٣٥٠).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت {إذا جاء نصر الله والفتح} إلى آخرها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة إلا قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي». صحيح ابن خزيمة (٢/ ٣٠)، صحيح ابن حبان (١٤/ ٣٢٤).

وقال البغوي: قال ابن عباس: لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم أنه نعيت إليه نفسه.
وقال الحسن: أعلم أنه قد اقترب أجله، فأمر بالتسبيح والتوبة، ليختم له بالزيادة في العمل الصالح.
وقال قتادة ومقاتل: عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سبعين يوما. تفسير البغوي (٥/ ٣٢٦).

وقال السعدي: في ذلك إشارتين: إشارة لأن يستمر النصر لهذا الدين، ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله، فإن هذا من الشكر، والله يقول: {لئن شكرتم لأزيدنكم}، وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة، لم يزل نصر الله مستمرا، حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه ما لم يدخل في غيره، حتى حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث، فابتلاهم الله بتفرق الكلمة، وتشتت الأمر، فحصل ما حصل. ومع هذا فلهذه الأمة، وهذا الدين، من رحمة الله ولطفه، ما لا يخطر بالبال، أو يدور في الخيال.
وأما الإشارة الثانية، فهي الإشارة إلى أن أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرب ودنا، ووجه ذلك أن عمره عمر فاضل أقسم الله به. وقد عهد أن الأمور الفاضلة تختم بالاستغفار، كالصلاة والحج، وغير ذلك. فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال، إشارة إلى أن أجله قد انتهى، فليستعد ويتهيأ للقاء ربه، ويختم عمره بأفضل ما يجده صلوات الله وسلامه عليه. فكان صلى الله عليه وسلم يتأول القرآن، ويقول ذلك في صلاته، يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي). تفسير السعدي (ص: ٩٣٦).

فوائد عامة في سورة المسد:

سبب النزول: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما نزلت: {وأنذر عشيرتك الأقربين} ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف: «يا صباحاه» فقالوا: من هذا؟، فاجتمعوا إليه، فقال: «أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقيّ؟» قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» قال أبو لهب: تبا لك، ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت: {تبت يدا أبي لهب وتب}. صحيح البخاري (٦/ ١٧٩)، صحيح مسلم (١/ ١٩٣).

(تبّت يدا أبي لهب وتبّ):

عن ربيعة بن عباد الديلي، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بذي المجاز يدعو الناس، وخلفه رجل أحول، يقول: لا يصدنكم هذا عن دين آلهتكم، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا عمه أبو لهب. مسند أحمد (٢٥/ ٤٠٣).

وقال الطبري: كان بعض أهل العربية يقول: قوله: (تبت يدا أبي لهب): دعاء عليه من الله. وأما قوله: (وتب) فإنه خبر. ويذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: (تبت يدا أبي لهب وقد تب). وفي دخول (قد) فيه دلالة على أنه خبر، ويمثل ذلك بقول القائل، لآخر: أهلكك الله، وقد أهلكك، وجعلك صالحا، وقد جعلك. تفسير الطبري (٢٤/ ٦٧٥).

وقال البغوي: أخبر عن يديه، والمراد به نفسه، على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله.

وقيل: اليد صلة، كما يقال: يد الدهر ويد الرزايا والبلايا.

وقيل: المراد به ماله وملكه، يقال: فلان قليل ذات اليد، يعنون به المال، والتباب: الخسار والهلاك. تفسير البغوي (٥/ ٣٢٧).

وقال القرطبي: قوله تعالى: (أبي لهب) قيل: سمي باللهب لحسنه، وإشراق وجهه. وقد ظن قوم أن في هذا دليلا على تكنية المشرك، وهو باطل، وإنما كناه الله بأبي لهب- عند العلماء- لمعان أربعة:

الأول: أنه كان اسمه عبد العزى، والعزى: صنم، ولم يضف الله في كتابه العبودية إلى صنم.

الثاني: أنه كان بكنيته أشهر منه باسمه، فصرح بها.

الثالث: أن الاسم أشرف من الكنية، فحطه الله عز وجل عن الأشرف إلى الأنقص، إذا لم يكن بد من الإخبار عنه، ولذلك دعا الله تعالى الأنبياء بأسمائهم، ولم يكنّ عن أحد منهم. ويدلك على شرف الاسم على الكنية: أن الله تعالى يسمّى ولا يكنّى، وإن كان ذلك لظهوره وبيانه، واستحالة نسبة الكنية إليه، لتقدسه عنها.

الرابع: أن الله تعالى أراد أن يحقق نسبته بأن يدخله النار، فيكون أبا لها تحقيقا للنسب، وإمضاء للفأل والطيرة التي اختارها لنفسه.

وقد قيل: اسمه كنيته. فكان أهله يسمونه (أبا لهب)، لتلهب وجهه وحسنه، فصرفهم الله عن أن يقولوا: أبو النور، وأبو الضياء، الذي هو مشترك بين المحبوب والمكروه، وأجرى على ألسنتهم أن يضيفوه إلى (لهب) الذي هو مخصوص بالمكروه المذموم، وهو النار. ثم حقق ذلك بأن يجعلها مقره. تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٣٦-٢٣٧).

وقال البقاعي: وعُرف بهذا أن الانتماء إلى الصالحين لا يغني إلا إن وقع الاقتداء بهم في أفعالهم؛ لأنه عم النبي صلى الله عليه وسلم. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٣٣١).

(ما أغنى عنه ماله وما كسب):

عن ابن عباس: أنه رأى يوما ولد أبي لهب يقتتلون، فجعل يحجز بينهم ويقول: هؤلاء مما كسب. تفسير الطبري (٢٤/ ٦٧٧).

وقال ابن كثير: قال ابن عباس وغيره: {وما كسب} يعني: ولده. وروي عن عائشة، ومجاهد، وعطاء، والحسن، وابن سيرين، مثله. وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قومه إلى الإيمان، قال أبو لهب: إذا كان ما يقول ابن أخي حقا، فإني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي، فأنزل الله: {ما أغنى عنه ماله وما كسب}. تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٥).

(وامرأته حمّالة الحطب):

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، قالت: لما نزلت {تبت يدا أبي لهب} أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر، وهي تقول: مذمما أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا، والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله، قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها لن تراني»، وقرأ قرآنا فاعتصم به، كما قال: وقرأ {وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا}، فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا أبا بكر، إني أخبرت أن صاحبك هجاني. فقال: لا ورب هذا البيت ما هجاك. فولّت وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها. المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٣٩٣).

عن ابن عباس، في قوله: (وامرأته حمالة الحطب) قال: كانت تحمل الشوك، فتطرحه على طريق النبي صلى الله عليه وسلم، ليعقره وأصحابه.

وعن مجاهد: (وامرأته حمالة الحطب) قال: كانت تمشي بالنميمة.

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي، قول من قال: كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك. تفسير الطبري (٢٤/ ٦٧٨-٦٨٠).

وقال ابن كثير: {وامرأته حمالة الحطب} وكانت زوجته من سادات نساء قريش، وهي: أم جميل، واسمها أروى بنت حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان. وكانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده؛ فلهذا تكون يوم القيامة عونا عليه في عذابه في نار جهنم. تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٥).

(في جيدها حبل من مسد):

قال ابن كثير: قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة، فإنه منذ نزل قوله تعالى: {سيصلى نارا ذات لهب. وامرأته حمالة الحطب. في جيدها حبل من مسد} فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لم يقيَّض لهما أن يؤمنا، ولا واحد منهما لا ظاهرا ولا باطنا، لا مسرا ولا معلنا، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة. تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الكافرون والنصر والمسد

١- داوِم على قراءة سورة (الكافرون) قبل النوم، واحرص على قراءتها في سنة الفجر والمغرب وركعتي الوتر، اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبراءة من الشرك.

٢- لا بد أن تتبرأ من عبادة كل معبود غير الله، ومن كل دين غير الإسلام، وتجزم ببطلانها، وبضلال أصحابها، وتعلن هذه البراءة منها في الحال وفي المستقبل، وتؤكّد ذلك بقولك وفعلك (قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين).

٣- أعظم الفرح الفرح بمجيء نصر الله لدينه ولأتباعه، والفرح بدخول الناس في دين الله، فإذا رأيت ذلك فاحمد الله واشكره وسبّحه واستغفره حتى يُنعِم سبحانه بالمزيد (إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبّح بحمد ربّك واستغفره إنه كان توّابا).

٤- النبي صلى الله عليه وسلم بذل غاية جهده لنشر دين الله وهداية الناس، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، ولم يمُت عليه الصلاة والسلام حتى أكمل الله الدين وأتمّ النعمة، فاحمد الله على هذه النعمة العظيمة، وكن مقتديا بالنبي صلى الله عليه وسلم في بذل غاية الجهد في الدعوة إلى دين الله وهداية الناس بحسب ما عندك من علم (إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا).

٥- أكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار عند ختم العبادات، وفي كل وقت (فسبّح بحمد ربّك واستغفره إنه كان توّابا).

٦- نسب الإنسان الشريف، وحسبه الرفيع، وقرابته من الصالحين لا تغني عنه من الله شيئا، بل العبرة بالإيمان والعمل الصالح، فهذا أبو لهب عمّ النبي صلى الله عليه وسلم وامرأته أخت أبي سفيان، جاء التصريح بدخولهما النار، فاعمل لنفسك ما يُنجيك، ولا تغترّ بحسبك ونسبك (تبّت يدا أبي لهب وتبّ * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى نارا ذات لهب).

٧- المسلم يحذر من أذية عباد الله الصالحين، ومعاداتهم، والصد عنهم وعمّا يحملون من الحق، لأنه يعلم أن عاقبة ذلك وخيمة، وأن من فعل ذلك فقد آذنه الله بالحرب (وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد).

٨- من براهين النبوة الظاهرة الحكم على أبي لهب وزوجه بالخلود في النار وهما على قيد الحياة، وقد عاشا بعد ذلك عشر سنوات، ولم يؤمنا لا ظاهرا ولا باطنا.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة قريش والماعون والكوثر من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة قريش: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] بيان نعمة الله على قريش، وحق الله عليهم.

(لِإِيلَاف قريش):

لأجلِ عادة قريش وإِلْفِهم.

(إِيلَافِهِم رحلة الشتاء والصيف):

رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام آمنين.

(فليعبدوا رب هذا البيت):

فليعبدوا الله ربّ هذا البيت الحرام وحده، الَّذي يسَّر لهم هذه الرحلة، ولا يشركوا به أحدًا.

(الَّذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف):

الَّذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، بما وضع في قلوب العرب من تعظيم الحرم، وتعظيم سكانه.

سورة الماعون: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] بيان صفات المكذبين بالدين.

(أرأيت الذي يكذّب بالدين):

هل عرفت الَّذي يكذب بالجزاء يوم القيامة؟!

(فذلك الذي يدُعّ اليتيم):

فهو ذلك الَّذي يدفع اليتيم بغلظة عن حاجته.

(ولا يحُضّ على طعام المسكين):

ولا يحثّ نفسه، ولا يحث غيره على إطعام الفقير.

(فويلٌ للمصلّين):

فهلاك وعذاب للمصلِّين.

(الذين هم عن صلاتهم ساهون):

الذين هم عن صلاتهم لاهون، لا يبالون بها حتَّى ينقضي وقتها.

(الذين هم يراءون):

الذين هم يراؤون بصلاتهم وأعمالهم، لا يخلصون العمل لله.

(ويمنعون الماعون):

ويمنعون إعانة غيرهم بما لا ضرر في الإعانة به.

سورة الكوثر: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] بيان منة الله على نبيه صلى الله عليه وسلم بالخير الكثير والدفاع عنه.

(إنا أعطيناك الكوثر):

إنا آتيناك -أيها الرسول- الخير الكثير، ومنه نهر الكوثر في الجنّة.

(فصلّ لربّك وانحر):

فأدّ شكر الله على هذه النعمة، بأن تصلي له وحده وتذبح؛ خلافًا لما يفعله المشركون من التقرّب لأوثانهم بالذبح.

(إن شانئك هو الأبتر):

إن مبغِضك هو المنقطع عن كل خير المَنْسِي الَّذي إن ذُكِر ذُكِر بسوء.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• أهمية الأمن في الإسلام.

• الرياء أحد أمراض القلوب، وهو يبطل العمل.

• مقابلة النعم بالشكر يزيدها.

• كرامة النبي صلى الله عليه وسلم على ربه وحفظه له وتشريفه له في الدنيا والآخرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة قريش والماعون والكوثر

الكلمة	المعنى
لِإِيلافِ قريش	اعجبوا لعادة قريش وإِلْفِهم الرحلتين مع تركهم عبادة ربّ البيت
رحلةَ الشتاء	إلى اليمن
والصّيف	إلى الشام
يكذّب بالدين	يكذّب بيوم القيامة والبعث والجزاء
يدُعّ اليتيم	يدفع اليتيم بغِلظة عن حاجته
ولا يَحُضُّ	ولا يحثّ نفسه ولا غيره
ساهون	غافلون لا يبالون بها حتى ينقضي وقتها ولا يقيمونها على وجهها
يُرَاؤون	يعملون مراءاة للناس لا لله
الماعون	ما لا ضرر في إعارته
الكوثر	الخير الكثير، ومنه نهر الكوثر في الجنة
وانْحر	واذبح لله وحده
شانِئَك	مبغِضَك
الأبتَر	المنقطعُ أثره، المقطوع عن كل خير

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة قريش والماعون والكوثر

فوائد عامة في سورة قريش:

عن أسماء بنت يزيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {لإيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف} (ويحكم يا قريش، اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع، وآمنكم من خوف). مسند أحمد (٤٥/ ٥٨١).

(لإيلاف قريش):

قال البغوي: عدّ بعضهم سورة الفيل وهذه السورة واحدة، منهم أبي بن كعب، لا فصل بينهما في مصحفه، وقالوا: اللام في (لإيلاف) تتعلق بالسورة التي قبلها، وذلك أن الله تعالى ذكّر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة، وقال: (لإيلاف قريش)، وقال الزجاج: المعنى جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، أي: أهلك أصحاب الفيل لتبقى قريش، وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف...

والعامة على أنهما سورتان. واختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله: (لإيلاف):

قال الكسائي والأخفش: هي لام التعجب، يقول: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة رب هذا البيت، ثم أمرهم بعبادته، كما تقول في الكلام: لزيد وإكرامنا إياه! على وجه التعجب، أي اعجبوا لذلك، والعرب إذا جاءت بهذه اللام اكتفوا بها دليلا على التعجب من إظهار الفعل منه.

وقال الزجاج: هي مردودة إلى ما بعدها تقديره: فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف. تفسير البغوي (٥/ ٣٠٩).

وقال ابن كثير: هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الإمام، كتبوا بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم)، وإن كانت متعلقة بما قبلها. كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ لأن المعنى عندهما: حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله {لإيلاف قريش} أي: لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين. تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩١).

وقال البغوي: عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من بني كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم». وسموا قريشا من القرش والتقرش وهو التكسب والجمع، يقال: فلان يقرش لعياله ويقترش أي يكتسب، وهم كانوا تجارا حراصا على جمع المال والإفضال. وقال أبو ريحانة: سأل معاوية عبد الله بن عباس: لم سميت قريش قريشا؟ قال: لدابة تكون في البحر من أعظم دوابه، يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته، وهي تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلى. تفسير البغوي (٥/ ٣١٠).

(إيلافهم رحلة الشتاء والصيف):

عن قتادة، قوله: (لإيلاف قريش إيلافهم) قال: كان أهل مكة تجارا يتعاورون ذلك شتاء وصيفا، آمنين في العرب، وكانت العرب يغير بعضها على بعض، لا يقدرون على ذلك، ولا يستطيعونه من الخوف، حتى إن كان الرجل منهم ليصاب في حي من أحياء العرب، وإذا قيل: حرمي خلي عنه وعن ماله، تعظيما لذلك فيما أعطاهم الله من الأمن. تفسير الطبري (٢٤/ ٦٢٤).

وقال البغوي: كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة، إحداهما في الشتاء إلى اليمن لأنها أدفأ، والأخرى في الصيف إلى الشام. وكان الحرم واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع، وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم، وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء، كانوا يقولون: قريش سكان حرم الله وولاة بيته. فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة، ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف. تفسير البغوي (٥/ ٣١٠-٣١١).

(فليعبدوا ربّ هذا البيت):

عن ابن عباس، في قول الله: (لإيلاف قريش) قال: أمروا أن يألفوا عبادة رب هذا البيت، كإلفهم رحلة الشتاء والصيف. تفسير الطبري (٢٤/ ٦٢٣).

(الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف):

عن ابن عباس، قوله: (الذي أطعمهم من جوع) يعني: قريشا أهل مكة بدعوة إبراهيم صلى الله عليه وسلم حيث قال: (وارزقهم من الثمرات). تفسير الطبري (٢٤/ ٦٢٣).

وقال ابن كثير: {فليعبدوا رب هذا البيت} أي: فليوحدوه بالعبادة، كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محرما، كما قال تعالى: {إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين}. وقوله: {الذي أطعمهم من جوع} أي: هو رب البيت، وهو (الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)، أي: تفضل عليهم بالأمن والرخص فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنا. ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه، كما قال تعالى: {وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون}. تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٢).

وقال الشنقيطي: في الجمع بين إطعامهم من جوع وأمنهم من خوف، نعمة عظمى، لأن الإنسان لا ينعم ولا يسعد إلا بتحصيل النعمتين هاتين معا، إذ لا عيش مع الجوع، ولا أمن مع الخوف، وتكمل النعمة باجتماعهما. ولذا جاء في الحديث: «من أصبح معافى في بدنه آمنا في سربه عنده قوت يومه، فقد اجتمعت عنده الدنيا بحذافيرها». أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/ ١١٢).

فوائد عامة في سورة الماعون:

قال ابن جُزي: المعنى: انظر الذي كذّب بالدين، تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة، والأعمال السيئة، وإنما ذلك لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات، فمقصود الكلام ذم الكفار وأحوالهم. التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٥١٦).

وقال السعدي: في هذه السورة، الحث على إكرام اليتيم والمساكين، والتحضيض على ذلك، ومراعاة الصلاة، والمحافظة عليها، وعلى الإخلاص فيها وفي جميع الأعمال. والحث على فعل المعروف وبذل الأموال الخفيفة، كعارية الإناء والدلو والكتاب، ونحو ذلك، لأن الله ذم من لم يفعل ذلك. تفسير السعدي (ص: ٩٣٥).

(فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون):

قال ابن تيمية: قال تعالى: {فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون} قال طائفة من السلف: هم الذين يؤخرونها عن وقتها. وقال بعضهم: هم الذين لا يؤدونها على الوجه المأمور به وإن صلاها في الوقت. فتأخيرها عن الوقت حرام باتفاق العلماء... وإنما يعذر بالتأخير النائم والناسي. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها، فإن ذلك وقتها، لا كفارة لها إلا ذلك»...

وأما من فوتها متعمدا فقد أتى كبيرة من أعظم الكبائر، وعليه القضاء عند جمهور العلماء، وعند بعضهم لا يصح فعلها قضاء أصلا، ومع القضاء عليه لا تبرأ ذمته من جميع الواجب، ولا يقبلها الله منه بحيث يرتفع عنه العقاب، ويستوجب الثواب؛ بل يخفف عنه العذاب بما فعله من القضاء، ويبقى عليه إثم التفويت. الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ١٠-١٧).

وقال ابن تيمية: {فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون} فتوعد بالويل لمن يسهو عن الصلاة حتى يخرج وقتها وإن صلاها بعد ذلك، وكذلك قوله تعالى: {فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا} . وقد سألوا ابن مسعود عن إضاعتها فقال: هو تأخيرها حتى يخرج وقتها، فقالوا: ما كنا نرى ذلك إلا تركها، فقال: لو تركوها لكانوا كفارا...

وقوله: {واتبعوا الشهوات} يتناول كل من استعمل ما يشتهيه عن المحافظة عليها في وقتها، سواء كان المشتهى من جنس المحرمات: كالمأكول المحرم، والمشروب المحرم، والمنكوح المحرم، والمسموع المحرم، أو كان من جنس المباحات لكن الإسراف فيه ينهى عنه، أو غير ذلك، فمن اشتغل

عن فعلها في الوقت بلعب أو لهو أو حديث مع أصحابه، أو تنزه في بستانه، أو عمارة عقاره، أو سعي في تجارته، أو غير ذلك فقد أضاع تلك الصلاة، واتبع ما يشتهيه. وقد قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون} . ومن ألهاه ماله وولده عن فعل المكتوبة في وقتها دخل في ذلك، فيكون خاسرا. الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢/ ٣٤-٣٥).

وقال ابن تيمية: في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان، قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا»، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الذي يؤخر الصلاة وينقرها منافق. فكيف بمن لا يصلي؟ وقد قال تعالى: {فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذين هم يراءون} قال العلماء: الساهون عنها: الذين يؤخرونها عن وقتها، والذين يفرطون في واجباتها. فإذا كان هؤلاء المصلون الويل لهم، فكيف بمن لا يصلي؟ وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أنه يعرف أمته بأنهم غر محجلون من آثار الوضوء»، وإنما تكون الغرة والتحجيل لمن توضأ وصلى، فابيضّ وجهه بالوضوء، وابيضّت يداه ورجلاه بالوضوء، فصلى أغرّ محجلا. فمن لم يتوضأ ولم يصل لم يكن أغر ولا محجلا، فلا يكون عليه سيما المسلمين. الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/ ٤٧٩).

وقال ابن تيمية: قال سلمان الفارسي: إن الصلاة مكيال، فمن وفى وُفي له، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين... وجاء في الحديث: «إن العبد إذا أكمل الصلاة بطهورها وقراءتها وخشوعها صعدت ولها برهان كبرهان الشمس، وتقول: حفظك الله كما حفظتني، وإذا لم يكمل طهورها وقراءتها وخشوعها فإنها تُلف كما يلف الثوب، ويضرب بها وجه صاحبها وتقول: ضيعك الله كما ضيعتني».

والعبد وإن أقام صورة الصلاة الظاهرة فلا ثواب إلا على قدر ما حضر قلبه فيه منها، كما جاء في السنن لأبي داود، وغيره: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن العبد لينصرف من صلاته ولم يكتب له منها إلا نصفها، إلا ثلثها، إلا ربعها، إلا خمسها، إلا سدسها، إلا سبعها، إلا ثمنها، إلا تسعها، إلا

عشرها». وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها. الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٤/ ٤٥٦).

وقال ابن كثير: {فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون} قال ابن عباس، وغيره: يعني المنافقين، الذين يصلون في العلانية ولا يصلون في السر. ولهذا قال: {للمصلين} أي: الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها، ثم هم عنها ساهون:

إما عن فعلها بالكلية، كما قاله ابن عباس.

وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعا، فيخرجها عن وقتها بالكلية، كما قاله مسروق، وأبو الضحى.

وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائما أو غالبا.

وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به.

وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل هذا كله.

ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية. ومن اتصف بجميع ذلك، فقد تم نصيبه منها، وكمل له النفاق العملي. تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٣).

وقال السعدي: السهو عن الصلاة، هو الذي يستحق صاحبه الذم واللوم. وأما السهو في الصلاة، فهذا يقع من كل أحد، حتى من النبي صلى الله عليه وسلم. تفسير السعدي (ص: ٩٣٥).

(الذين هم يراءون):

قال الطبري: (الذين هم يراءون) الناس بصلاتهم إذا صلوا، لأنهم لا يصلون رغبة في ثواب، ولا رهبة من عقاب، وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم منهم، فيكفون عن سفك دمائهم، وسبي ذراريهم، وهم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يستبطنون الكفر، ويظهرون الإسلام. تفسير الطبري (٢٤/ ٦٣٣).

وقال ابن تيمية: النية هي مما يخفيه الإنسان في نفسه، فإن كان قصده ابتغاء وجه ربه الأعلى استحق الثواب، وإن كان قصده رياء الناس استحق العقاب، كما قال تعالى: {فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذين هم يراءون}، وقال: {وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس}. وفي حديث أبي هريرة الصحيح في الثلاثة الذين أول من تسعر بهم النار في الذي تعلّم وعلّم ليقال: عالم قارئ، والذي قاتل ليقال جريء وشجاع، والذي تصدق ليقال جواد وكريم، فهؤلاء إنما كان قصدهم مدح الناس لهم وتعظيمهم لهم وطلب الجاه عندهم؛ لم يقصدوا بذلك وجه الله، وإن كانت صور أعمالهم صورا حسنة، فهؤلاء إذا حوسبوا كانوا ممن يستحق العذاب كما في الحديث: {من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه، فله من عمله النار}. وفي الحديث الآخر: {من طلب علما مما يبتغى به وجه الله لا يطلبه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام}. وفي الجملة: القلب هو الأصل، كما قال أبو هريرة: القلب ملك الأعضاء، والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث خبثت جنوده، وهذا كما في حديث النعمان بن بشير المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب}. مجموع الفتاوى (١٤/ ١١٣).

(ويمنعون الماعون):

قال البغوي: قال عبد الله بن مسعود: الماعون: الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك، وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال مجاهد: الماعون: العارية. وقال عكرمة: أعلاها الزكاة المعروفة، وأدناها عارية المتاع. تفسير البغوي (٥/ ٣١٣).

وقال ابن القيم: قيل في قوله {ويمنعون الماعون}، إنه القدر والفأس والقصعة. فالماعون اسم جامع لجميع ما ينتفع به. فذكر بعض السلف هذا للسائل تمثيلا وتنبيها بالأدنى على الأعلى. فإذا كان الويل

لمن منع هذا فكيف بمن منع ما الحاجة إليه أعظم؟ وإذا كان العبد يسأل عن شكر الماء البارد فكيف بما هو أعظم نعيما منه؟ الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/ ٦٩٩).

وقال ابن كثير: قال عكرمة: رأس الماعون زكاة المال، وأدناه المنخل والدلو والإبرة. رواه ابن أبي حاتم. وهذا الذي قاله عكرمة حسن؛ فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد، وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة. ولهذا قال محمد بن كعب: {ويمنعون الماعون} قال: المعروف. ولهذا جاء في الحديث: (كل معروف صدقة). تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٧).

وقال ابن كثير: {ويمنعون الماعون} أي: لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه، حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم. فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى. تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٥).

فوائد عامة في سورة الكوثر:

عن أنس، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليّ آنفا سورة» فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم {إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر}، ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: (فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب، إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك). صحيح مسلم (١/ ٣٠٠).

(إنا أعطيناك الكوثر):

عن أبي عبيدة، عن عائشة رضي الله عنها، قال: سألتها عن قوله تعالى: {إنا أعطيناك الكوثر} قالت: «نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم، شاطئاه عليه در مجوّف، آنيته كعدد النجوم». صحيح البخاري (٦/ ١٧٨).

عن ابن عمر يقول: لما أنزلت (إنا أعطيناك الكوثر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هو نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، يجري على جنادل الدر والياقوت، شرابه أحلى من العسل، وأشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأطيب من ريح المسك). مسند أحمد (١٠/ ١٤٥).

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال في الكوثر: هو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: فقلت لسعيد بن جبير: فإن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة، قال: فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه. تفسير الطبري (٢٤/ ٦٤٧).

وقال ابن تيمية: {إنا أعطيناك الكوثر} تدل هذه الآية على عطية كثيرة صادرة عن معط كبير غني واسع، وأنه تعالى وملائكته وجنده معه. صدر الآية (بإنّ) الدالة على التأكيد، وتحقيق الخبر، وجاء الفعل بلفظ الماضي الدال على التحقيق، وأنه أمر ثابت واقع... وحذف موصوف الكوثر ليكون أبلغ في العموم؛ لما فيه من عدم التعيين، وأتى بالصفة، أي أنه سبحانه وتعالى قال: {إنّا أعطيناك الكوثر}، فوصفه بالكوثر، والكوثر المعروف إنما هو نهر في الجنة، كما قد وردت به الأحاديث الصحيحة الصريحة. وقال ابن عباس: الكوثر إنما هو من الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه. وإذا كان أقل أهل الجنة من له فيها مثل الدنيا عشر مرات فما الظن بما لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما أعده الله له فيها؟

فالكوثر علامة وأمارة على تعدد ما أعده الله له من الخيرات واتصالها وزيادتها، وسمو المنزلة وارتفاعها، وأن ذلك النهر وهو الكوثر أعظم أنهار الجنة وأطيبها ماء وأعذبها وأحلاها وأعلاها. وذلك أنه أتى فيه بلام التعريف الدالة على كمال المسمى وتمامه. كقوله: زيد العالم، زيد الشجاع، أي: لا أعلم منه، ولا أشجع منه.

وكذلك قوله: {إنا أعطيناك الكوثر} دل على أنه أعطاه الخير كله كاملا موفرا، وإن نال منه بعض أمته شيئا كان ذلك الذي ناله ببركة اتباعه والاقتداء به، مع أن له صلى الله عليه وسلم مثل أجره من غير أن ينقص من أجر المتبع له شيء.

ففيه الإشارة إلى أن الله تعالى يعطيه في الجنة بقدر أجور أمته كلهم من غير أن ينتقص من أجورهم، فإنه هو السبب في هدايتهم ونجاتهم، فينبغي بل يجب على العبد اتباعه والاقتداء به، وأن يمتثل ما أمره به، ويكثر من العمل الصالح صوما وصلاة وصدقة وطهارة، ليكون له مثل أجره... فكل من قرأ أو علم أو عمل صالحا أو علّم غيره أو تصدق أو حج أو جاهد أو رابط أو تاب أو صبر أو توكل أو نال مقاما من المقامات القلبية من خشية وخوف ومعرفة وغير ذلك، فله صلى الله عليه وسلم مثل أجره من غير أن ينقص من أجر ذلك العامل. مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٢٩).

(فصلّ لربّك وانحر):

قال ابن تيمية: لما قدم الله الصلاة على النحر في قوله: {فصل لربك وانحر}، وقدم التزكي على الصلاة في قوله: {قد أفلح من تزكى. وذكر اسم ربه فصلى} كانت السنة أن الصدقة قبل الصلاة في عيد الفطر، وأن الذبح بعد الصلاة في عيد النحر. مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٠٠).

وقال ابن تيمية: قوله: {فصل لربك وانحر} أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين، وهما الصلاة والنسك، الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته وأمره وفضله وخلَفه، عكس حال أهل الكبر والنفرة، وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة في صلاتهم إلى ربهم يسألونه إياها، والذين لا ينحرون له خوفا من الفقر، وتركا لإعانة الفقراء وإعطائهم، وسوء الظن منهم بربهم، ولهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين}، والنسك: هي الذبيحة ابتغاء وجهه.

والمقصود: أن الصلاة والنسك هما أجل ما يتقرب به إلى الله، فإنه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب؛ لأن فعل ذلك وهو الصلاة والنحر سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله إياه من الكوثر والخير الكثير، فشكر المنعم عليه وعبادته أعظمها هاتان العبادتان، بل الصلاة نهاية العبادات وغاية الغايات، كأنه يقول: {إنا أعطيناك الكوثر} الخير الكثير، وأنعمنا عليك بذلك لأجل قيامك لنا بهاتين العبادتين، شكرا لإنعامنا

عليك، وهما السبب لإنعامنا عليك بذلك، فقم لنا بهما، فإن الصلاة والنحر محفوفان بإنعام قبلهما وإنعام بعدهما.

وأجل العبادات المالية النحر، وأجل العبادات البدنية الصلاة، وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها من سائر العبادات، كما عرفه أرباب القلوب الحية، وأصحاب الهمم العالية، وما يجتمع له في نحره من إيثار الله وحسن الظن به وقوة اليقين والوثوق بما في يد الله أمر عجيب، إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص، وقد امتثل النبي صلى الله عليه وسلم أمر ربه، فكان كثير الصلاة لربه كثير النحر، حتى نحر بيده في حجة الوداع ثلاثا وستين بدنة، وكان ينحر في الأعياد وغيرها. مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٣١-٥٣٣).

وقال ابن تيمية: وفي قوله: {إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر} إشارة إلى أنك لا تتأسف على شيء من الدنيا، كما ذكر ذلك في آخر طه والحجر وغيرهما، وفيها الإشارة إلى ترك الالتفات إلى الناس وما ينالك منهم، بل صلّ لربك وانحر، وفيها التعريض بحال الأبتر الشانئ، الذي صلاته ونسكه لغير الله. مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٣٣).

وقال ابن كثير: وقيل: المراد بقوله: {وانحر} وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت النحر. يروى هذا عن علي، ولا يصح. وعن الشعبي مثله.

وعن أبي جعفر الباقر: {وانحر} يعني: ارفع اليدين عند افتتاح الصلاة.

وقيل: {وانحر} أي: استقبل بنحرك القبلة. ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير.

وعن عطاء الخراساني: {وانحر} أي: ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل، وأبرز نحرك، يعني به الاعتدال. رواه ابن أبي حاتم.

كل هذه الأقوال غريبة جدا، والصحيح القول الأول، أن المراد بالنحر ذبح المناسك؛ ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العيد ثم ينحر نسكه. تفسير ابن كثير (٨/ ٥٠٢-٥٠٣).

(إن شانئك هو الأبتر):

سبب النزول: قال ابن كثير: قال محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: دعوه، فإنه رجل أبتر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره. فأنزل الله هذه السورة...

وعن عطاء: نزلت في أبي لهب، وذلك حين مات ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب أبو لهب إلى المشركين وقال: بتر محمد الليلة. فأنزل الله في ذلك: {إن شانئك هو الأبتر}. تفسير ابن كثير (٨/ ٥٠٤).

وقال ابن تيمية: فإنه سبحانه وتعالى بتر شانئ رسوله من كل خير:

فيبتر ذكره وأهله وماله، فيخسر ذلك في الآخرة.

ويبتر حياته فلا ينتفع بها، ولا يتزود فيها صالحا لمعاده.

ويبتر قلبه فلا يعي الخير ولا يؤهله لمعرفته ومحبته والإيمان برسله.

ويبتر أعماله فلا يستعمله في طاعة.

ويبتره من الأنصار فلا يجد له ناصرا ولا عونا.

ويبتره من جميع القرب والأعمال الصالحة فلا يذوق لها طعما، ولا يجد لها حلاوة، وإن باشرها بظاهره فقلبه شارد عنها.

وهذا جزاء من شنأ بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ورده لأجل هواه أو متبوعه أو شيخه أو أميره أو كبيره...

وكل من شنأه له نصيب من الانبتار على قدر شناءته له، فهؤلاء لما شنئوه وعادوه جازاهم الله بأن جعل الخير كله معاديا لهم فبترهم منه، وخص نبيه صلى الله عليه وسلم بضد ذلك، وهو أنه أعطاه الكوثر، وهو من الخير الكثير الذي آتاه الله في الدنيا والآخرة.

فمما أعطاه في الدنيا الهدى والنصر والتأييد وقرة العين والنفس وشرح الصدر ونعم قلبه بذكره وحبه، بحيث لا يشبه نعيمه نعيم في الدنيا البتة.

وأعطاه في الآخرة الوسيلة والمقام المحمود، وجعله أول من يفتح له ولأمته باب الجنة، وأعطاه في الآخرة لواء الحمد، والحوض العظيم في موقف القيامة، إلى غير ذلك، وجعل المؤمنين كلَهم أولاده وهو أب لهم، وهذا ضد حال الأبتر الذي يشنؤه ويشنأ ما جاء به.

وقوله {إن شانئك} أي: مبغضك، والأبتر المقطوع النسل الذي لا يولد له خير ولا عمل صالح، فلا يتولد عنه خير ولا عمل صالح.

قيل لأبي بكر بن عياش: إن بالمسجد قوما يجلسون ويجلس إليهم، فقال: من جلس للناس جلس الناس إليه. ولكن أهل السنة يموتون ويحيى ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم؛ لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان لهم نصيب من قوله: {ورفعنا لك ذكرك}، وأهل البدعة شنئوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان لهم نصيب من قوله: {إن شانئك هو الأبتر}.

فالحذر الحذر أيها الرجل من أن تكره شيئا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، أو ترده لأجل هواك أو انتصارا لمذهبك أو لشيخك أو لأجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا، فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، والأخذ بما جاء به، بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ما سأله الله عن مخالفة أحد، فإن من يطيع أو يطاع إنما يطاع تبعا للرسول، وإلا لو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ما أطيع. فاعلم ذلك واسمع وأطع واتبع، ولا تبتدع تكن أبتر مردودا عليك عملك. مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٢٦-٥٢٩).

وقال ابن تيمية: ومن المعروف المشهور المجرب عند عساكر المسلمين بالشام إذا حاصروا بعض حصون أهل الكتاب أنه يتعسر عليهم فتح الحصن، ويطول الحصار إلى أن يسب العدو الرسول صلى الله عليه وسلم، فحينئذ يستبشر المسلمون بفتح الحصن، وانتقام الله من العدو، فإنه يكون ذلك قريبا كما قد جربه المسلمون غير مرة، تحقيقا لقوله تعالى: {إن شانئك هو الأبتر}، ولما مزق كسرى كتابه مزق الله ملك الأكاسرة كل ممزق، ولما أكرم هرقل والمقوقس كتابه بقي لهم ملكهم. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦/ ٢٩٦).

وقال ابن تيمية: والذين قالوا عن الرسول إنه أبتر، وقصدوا أنه يموت فينقطع ذكره، عوقبوا بانبتارهم كما قال تعالى: {إن شانئك هو الأبتر}، فلا يوجد من شنأ الرسول إلا بتره الله، حتى أهل البدع المخالفون لسنته. مجموع الفتاوى (١٣/ ١٧٢).

وقال ابن كثير: قال السدي: كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا: بتر. فلما مات أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: بتر محمد. فأنزل الله: {إن شانئك هو الأبتر}، وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتر الذي إذا مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره، وحاشا وكلا، بل قد أبقى الله ذكره على رءوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرا على دوام الآباد، إلى يوم الحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم التناد. تفسير ابن كثير (٨/ ٥٠٥).

حكم الوقف على قول الله تعالى: (فويل للمصلين):

يصح الوقف عليها لأنها رأس آية، والوقوف على رؤوس الآيات سنة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، بشرط إكمال القراءة وعدم قطعها كليًا؛ لأن قطع التلاوة بعد هذه الآية وقبل قراءة (الذين هم عن صلاتهم ساهون) يغيّر المعنى.

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة قريش والماعون والكوثر

١- إذا كنت تعيش في أمن وأمان، ورغد من العيش، ولم يسلَّط عليك عدو من أعدائك، وصرف الله عنك مصائب ابتلي بها الناس من حولك، فأنت في نعمة عظيمة تحتاج إلى شكر كبير، فاعبد الله ووحّده وعظّمه وأطعه واحمده، وأدم شكره بقلبك ولسانك وجوارحك (لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا ربّ هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف).

٢- من أنجح وأنجع وسائل الدعوة إلى الإسلام والتوحيد التذكير بنعم الله سبحانه وتعالى من رزق وطعام وشراب وأمن ورخاء وصحة وعافية، وبالأخصّ تلك النعم التي أنعم الله بها على المدعوّ وفقدها غيره (لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا ربّ هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف).

٣- عدم الإيمان باليوم الآخر والبعث والحساب والجزاء، أو ضعف الإيمان بذلك، يجرّئ الشخص على الإساءة في عبادة الله والإساءة إلى خلق الله، فتجده يسيء إلى اليتيم، ولا يحث نفسه ولا غيره على إطعام المسكين، ويمتنع عن نفع الناس بما لا ضرر عليه فيه، بينما المؤمن بالله واليوم الآخر على ضد ذلك، لأنه يرجو الثواب على حسناته، ويخشى العقاب على سيئاته، فهو محسن إلى الناس عموما، وإلى اليتيم والفقير خاصة، ويحث غيره على الإحسان، ويعلم أن خير الناس أنفعهم للناس (أرأيت الذي يكذب بالدين * فذلك الذي يدعّ اليتيم * ولا يحضّ على طعام المسكين)، (ويمنعون الماعون).

٤- الصلاة الصلاة، احرص عليها، ولا تنشغل عنها بمال ولا جاه ولا سلطان ولا نزهة ولا لعب ولا لهو، اجعلها أولى أولوياتك، واعرف أوقاتها جيدا حتى لا يفوت وقتها، وتعلّم صفتها وأركانها وواجباتها وسننها حتى تؤديها على الوجه المطلوب شرعا، وقم لله فيها خاضعا خاشعا مخبتا منيبا، ولا تكُ ممن يسهو عن صلاته، ولا يبالي بها، وينام عنها عمدا، فإن الوعيد على ذلك شديد (فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون).

٥- احرص على تحقيق الإخلاص لله في كل أعمالك، واحذر من مراءاة الناس بها، فإن الرياء من أعمال من لا يؤمنون بالحساب والجزاء، وهو محبط للأعمال، موجب للعقاب، وصاحبه يخسر دينه ودنياه، ويُتعب نفسه فيما لا فائدة له فيه (الذين هم يُراءون).

٦- نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق وأكرمهم على الله، وقد أعطاه الله من الخير الكثير في الدنيا والآخرة، إكراما له ورفعة لشأنه، وجزاء له على دعوته وصبره حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، فله أجر كل من دخل في الإسلام، وعمل شيئا من الأعمال الصالحة (إنا أعطيناك الكوثر).

٧- إذا تجدّدت لك نعمة من نعم الله في دينك أو دنياك فاشكره عليها بالإكثار من الصلاة لله والذبح له وعلى اسمه، فإنهما من أجلّ العبادات البدنيّة والماليّة، واعلم أن ذلك سبب لانتفاعك بالنعمة وزيادتها، وتجدد النعم عليك كل حين (إنا أعطيناك الكوثر * فصلّ لربك وانحر).

٨- كل من كره الرسول صلى الله عليه وسلم وعاداه فإن الله سيقطع دابره ويخزيه ولو بعد حين، فإذا رأيت أحد أعداء الدين يتطاول على النبي صلى الله عليه وسلم فأبشر واعلم أن خزيه قد حان، ونهايته قد اقتربت، واعلم أن كل من كره شيئا من شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته واعترض عليها بعقله وهواه فإن له من البتر والقطع بحسب ما كره، فعظّم رسول الله واتّبعه واقتد به وأقرّ بكل ما ثبت عنه ليكون رفعة لك في الدنيا والآخرة (إن شانئك هو الأبتر).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة العصر والهمزة والفيل من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة العصر: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] أسباب النجاة من الخسارة.

(والعصر)

أقسم سبحانه بوقت العصر.

(إن الإنسان لفي خسر)

إن الإنسان لفي نقصان وهلاك.

(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

إلا الذين آمنوا بالله وبرسله، وعملوا الأعمال الصالحات، وأوصى بعضهم بعضًا بالحق، وبالصبر على الحق؛ فالمتصفون بهذه الصفات ناجون في حياتهم الدنيا والآخرة.

سورة الهمزة: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] التحذير من الاستهزاء بالمؤمنين اغترارًا بكثرة المال.

(ويل لكل همزة لمزة)

وبال وشدة عذاب لكثير الاغتياب للناس، والطعن فيهم.

(الذي جمع مالا وعدده)

الَّذي همّه جمع المال وإحصاؤه، لا همَّ له غير ذلك.

(يحسب أن ماله أخلده)

يظن أن ماله الَّذي جمعه سينجيه من الموت، فيبقى خالدًا في الحياة الدنيا.

(كلا لينبذن في الحطمة)

ليس الأمر كما تصوّر هذا الجاهل، ليُطرحنّ في نار جهنم التي تدق وتكسر كل ما طُرِح فيها لشدة بأسها.

(وما أدراك ما الحطمة)

وما أعلمك -أيها الرسول- ما هذه النار التي تحطم كل ما طُرِح فيها؟!

(نار الله الموقدة)

إنها نار الله المستعرة.

(التي تطّلع على الأفئدة)

التي تنفذ من أجسام الناس إلى قلوبهم.

(إنها عليهم مؤصدة)

إنها على المُعَذَّبين فيها مغلقة.

(في عمد ممددة)

بعَمَد ممتدة طويلة حتَّى لا يخرجوا منها.

سورة الفيل: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] بيان قدرة الله وبطشه بالكائدين لبيته المحرّم.

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل)

ألم تعلم -أيها الرسول- كيف فعل ربك بأبْرَهَة وأصحابه أصحاب الفيل حين أرادوا هدم الكعبة؟!

(ألم يجعل كيدهم في تضليل)

لقد جعل الله تدبيرهم السيئ لهدمها في ضياع، فما نالوا ما تمنّوه من صرف الناس عن الكعبة، وما نالوا منها شيئًا.

(وأرسل عليهم طيرا أبابيل)

وبَعَث عليهم طيرًا أتتهم جماعات جماعات.

(ترميهم بحجارة من سجّيل)

ترميهم بحجارة من طين مُتَحَجِّر.

(فجعلهم كعصف مأكول)

فجعلهم الله كورق زرع أكلته الدوابّ وداسته.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• خسران من لم يتصفوا بالإيمان وعمل الصالحات، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

• تحريم الهَمْز واللَّمْز في الناس.

• دفاع الله عن بيته الحرام، وهذا من الأمن الَّذي قضاه الله له.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة العصر والهمزة والفيل

الكلمة	المعنى
والعصر	إقسام بالدهر والزمان
الإنسان	جميعَ بني آدم
وتواصوا بالحق	وأوصى بعضهم بعضا بالخير كله اعتقادا وقولا وعملا
وتواصوا بالصبر	وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الأقدار المؤلمة
هُمَزة	مُغتابٍ للناس
لُمَزة	طعّانٍ في الناس
وعدّده	وأحصاه
أخلده	أبقاه خالدا في الدنيا
ليُنبَذنّ	ليُطرحَنّ
الحُطَمَة	النارُ التي تحْطِم كل ما يُلقى فيها
تطّلِع على الأفئدة	يصل تأثيرها إلى القلوب لشدّتها
مُؤْصَدة	مُطبقة مُغلقة
في عَمَد مُمَدّدة	بأعمدة ممتدة على أبوابها
ألم ترَ	ألم تعلم؟
بأصحاب الفيل	بأبرهة الحبشيّ وجيشه الذين كان معهم الفيل
كيدَهم	سعيَهم لتخريب الكعبة
في تَضْلِيل	في ضياع وخسار
أَبَابِيل	جماعات كثيرة متتابعة
من سجِّيل	من طين متحجّر
كعَصْفٍ مأكول	محطّمين كأوراق الزرع اليابس التي أكلتها الدوابّ ثم رمت بها وداستها بأقدامها

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة العصر والهمزة والفيل

فوائد عامة في سورة العصر:

قال ابن القيم: قال الشافعي رضي الله عنه: لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم، وبيان ذلك أن المراتب أربعة، وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله:

إحداها: معرفة الحق. الثانية: عمله به. الثالثة: تعليمه من لا يحسنه. الرابعة: صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه.

فذكر تعالى المراتب الأربعة في هذه السورة، وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر أن كل أحد في خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به، فهذه مرتبة.

(وعملوا الصالحات) وهم الذين عملوا بما علموه من الحق، فهذه مرتبة أخرى.

(وتواصوا بالحق) وصى به بعضهم بعضا تعليما وإرشادا، فهذه مرتبة ثالثة.

(وتواصوا بالصبر) صبروا على الحق، ووصى بعضهم بعضا بالصبر عليه والثبات، فهذه مرتبة رابعة.

وهذا نهاية الكمال، فإن الكمال أن يكون الشخص كاملا في نفسه مكملا لغيره، وكماله بإصلاح قوتيه العلمية والعملية، فصلاح القوة العلمية بالإيمان، وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات.

وتكميله غيره بتعليمه إياه، وصبره عليه، وتوصيته بالصبر على العلم والعمل.

فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره، والحمد لله الذي جعل كتابه كافيا عن كل ما سواه، شافيا من كل داء، هاديا الى كل خير. مفتاح دار السعادة (١/ ٥٦-٥٧).

(والعصر):

قال ابن عثيمين: العصر هو الزمان. وهذا هو الأصح، أقسم الله به لما يقع فيه من اختلاف الأحوال، وتقلبات الأمور، ومداولة الأيام بين الناس، وغير ذلك مما هو مشاهد في الحاضر، ومتحدث عنه في الغائب. فالعصر هو الزمان الذي يعيشه الخلق، وتختلف أوقاته شدة ورخاء، وحربـًا وسلمـًا، وصحة ومرضـًا، وعملاً صالحـًا وعملاً سيئـًا، إلى غير ذلك مما هو معلوم للجميع. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٠٧).

(إن الإنسان لفي خسر):

قال ابن عثيمين: الإنسان هنا عام، لأن المراد به الجنس، وعلامة الإنسان الذي يراد به العموم أن يحل محل «ال» كلمة «كل» فهنا لو قيل: كل إنسان في خسر لكان هذا هو المعنى.

ومعنى الآية الكريمة أن الله أقسم قسماً على حال الإنسان أنه في خسر، أي: في خسران ونقصان في كل أحواله، في الدنيا وفي الآخرة إلا من استثنى الله عز وجل. وهذه الجملة مؤكدة بثلاث مؤكدات، الأول: القسم، والثاني: (إنّ)، والثالث: (اللام)، وأتى بقوله {لفي خسر} ليكون أبلغ من قوله: (لخاسر)؛ وذلك أن «في» للظرفية، فكأن الإنسان منغمس في الخسر، والخسران محيط به من كل جانب. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٠٧-٣٠٨).

(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر):

قال البغوي: (وتواصوا) أوصى بعضهم بعضا، (بالحق) بالقرآن، قاله الحسن وقتادة، وقال مقاتل: بالإيمان والتوحيد. (وتواصوا بالصبر) على أداء الفرائض وإقامة أمر الله. وروى ابن عون عن إبراهيم قال: أراد أن الإنسان إذا عُمّر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع، إلا المؤمنين فإنهم يكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم، وهي مثل قوله: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. ثم رددناه أسفل سافلين. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات). تفسير البغوي (٥/ ٣٠٢).

وقال ابن عاشور: والتعريف في قوله: (الصالحات) تعريف الجنس مراد به الاستغراق، أي: عملوا جميع الأعمال الصالحة التي أمروا بعملها بأمر الدين، وعمل الصالحات يشمل ترك السيئات. التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٣٢).

وقال ابن عثيمين: الصفة الأولى: الإيمان الذي لا يخالجه شك ولا تردد بما بيّنه الرسول صلى الله عليه وسلّم حين سأله جبريل عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر،

وتؤمن بالقدر خيره وشره»... فالذين آمنوا بهذه الأصول الستة هم المؤمنون، ولكن يجب أن يكون إيماناً لا شك معه ولا تردد. بمعنى: أنك تؤمن بهذه الأشياء وكأنك تراها رأي العين.

والناس في هذا المقام ثلاثة أقسام: القسم الأول: مؤمن خالص الإيمان؛ إيماناً لا شك فيه ولا تردد. والقسم الثاني: كافر جاحد منكر. والقسم الثالث: متردد. والناجي من هؤلاء القسم الأول الذي يؤمن إيماناً لا تردد فيه... فالإيمان في قوله: {إلا الذين آمنوا} يشمل الإيمان بالأصول الستة التي بينها الرسول عليه الصلاة والسلام.

الصفة الثانية: قوله تعالى: {وعملوا الصالحات} معناه: أنهم قاموا بالأعمال الصالحة: من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وبر للوالدين، وصلة الأرحام وغير ذلك، فلم يقتصروا على مجرد ما في القلب، بل عملوا وأنتجوا، و {الصالحات} هي التي اشتملت على شيئين: الأول: الإخلاص لله عز وجل، والثاني: المتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام. وذلك أن العمل إذا لم يكن خالصاً لله فهو مردود... كذلك الاتباع لو أنك عملت عملاً لم يعمله الرسول عليه الصلاة والسلام وتقربت به إلى الله مع الإخلاص لله فإنه لا يقبل منك...

الصفة الثالثة: {وتواصوا بالحق} أي: صار بعضهم يوصي بعضاً بالحق. والحق: هو الشرع. يعني كل واحد منهم يوصي الآخر إذا رآه مفرطاً في واجب أوصاه، وقال: يا أخي قم بالواجب، إذا رآه فاعلاً لمحرم أوصاه، وقال: يا أخي اجتنب الحرام، فهم لم يقتصروا على نفع أنفسهم، بل نفعوا أنفسهم وغيرهم.

الصفة الرابعة: {وتواصوا بالصبر} أي: يوصي بعضهم بعضاً بالصبر، والصبر حبس النفس عما لا ينبغي فعله، وقسمه أهل العلم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: صبر على طاعة الله. القسم الثاني: صبر عن محارم الله. القسم الثالث: صبر على أقدار الله...

فإن قيل: أي أنواع الصبر أشق على النفوس؟

فالجواب: هذا يختلف، فبعض الناس يشق عليه القيام بالطاعة وتكون ثقيلة عليه جداً، وبعض الناس بالعكس الطاعة هينة عليه، لكن ترك المعصية صعب شاق مشقة كبيرة، وبعض الناس يسهل عليه الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، لكن لا يتحمل الصبر على المصائب...

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «لو لم ينزل الله على عباده حجة إلا هذه السورة لكفتهم». يعني: كفتهم موعظة وحثاً على التمسك بالإيمان والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك. وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة، لكن كفتهم موعظة، فكل إنسان عاقل يعرف أنه في خُسر إلا إذا اتصف بهذه الصفات الأربع، فإنه سوف يحاول بقدر ما يستطيع أن يتصف بهذه الصفات الأربع، وإلى تخليص نفسه من الخسران. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٠٨-٣١٣).

(ويل لكل همزة لمزة):

عن أبي الجوزاء قال: قلت لابن عباس: من هؤلاء الذين بدأهم الله بالويل؟ قال: هم المشاءون بالنميمة، المفرّقون بين الأحبة، الباغون أكبر العيب. تفسير الطبري (٢٤/ ٥٩٦).

وقال ابن تيمية: {ويل لكل همزة لمزة} هو الطعان العياب، كما قال: {هماز مشاء بنميم}، وقال: {ومنهم من يلمزك في الصدقات}، وقال: {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين}، والهمز: أشد؛ لأن الهمز الدفع بشدة، ومنه الهمزة من الحروف، وهي نقرة في الحلق، ومنه: {وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين}، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه)، وقال: (همزه الموتة)، وهي الصرع فالهمز مثل الطعن لفظا ومعنى. واللمز كالذم والعيب، وإنما ذم من يكثر الهمز واللمز فإن الهمزة واللمزة هو الذي يفعل ذلك كثيرا. مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٢١).

وقال ابن عثيمين: {ويل} وهي كلمة وعيد، أي أنها تدل على ثبوت وعيد لمن اتصف بهذه الصفات...
وقيل: إن {ويل} اسم لوادٍ في جهنم، ولكن الأول أصح...
والهمزة واللمزة وصفان لموصوف واحد، فهل هما بمعنى واحد؟ أو يختلفان في المعنى؟
قال بعض العلماء: إنهما لفظان لمعنى واحد، يعني أن الهمزة هو اللمزة. وقال بعضهم: بل لكل واحد منهما معنى غير المعنى الآخر.

وثم قاعدة أحب أن أنبه عليها في التفسير وغير التفسير، وهي: أنه إذا دار الأمر بين أن تكون الكلمة مع الأخرى بمعنى واحد، أو لكل كلمة معنى، فإننا نجعل لكل واحدة معنى، لأننا إذا جعلنا الكلمتين بمعنى واحد صار في هذا تكرار لا داعي له، لكن إذا جعلنا كل واحدة لها معنى صار هذا تأسيسًا وتفريقًا بين الكلمتين.

والصحيح في هذه الآية {لكل همزة لمزة} أن بينهما فرقًا: فالهمز: بالفعل. واللمز: باللسان، كما قال الله تعالى: {ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون}. فالهمز بالفعل يعني أنه يسخر من الناس بفعله، إما أن يلوي وجهه، أو يعبس بوجهه. أو بالإشارة يشير إلى شخص، انظروا إليه، ليعيبه أو ما أشبه ذلك، فالهمز يكون بالفعل، واللمز باللسان، وبعض الناس ـ والعياذ بالله ـ مشغوف بعيب البشر إما بفعله وهو الهمّاز، وإما بقوله وهو اللمّاز، وهذا كقوله تعالى: {ولا تطع كل حلاّف مهين. همّاز مشاء بنميم}. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣١٤-٣١٥).

(الذي جمع مالا وعدّده):

قال الطبري: الذي جمع مالا وأحصى عدده، ولم ينفقه في سبيل الله، ولم يؤدّ حق الله فيه، ولكنه جمعه فأوعاه وحفظه. تفسير الطبري (٢٤/ ٥٩٨).

وقال ابن تيمية: {الذي جمع مالا وعدده} وصفه بالطعن في الناس والعيب لهم وبجمع المال وتعديده، وهذا نظير قوله: {والله لا يحب كل مختال فخور. الذين يبخلون} في الحديد، ونظيرها في المعنى في النساء، فإن الهمزة اللمزة يشبه المختال الفخور، والجماع المحصي نظير البخيل. وكذلك نظيرهما: قوله {هماز مشاء بنميم. مناع للخير معتد أثيم. عتل بعد ذلك زنيم} وصفه بالكبر والبخل، وكذلك قوله: {وأما من بخل واستغنى}، فهذه خمس مواضع، وذلك ناشئ عن حب الشرف والمال، فإن محبة الشرف تحمل على انتقاص غيره بالهمز واللمز والفخر والخيلاء، ومحبة المال تحمل على البخل. وضد ذلك من أعطى فلم يبخل، واتقى فلم يهمز ولم يلمز، وأيضا فإن المعطي نفع الناس، والمتقي لم يضرهم، فنفع ولم يضر، وأما المختال الفخور البخيل فإنه ببخله منعهم الخير، وبفخره سامهم الضر،

فضرهم ولم ينفعهم، وكذلك الهمزة الذي جمع مالا، ونظيره قارون الذي جمع مالا، وكان من قوم موسى فبغى عليهم. مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٢٢).

وقال ابن كثير: قال محمد بن كعب في قوله: {جمع مالا وعدده} ألهاه ماله بالنهار، هذا إلى هذا، فإذا كان الليل نام كأنه جيفة. تفسير ابن كثير (٨/ ٤٨١).

وقال ابن عثيمين: {وعدده} قيل: معنى التعديد يعني: الإحصاء، يعني لشغفه بالمال، كل مرة يذهب إلى الصندوق ويعدّ، يعد الدراهم في الصندوق في الصباح، وفي آخر النهار يعدها، وهو يعرف أنه لم يأخذ منه شيئًا، ولم يضف إليه شيئًا؛ لكن لشدة شغفه بالمال يتردد عليه ويعدده، ولهذا جاءت بصيغة المبالغة {عدّده}، يعني أكثر تعداده لشدة شغفه ومحبته له يخشى أن يكون نقص، أو يريد أن يطمئن زيادة على ما سبق، فهو دائمًا يعدد المال.

وقيل: معنى {عدده} أي: جعله عُدة له، يعني ادّخره لنوائب الدهر، وهذا وإن كان اللفظ يحتمله لكنه بعيد، لأن إعداد المال لنوائب الدهر مع القيام بالواجب بأداء ما يجب فيه من زكاة وحقوق ليس مذمومًا، وإنما المذموم أن يكون أكبر هم الإنسان هو المال، يتردد إليه ويعدده، وينظر هل زاد، هل نقص، فالقول بأن المراد عدده أي: جمعه للمستقبل قول ضعيف. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣١٥).

(يحسب أن ماله أخلده):

قال الطبري: يحسب أن ماله الذي جمعه وأحصاه، وبخل بإنفاقه، مخلده في الدنيا، فمزيل عنه الموت، وقيل: (أخلده)، والمعنى: يخلده، كما يقال للرجل الذي يأتي الأمر الذي يكون سببا لهلاكه: عطب والله فلان، هلك والله فلان، بمعنى: أنه يعطب من فعله ذلك، ولما يهلك بعد ولما يعطب. تفسير الطبري (٢٤/ ٥٩٨).

وقال البقاعي: {أخلده} أي: أوصله إلى رتبة الخلد في الدنيا، فأحب ذلك المال كما يحب الخلود، ويجوز أن يكون ذلك كناية عن أنه عمل - بانهماكه في المعاصي والإعراض عن الله عز وجل والإقبال على التوسع في الشهوات والأعراض الزائلات - عمل من يظن أنه لا يموت. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٢٤٥).

وقال السعدي: {يحسب} بجهله {أن ماله أخلده} في الدنيا، فلذلك كان كده وسعيه كله في تنمية ماله، الذي يظن أنه ينمي عمره، ولم يدر أن البخل يقصف الأعمار، ويخرب الديار، وأن البر يزيد في العمر. تفسير السعدي (ص: ٩٣٤).

وقال ابن عثيمين: {يحسب أن ماله أخلده} يعني يظن هذا الرجل أن ماله سيخلده ويبقيه، إما بجسمه وإما بذكره، لأن عمر الإنسان ليس ما بقي في الدنيا، بل عمر الإنسان حقيقة ما يخلده بعد موته، ويكون ذكراه في قلوب الناس وعلى ألسنتهم، فيقول في هذه الآية: {يحسب أن ماله أخلده} أي: أخلد ذكره أو أطال عمره، والأمر ليس كذلك. فإن أهل الأموال إذا لم يُعرفوا بالبذل والكرم فإنهم يخلدون لكن بالذكر السيىء. فيقال: أبخل من فلان، وأبخل من فلان، ويذكر في المجالس ويعاب. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣١٦).

(كلا لينبذن في الحطمة):

قال ابن عثيمين: {كلا} هنا يسميها العلماء حرف ردع أي: تردع هذا القائل أو هذا الحاسب عن قوله أو عن حسبانه. ويحتمل أن تكون بمعنى حقًّا، «يعني حقـًا لينبذن» وكلاهما صحيح. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣١٦).

وقال ابن عثيمين: وتأمل قوله: {الحطمة} مع فعل هذا الفاعل {همزة لمزة}، حطمة وهمزة لمزة، على وزن واحد، ليكون الجزاء مطابقـًا للعمل حتى في اللفظ. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣١٧).

(التي تطّلع على الأفئدة):

قال القرطبي: وخص الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه. أي إنه في حال من يموت وهم لا يموتون، كما قال الله تعالى: (لا يموت فيها ولا يحيى)، فهم إذًا أحياء في معنى الأموات.

وقيل: معنى (تطلع على الأفئدة) أي: تعلم مقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب، وذلك بما استبقاه الله تعالى من الأمارة الدالة عليه. يقال: اطلع فلان على كذا: أي علمه. وقد قال الله تعالى: (تدعوا من أدبر وتولى). وقال تعالى: (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا). فوصفها بهذا، فلا يبعد أن توصف بالعلم. تفسير القرطبي (٢٠/ ١٨٥).

وقال ابن كثير: (التي تطلع على الأفئدة) قال ثابت البناني: تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء، ثم يقول: لقد بلغ منهم العذاب، ثم يبكي. تفسير ابن كثير (٨/ ٤٨١).

(إنها عليهم مؤصدة):

قال ابن عثيمين: {مؤصدة} أي: مغلقة الأبواب، لا يُرجى لهم فرج ـ والعياذ بالله ـ {كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها}، يعني: يُرفعون إلى أبوابها حتى يطمعوا في الخروج، ثم بعد ذلك يركسون فيها ويعادون فيها، كل هذا لشدة التعذيب؛ لأن الإنسان إذا طمع في الفرج وأنه سوف ينجو ويخلص يفرح، فإذا أعيد صارت انتكاسة جديدة، فهكذا يعذّبون بضمائرهم وأبدانهم... تأمل الآن لو أن إنسانًا كان في حجرة أو في سيارة اتقدت النيران فيها وليس له مهرب، الأبواب مغلقة، ماذا يكون؟ في حسرة عظيمة لا يمكن أن يماثلها حسرة. فهم ـ والعياذ بالله ـ هكذا في النار. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣١٧).

(في عمد ممدّدة):

قال ابن كثير: عن ابن عباس: {في عمد ممددة} يعني: الأبواب هي الممدوة.

وقال قتادة في قراءة عبد الله بن مسعود: إنها عليهم مؤصدة بعمد ممددة.

وقال العوفي، عن ابن عباس: أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد، وفي أعناقهم السلاسل فسدت بها الأبواب.

وقال قتادة: كنا نحدث أنهم يعذّبون بعمد في النار. واختاره ابن جرير. تفسير ابن كثير (٨/ ٤٨٢).

وقال ابن عثيمين: حكى الله سبحانه وتعالى ذلك علينا وبينه لنا في هذه السورة لا لمجرد أن نتلوه بألسنتنا، أو نعرف معناه بأفهامنا، لكن المراد أن نحذر من هذه الأوصاف الذميمة: عيب الناس بالقول، وعيب الناس بالفعل، والحرص على المال حتى كأن الإنسان إنما خلق للمال. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣١٨).

فوائد عامة في سورة الفيل:

قال البغوي: واختلفوا في تاريخ عام الفيل:

فقال مقاتل: كان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة.

وقال الكلبي: بثلاث وعشرين سنة.

والأكثرون على أنه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. تفسير البغوي (٥/ ٣٠٨).

وقال ابن عثيمين: أصحاب الفيل هم أهل اليمن الذين جاؤوا لهدم الكعبة بفيل عظيم أرسله إليهم ملك الحبشة، وسبب ذلك أن ملك اليمن أراد أن يصد الناس عن الحج إلى الكعبة، بيت الله عز وجل، فبنى بيتـًا يشبه الكعبة، ودعى الناس إلى حجه ليصدهم عن حج بيت الله، فغضب لذلك العرب، وذهب رجل منهم إلى هذا البيت الذي جعله ملك اليمن بدلاً عن الكعبة وتغوَّط فيه، ولطخ جدرانه بالقذر، فغضب ملك اليمن غضبـًا شديداً، وأخبر ملك الحبشة بذلك، فأرسل إليه هذا الفيل العظيم، قيل: وكان معه ستة فيلة لتساعده، فجاء ملك اليمن بجنوده ليهدم الكعبة على زعمه، ولكن الله سبحانه حافظ بيته، فلما

وصلوا إلى مكان يسمى المغمَّس وقف الفيل وحرن، وأبى أن يتجه إلى الكعبة، فزجره سايسه ولكنه أبى، فإذا وجهوه إلى اليمن انطلق يهرول، وإن وجهوه إلى مكة وقف، وهذه آية من آيات الله عز وجل، ثم بقوا حتى أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣١٩-٣٢٠).

(وأرسل عليهم طيرا أبابيل):

قال البغوي: (طيرا أبابيل)، كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا. وقيل: أقاطيع كالإبل المؤبلة. قال أبو عبيد: أبابيل جماعات في تفرقة، يقال: جاءت الخيل أبابيل من هاهنا وهاهنا. وقال الفراء: لا واحد لها من لفظها. وقيل: واحدها إبالة. وقال الكسائي: إني كنت أسمع النحويين يقولون: واحدها أبول، مثل عجول وعجاجيل. وقيل: واحدها من لفظها إبيل. تفسير البغوي (٥/ ٣٠٨).

وقال ابن كثير: عن ابن عباس: {وأرسل عليهم طيرا أبابيل} قال: لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب... وعن عكرمة في قوله: {طيرا أبابيل} قال: كانت طيرا خضرا خرجت من البحر، لها رؤوس كرؤوس السباع... وعن عبيد ابن عمير: {طيرا أبابيل} قال: هي طير سود بحرية، في منقارها وأظافيرها الحجارة. وهذه أسانيد صحيحة. تفسير ابن كثير (٨/ ٤٨٧).

(ترميهم بحجارة من سجيل):

عن عكرمة، قال: كانت ترميهم بحجارة معها، قال: فإذا أصاب أحدهم خرج به الجدري، قال: كان أول يوم رؤي فيه الجدري؛ قال: لم يُر قبل ذلك اليوم، ولا بعده. تفسير الطبري (٢٤/ ٦٠٨).

(فجعلهم كعصف مأكول):

قال ابن كثير: لما أطلّ - يعني: النبي صلى الله عليه وسلم - يوم الحديبية على الثنية التي تهبط به على قريش، بركت ناقته، فزجروها فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، أي: حرنت. فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: (ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل)، ثم قال: (والذي نفسي بيده، لا يسألوني اليوم خطة يعظمون فيها حرمات الله، إلا أجبتهم إليها). ثم زجرها فقامت. والحديث من أفراد البخاري.

وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة: (إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلّط عليها رسوله والمؤمنين، وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب). تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٠).

وقال ابن عثيمين: هذه السورة العظيمة بين الله سبحانه وتعالى فيها ما فعل بأصحاب الفيل، وأن كيدهم صار في نحورهم، وهكذا كل من أراد الحق بسوء فإن الله تعالى يجعل كيده في نحره، وإنما حمى الله عز وجل الكعبة عن هذا الفيل مع أنه في آخر الزمان سوف يُسلط عليها رجل من الحبشة يهدمها حجراً حجراً حتى تتساوى بالأرض؛ لأن قصة أصحاب الفيل مقدمة لبعثة الرسول محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم التي يكون فيها تعظيم البيت. أما في آخر الزمان فإن أهل البيت إذا أهانوه وأرادوا فيه بإلحاد بظلم، ولم يعرفوا قدره حينئذ يسلط الله عليهم من يهدمه حتى لا يبقى على وجه الأرض، ولهذا يجب على أهل مكة خاصة أن يحترزوا من المعاصي والذنوب والكبائر، لئلا يُهينوا الكعبة، فيذلهم الله عز وجل. نسأل الله تعالى أن يحمي ديننا وبيته الحرام من كيد كل كائد، إنه على كل شيء قدير. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٢٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة العصر والهمزة والفيل

١- اعلم أن أكثر الناس في خسران في الدنيا والآخرة، فاحذر أن تكون من أهل الخسارة، بل كن من أهل النجاة في الدنيا والآخرة، وذلك بتحقيق الإيمان التامّ في قلبك بجميع أركان الإيمان وأخبار الكتاب والسنة، وعمل الأعمال الصالحة بقلبك ولسانك وجوارحك، والتواصي بالتمسك بالحق والدعوة إليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالصبر على طاعة الله وعن معصية الله وعلى أقدار الله المؤلمة، والصبر على الأذى في طريق نشر دين الله ودعوة الناس إليه (والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).

٢- احرص على مؤاخاة الصالحين، الذين يذكّرونك إذا نسيت، وينبّهونك إذا غفلت، ويقوّمونك إذا مِلت عن الصراط المستقيم، ويصبّرونك على وحشة السير على الدرب المحفوف بالمكاره درب الجنة (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).

٣- احذر كل الحذر من الطعن في الناس وعيبهم بقولك وفعلك، في حضورهم وغيابهم، بحق وبغير حق، سواء منهم الغني والفقير، والكبير والصغير، والرئيس والمرؤوس، فإن المؤمن ليس بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا بالبذيء، فكن عفيف اللسان، كافا شرّك عن الناس، فإن ذلك صدقة تتصدّق بها على نفسك (ويل لكل همزة لمزة).

٤- لا تتعلّق بالدنيا، فإنها دار ممرّ، لا دار مقرّ، وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، أو كراكب استظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها، فإن المال والجاه سبب للغفلة عن الحياة الحقيقية في الآخرة، فاجعل مالك في يدك لا في قلبك، واستعن به على الطاعات، ولا تكثر من عدّه وإحصائه فتذهب بركته، ولا تظن أنك ستخلّد في هذه الدنيا، فإن الرحيل قريب، والدنيا زائلة، والآخرة خير وأبقى (الذي جمع مالاً وعدّده * يحسب أن ماله أخلده * كلا ليُنبذنّ في الحطمة).

٥- احذر النار، احذر النار، احذر النار، فإنها تحطّم كل ما يُلقى فيها، وقد أوقدت منذ قرون طويلة حتى اشتدّت حرارتها، وحرارتها أشد من نار الدنيا بسبعين مرة كلها مثل حرّها، وإحراقها يتجاوز الجلد واللحم ويصل إلى القلوب، وهي مغلقة على الكفار فلا يخرجون منها أبدا، وأخف أهلها

عذابا من ينتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه، فاللهم سلّم سلّم (وما أدراك ما الحطمة * نار الله الموقدة * التي تطّلع على الأفئدة * إنها عليهم مؤصدة * في عمد ممددة).

٦- الله سبحانه وتعالى قوي كبير جبار عظيم متين قدير، وجنوده سبحانه كثيرة، تأمل كيف أهلك جيش أبرهة العظيم، الذي كان معه الفيلة الكبيرة بطير صغير وحجارة صغيرة، فلا إله إلا الله والله أكبر (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجّيل * فجعلهم كعصف مأكول).

٧- دافع الله عن بيته الحرام وحفظه من شر الأشرار تمهيدا لبعثة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الأرض المباركة، البعثة التي سيعظّم فيها هذا البيت الحرام، وهذه المدافعة مستمرة متحققة ما دام أهل البيت الحرام يعظّمونه ويحترمونه، فإن فرّطوا في ذلك سلّط الله عليهم من يهينهم ويذلّهم كما حصل في أيام القرامطة في القرن الرابع الهجري، فالحذر الحذر. سورة الفيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة القارعة والتكاثر من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة القارعة: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] قرع القلوب لاستحضار هول القيامة، وأحوال الناس في موازينها.

(القارعة):

الساعة التي تقرع قلوب الناس لعظم هولها.

(ما القارعة):

ما هذه الساعة التي تقرع قلوب الناس لعظم هولها؟!

(وما أدراك ما القارعة):

وما أعلمك -أيها الرسول- ما هذه الساعة التي تقرع قلوب الناس لعظم هولها؟! إنها يوم القيامة.

(يوم يكون الناس كالفراش المبثوث):

يوم تقرع قلوب الناس يكونون كالفراش المُنْتَشِر المتناثر هنا وهناك.

(وتكون الجبال كالعهن المنفوش):

وتكون الجبال مثل الصوف المَنْدُوف في خفة سيرها وحركتها.

(فأما من ثقُلت موازينه):

فأما من رجحت أعماله الصالحة على أعماله السيئة.

(فهو في عيشة راضية):

فهو في عيشة مرضية ينالها في الجنّة.

(وأما من خفّت موازينه):

وأما من رجحت أعماله السيئة على أعماله الصالحة.

(فأمّه هاوية):

فمسكنه ومستقرّه يوم القيامة هو جهنم.

(وما أدراك ما هيه):

وما أعلمك -أيها الرسول- ما هي؟!

(نار حامية):

هي نار شديدة الحرارة.

سورة التكاثر: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] تذكير المتكاثرين واللاهين بالدنيا بالقبور والحساب.

(ألهاكم التكاثر):

شغلكم -أيها الناس- التفاخر بالأموال والأولاد عن طاعة الله.

(حتى زرتم المقابر):

حتَّى متُّم ودخلتم قبوركم.

(كلا سوف تعلمون):

ما كان لكم أن يشغلكم التفاخر بها عن طاعة الله، سوف تعلمون عاقبة ذلك الانشغال.

(ثم كلا سوف تعلمون):

ثم سوف تعلمون عاقبته.

(كلا لو تعلمون علم اليقين):

حقًّا لو أنكم تعلمون يقينًا أنكم مبعوثون إلى الله، وأنه سيجازيكم على أعمالكم؛ لما انشغلتم بالتفاخر بالأموال والأولاد.

(لترونّ الجحيم):

والله لتشاهدن النار يوم القيامة.

(ثم لترونّها عين اليقين)

ثم لتشاهدنها مشاهدة يقين لا شك فيه.

(ثم لتُسألُنّ يومئذ عن النّعيم):

ثم ليسألنكم الله في ذلك اليوم عما أنعم به عليكم من الصحة والغنى وغيرهما.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• خطر التفاخر والتباهي بالأموال والأولاد.

• القبر مكان زيارة سرعان ما ينتقل منه الناس إلى الدار الآخرة.

• يوم القيامة يُسْأل الناس عن النعيم الَّذي أنعم به الله عليهم في الدنيا.

• الإنسان مجبول على حب المال.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة القارعة والتكاثر

الكلمة	المعنى
القارعة	القيامة التي تقرع القلوب بأهوالها
المَبْثُوث	المُنتشر المتناثر هنا وهناك
كالعِهْن	كالصّوف المتعدّد الألوان
المنفوش	الممزّق الذي فُرّقت أجزاؤه فصار هباء
ثقُلت موازينه	رجحت حسناته على سيّئاته
خفّت موازينه	رجحت سيّئاته على حسناته
فأمّه هاوية	فمأواه يوم القيامة جهنم يهوي فيها على رأسه
ما هِيَه	أيّ شيء هي؟ والهاء للسكت
حَامِيَة	حارة قد اشتدّ إيقادها
ألهاكم التكاثر	شغلكم التفاخر بكثرة متاع الدنيا عن طاعة الله
زُرتم المقابر	مُتّم ودفنتم في القبور
لو تعلمون علم اليقين	لو تعلمون مصيركم علما يقينا لما ألهاكم التكاثر
عين اليقين	مشاهدة يقينيّة لا شك فيها
النّعيم	ما أنعم الله عليكم في الدنيا من الصحة والغنى وغيرهما

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة القارعة والتكاثر

(القارعة * ما القارعة * وما أدراك ما القارعة):

قال ابن كثير: {القارعة} من أسماء يوم القيامة، كالحاقة، والطامة، والصاخة، والغاشية، وغير ذلك. تفسير ابن كثير (٨/ ٤٦٨).

(يوم يكون الناس كالفراش المبثوث):

قال ابن عثيمين: والفراش هو هذه الطيور الصغيرة، التي تتزاحم عند وجود النار في الليل، وهي ضعيفة، وتكاد تمشي بدون هدى، وتتراكم، وربما لطيشها تقع في النار وهي لا تدري، فهم يشبهون الفراش في ضعفه وحيرته وتراكمه وسيره إلى غير هدى. و{المبثوث} يعني المنتشر، فهو كقوله تعالى: {يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر}.

لو تصوّرت هذا المشهد! يخرج الناس من قبورهم على هذا الوجه، لتصوّرت أمراً عظيماً لا نظير له، هؤلاء العالم من آدم إلى أن تقوم الساعة كلهم يخرجون خروج رجل واحد في آن واحد من هذه القبور المبعثرة في مشارق الأرض ومغاربها. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢٩٧).

(فأمّا من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية):

قال ابن عثيمين: يوم القيامة فيه موازين، وقد جاء في بعض النصوص أنه ميزان فهل هو واحد أو متعدد؟ قال بعض أهل العلم: إنه واحد، وإنما جمع باعتبار الموزون، لأنه يوزن فيه الحسنات والسيئات، وتوزن فيه حسنات فلان وفلان، وتوزن فيه حسنات هذه الأمة والأمة الأخرى، فهو مجموع باعتبار الموزون لا باعتبار الميزان، وإلا فالميزان واحد.

وقال بعض أهل العلم: إنها موازين متعددة، لكل أمة ميزان، ولكل عمل ميزان، فلهذا جمعت.

والأظهر والله أعلم أنه ميزان واحد، لكنه جُمع باعتبار الموزون على حسب الأعمال، أو على حسب الأمم، أو على حسب الأفراد. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢٩٩).

وقال ابن عثيمين: الإنسان إذا تساوت حسناته وسيئاته فإنه قد سُكت عنه في هذه الآية، ولكن بين الله تعالى في سورة الأعراف أنهم لا يدخلون النار، وإنما يُحبسون في مكان يقال له الأعراف، وذكر الله تعالى في سورة الأعراف ما يجري بينهم وبين المؤمنين، وأنهم إذا (صُرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين). نسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن رجحت حسناته على سيئاته، وأن يغفر لنا، ويعاملنا بعفوه، إنه على كل شيء قدير. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢٩٩-٣٠٠).

(وأما من خفّت موازينه * فأمّه هاوية):

عن الأشعث بن عبد الله الأعمى، قال: إذا مات المؤمن ذُهب بروحه إلى أرواح المؤمنين، فيقولون: روّحوا أخاكم، فإنه كان في غم الدنيا؛ قال: ويسألونه: ما فعل فلان؟ فيقول: مات، أو ما جاءكم؟ فيقولون: ذهبوا به إلى أمه الهاوية. تفسير الطبري (٢٤/ ٥٧٥).

قال ابن كثير: وقد رواه ابن مردويه من طريق أنس بن مالك مرفوعا، بأبسط من هذا. وقد أوردناه في كتاب صفة النار، أجارنا الله منها بمنه وكرمه. تفسير ابن كثير (٨/ ٤٦٩).

وقال البغوي: (فأمه هاوية): مسكنه النار؛ سمّي المسكن أمّا؛ لأن الأصل في السكون إلى الأمهات، والهاوية اسم من أسماء جهنم، وهو المهواة لا يدرك قعرها، وقال قتادة: هي كلمة عربية، كان الرجل إذا وقع في أمر شديد قالوا: هوت أمه. وقيل: أراد أم رأسه، يعني أنهم يهوون في النار على رؤوسهم. تفسير البغوي (٥/ ٢٩٧).

(وما أدراك ما هيه * نار حامية):

قال ابن كثير: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أُوقد على النار ألف سنة حتى احمرّت، ثم أُوقد عليها ألف سنة حتى ابيضّت، ثم أُوقد عليها ألف سنة حتى اسودّت، فهي سوداء مظلمة)...

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان يغلي منهما دماغه).

وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا ربّ، أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفَسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف. فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها، وأشد ما تجدون في الصيف من حرها).

وفي الصحيحين: (إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم). تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٠-٤٧١).

وقال ابن عثيمين: {وما أدراك ما هيه} هذا من باب التفخيم والتعظيم لهذه الهاوية، يسأل: ما هي؟ أتدري ما هي؟ إنها لشيء عظيم، إنها نار حامية في غاية ما يكون من الحمو، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إنها فُضّلت على نار الدنيا بتسعة وستين جزءاً». إذا تأملت نار الدنيا كلها سواء نار الحطب، أو الورق، أو الموقد، أو أشد من ذلك، فإن نار جهنم مفضلة عليها بتسعة وستين جزءاً، نسأل الله العافية. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢٩٩).

فوائد عامة في سورة التكاثر:

سبب النزول: قال ابن كثير: عن ابن بريدة في قوله: {ألهاكم التكاثر} قال: نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار، في بني حارثة وبني الحارث، تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان بن فلان، وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور. فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان؟ يشيرون إلى القبر -ومثل فلان؟ وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله: {ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر}، لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل.

وقال قتادة: {ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر} كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعدّ من بني فلان، وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم.

والصحيح أن المراد بقوله: {زرتم المقابر} أي: صرتم إليها ودفنتم فيها، كما جاء في الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الأعراب يعوده، فقال: (لا بأس، طهور إن شاء الله). فقال: طهور؟! بل هي حمى تفور، على شيخ كبير، تزيره القبور! قال: (فنعم إذا). تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٣).

عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»...
وعن أبي، قال: (كنا نرى هذا من القرآن، حتى نزلت: {ألهاكم التكاثر}). صحيح البخاري (٨/ ٩٣).

(ألهاكم التكاثر):

قال ابن القيم: (ألهاكم) أي: شغلكم على وجه لا تعذرون فيه؛ فإن الإلهاء عن الشيء هو الاشتغال عنه، فإن كان بقصد فهو محل التكليف، وإن كان بغير قصد كقوله صلى الله عليه وسلم في الخميصة: (إنها ألهتني آنفا عن صلاتي) كان صاحبه معذورا، وهو نوع من النسيان. وفي الحديث: (فلها عن الصبي) أي: ذهل عنه، ويقال: لها بالشيء، أي: اشتغل به. ولها عنه: إذا انصرف عنه. واللهو للقلب، واللعب للجوارح، ولهذا يجمع بينهما، ولهذا كان قوله: (ألهاكم التكاثر) أبلغ في الذم من (شغلكم)؛ فإن العامل قد يستعمل جوارحه بما يعمل وقلبه غير لاه به، فاللهو هو ذهول وإعراض. الفوائد لابن القيم (ص: ٣٠).

وقال ابن القيم: لو حصلت له الكثرة من غير تكاثر لم تضره، كما كانت الكثرة حاصلة لجماعة من الصحابة، ولم تضرهم. إذ لم يتكاثروا بها. وكل من كاثر إنسانا في دنياه، أو جاهه، أو غير ذلك، أشغلته مكاثرته عن مكاثرة أهل الآخرة.

فالنفوس الشريفة العلوية ذات الهمم العالية إنما تُكاثر بما يدوم عليها نفعه، وتكمل به وتزكو، وتصير مفلحة. فلا تحب أن يكثُرَها غيرها في ذلك، وينافسُها في هذه المكاثرة، ويسابقها إليها. فهذا هو التكاثر الذي هو غاية سعادة العبد.

وضده: تكاثر أهل الدنيا بأسباب دنياهم. فهذا تكاثر مُلْهٍ عن الله وعن الدار الآخرة. وهو جار إلى غاية القلة. فعاقبة هذا التكاثر: قلة وفقر وحرمان.

والتكاثر بأسباب السعادة الأخروية تكاثر لا يزال يُذكّر بالله وبنعمه، وعاقبته الكثرة الدائمة التي لا تزول ولا تفنى. وصاحب هذا التكاثر لا يهون عليه أن يرى غيره أفضل منه قولا، وأحسن منه عملا، وأغزر منه علما. وإذا رأى غيره أكثر منه في خصلة من خصال الخير يعجز عن لحوقه فيها كاثره بخصلة أخرى، وهو قادر على المكاثرة بها. وليس هذا التكاثر مذموما، ولا قادحا في إخلاص العبد، بل هو حقيقة المنافسة، واستباق الخيرات.

وقد كانت هذه حال الأوس مع الخزرج رضي الله عنهم في تصاولهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومكاثرة بعضهم لبعض في أسباب مرضاته ونصره. وكذلك كانت حال عمر مع أبي بكر رضي الله عنهما، فلما تبين لعمر مدى سبق أبي بكر له قال: «والله لا أسابقك إلى شيء أبدا». التفسير القيم (ص: ٥٨٥).

وقال ابن القيم: ولم يعين سبحانه المتكاثر به، بل ترك ذكره، إما لأن المذموم هو نفس التكاثر بالشيء، لا المتكاثر به. كما يقال: شغلك اللعب واللهو، ولم يذكر ما يلعب ويلهو به، وإما إرادة الإطلاق، وهو كل ما تكاثر به العبد غيره من أسباب الدنيا، من مال، أو جاه، أو عبيد، أو إماء، أو بناء، أو غراس، أو علم لا يبتغى به وجه الله، أو عمل لا يقرّبه إلى الله، فكل هذا من التكاثر الملهي عن الله والدار الآخرة.

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله ابن الشخير أنه قال: «انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يقرأ (ألهاكم التكاثر) قال: (يقول ابن آدم: مالي، مالي، وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت، أو أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت؟). التفسير القيم (ص: ٥٧٥-٥٧٦).

وقال ابن كثير: عن أنس بن مالك يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان، ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله)... رواه مسلم والترمذي والنسائي...

وعن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يهرم ابن آدم وتبقى منه اثنتان: الحرص والأمل). أخرجاه في الصحيحين.

وذكر الحافظ ابن عساكر، في ترجمة الأحنف بن قيس -واسمه الضحاك- أنه رأى في يد رجل درهما، فقال: لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل: لي. فقال: إنما هو لك إذا أنفقته في أجر أو ابتغاء شكر. ثم أنشد الأحنف متمثلا قول الشاعر: أنت للمال إذا أمسكته ... فإذا أنفقته فالمال لك. تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٢).

قال حمزة بن محمد بن علي الكناني: خرّجت حديثا واحدا عن النبي صلى الله عليه وسلم من نحو مائتي طريق، قال: فداخلني من ذلك من الفرح غير قليل، وأعجبت بذلك، قال: فرأيت ليلة من الليالي يحيى بن معين في المنام، فقلت له: يا أبا زكريا! خرّجت حديثا واحدا عن النبي صلى الله عليه وسلم من مائتي طريق، قال: فسكت عني ساعة، ثم قال: أخشى أن يدخل هذا تحت {ألهاكم التكاثر}. جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٣٤).

(حتى زرتم المقابر):

قال الطبري: (حتى زرتم المقابر) يعني: حتى صرتم إلى المقابر فدفنتم فيها؛ وفي هذا دليل على صحة القول بعذاب القبر، لأن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر أنهم سيعلمون ما يلقون إذا هم زاروا القبور، وعيدا منه لهم وتهددا. تفسير الطبري (٢٤/ ٥٨٠).

عن ميمون بن مهران قال: كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز، فقرأ: {ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر}، فلبث هنيهة، فقال: يا ميمون، ما أرى المقابر إلا زيارة، وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله.

قال أبو محمد: يعني أن يرجع إلى منزله -إلى جنة أو نار. تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٤).

وقال السعدي: دل قوله: {حتى زرتم المقابر} أن البرزخ دار مقصود منها النفوذ إلى الدار الباقية، لأن الله سماهم زائرين، ولم يسمهم مقيمين. فدل ذلك على البعث والجزاء بالأعمال في دار باقية غير فانية. تفسير السعدي (ص: ٩٣٤).

وقال ابن عثيمين: يُذكر عن بعض الأعراب أنه سمع قارئا يقرأ: {ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر} فقال: «والله ما الزائر بمقيم، والله لنُبعثن»، لأن الزائر كما هو معروف يزور ويرجع، فقال: والله لنبعثن، وهذا هو الحق. وبهذا نعرف أن ما يذكره بعض الناس الآن في الجرائد وغيرها. يقول عن الرجل إذا مات: «إنه انتقل إلى مثواه الأخير» أن هذا كلام باطل وكذب؛ لأن القبور ليس هي المثوى الخير، بل لو أن الإنسان اعتقد مدلول هذا اللفظ لصار كافراً بالبعث، والكفر بالبعث ردة عن الإسلام، لكن كثيًرا من الناس يأخذون الكلمات ولا يدرون ما معناها، ولعل هذه موروثة عن الملحدين الذين لا يقرّون بالبعث بعد الموت، لهذا يجب تجنب هذه العبارة، فلا يقال عن القبر إنه المثوى الأخير؛ لأن المثوى الأخير إما الجنة، وإما النار في يوم القيامة. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٠٣).

(كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون):

قال ابن القيم: توعّد سبحانه من ألهاه التكاثر وعيدا مؤكدا إذا عاين تكاثره قد ذهب هباء منثورا، وعلم أن دنياه التي كاثر بها إنما كانت خُدَعا وغرورا، فوجد عاقبة تكاثره إليه لا له، وخسر هنالك تكاثره، كما خسره أمثاله، وبدا له من الله ما لم يكن في حسابه، وصار تكاثره الذي شغله عن الله والدار الآخرة من أعظم أسباب عذابه، فعُذّب بتكاثره في دنياه، ثم عُذّب به في البرزخ، ثم يُعذّب به يوم القيامة، فكان أشقى الناس بتكاثره إذ أفاد منه العطب، دون الغنيمة والسلامة. فلم يفز من تكاثره إلا بأن صار من الأقلّين، ولم يحظ من علوّه به في الدنيا إلا بأن حصل مع الأسفلين.

فيا له تكاثرا ما أثقله وزرا، وما أجلبه من غنى جالبا لكل فقر، وخيرا تَوصّل به إلى كل شر، يقول صاحبه إذا انكشف عنه غطاؤه: يا ليتني قدمت لحياتي، وعملت فيه بطاعة الله قبل وفاتي، رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت، فقيل له: كلا، إنها كلمة هو قائلها، تلك كلمته يقولها فلا يعول عليها. ورجعته يسألها فلا يجاب إليها. التفسير القيم (ص: ٥٧٦).

وقال ابن القيم: قوله: {كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون}.

قيل: تأكيد لحصول العلم، كقوله {كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون}.

وقيل: ليس تأكيدا، بل العلم الأول عند المعاينة ونزول الموت، والعلم الثاني في القبر. هذا قول الحسن ومقاتل، ورواه عطاء عن ابن عباس، ويدل على صحة هذا القول عدة أوجه:

أحدها: أن الفائدة الجديدة والتأسيس هو الأصل، وقد أمكن اعتباره مع فخامة المعنى وجلالته وعدم الإخلال بالفصاحة.

الثاني: توسط (ثم) بين العِلْمَين، وهي مؤذنة بتراخي ما بين المرتبتين زمانا وخطرا.

الثالث: أن هذا القول مطابق للواقع، فإن المحتضَر يعلم عند المعاينة حقيقة ما كان عليه، ثم يعلم في القبر وما بعده ذلك علما هو فوق الأول.

الرابع: أن عليا بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من السلف فهموا من الآية عذاب القبر.

الخامس: أن هذا مطابق لما بعده من قوله: {لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين} فهذه الرؤية الثانية غير الأولى من وجهين: إطلاق الأولى وتقييد الثانية بعين اليقين، وتقدّم الأولى وتراخي الثانية عنها. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٨٧-١٨٨).

(كلا لو تعلمون علم اليقين):

قال ابن القيم: {كلا لو تعلمون علم اليقين} هذا إشارة إلى علمهم في الحال، والخبر محذوف: أي: لكان الأمر فوق الوصف، ولعلمتم أمرا عظيما، ولألهاكم عما ألهاكم؛ فإن الالتهاء بالتكاثر إنما وقع من الغفلة وعدم اليقين، كما قال: {كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين}، ومثل قول النبي صلى الله عليه وسلم:

{لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا}. وحذف جواب (لو) كثير في القرآن تعظيما له وتفخيما، فإنه أعظم من أن يوصف أو يتصور بسماع لفظ، إذ المخبَر ليس كالمعايِن، ولهذا أتبع ذلك بالقسَم على الرؤية التي هي عين اليقين، التي هي فوق الخبر الذي هو علم اليقين، فقال: {لترون الجحيم. ثم لترونها عين اليقين}. مجموع الفتاوى (١٦/ ٥١٧-٥١٨).

وقال ابن القيم: وإنما وجد هذا التكاثر وإلهاؤه عما هو أولى بكم لمّا فُقد منكم علم اليقين، وهو العلم الذي يصل به صاحبه إلى حد الضروريات، التي لا يشك ولا يماري في صحتها وثبوتها. ولو وصلت حقيقة هذا العلم إلى القلب وباشرته لما ألهاه شيء عن موجبه، ولترتب أثره عليه. فإن مجرد العلم بقبح الشيء وسوء عواقبه قد لا يكفي في تركه. فإذا صار له علم اليقين كان اقتضاء هذا العلم لتركه أشد. فإذا صار عين يقين، كجملة المشاهدات، كان تخلّف موجبه عنه أندر شيء. التفسير القيم (ص: ٥٧٧).

(لتروُنّ الجحيم):

قال ابن كثير: {لترون الجحيم. ثم لترونها عين اليقين} هذا تفسير الوعيد المتقدم، وهو قوله: {كلا سوف تعلمون. ثم كلا سوف تعلمون} توعدهم بهذه الحال، وهي رؤية النار التي إذا زفرت زفرة خرّ كل ملَك مقرّب ونبي مرسل على ركبتيه، من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال، على ما جاء به الأثر المروي في ذلك. تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٤).

وقال ابن عثيمين: {لترون} هذه الجملة مستقلة، ليست جواب «لو»، ولهذا يجب على القارئ أن يقف عند قوله: {كلا لو تعلمون علم اليقين}، ونحن نسمع كثيراً من الأئمة يصلّون فيقولون: {كلا لو تعلمون علم اليقينِ. لترون الجحيم}، وهذا الوصل إما غفلة منهم ونسيان، وإما أنهم لم يتأملوا الآية حق التأمل، وإلا لو تأملوها حق التأمل لوجدوا أن الوصل يفسد المعنى؛ لأنه إذا قال «كلا لو تعلمون علم اليقينِ. لترون الجحيم» صار رؤية الجحيم مشروطةً بعلمهم، وهذا ليس بصحيح، لذلك يجب التنبه والتنبيه

لهذا... إذاً {لترون الجحيم} جملة مستأنفة لا صلة لها بما قبلها، وهي جملة قسمية، فيها قسم مقدّر، والتقدير: والله لترون الجحيم. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٠٤-٣٠٥).

(ثم لتروُنّها عين اليقين):

قال ابن القيم: المراتب ثلاث: علم يقين: يحصل عن الخبر، ثم تتجلى حقيقة المخبر عنه للقلب أو البصر، حتى يصير العلم به عين يقين، ثم يباشره ويلابسه فيصير حق يقين، فعلمنا بالجنة والنار الآن علم يقين، فإذا أزلفت الجنة للمتقين في الموقف، وبرّزت الجحيم للغاوين، وشاهدوهما عيانا، كان ذلك عين يقين، كما قال تعالى {لترون الجحيم. ثم لترونها عين اليقين}، فإذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فذلك حق اليقين. مدارج السالكين (١/ ٤٦٩).

وقال ابن عثيمين: {ثم لترونها عين اليقين} تأكيد لرؤيتها، ومتى ترى؟ تُرى يوم القيامة، يؤتى بها تُجر بسبعين ألف زمام، كل زمام يجرّه سبعون ألف ملك، فما ظنك بهذه النار ـ والعياذ بالله ـ، إنها نار كبيرة عظيمة؛ لأن فيها سبعين ألف زمام، كل زمام يجره سبعون ألف ملك، والملائكة عظام شداد، فهي نار عظيمة ـ أعاذنا الله منها. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٠٥).

(ثم لتُسألُنّ يومئذ عن النعيم):

قال ابن تيمية: قوله تعالى {ثم لتسألن يومئذ عن النعيم} أي: عن شكر النعيم، فيطالب العبد بأداء شكر نعمة الله على النعيم؛ فإن الله سبحانه لا يعاقب على ما أباح، وإنما يعاقب على ترك مأمور وفعل محذور. مجموع الفتاوى (٢٢/ ١٣٧)

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر}، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها}. مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢١٢).

وقال ابن القيم: كل أحد يُسأل عن نعيمه الذي كان فيه في الدنيا: هل ناله من حلاله ووجهه أم لا؟ فإذ تخلّص من هذا السؤال، سئل سؤالا آخر: هل شكر الله تعالى عليه، باستعانة به على طاعته أم لا؟

فالأول سؤال عن سبب استخراجه، والثاني: عن محل صرفه. كما في جامع الترمذي... عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزول قدما ابنِ آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره: فيما أفناه؟ وعن شبابه: فيما أبلاه؟ وعن ماله: من أين اكتسبه، وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟»...

وفيه أيضا: من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة –يعني: من النعيم– أن يقال له: ألم نصحّ لك جسمك؟ ونرويك من الماء البارد؟» .

وفيه أيضا: من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: «لما نزلت: (لتسألن يومئذ عن النعيم)، قال الزبير: يا رسول الله: فأي النعيم نسأل عنه، وإنما هو الأسودان: التمر والماء؟ قال: أما إنه سيكون»...

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن ذلك سيكون» إما أن يكون المراد به: أن النعيم سيكون ويحدث لكم، وإما أن يرجع إلى السؤال، أي: إن السؤال يقع عن ذلك، وإن كان تمرا وماء، فإنه من النعيم. ويدل عليه: قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح وقد أكلوا معه رطبا ولحما، وشربوا من الماء البارد: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة». فهذا سؤال عن شكره والقيام بحقه.

وفي الترمذي... من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بالعبد يوم القيامة، فيقول الله: ألم أجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا، وسخرت لك الأنعام والحرث، وتركتك ترأس وترتع، أفكنت تظن أنك ملاق يومك هذا؟ فيقول: لا. فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني». وقال: هذا حديث صحيح.

وقد زعم طائفة من المفسرين: أن هذا الخطاب خاص بالكفار، وأنهم هم المسؤولون عن النعيم. وذكروا ذلك عن الحسن ومقاتل. واختار الواحدي ذلك، واحتج بحديث أبي بكر لما نزلت هذه الآية، قال: أرأيت أكلة أكلتها معك ببيت أبي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر قد ذنب، وماء عذب، أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الذي نُسأل عنه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما ذلك للكفار)، ثم قرأ: (وهل نجازي إلا الكفور؟).

وقال الواحدي: والظاهر يشهد بهذا القول. لأن السورة كلها خطاب للمشركين وتهديد لهم. والمعنى أيضا يشهد بهذا القول، وهو أن الكفار لم يؤدوا حق النعيم عليهم، حيث أشركوا بربهم وعبدوا غيره، فاستحقوا أن يُسألوا عما أنعم به عليهم، توبيخا لهم، هل قاموا بالواجب فيه، أم ضيعوا حق النعمة؟ ثم يعذبون على ترك الشكر بتوحيد المنعم. قال: وهذا معنى قول مقاتل، وهو قول الحسن. قال: لا يُسأل عن النعيم إلا أهل النار.

قلت: ليس في اللفظ ولا في السنة الصحيحة، ولا في أدلة العقل ما يقتضي اختصاص الخطاب بالكفار، بل ظاهر اللفظ، وصريح السنة والاعتبار: يدل على عموم الخطاب لكل من اتصف بأنه ألهاه التكاثر. فلا وجه لتخصيص الخطاب ببعض المتصفين بذلك.

ويدل على ذلك: قول النبي صلى الله عليه وسلم عند قراءة هذه السورة «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت؟ أو لبست فأبليت- الحديث» وهو في صحيح مسلم. وقائل ذلك قد يكون مسلما، وقد يكون كافرا.

ويدل عليه أيضا: الأحاديث التي تقدمت، وسؤال الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم، وفهمهم العموم، حتى قالوا له «وأي نعيم نسأل عنه، وإنما هو الأسودان»، فلو كان الخطاب مختصا بالكفار لبين لهم ذلك. وقال: مالكم ولها؟ إنما هي للكفار.

فالصحابة فهموا العموم، والأحاديث صريحة في التعميم. والذي أنزل عليه القرآن أقرّهم على فهم العموم.

وأما حديث أبي بكر الذي احتج به أرباب هذا القول فحديث لا يصح. والحديث الصحيح في تلك القصة يشهد ببطلانه. ونحن نسوقه بلفظه.

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة. فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: (ما أخرجكما من بيوتكما في هذه الساعة؟) قالا: الجوع، يا رسول الله. قال: (وأنا والذي نفسي بيده، لأخرجني الذي أخرجكما، قوما)، فقاما معه. فأتى رجلا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته. فلما رأته امرأته قالت: مرحبا وأهلا. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أين فلان؟) قالت: ذهب ليستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وصاحبيه، فقال: الحمد لله، ما أجد اليوم أكرم أضيافا مني. قال: فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذا. فأخذ المدية، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياك والحلوب). فذبح لهم، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق، وشربوا. فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: (والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصبتم هذا النعيم)». فهذا الحديث الصحيح صريح في تعميم الخطاب، وأنه غير مختص بالكفار.

وأيضا فالواقع يشهد بعدم اختصاصه، وأن الإلهاء بالتكاثر واقع بين المسلمين كثيرا، بل أكثرهم قد ألهاه التكاثر. وخطاب القرآن عام لمن بلغه، وإن كان أول من دخل فيه المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو متناول لمن بعدهم. وهذا معلوم بضرورة الدين، وإن نازع فيه من لا يعتد بقوله من المتأخرين...

أما احتجاجهم بالوعيد على اختصاص الخطاب بالكفار. فيقال: الوعيد المذكور مشترك، وهو العلم عند معاينة الآخرة. فهذا أمر يحصل لكل أحد لم يكن حاصلا له في الدنيا. وليس في قوله: (سوف تعلمون) ما يقتضي دخول النار، فضلا عن التخليد فيها. وكذلك رؤية الجحيم لا يستلزم دخولها لكل من رآها. فإن أهل الموقف يرونها ويشاهدونها عيانا، وقد أقسم الرب تبارك وتعالى أن لا بد أن يراها الخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم، وبرهم وفاجرهم: (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا). فليس في جملة هذه السورة ما ينفي عموم خطابها.

وأما ما ذكروه عن الحسن: لا يُسأل عن النعيم إلا أهل النار. فباطل قطعا، إما عليه وإما منه. والأحاديث الصحيحة الصريحة ترده. وبالله التوفيق. التفسير القيم (ص: ٥٧٩-٥٨٤).

وقال ابن القيم: ما أعظمها من سورة، وأجلها وأعظمها فائدة، وأبلغها موعظة وتحذيرا، وأشدها ترغيبا في الآخرة، وتزهيدا في الدنيا على غاية اختصارها، وجزالة ألفاظها وحسن نظمها. فتبارك من تكلم بها حقا، وبلغها رسوله عنه وحيا. التفسير القيم (ص: ٥٨٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة القارعة والتكاثر

١- أعدّ للساعة عُدّتها، فإنها آتية لا ريب فيها، أهوالها عظيمة، ووقائعها شديدة، تقرع الناس بأهوالها، وتفجعهم بأحداثها، تذهل فيها كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكنّ عذاب الله شديد، فهل أعددت لذلك اليوم عُدّته؟ (القارعة * ما القارعة * وما أدراك ما القارعة * يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش).

٢- اعلم أنّك ستعيش في هذه الدنيا مرة واحدة فقط، فحياتك فرصة وحيدة لنجاتك، فاحرص على تثقيل موازين حسناتك بالطاعات، وتخفيف موازين سيئاتك باجتناب المحرمات، ولا تدعنّ عمل خير إلا ولك فيه مشاركة، ولا عمل شر إلا وبينك وبينه بُعد المشرقين، فإنك لا تدري ما الحسنة التي تنجو بها، ولا تدري ما السيئة التي تهلك بها (فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية * وأما من خفّت موازينه * فأمه هاوية * وما أدراك ما هيه * نار حامية).

٣- احذر من التكاثر والتفاخر بالأموال والأولاد والمناصب وجميع مُتع الدنيا، فإنها عن قريب تزول، ولا ينفعك إلا عملك الصالح الذي أخلصت فيه لربّك، واتّبعت فيه نبيّك صلى الله عليه وسلم، وأما زخارف الدنيا وزينتها فستذهب لغيرك، وتبقى عليك تبِعتها، فلا يُلهينّك ما يزول عمّا يبقى، ولا يصدّنّك المتاع القليل عن النعيم الكبير، واحرص على تعزيز إيمانك باليوم الآخر، وتقوية يقينك بما فيه من حساب وجزاء وجنة ونار، فإن الغفلة عن ذلك هي التي تقود إلى الهلكة (ألهاكم التكاثر * حتى زُرتم المقابر * كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون * كلا لو تعلمون علم اليقين).

٤- اتّق النار، فإنها نار حامية، وغمسة واحدة فيها تُنسيك كل نعيم الدنيا، واعلم أنك ستراها رأي العين، وستمرّ على الصراط من فوقها بقدر عملك في الدنيا، فإن كنت من المتّقين نجوت، وإلا هلكت، فاسأل نفسك: من أيّ الفريقين أنا؟ (وما أدراك ما هيه * نار حامية)، (لتروُنّ الجحيم * ثم لتروُنّها عين اليقين).

٥- احرص على أداء شكر كل نعمة أنعم الله بها عليك من مال وزوجة وبنين وأمان وعافية، فإن لم تقدر على شكر النعمة فلا أقل من أن لا تعصِ الله بنعمته، واعلم أن الحساب عسير، وأنك موقوف ومسؤول عن هذه النعم، فأعدّ للسؤال جوابا، وللجواب صوابا (ثم لتُسألُنّ يومئذ عن النّعيم).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الزلزلة والعاديات من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة الزلزلة: مَدَنيَة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] التذكير بأهوال القيامة ودقة الحساب فيها.

(إذا زُلزِلت الأرض زِلزالها):

إذا حُرِّكت الأرض التحريك الشديد الَّذي يحدث لها يوم القيامة.

(وأخرجت الأرض أثقالها):

وأخرجت الأرض ما في بطنها من الموتى وغيرهم.

(وقال الإنسان ما لها):

وقال الإنسان متحيِّرًا: ما شأن الأرض تتحرك وتضطرب؟!

(يومئذ تُحدّث أخبارها):

في ذلك اليوم العظيم تخبر الأرض بما عمل عليها من خير وشرّ.

(بأنّ ربّك أوحى لها):

لأن الله أعلمها وأمرها بذلك.

(يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليُرَوا أعمالهم):

في ذلك اليوم العظيم الَّذي تتزلزل فيه الأرض يخرج الناس من موقف الحساب فِرَقًا ليشاهدوا أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

(فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره):

فمن يعمل وزن نملةٍ صغيرة من أعمال الخير والبرّ يره أمامه.

(ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره):

ومن يعمل وزنها من أعمال الشرّ يره كذلك.

سورة العاديات: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] تحذير الإنسان من الجحود والطمع بتذكيره بالآخرة.

(والعاديات ضبحا):

أقسم الله بالخيل التي تجري حتَّى يُسْمَع لنَفَسِها صوت من شدة الجري.

(فالموريات قدحا):

وأقسم بالخيل التي تُوقِد بحوافرها النار إذا لامست بها الصخور لشدة وقعها عليها.

(فالمُغيرات صُبحا):

وأقسم بالخيل التي تُغِير على الأعداء وقت الصباح.

(فأثرن به نقعا):

فحركن بجريهن غبارًا.

(فوسطن به جمعا):

فتوسّطن بفوارسهنّ جَمْعًا من الأعداء.

(إن الإنسان لربّه لكَنود):

إن الإنسان لمَنُوع للخير الَّذي يريده منه ربه.

(وإنه على ذلك لشهيد):

وإنه على منعه للخير لشاهد، لا يستطيع إنكار ذلك لوضوحه.

(وإنه لحبّ الخير لشديد):

وإنه لفرط حبه للمال يبخل به.

(أفلا يعلم إذا بُعثر ما في القبور):

أفلا يعلم هذا الإنسان المغترّ بالحياة الدنيا إذا بعث الله ما في القبور من الأموات وأخرجهم من الأرض للحساب والجزاء أن الأمر لم يكن كما كان يتوهم؟!

(وحُصّل ما في الصدور):

وأُبْرِز وبُيِّن ما في القلوب من النيات والاعتقادات وغيرها.

(إن ربهم بهم يومئذ لخبير):

إن ربهم بهم في ذلك اليوم لخبير، لا يخفى عليه من أمر عباده شيء، وسيجازيهم على ذلك.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• شهادة الأرض على أعمال بني آدم.

• الإنسان مجبول على حب المال.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الزلزلة والعاديات

الكلمة	المعنى
أَثْقالَها	ما في بطنها من الموتى والكنوز
ما لها؟	ما الذي حدث لها؟
تُحدّث أخبارها	تُخبر الأرضُ بما عُمل عليها من خير وشر
بأنّ ربك أوحى لها	لأنّ ربك أمرها بذلك
يَصْدُرُ النّاس	يرجعون عن موقف الحساب
أشتاتًا	أصنافا متفرّقين على حسب أحوالهم
لِيُرَوا أعمالهم	ليُريهم الله ما عملوا ويجازيَهم على ذلك
مثقال ذرّة	وزن نملة صغيرة أو هباءة
والعاديات ضَبْحًا	والخيل التي تجري في الغزو فيخرج صوت نفَسها من سرعة جرْيها
فالمُورِيات قدحا	فالخيل التي توقد بحوافرها النار من شدة جرّيها
فالمُغيرات صُبحًا	فالخيل التي تهجم على الأعداء وتباغتهم صباحا
فأَثرنَ به نقْعًا	فهيّجن به غُبارًا
فوَسَطن به جمعًا	فتوسّطن بركبانهنّ جموع الأعداء
لكَنُود	لجَحود نعمة الله عليه
لِحُبّ الخير	لحُبّ المال
بُعثر	أُخرج
وحُصّل	وأُبرز واستُخرج

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الزلزلة والعاديات

فضائل سورة الزلزلة:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قل يا أيها الكافرون ربع القرآن، وإذا زلزلت الأرض ربع القرآن، وإذا جاء نصر الله ربع القرآن). «مسند أحمد» (١٩/ ٤٧٢).

عن عبد الله بن عمرو، قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: (اقرأ ثلاثا من ذوات {الر}) فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: (فاقرأ ثلاثا من ذوات (حم)) فقال مثل مقالته، فقال: (اقرأ ثلاثا من المسبحات) فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم: {إذا زلزلت الأرض} حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أفلح الرويجل) مرتين. «سنن أبي داود» (٢/ ٥٤٦).

عن معاذ بن عبد الله الجهني أن رجلا من جهينة أخبره أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الصبح {إذا زلزلت الأرض زلزالها} في الركعتين كلتيهما، فلا أدري أنسي رسول الله صلى الله عليه وسلم أم قرأ ذلك عمدا. «سنن أبي داود» (٢/ ١١١).

(إذا زلزلت الأرض زلزالها):

قال السعدي: «يخبر تعالى عما يكون يوم القيامة، وأن الأرض تتزلزل وترجف وترتج، حتى يسقط ما عليها من بناء وعلم، فتندك جبالها، وتسوّى تلالها، وتكون قاعًا صفصفًا، لا عوج فيه ولا أمت». «تفسير السعدي» (ص٩٣٢).

وقال ابن عثيمين: «المراد بذلك ما ذكره الله تعالى في قوله: {يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم. يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس

سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد}. وقوله: {زلزالها} يعني الزلزال العظيم الذي لم يكن مثله قط، ولهذا يقول الله عز وجل: {ترى الناس سكارى وما هم بسكارى} يعني من شدة ذهولهم وما أصابهم تجدهم كأنهم سكارى، وما هم بسكارى بل هم صحاة، لكن لشدة الهول صار الإنسان كأنه سكران لا يدري كيف يتصرف، ولا كيف يفعل». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٨٤).

(وأخرجت الأرض أثقالها):

قال ابن كثير: «يعني: ألقت ما فيها من الموتى. قاله غير واحد من السلف. وهذه كقوله تعالى: {يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم}، وكقوله {وإذا الأرض مدت. وألقت ما فيها وتخلت}... وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قَتَلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قَطَعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطِعت يدي، ثم يدَعونه فلا يأخذون منه شيئا")». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٦٠).

(وقال الإنسان ما لها):

قال ابن كثير: «أي: استنكر أمرها بعد ما كانت قارة ساكنة ثابتة، وهو مستقر على ظهرها، أي: تقلبت الحال، فصارت متحركة مضطربة، قد جاءها من أمر الله ما قد أُعدّ لها من الزلزال الذي لا محيد لها عنه، ثم ألقت ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدلت الأرض غير الأرض والسموات، وبرزوا لله الواحد القهار». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٦٠).

(يومئذ تحدّث أخبارها):

قال ابن القيم: «إن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة، فإن البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة، قال تعالى: {إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها * وقال الإنسان ما لها * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحى لها}، روى الترمذي في جامعه من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: «قرأ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية: {يومئذ تحدث أخبارها} فقال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم،

قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا كذا وكذا» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

والذاكر لله عز وجل في سائر البقاع مكثر شهوده، ولعلهم أو أكثرهم أن يقبلوه يوم القيامة، يوم قيام الأشهاد وأداء الشهادات فيفرح ويغتبط بشهادتهم». «الوابل الصيب» (ص٨١).

وقال ابن عثيمين: «ثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن المؤذن إذا أذن فإنه لا يسمع صوته شجر، ولا مدر، ولا حجر، ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة، فتشهد الأرض بما صنع عليها من خير أو شر، وهذه الشهادة من أجل بيان عدل الله عز وجل، وأنه سبحانه وتعالى لا يؤاخذ الناس إلا بما عملوه، وإلا فإن الله تعالى بكل شيء محيط، ويكفي أن يقول لعباده جل وعلا عملتم كذا وعملتم كذا، لكن من باب إقامة العدل وعدم إنكار المجرم؛ لأن المجرمين ينكرون أن يكونوا مشركين، قال الله تعالى: {ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين} . لأنهم إذا رأوا أهل التوحيد قد خلصوا من العذاب ونجوا منه أنكروا الشرك لعلهم ينجون، ولكنهم يُختم على أفواههم، وتكلم الأيدي، وتشهد الأرجل والجلود والألسن، كلها تشهد على الإنسان بما عمل، وحينئذ لا يستطيع أن يبقى على إنكاره، بل يقر ويعترف، إلا أنه لا ينفع الندم في ذلك الوقت». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٨٥).

(بأن ربك أوحى لها):

قال ابن عثيمين: «يخاطب الله الجماد فيتكلم الجماد كما قال الله تعالى: {ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعـًا أو كرهـًا قالتا أتينا طائعين} . وقال الله تعالى للقلم: (اكتب)، قال: ربِّ وماذا أكتب؟ قال: (اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة). وقال الله تعالى: {اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون} . فالله عز وجل إذا وجه الكلام إلى شيء ولو جماداً فإنه يخاطب الله ويتكلم». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٨٥).

(يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليُروا أعمالهم):

قال ابن عثيمين: «{يصدر الناس أشتاتـاً} أي: جماعات متفرقين يصدرون، كل يتجه إلى مأواه، فأهل الجنة ـ جعلنا الله منهم ـ يتجهون إليها، وأهل النار ـ والعياذ بالله ـ يساقون إليها {يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً. ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً. لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً}. فيصدر الناس جماعات وزمراً على أصناف متباينة تختلف اختلافـًا كبيراً كما قال الله تعالى: {انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٨٦).

وقال ابن عثيمين: «يريهم الله تعالى أعمالهم إن خيراً فخير، وإن شرا فشر، وذلك بالحساب وبالكتاب، فيعطى الإنسان كتابه إما بيمينه، وإما بشماله، ثم يحاسب على ضوء ما في هذا الكتاب، يحاسبه الله عز وجل، أما المؤمن فإن الله تعالى يخلو به وحده ويقرره بذنوبه ويقول: فعلت كذا، وفعلت كذا، وفعلت كذا، حتى يقر ويعترف، فإذا رأى أنه هلك، قال الله عز وجل: «إني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»، وأما الكافر ـ والعياذ بالله ـ فإنه لا يعامل هذه المعاملة بل ينادى على رؤوس الأشهاد {هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين}.

وقوله: {ليُروا أعمالهم} هذا مضاف، والمضاف يقتضي العموم، وظاهره أنهم يرون الأعمال: الصغير والكبير، وهو كذلك، إلا ما غفره الله من قبل بحسنات أو دعاء أو ما أشبه ذلك، فهذا يمحى، كما قال الله تعالى {إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين}. فيرى الإنسان عمله، يرى عمله القليل والكثير، حتى يتبين له الأمر جليًّا، ويعطى كتابه، ويقال: {اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبـًا}. ولهذا يجب على الإنسان أن لا يقدم على شيء لا يرضي الله عز وجل؛ لأنه يعلم أنه مكتوب عليه، وأنه سوف يحاسب عليه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٨٦-٢٨٧).

(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره):

سبب النزول: قال ابن كثير: «عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}، وذلك لما نزلت هذه الآية: {ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا}، كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل الذي أعطوه، فيجيء المسكين إلى

أبوابهم، فيستقلّون أن يعطوه التمرة والكِسرة والجوزة ونحو ذلك، فيردّونه ويقولون: ما هذا بشيء. إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه. وكان آخرون يرون أنهم لا يلامُون على الذنب اليسير: الكَذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، يقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر. فرغّبهم في القليل من الخير أن يعملوه، فإنه يوشك أن يكثُر، وحذّرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثُر، فنزلت: {فمن يعمل مثقال ذرة} يعني: وزن أصغر النمل {خيرا يره} يعني: في كتابه، ويسره ذلك. قال: يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة. وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضا، بكل واحدة عشر، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات، فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٦٤).

في حديث أبي سعيد الخدري الطويل في الشفاعة: «يقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرّم الله صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه، وإلى أنصاف ساقيه، فيُخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيُخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيُخرجون من عرفوا، قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرؤوا {إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها}، فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون». «صحيح البخاري» (٩/ ١٣٠).

وعن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس». «صحيح مسلم» (١/ ٩٣).

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يجزى بها». «صحيح مسلم» (٤/ ٢١٦٢).

وقال البغوي: «قال ابن عباس: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا في الدنيا إلا أراه الله إياه يوم القيامة، فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته، فيغفر الله سيئاته، ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فتُردّ حسناته، ويعذّبه بسيئاته.

وقال محمد بن كعب في هذه الآية (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير، (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر...

قال ابن مسعود: أحكم آية في القرآن (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميها الجامعة الفاذة، حين سئل عن زكاة الحمر، فقال: (ما أنزل عليّ فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفاذة (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)». تفسير البغوي (٨/ ٥٠٢-٥٠٣).

وقال ابن تيمية: «{فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} فمن كان مؤمنا وعمل عملا صالحا لوجه الله تعالى فإن الله لا يظلمه، بل يثيبه عليه. وأما ما يفعله من المحرّم اليسير فيستحق عليه العقوبة ويرجى له من الله التوبة. كما قال الله تعالى: {وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم}، وإن مات ولم يتب فهذا أمره إلى الله، هو أعلم بمقدار حسناته وسيئاته، لا يُشهد له بجنة ولا نار». «مجموع الفتاوى» (١١/ ٦٦١).

وقال ابن كثير: «عن صعصعة بن معاوية -عم الفرزدق-: أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه: {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} قال: حسبي! لا أبالي ألا أسمع غيرها...

وفي صحيح البخاري، عن عَدي مرفوعا: (اتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة).

وفي الصحيح: (لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط).

وفي الصحيح أيضا: (يا نساء المؤمنات، لا تحقرنّ جارة لجارتها ولو فرسن شاة). يعني: ظلفها.

وفي الحديث الآخر: (ردوا السائل ولو بظلف محرق)...

وعن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يا عائشة، استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان). تفرد به أحمد.

وروي عن عائشة أنها تصدقت بعنبة، وقالت: كم فيها من مثقال ذرة...

وقال عوف بن الحارث بن الطفيل: أن عائشة أخبرته: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: (يا عائشة، إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالبا)...

عن عبد الله بن مسعود؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه). وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا: كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سوادا، وأججوا نارا، وأنضجوا ما قذفوا فيها». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٦٢-٤٦٤).

وقال السعدي: «وهذا شامل عام للخير والشر كله، لأنه إذا رأى مثقال الذرة، التي هي أحقر الأشياء، وجوزي عليها فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى، كما قال تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا}، {وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا}. وهذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير ولو قليلا، والترهيب من فعل الشر ولو حقيرًا». «تفسير السعدي» (ص٩٣٢).

وقال ابن عثيمين: «{مثقال ذرة} يعني: وزن ذرة، والمراد بالذرة: صغار النمل كما هو معروف، وليس المراد بالذرة: الذرة المتعارف عليها اليوم، كما ادعاه بعضهم، لأن هذه الذرة المتعارف عليها اليوم ليست معروفة في ذلك الوقت، والله عز وجل لا يخاطب الناس إلا بما يفهمون، وإنما ذكر الذرّة لأنها مضرِب المثل في القلة، كما قال الله تعالى: {إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها}. ومن المعلوم أن من عمل ولو أدنى من الذرة فإنه سوف يجده، لكن لما كانت الذرة مضرب المثل في القلة قال الله تعالى {فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٨٧).

(والعاديات ضبحا * فالموريات قدحا * فالمغيرات صبحا * فأثرن به نقعا * فوسطن به جمعا):

قال السعدي: «أقسم الله تبارك وتعالى بالخيل، لما فيها من آيات الله الباهرة، ونعمه الظاهرة، ما هو معلوم للخلق. وأقسم تعالى بها في الحال التي لا يشاركها فيه غيرها من أنواع الحيوانات». «تفسير السعدي» (ص٩٣٢).

وقال ابن عثيمين: «(والعاديات) صفة لموصوف محذوف، فما هو هذا الموصوف؟ هل المراد الخيل؟ يعني: والخيل العاديات، أو المراد الإبل، يعني: والإبل العاديات؟ في هذا قولان للمفسرين:

فمنهم من قال: إن الموصوف هي الإبل، والتقدير: والإبل العاديات، ويعني بها الإبل التي تعدو من عرفة إلى مزدلفة، ثم إلى منى، وذلك في مناسك الحج، واستدلوا لهذا بأن هذه السورة مكية، وأنه ليس في مكة جهاد على الخيل حتى يُقسم بها.

أما القول الثاني لجمهور المفسرين وهو الصحيح فإن الموصوف هو الخيل، والتقدير: والخيل العاديات، والخيل العاديات معلومة للعرب، حتى قبل مشروعية الجهاد هناك خيل تعدو على أعدائها، سواء بحق أو بغير حق فيما قبل الإسلام، أما بعد الإسلام فالخيل تعدو على أعدائها بحق». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٩١).

(إن الإنسان لربه لكنود):

قال البغوي: «قال الفضيل بن عياض: "الكنود" الذي أنسته الخصلة الواحدة من الإساءة الخصال الكثيرة من الإحسان، و"الشكور": الذي أنسته الخصلة الواحدة من الإحسان الخصال الكثيرة من الإساءة». «تفسير البغوي» (٨/ ٥٠٩).

وقال ابن القيم: «ذم الله سبحانه الكنودَ، وهو: الذي لا يشكر نعمَه. قال الحسن: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} يعدد المصائب وينسى النعم.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن النساء أكثر أهل النار بهذا السبب، قال: (لو أحسنتَ إلى إحداهنَّ الدهر، ثم رَأَتْ منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط). فإذا كان هذا بترك شكر نعمة الزوج وهي في الحقيقة من الله، فكيف بمن ترك شكر نعمة الله؟! كما قيل:

أيها الظالم في فعله ... والظلمُ مردودٌ على من ظَلَمْ

إلى متى أنت وحتى متى ... تشكو المصيباتِ وتنسى النِّعَمْ

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي عبد الرحمن السلمي عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "التحدُّث بالنعم شكرٌ، وتركها كفرٌ، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، والجماعة بركة والفرقة عذاب".

وقال مطرّف بن عبد الله: "نَظَرتُ في العافية والشكر، فوجدت فيهما خير الدنيا والآخرة، ولأنْ أُعافى فأشكُرَ أحبُّ إليّ من أن أُبتلى فأصبِرَ".

وأتى بكرُ بن عبد الله المزني حمّالًا عليه حمله وهو يقول: الحمد لله، أستغفر الله. قال: فانتظرته حتى وضع ما على ظهره وقلت له: أما تحسن غير ذا؟ قال: بلى، أُحسن خيرًا كثيرًا، أقرأ كتاب الله، غير أن العبد بين نعمة وذنب، فأحمد الله على نعمائه السابغة، وأستغفره لذنوبي. فقلت: الحمّال أفقه من بكر». «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» (١/ ٢٣٠-٢٣٢).

وقال ابن القيم: «قال تعالى: {وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا}، {وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا}، {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}. {وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}، {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ}، ونظائره كثيرة.

فالإنسان من حيث هو عار عن كل خير من العلم النافع والعمل الصالح، وإنما الله سبحانه هو الذي يكمّله بذلك ويعطيه إياه، وليس له ذلك من نفسه، بل ليس له من نفسه إلا الجهل المضاد للعلم، والظلم المضاد للعدل، وكل علمٍ وعدلٍ وخيرٍ فيه فمن ربه لا من نفسه». «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» (١/ ٣٦٧-٣٦٨).

وقال السعدي: «{إِنَّ الإنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} أي: لمنوع للخير الذي عليه لربه، فطبيعة الإنسان وجبلته، أن نفسه لا تسمح بما عليه من الحقوق، فتؤديها كاملة موفرة، بل طبيعتها الكسل والمنع لما عليه من

الحقوق المالية والبدنية، إلا من هداه الله وخرج عن هذا الوصف إلى وصف السماح بأداء الحقوق». «تفسير السعدي» (ص٩٣٢).

(وإنه على ذلك لشهيد):

قال ابن عثيمين: «{وإنه على ذلك لشهيد} {إنه} الضمير قيل: يعود على الله، أي: أن الله تعالى يشهد على العبد بأنه كفور لنعمة الله.

وقيل: إنه عائد على الإنسان نفسه، أي: أن الإنسان يشهد على نفسه بكفر نعمة الله عز وجل.

والصواب أن الآية شاملة لهذا وهذا، فالله شهيد على ما في قلب ابن آدم، وشهيد على عمله، والإنسان أيضـًا شهيد على نفسه، لكن قد يقرّ بهذه الشهادة في الدنيا، وقد لا يقرّ بها فيشهد على نفسه يوم القيامة، كما قال تعالى: {يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٩٣).

(وإنه لحب الخير لشديد):

«قال ابن زيد، في قوله: (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) قال: الخير: الدنيا؛ وقرأ: (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ) قال: فقلت له: (إن ترك خيرا): المال؟ قال: نعم، وأي شيء هو إلا المال؟ قال: وعسى أن يكون حراما، ولكن الناس يعدّونه خيرا، فسماه الله خيرا، لأن الناس يسمونه خيرا في الدنيا، وعسى أن يكون خبيثا، وسمي القتال في سبيل الله سوءا، وقرأ قول الله: (فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ) قال: لم يمسسهم قتال؛ قال: وليس هو عند الله بسوء، ولكن يسمونه سوءا». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٦٨).

وقال السعدي: «{وَإِنَّهُ} أي: الإنسان {لِحُبِّ الْخَيْرِ} أي: المال {لَشَدِيدُ} أي: كثير الحب للمال. وحبه لذلك، هو الذي أوجب له ترك الحقوق الواجبة عليه، قدم شهوة نفسه على حق ربه، وكل هذا لأنه قصر نظره على هذه الدار، وغفل عن الآخرة». «تفسير السعدي» (ص٩٣٣).

وقال ابن عثيمين: الإنسان حبه للمال أمر ظاهر، قال الله تعالى: {وتحبون المال حبًّا جًّما}. ولا تكاد تجد أحداً يسلم من الحب الشديد للمال، أما الحب مطلق الحب فهذا ثابت لكل أحد، ما من إنسان إلا ويحب المال، لكن الشدة ليست لكل أحد، بعض الناس يحب المال الذي تقوم به الكفاية، ويستغني به عن عباد الله، وبعض الناس يريد أكثر، وبعض الناس يريد أوسع وأوسع». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٩٣-٢٩٤).

(وحصّل ما في الصدور):

ثال ابن عثيمين: «{وحصّل ما في الصدور} أي: ما في القلوب من النيات وأعمال القلب: كالتوكل، والرغبة، والرهبة، والخوف، والرجاء، وما أشبه ذلك. وهنا جعل الله عز وجل العمدة ما في الصدور كما قال تعالى: {يوم تبلى السرائر. فما له من قوة ولا ناصر} لأنه في الدنيا يعامَل الناس معاملة الظاهر، حتى المنافق يعامَل كما يعامل المسلم حقًّا، لكن في الآخرة العمل على ما في القلب، ولهذا يجب علينا أن نعتني بقلوبنا قبل كل شيء، قبل الأعمال؛ لأن القلب هو الذي عليه المدار، وهو الذي سيكون الجزاء عليه يوم القيامة، ولهذا قال: {وحصّل ما في الصدور}.

ومناسبة الآيتين بعضهما لبعض أن بعثرة ما في القبور إخراج للأجساد من بواطن الأرض، وتحصيل ما في الصدور إخراج لما في الصدور، مما تكنه الصدور، فالبعثرة بعثرة ما في القبور عما تكنه الأرض، وهنا عما يكنه الصدر، والتناسب بينهما ظاهر». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٩٤).

(إن ربهم بهم يومئذ لخبير):

قال السعدي: «أي: مطلع على أعمالهم الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، ومجازيهم عليها. وخص خبره بذلك اليوم، مع أنه خبير بهم في كل وقت، لأن المراد بذلك الجزاء بالأعمال الناشئ عن علم الله واطلاعه». «تفسير السعدي» (ص٩٣٣).

وقال ابن عثيمين: «وجاء التعبير {بهم}، ولم يقل (به)، مع أن الإنسان مفرد، باعتبار المعنى، أي: أنه أعاد الضمير على الإنسان باعتبار المعنى، لأن معنى {إن الإنسان} أي: أن كل إنسان». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٩٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الزلزلة والعاديات

١- أهوال الساعة عظيمة جدا، تتزلزل الأرض زلزالا عظيما، وتُخرج ما في بطنها من الموتى كأنهم جراد منتشر، وحينئذ تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكنّ عذاب الله شديد، فماذا أعددت لهذا الموقف العصيب؟ (إذا زُلزلت الأرض زلزالها ❋ وأخرجت الأرض أثقالها ❋ وقال الإنسان ما لها).

٢- اعلم أن الأرض تشهد يوم القيامة بما عُمل عليها من خير أو شر، فأكثر من العمل الصالح في شتى البقاع، حتى يكثر شهودك، واجتنب المعاصي والسيئات حتى لا يكثر الشهود عليك (يومئذ تُحدّث أخبارها ❋ بأنّ ربّك أوحى لها).

٣- الحساب يوم القيامة يكون على مثاقيل الذرّ، فاحرص على كل عمل صالح يثقّل ميزان حسناتك، ولو كان شق تمرة أو ابتسامة أو إماطة أذى، واحذر من كل عمل سيّء يثقّل ميزان سيّئاتك، ولو كان صغيرا، ولا يكن عمل كثير من الناس بالمعصية سببا لتساهلك في ارتكابها (يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليُروا أعمالهم ❋ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ❋ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره).

٤- تأمل الخيل وما أودع الله فيه من صفات عجيبة ميّزته عن غيره من الحيوانات، حتى صار أفضل مركوب للجهاد والقتال، وقل: سبحان الذي أحسن كل شيء خلقه (والعاديات ضبحا ❋ فالموريات قدحا ❋ فالمغيرات صبحا ❋ فأثرن به نقعا ❋ فوسطن به جمعا).

٥- كثير من الناس يجحد نعمة الله عليه إما بصريح قوله كحال الكافر، وإما بلسان حاله كمن يعصي الله بنعمته، ولا يشكره على منته، ولا يؤدي ما وجب عليه من حق الله وحق عباده، فاستحضر نعم الله عليك وتذكّرها، وكن لربك شكورا لا جحودا (إن الإنسان لربه لكَنود ❋ وإنه على ذلك لشهيد).

٦- احذر أن يكون حبك للمال سببا في خسارتك للحياة الحقيقية الكاملة في الجنة، واجعل المال وسيلة في يدك، لا مقصودا في قلبك، وتذكّر أنك ستُسأل عن مالك يوم القيامة: من أين اكتسبته؟

وفيم أنفقته؟ وأنه قد يكون حجة عليك، وقائدا لك إلى دار البوار والعياذ بالله (وإنه لحب الخير لشديد).

٧- أكثر من ذكر يوم القيامة وما فيه من أهوال، وتدبر الآيات القرآنية الواردة فيه، حتى يحيا قلبك، ويقصر أملك، ويكثر عملك، وتسمو نفسك (أفلا يعلم إذا بُعثر ما في القبور * وحُصّل ما في الصدور).

٨- اعلم أن الله أعلم بك من نفسك، وأخبر بما يدور في قلبك من النيات والإرادات، فأصلح قلبك، وأرِ الله من نفسك خيرا، كي تسعد في الدنيا والآخرة (إن ربهم بهم يومئذ لخبير).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة البينة من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة البينة: مَدَنيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] بيان كمال الرسالة المحمدية ووضوحها.

﴿ لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١ ﴾.

لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين مفارقين إجماعهم واتفاقهم على الكفر حتَّى يأتيهم برهان واضح، وحجة جَليَّة.

﴿ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢ ﴾.

هذا البرهان الواضح والحجة الجَلِيَّة هو رسول من عند الله بعثه يقرأ صحفًا مطهرة لا يمسها إلا المطهرون.

﴿ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ٣ ﴾.

في تلك الصحف أخبار صدق وأحكام عدل، ترشد الناس إلى ما فيه صلاحهم ورشدهم.

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ٤ ﴾.

وما اختلف اليهود الذين أُعطوا التوراة، والنصارى الذين أُعطوا الإنجيل، إلا من بعد ما بعث الله نبيَّه إليهم، فمنهم من أسلم، ومنهم من تَمَادى في كفره مع علمه بصدق نبيه.

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾.

ويظهر جرم وعناد اليهود والنصارى أنهم ما أمروا في هذا القرآن إلا بما أمروا به في كتابَيهم من عبادة الله وحده، ومجانبة الشرك، وإقامة الصلاة وإعطاء الزكاة، فما أمروا به هو الدين المستقيم الَّذي لا اعوجاج فيه.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦﴾.

إن الذين كفروا –من اليهود والنصارى ومن المشركين– يدخلون يوم القيامة في جهنم ماكثين فيها أبدًا، أولئك هم شرّ الخليقة؛ لكفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ ﴾.

إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات أولئك هم خير الخليقة.

﴿ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨ ﴾.

ثوابهم عند ربهم سبحانه وتعالى: جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ماكثين فيها أبدًا، رضي الله عنهم لمّا آمنوا به وأطاعوه، ورضوا عنه لِمَا نالهم من رحمته، هذه الرحمة ينالها من خاف ربه، فامتثل أمره، واجتنب نهيه.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• الإخلاص في العبادة من شروط قَبولها.

• اتفاق الشرائع في الأصول مَدعاة لقبول الرسالة.

• الكفار شر الخليقة، والمؤمنون خيرها.

• خشية الله سبب في رضاه عن عبده.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة البينة

الكلمة	المعنى
مُنفكّين	تاركين كفرهم
البيّنة	العلامة الواضحة التي وُعدوا بها في الكتب السابقة
صُحُفًا مطهّرة	كتبا منزهة عن الباطل محفوظة عن الشياطين
كُتبٌ قيّمة	أخبار صادقة وأحكام عادلة مكتوبة
حُنفاء	مائلين عن الكفر إلى الإسلام
دين القيّمة	الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام
البريّة	الخليقة
جنات عدن	بساتين إقامة دائمة واستقرار

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة البينة

فوائد عامة في سورة البيّنة:

عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا)»، قال: وسماني لك؟ قال: «نعم»، قال: فبكى. «صحيح البخاري» (٥/ ٣٦)، «صحيح مسلم» (١/ ٥٥٠).

قال ابن تيمية: «وأبي بن كعب أمر بتخصيصه بالتلاوة عليه لفضيلة أبي واختصاصه بعلم القرآن كما ثبت في الصحاح عن عمر أنه قال: (أبيّ أقرؤنا وعليّ أقضانا)». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٤٨٢).

(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكّين حتى تأتيهم البيّنة):

قال ابن عطية: «قال مجاهد وغيره: لم يكونوا مُنْفَكِّينَ عن الكفر والضلال حتى جاءتهم البينة...

وقال الفراء وغيره: لم يكونوا مُنْفَكِّينَ عن معرفة صحة نبوة محمد عليه السلام، والتوكف لأمره حتى جاءتهم البينة تفرقوا عند ذلك...

ويتجه في معنى الآية قول ثالث بارع المعنى، وذلك أن يكون المراد: لم يكن هؤلاء القوم مُنْفَكِّينَ من أمر الله تعالى وقدرته ونظره لهم حتى يبعث إليهم رسولا منذرا تقوم عليهم به الحجة، وتتم على من آمن النعمة، فكأنه قال: ما كانوا ليتركوا سدى، ولهذا المعنى نظائر في كتاب الله تعالى». «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٠٧).

وقال ابن تيمية: «والمقصود أنهم لم يكونوا متروكين لا يؤمرون ولا ينهون ولا ترسل إليهم رسل، بل يفعلون ما شاءوا مما تهواه الأنفس. والمعنى أن الله ما يخليهم ولا يتركهم. فهو لا يفكهم حتى يبعث إليهم رسولا. وهذا كقوله {أيحسب الإنسان أن يترك سدى} لا يؤمر ولا ينهى. أي: أيظن أن هذا يكون؟ هذا ما لا يكون ألبتة؛ بل لا بد أن يؤمر وينهى. وقريب من ذلك قوله تعالى {إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون. وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم. أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما

مسرفين} ... من ظن أن الله لا يرسل إليه رسولا، وأنه يترك سدى مهملا لا يؤمر ولا ينهى، فهذا أيضا مما ذمه الله، إذ كان لا بد من إرسال الرسل وإنزال الكتب، كما أنه أيضا لا بد من الجزاء على الأعمال بالثواب والعقاب وقيام القيامة...

وإذا قيل: إن الآية تتضمن بعد ذلك المعنى الآخر: وهو أنهم لم يكونوا ليهتدوا ويعرفوا الحق ويؤمنوا حتى تأتيهم البينة، إذ لا طريق لهم إلى معرفة الحق إلا برسول يأتي من الله أيضا؛ أو لم يكونوا منتهين متعظين وإن عرفوا الحق حتى يأتيهم من الله من يذكرهم؛ فهذا المعنى لا يناقض ذاك.

بخلاف قول من قال: لم يكن المشركون وأهل الكتاب تاركين لمعرفة محمد ولذكره ولم يكونوا متفرقين فيه بل متفقين على الإيمان به حتى جاءتهم البينة فتركوا الإيمان به وتفرقوا. فإن هذا غير مراد قطعا. ومما يبين ذلك قوله {حتى تأتيهم البينة} ولم يقل (حتى أتتهم)، وأولئك لما لم يفهموا معنى الآية ظنوا أن الموضع موضع الماضي وأن المراد: ما انفكوا عما كانوا عليه إما من كفر وإما من إيمان حتى أتتهم البينة. فلما قيل {حتى تأتيهم البينة} أشكل عليهم. وقال بعضهم: لما تأتهم كلها. وأما على المعنى الصحيح فالموضع موضع المضارع، كقوله تعالى {ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب}. فإن المراد: ما كانوا مفكوكين متروكين حتى تأتيهم البينة». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٤٩٥-٥٠٦).

وقال ابن عثيمين: «{أهل الكتاب} هم اليهود والنصارى، سموا بذلك لأن صحفهم بقيت إلى أن بعث النبي صلى الله عليه وسلّم، مع ما فيها من التحريف والتبديل والتغيير، ولكن هم أهل الكتاب، فاليهود لهم التوراة، والنصارى لهم الإنجيل». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٧٦).

وقال ابن عثيمين: «والبينة: ما يبين به الحق في كل شيء، فكل شيء يبين به الحق فإنه يسمى بينة، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «البينة على المدعي»... ويكون في كل شيء بحسبه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٧٦).

(رسول من الله يتلو صحفا مطهرة * فيها كتب قيّمة):

قال ابن عثيمين: «{مطهرة} أي: منقاة من الشرك، ومن رذائل الأخلاق، ومن كل ما يسوء، لأنها نزيهة مقدسة {فيها} أي: في هذه الصحف {كتب قيمة}... والمعنى أن في هذه الصحف مكتوبات قيمة كتبها الله عز وجل، ومن المعلوم أن الإنسان إذا تصفح القرآن وجده كذلك، وجده يتضمن كتباً أي مكتوبات قيمة، انظر إلى ما جاء به القرآن من توحيد الله عز وجل، والثناء عليه، وحمده، وتسبيحه، تجده مملوءاً بذلك، انظر إلى ما في القرآن من وصف النبي صلى الله عليه وسلّم، ووصف أصحابه المهاجرين والأنصار، ووصف التابعين لهم بإحسان، انظر إلى ما جاء به القرآن من الأمر بالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وغير ذلك من الأخلاق الفاضلة، تجد أن كل ما جاء به القرآن فهو قيم بنفسه، وكذلك هو مقيم لغيره {فيها كتب قيمة}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٧٧).

(وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البيّنة):

قال ابن جُزيّ: «وإنما خص الذين أوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوّة سيدنا محمد صلى الله عليه تعالى وآله وسلم، بما يجدون في كتبهم من ذكره». «التسهيل لعلوم التنزيل» (٢/ ٥٠١).

وقال السعدي: «فإذا جاءتهم هذه البينة، فحينئذ يتبين طالب الحق ممن ليس له مقصد في طلبه، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيّ عن بينة». «تفسير السعدي» (ص٩٣١).

(وما أُمِروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة):

قال ابن جرير: «وما أمر الله هؤلاء اليهود والنصارى الذين هم أهل الكتاب إلا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين؛ يقول: مفردين له الطاعة، لا يخلطون طاعتهم ربهم بشرك، فأشركت اليهود بربها بقولهم إن عزيرا ابن الله، والنصارى بقولهم في المسيح مثل ذلك، وجحودهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٤١).

وقال البغوي: «{دين القيمة} أي: الملة والشريعة المستقيمة. أضاف الدين إلى القيمة وهي نعته، لاختلاف اللفظين، وأنّث (القيمة) ردا بها إلى الملة.

وقيل: الهاء فيه للمبالغة.

وقيل: (القيمة) هي الكتب التي جرى ذكرها، أي: وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو إليه وتأمر به، كما قال: (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه).

قال النضر بن شميل: سألت الخليل بن أحمد عن قوله: (وذلك دين القيمة)؟ فقال: (القيمة) جمع القيم، والقيم والقائم واحد، ومجاز الآية: وذلك دين القائمين لله بالتوحيد». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٩٦).

(إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شرّ البريّة):

قال ابن عثيمين: «{في نار جهنم} أي: في النار التي تسمى جهنم، وسميت جهنم لبعد قعرها، وسوادها، فهو مأخوذ من الجُهمة، وقيل: إنه اسم أعجمي عرّبته العرب». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٧٨).

وقال ابن عثيمين: «اليهود والنصارى كفار حين لم يؤمنوا برسول الله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وإن قالوا: إنهم مؤمنون بالله واليوم الآخر، ويدعون لموتاهم بالرحمة، وما أشبه ذلك من العبارات التي يتزلفون بها، فإنهم كاذبون، إذ لو كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر لآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلّم، بل لآمنوا برسلهم، لأن النبي صلى الله عليه وسلّم قد وجد وصفه في التوراة والإنجيل، كما قال الله تبارك وتعالى في سورة الأعراف: {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث} . بل إن عيسى صلى الله عليه وسلّم قال لبني إسرائيل: {يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد} . فلما جاء هذا الرسول الذي

بشر به عيسى بالبينات، قالوا: هذا سحر مبين، وكذّبوه ولم يتبعوه إلا نفراً قليلاً من اليهود والنصارى». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٧٩).

وقال ابن عثيمين: «{أولئك هم شر البرية} أي: شر الخليقة؛ لأن البرية هي الخليقة، وعلى هذا فيكون الكفار من بني آدم من (اليهود والنصارى والمشركين) شر البرية، (شر الخلائق) وقد بين الله ذلك تماماً في قوله: {إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون}. وقال تعالى: {إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون، ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون}. فهؤلاء الكفار من اليهود والنصارى والمشركين هم شر البرية عند الله عز وجل». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٧٩-٢٨٠).

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة):

«عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبركم بخير البرية؟) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، كلما كانت هيعة استوى عليه، ألا أخبركم بالذي يليه؟) قالوا: بلى، قال: (رجل في ثلة من غنمه، يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ألا أخبركم بشر البرية؟) قالوا: بلى، قال: (الذي يسأل بالله ولا يعطي به)». «مسند أحمد» (١٥/ ٧٢).

وقال ابن كثير: «وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء، على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة؛ لقوله: {أولئك هم خير البرية}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٥٨).

وقال ابن عثيمين: «القرآن الكريم مثاني: تثنّى فيه المعاني، فيؤتى بالمعنى وما يقابله، ويأتي بأصحاب النار وأصحاب الجنة، ويأتي بآيات الترهيب وآيات الترغيب، وهلمّ جرا، لأجل أن يكون الإنسان سائراً إلى الله عز وجل بين الخوف والرجاء، ولئلا يملّ، فإن تنويع الأساليب وتنويع المواضيع لا شك أنه يعطي

النفس قوة واندفاعـاً، بخلاف ما لو كان الكلام على وتيرة واحدة، فإن الإنسان قد يمل ولا تتحرك نفسه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٨٠).

(جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا):

قال ابن عثيمين: {جنات} جمعها لاختلاف أنواعها، لأن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: إن الجنات «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما»، وإلى هذا يشير قول الله تعالى: {ولمن خاف مقام ربه جنتان}. ثم ذكر أوصاف هاتين الجنتين، ثم قال: {ومن دونهما جنتان}. فلهم جنات، والجنات التي ذكرها الله تعالى جزاء للمؤمنين العاملين الصالحات هي عبارة عن منازل عظيمة أعدها الله عز وجل للمؤمنين المتقين، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولا يمكن لإنسان في هذه الدنيا أن يتصور كيف نعيم الآخرة أبداً، لأنه أعلى وأجل مما نتصور، قال ابن عباس رضي الله عنهما (ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء)...

{جنات عدن} العدن: بمعنى الإقامة في المكان وعدم النزوح عنه، ومن تمام نعيم أهل الجنة أن كل واحد منهم لا يطلب تحولاً عما هو عليه من النعيم، لأنه لا يرى أن أحداً أكمل منه، ولا يحس في قلبه أنه في غضاضة بالنسبة لمن هو أرقى منه وأكمل، قال الله تبارك وتعالى: {لا يبغون عنها حولاً}. أي: لا يبغون تحولاً عما هم عليه؛ لأن الله قد أقنعهم بما أعطاهم، فلا يجدون أحداً أكمل نعيماً منهم، ولهذا سمى الله تعالى هذه الجنات جنات عدن...

والأنهار التي ذكرها الله عز وجل هنا مجملة فصّلها في سورة (محمد) فقال: {مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى}. وقد جاء في الآثار من وصف هذه الأنهار أنها تجري بغير أخدود وبغير خنادق، بمعنى أن النهر يجري على سطح الأرض، يتوجه حيث وجهه الإنسان، ولا يحتاج إلى شق خنادق، ولا إلى بناء أخدود، تمنع سيلان الماء يميناً وشمالاً، وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله في كتابه النونية:

أنهارها من غير أخدود جرت ..... سبحان ممسكها عن الفيضان...

{خالدين فيها أبداً} أي: ماكثين فيها أبداً، لا يموتون، ولا يمرضون، ولا ييأسون، ولا يألمون، ولا يحزنون، ولا يمسهم فيها نصب، فهم في أكمل النعيم دائمـًا وأبداً». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٨١-٢٨٣).

(رضي الله عنهم ورضوا عنه):

قال البغوي: «الرضا ينقسم إلى قسمين: رضا به ورضا عنه، فالرضا به: ربا ومدبرا، والرضا عنه: فيما يقضي ويقدر. قال السدي رحمه الله: إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك؟». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٩٧).

وقال البقاعي: «{ورضوا عنه} لأنهم لم يبق لهم أمنية إلا أعطاهموها، مع علمهم أنه متفضل في جميع ذلك، لا يجب عليه لأحد شيء، ولا يقدره أحد حق قدره، فلو أخذ الخلق بما يستحقونه أهلكهم، وأعظم نعمه عليهم ما منّ عليهم به من متابعتهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن ذلك كان سبباً لكل خير». «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (٢٢/ ١٩٨).

وقال ابن عثيمين: «{رضي الله عنهم ورضوا عنه} وهذا أكمل نعيم أن الله تعالى يرضى عنهم، فيحل عليهم رضوانه، فلا يسخط بعده أبداً». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٨٣).

(ذلك لمن خشي ربّه):

قال البقاعي: «من خاف ربه هذا الخوف انفك من جميع ما عنده مما لا يليق بجنابه سبحانه، ولم يقدح في البينة ولا توقف فيها، وما فارق الخوف قلبـًا إلا خرب». «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (٢٢/ ١٩٩).

وقال الألوسي: «الخشية ملاك السعادة الحقيقية، والفوز بالمراتب العلية؛ إذ لولاها لم تُترك المناهي والمعاصي، ولا استُعد ليوم يؤخذ فيه بالأقدام والنواصي». «روح المعاني» (١٥/ ٤٣١).

وقال ابن عثيمين: «الخشية هي خوف الله عز وجل المقرون بالهيبة والتعظيم، ولا يصدر ذلك إلا من عالم بالله، كما قال تعالى: {إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور}. أي: العلماء بعظمته وكمال سلطانه، فالخشية أخص من الخوف، ويتضح الفرق بينهما بالمثال: إذا خفت من شخص لا تدري هل هو قادر عليك أم لا؟ فهذا خوف، وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٨٣).

الوقف والابتداء في سورة البينة:

الآية الأولى: (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكّين حتى تأتيهم البيّنة):

لا وقف فيها، لأنها نفي (لم)، تضمن جملة (يكن)، واسمها (الذين كفروا...)، وخبرها (منفكّين)، وغاية للنفي (حتى تأتيهم البيّنة).

والوقف الاضطراري فيها لمن احتاج إليه (منفكّين)، ثم يعود فيقرأ (منفكّين حتى تأتيهم البيّنة).

الآية الثانية: (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة):

لا وقف فيها، وهي آية قصيرة لا تحتاج إلى وقف.

الآية الثالثة: (فيها كتب قيّمة):

لا وقف فيها، وهي آية قصيرة لا تحتاج إلى وقف.

الآية الرابعة: (وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البيّنة):

لا وقف فيها؛ لأنها تضمنت حصرا بالنفي ثم الاستثناء (وما تفرّق... إلا من بعد)، فهي جملة واحدة إلى نهاية الآية.

الآية الخامسة: (وما أُمِروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة):

لا يصح الوقف على (ليعبدوا الله)؛ لأن (مخلصين) حال من فاعل (يعبدوا).

ولا يصح الوقف على (حنفاء)؛ كما نصّ عليه الأشموني؛ لأن ما بعدها معطوف على (ليعبدوا) منصوب مثله بحذف النون، كأنه قال: (ليعبدوا... وليقيموا... وليؤتوا)، وهو من تتمة ما أمروا به.

ويصح الوقف على قول الله تعالى: (ويؤتوا الزكاة)؛ كما نصّ عليه بعض علماء الوقف والابتداء؛ لأن جملة النفي وما ارتبط بها من استثناء وما عُطف عليه انتهت هنا، ثم جاءت جملة اسمية مستأنفة في قوله: (وذلك دين القيّمة).

وإذا أراد أن يقف وقفا حسنا قبل هذا فله أن يقف على (حنفاء) ثم يربط من (مخلصين له الدين).

الآية السادسة: (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البريّة):

لا يصح الوقف على (في نار جهنم) كما نصّ عليه الأشموني؛ لأن (خالدين) حال مما قبله.

ويصح الوقف على قول الله تعالى: (خالدين فيها)، كما نصّ عليه السجاوندي والأشموني؛ لأن جملة (إنّ) قد انتهت هنا باسمها وخبرها والحال المتصل بها، ثم جاءت جملة اسمية مستأنفة في قوله: (أولئك هم شر البريّة)، فصحّ الابتداء بها.

الآية السابعة: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة):

لا وقف فيها؛ لأنها كلّها جملة (إنّ)، فاسمها (الذين آمنوا...)، وخبرها (أولئك هم خير البريّة).

الآية الأخيرة: (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربّه):

لا يصح الوقف على (جنات عدن)، لأن جملة (تجري من تحتها الأنهار) حال من (جنات).

ولا يصح الوقف على (الأنهار)، كما نصّ عليه الأشموني؛ لأن قوله (خالدين) حال مما قبله.

ويصح الوقف على قول الله تعالى: (خالدين فيها أبدا)، كما نصّ عليه بعض علماء الوقف والابتداء؛ لأنه قد انتهى ذكر نعيم الجنة هنا، ثم جاءت جملة فعلية مستأنفة تضمنت ذكر رضى الله عنهم ورضاهم عنه.

ويصح الوقف على قول الله تعالى: (رضي الله عنهم ورضوا عنه)، كما نصّ عليه عامّة علماء الوقف والابتداء؛ لأن الجملة الفعلية قد انتهت هنا، ثم جاءت جملة اسمية مستأنفة في قوله (ذلك لمن خشي ربه).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة البينة

١- حجج الله بينة واضحة جلية ظاهرة لمن تأمّلها وتدبّرها، فاحرص على تدبّر كلام الله وتفهّم حججه في العقائد والأحكام والآداب بحسن قصد وسلامة طويّة، ليتبين لك الهدى من الضلال، وتسمو في درجات اليقين، وتسلم بدينك وإيمانك من فتن الشبهات والشهوات، ولتكن هذه الحجج الباهرة سلاحا لك في دعوة أهل الكفر والضلال إلى الهدى والرشاد (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكّين حتى تأتيهم البيّنة * رسول من الله يتلو صحفا مطهّرة * فيها كتب قيّمة).

٢- دينك دين قيّم، اشتمل على شرائع قيّمة، بها تحصّل حاجاتك الروحية والنفسية والبدنية والعقلية والاقتصادية والاجتماعية، فتمسّك به معتزّا به (فيها كتب قيّمة)، (وذلك دين القيّمة).

٣- مرضى القلوب لا تنفع معهم الحجج الظاهرة والدلائل الباهرة مهما بلغوا من العلم، فاحرص على سلامة قلبك حتى يكون وعاء طيبا يقبل كل طيب (وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البيّنة).

٤- الإخلاص لله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة أساس الإسلام، وعنوان الإيمان، ودليل التقوى، وبرهان اليقين، فراقب نفسك فيها، واحرص على إكمالها وإحسانها وإتقانها، حتى تكون مؤدّيا لحق الله وحق خلقه (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة).

٥- يجب أن تعتقد أن الكافر الذي بلغه الإسلام ولم يسلم ومات على كفره أن مصيره النار يوم القيامة، مهما كان محسنا إلى المحتاجين بماله، أو خادما للبشرية بعلمه، أو مدافعا عن حقوق الناس بفكره؛ فإن ذلك لا ينفعه؛ لأنه ضيّع أكبر حق واجب عليه، وهو حق ربه الذي خلقه وأعدّه وأمدّه وأحسن إليه، فلا ينفعه أداء الحقوق الثانوية بعد إضاعة الحق الأكبر (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البريّة).

٦- من أعظم صفات المؤمن في هذه الدنيا أنه يخشى ربه، وهذه الخشية ناتجة عن معرفة الله وتعظيمه وإجلاله، فينتج عنها عمارة القلب بالإيمان، فيثمر ذلك صلاحَ الجوارح بالأعمال، فيكرمه الله في الآخرة بجنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدا فيها أبدا، وأعظم من ذلك وأكبر رضوان الله عليه ورضاه عن ربه، فما أعظمه من نعيم! (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة التين والقدر من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة التين: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] امتنان الله على الإنسان باستقامة فطرته وخلقته، وكمال الرسالة الخاتمة.

(والتين والزيتون)

١- أقسم الله بالتين ومكان نباته، وبالزيتون ومكان نباته في أرض فلسطين التي بُعث فيها عيسى عليه السلام.

(وطور سينين)

٢ - وأقسم بجبل سيناء الَّذي ناجى عنده نبيه موسى عليه السلام.

(وهذا البلد الأمين)

٣ - وأقسم بمكة البلد الحرام الَّذي يأمن من دخل فيه الَّذي بُعث فيه محمد - صلى الله عليه وسلم -.

(لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم)

٤ - لقد أوجدنا الإنسان في أعدل خلق وأفضل صورة.

(ثم رددناه أسفل سافلين)

٥ - ثم أرجعناه إلى الهرم والخرف في الدنيا، فلا ينتفع بجسده، كما لا ينتفع به إذا أفسد فطرته وصار إلى النار.

(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون)

٦ - إلا الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات فإنهم وإن هرموا فلهم ثواب دائم غير مقطوع، وهو الجنّة؛ لأنهم زكوا فطرهم.

(فما يكذبك بعد بالدين)

٧ - فأي شيء يحملك -أيها الانسان- على التكذيب بيوم الجزاء بعدما عاينت من علامات قدرته الكثيرة؟!

(أليس الله بأحكم الحاكمين)

٨ - أليس الله -بجعل يوم القيامة يومًا للجزاء- بأحكم الحاكمين وأعدلهم؟! أيعقل أن يترك الله عباده سدى دون أن يحكم بينهم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته؟!.

سورة القدر: مَكيّة:

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] بيان فضل ليلة القدر.

(إنا أنزلناه في ليلة القدر)

١ - إنا أنزلنا القرآن جملة إلى السماء الدنيا كما ابتدأنا إنزاله على النبي - صلى الله عليه وسلم - في ليلة القدر من شهر رمضان.

(وما أدراك ما ليلة القدر)

٢ - وهل تدري -أيها النبي- ما في هذه الليلة من الخير والبركة؟!

(ليلة القدر خير من ألف شهر)

٣ - هذه الليلة ليلة عظيمة الخير، فهي خير من ألف شهر لمن قامها إيمانًا واحتسابًا.

(تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر)

٤ - تنزل الملائكة وينزل جبريل عليه السلام فيها بإذن ربهم سبحانه بكلّ أمر قضاه الله في تلك السنة رزقًا كان أو موتًا أو ولادة أو غير ذلك مما يقدره الله.

(سلام هي حتى مطلع الفجر)

٥ - هذه الليلة المباركة خير كلها من ابتدائها حتَّى نهايتها بطلوع الفجر.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• فضل ليلة القدر على سائر ليالي العام.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة التين والقدر

الكلمة	المعنى
والتين والزيتون	قسَم بمنبتهما من الأرض المباركة التي بُعث فيها عيسى عليه السلام
وطورِ سينين	قسَم بجبل طور سيناء الذي كلّم الله فيه موسى عليه السلام
وهذا البلد الأمين	قسَم بمكة المكرمة التي بُعث فيها محمد صلى الله عليه وسلم
أحسنِ تقويم	أكملِ خِلقة وأحسنِ صورة
أسفلَ سافلين	النار، أو: الهرَمَ والكِبَر
غيرُ مَمنُون	غيرُ مقطوعٍ ولا منقوص
بالدِّين	بالبعثِ والحسابِ والجزاءِ يوم القيامة
أنزلناه	ابتدأنا إنزاله، أو: أنزلناه كاملا جملة واحدة إلى السماء الدنيا
ليلةُ القدْر	ليلةُ الشرف والمكانة وكتابة المقادير
خيرٌ من ألف شهر	عملٌ فيها خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر
تنزّل	تنزل بكثرة
والرُّوح	وجبريل عليه السلام
من كل أمر	بكل أمر قضاه الله وقدّره في تلك السنة إلى ليلة القدر القادمة

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة التين والقدر

فوائد عامة في سورة التين:

عن البراء قال: «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في العشاء: {والتين والزيتون}، فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه». «صحيح البخاري» (٩/ ١٥٨).

(والتين والزيتون):

قال البغوي: «خصّ التين بالقسم؛ لأنها فاكهة مخلصة لا عجم لها، شبيهة بفواكه الجنة. وخص الزيتون لكثرة منافعه، ولأنه شجرة مباركة جاء بها الحديث، وهو ثمر ودهن، يصلح للاصطباغ والاصطباح». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٦٨).

وقال ابن تيمية: «في القرآن يمتن الله على عباده بنعمه التي لم تكن بأرض الحجاز، كقوله تعالى: {فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الأرض شقا. فأنبتنا فيها حبا. وعنبا وقضبا. وزيتونا ونخلا. وحدائق غلبا. وفاكهة وأبا}. ولم يكن بأرض الحجاز زيتون، ولا نُقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أكل زيتونا. ولكن لعل الزيت كان يُجلب إليهم. وقد قال تعالى: {والتين والزيتون} ولم يكن بأرضهم لا هذا ولا هذا، ولا نُقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أكل منهما، وكذلك قوله: {وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين}، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (كلوا الزيت وادّهنوا به، فإنه من شجرة مباركة)». «مجموع الفتاوى» (٢١/ ٣١٥-٣١٦).

(وهذا البلد الأمين):

قال ابن القيم: «ولو لم يكن البلد الأمين خيرَ بلاده، وأحبَّها إليه، ومختارَه من البلاد= لما جعل عرصاتها مناسك لعباده، وفرَض عليهم قصدها، وجعل ذلك من آكد فروض الإسلام، وأقسم به في كتابه في موضعين منه فقال: {وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ}، وقال تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}. وليس على وجه الأرض

بقعة يجب على كلِّ قادر السعيُ إليها والطوافُ بالبيت الذي فيها غيرها. وليس على وجه الأرض موضع يُشرَع تقبيلُه واستلامه، ويَحُطُّ الخطايا والأوزارَ غير الحجر الأسود والركن اليماني.

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة. ففي النسائي والمسند بإسناد صحيح عن عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة». ورواه ابن حبان في صحيحه. وهذا صريح في أن المسجد الحرام أفضل بقاع الأرض على الإطلاق، ولذلك كان شدُّ الرحال إليه فرضًا، وإلى غيره إنما يُستحَبّ ولا يجب». «زاد المعاد في هدي خير العباد» (١/ ٢٣-٢٤).

(لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم):

«عن ابن عباس (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) قال: خلق كلّ شيء منكبا على وجهه، إلا الإنسان». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٠٨).

وقال البغوي: «{لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم} أي: أعدل قامة وأحسن صورة، وذلك أنه خلق كل حيوان منكبا على وجهه إلا الإنسان، خلقه مديد القامة، يتناول مأكوله بيده، مزينا بالعقل والتمييز». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٧٢).

وقال السعدي: «{لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} أي: تام الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهرًا أو باطنًا شيئًا، ومع هذه النعم العظيمة التي ينبغي منه القيام بشكرها، فأكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم، مشتغلون باللهو واللعب، قد رضوا لأنفسهم بأسافل الأمور، وسفساف الأخلاق». «تفسير السعدي» (ص٩٢٩).

(ثم رددناه أسفل سافلين):

قال البغوي: «{ثم رددناه أسفل سافلين} يريد إلى الهرم وأرذل العمر، فينقص عقله ويضعف بدنه، والسافلون: هم الضعفاء والزمنى والأطفال، فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا...

وقال الحسن، وقتادة، ومجاهد: يعني: ثم رددناه إلى النار، يعني إلى أسفل السافلين، لأن جهنم بعضها أسفل من بعض. قال أبو العالية: يعني: إلى النار في شر صورة، في صورة خنزير. ثم استثنى فقال: {إلا الذين آمنوا} فإنهم لا يردون إلى النار.

ومن قال بالقول الأول قال: (رددناه أسفل سافلين)، فزالت عقولهم، وانقطعت أعمالهم، فلا يكتب لهم حسنة (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فإنه يكتب لهم بعد الهرم والخرف، مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة.

قال ابن عباس: هم نفر ردوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى عذرهم. وأخبر أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم.

قال عكرمة: لم يضر هذا الشيخ كبره؛ إذ ختم الله له بأحسن ما كان يعمل.

وروى عاصم الأحول عن عكرمة عن ابن عباس قال: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال: (إلا الذين آمنوا) قرؤوا القرآن، وقال: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر، {فلهم أجر غير ممنون} غير مقطوع، لأنه يكتب له كصالح ما كان يعمل. قال الضحاك: أجر بغير عمل». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٧٢).

وقال ابن تيمية: «وفي قوله {أسفل سافلين} قولان: قيل: الهرم. وقيل: العذاب بعد الموت، وهذا هو الذي دلت عليه الآية قطعا. فإنه جعله في أسفل سافلين إلا المؤمنين. والناس نوعان: فالكافر بعد الموت يعذب في أسفل سافلين، والمؤمن في عليين.

وأما القول الأول ففيه نظر، فإنه ليس كل مَن سوى المؤمنين يهرم فيرد إلى أسفل سافلين، بل كثير من الكفار يموت قبل الهرم، وكثير من المؤمنين يهرم، وإن كان حال المؤمن في الهرم أحسن حالا من

الكافر، فكذلك في الشباب حال المؤمن أحسن من حال الكافر، فجعْل الرد إلى أسفل سافلين في آخر العمر وتخصيصه بالكفار ضعيف...

ومعلوم أن الطفل ليس هو في أسفل سافلين، فالشيخ كذلك وأولى. وإنما في أسفل سافلين مَن يكون في سجّين لا في عليين، كما قال تعالى {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار}.

ومما يبين ذلك قوله {فما يكذبك بعد بالدين} فإنه يقتضي ارتباط هذا بما قبله لذكره بحرف الفاء. ولو كان المذكور إنما هو رده إلى الهرم دون ما بعد الموت لم يكن هناك تعرض للدين والجزاء، بخلاف ما إذا كان المذكور أنه بعد الموت يرد إلى أسفل سافلين غير المؤمن المصلح. فإن هذا يتضمن الخبر بأن الله يَدِين العباد بعد الموت، فيكرم المؤمنين ويهين الكافرين.

وأيضا، فإنه سبحانه أقسم على ذلك بأقسام عظيمة: بالتين والزيتون، وطور سينين، وهذا البلد الأمين. وهي المواضع التي جاء منها محمد والمسيح وموسى عليهم السلام، وأرسل الله بها هؤلاء الرسل مبشرين ومنذرين. وهذا الإقسام لا يكون على مجرد الهرم الذي يعرفه كل أحد، بل على الأمور الغائبة التي تؤكد بالأقسام. فإن إقسام الله هو على أنباء الغيب. وفي نفس المقسم به وهو إرسال هؤلاء الرسل تحقيق للمقسم عليه، وهو الثواب والعقاب بعد الموت؛ لأن الرسل أخبروا به. وهو يتضمن أيضا الجزاء في الدنيا كإهلاك من أهلكهم من الكفار. فإنه ردهم إلى أسفل سافلين بهلاكهم في الدنيا. وهو تنبيه على زوال النعم إذا حصلت المعاصي، كمن رد في الدنيا إلى أسفل جزاء على ذنوبه». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢٧٩-٢٨١).

وقال ابن عثيمين: «{في أحسن تقويم} في أحسن هيئة وخِلقة، و {في أحسن تقويم} فطرة وقصداً، لأنه لا يوجد أحد من المخلوقات أحسن من بني آدم خلقة، فالمخلوقات الأرضية كلها دون بني آدم في الخلقة، لأن الله تعالى قال: {لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم}.

قوله: {ثم رددناه أسفل سافلين} هذه الردة التي ذكرها الله عز وجل تعني أن الله تعالى يرد الإنسان أسفل سافلين خِلقة، كما قال الله تعالى: {ومنكم من يرد إلى أرذل العمر}. فكلما ازدادت السن في الإنسان تغير إلى أردأ في القوة الجسدية، وفي الهيئة الجسدية، وفي نضارة الوجه، وغير ذلك، يرد أسفل سافلين.

وإذا قلنا: إن أحسن تقويم تشمل حتى الفطرة التي جبل الله الخلق عليها، والعبادة التي تترتب أو تنبني على هذه الفطرة، فإن هذا إشارة إلى أن من الناس من تعود به حاله ـ والعياذ بالله ـ إلى أن يكون أسفل سافلين بعد أن كان في الأعلى والقمة من الإيمان والعلم، والآية تشمل المعنيين جميعـًا.

ثم قال تعالى: {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون} هذا استثناء من قوله: {ثم رددناه أسفل سافلين}، يعني: إلا المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنهم لا يردون إلى أسفل السافلين، لأنهم متمسكون بإيمانهم وأعمالهم، فيبقون عليها إلى أن يموتوا...

ولهذا كلما نظر الإنسان إلى نفسه وأصله وخلقته، وأن الله اجتباه وأحسن خلقته، وأحسن فطرته فإنه يزداد إيمانـًا بالله عز وجل، وتصديقـًا بكتابه وبما أخبرت به رسله». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٥٣-٢٥٤).

(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون):

«عن ابن عباس: (إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يقول: إذا كان يعمل بطاعة الله في شبيبته كلها، ثم كبر حتى ذهب عقله، كُتب له مثل عمله الصالح الذي كان يعمل في شبيبته، ولم يُؤاخذ بشيء مما عمل في كبره وذهاب عقله، من أجل أنه مؤمن وكان يطيع الله في شبيبته». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥١١).

(فما يكذّبك بعد بالدّين):

قال ابن كثير: «{فما يكذبك} يعني: يا ابن آدم {بعد بالدين}؟ أي: بالجزاء في المعاد، وقد علمت البدأة، وعرفت أنّ من قدر على البدأة، فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى، فأي شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا؟...

عن منصور قال: قلت لمجاهد: {فما يكذّبك بعد بالدين} عنى به النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: معاذ الله! عنى به الإنسان. وهكذا قال عكرمة وغيره». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٣٥).

(أليس الله بأحكم الحاكمين):

قال السعدي: «{أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} فهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سدى لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون؟ أم الذي خلق الإنسان أطوارًا بعد أطوار، وأوصل إليهم من النعم والخير والبر ما لا يحصونه، ورباهم التربية الحسنة، لا بد أن يعيدهم إلى دار هي مستقرهم وغايتهم، التي إليها يقصدون، ونحوها يَؤُمّون». «تفسير السعدي» (ص٩٣٠).

وقال ابن عثيمين: «وأحكم هنا اسم تفضيل، وهو مأخوذ من الحكمة، ومن الحُكم، فالحُكم الأكبر الأعظم الذي لا يعارضه شيء هو حُكم الله عز وجل، والحكمة العليا البالغة هي حكمة الله عز وجل، فهو سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين قدراً وشرعـًا، وله الحكم، وإليه يرجع الأمر كله». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٥٤).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة: (والتين والزيتون) فقرأ: {أليس الله بأحكم الحاكمين} فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين». «مسند أحمد» (١٢/ ٣٥٣)، «سنن أبي داود» (٢/ ١٦٣)، «سنن الترمذي» (٥/ ٣٠٠).

(إنا أنزلناه في ليلة القدر):

«عن ابن عباس، قال: نزل القرآن كله مرة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا، فكان الله إذا أراد أن يُحْدِث في الأرض شيئًا أنزله منه، حتى جمعه». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٣١).

وقال البغوي: «سميت ليلة القدر؛ لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام، يقدّر الله فيها أمر السنة في عباده وبلاده إلى السنة المقبلة، كقوله تعالى: (فيها يفرق كل أمر حكيم)...

قيل للحسين بن الفضل: أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: بلى، قيل: فما معنى ليلة القدر؟ قال: سوق المقادير إلى المواقيت، وتنفيذ القضاء المقدّر.

وقال الأزهري: ليلة القدر: أي: ليلة العظمة والشرف، من قول الناس: لفلان عند الأمير قدر، أي: جاه ومنزلة، ويقال: قدّرت فلانا، أي: عظّمته. قال الله تعالى: (وما قدَروا الله حق قدره)، أي: ما عظموه حق تعظيمه.

وقيل: لأن العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٨٢-٤٨٣).

وقال ابن عثيمين: «{إنا أنزلناه} الضمير هنا يعود إلى الله عز وجل، والهاء في قوله {أنزلناه} يعود إلى القرآن، وذكر الله تعالى نفسه بالعظمة {إنا أنزلناه} لأنه سبحانه وتعالى العظيم الذي لا شيء أعظم منه، والله تعالى يذكر نفسه أحياناً بصيغة العظمة، مثل هذه الآية الكريمة {إنا أنزلناه في ليلة القدر}، ومثل قوله تعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}، ومثل قوله تعالى: {إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدّموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين}. وأحياناً يذكر نفسه بصيغة الواحد، مثل {إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري}. وذلك لأنه واحد عظيم، فباعتبار الصفة يأتي ضمير العظمة، وباعتبار الوحدانية يأتي ضمير الواحد.

والضمير في قوله: {أنزلناه} ضمير المفعول به وهي الهاء يعود إلى القرآن، وإن لم يسبق له ذكر؛ لأن هذا أمر معلوم، ولا يمتري أحد في أن المراد بذلك إنزال القرآن». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٦٨).

وقال ابن عثيمين: «ليلة القدر في رمضان، لا شك في هذا، ودليل ذلك قوله تعالى: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان}، فإذا جمعت هذه الآية – أعني: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن}، إلى هذه الآية: {إنا أنزلناه في ليلة القدر}، تبين أن ليلة القدر في رمضان، وبهذا نعرف أن ما اشتهر عند بعض العامة من أن ليلة القدر هي ليلة النصف من شهر شعبان لا أصل له، ولا حقيقة له». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٦٩).

(وما أدراك ما ليلة القدر):

قال ابن عثيمين: «{وما أدراك ما ليلة القدر} هذه الجملة بهذه الصيغة يستفاد منها التعظيم والتفخيم، وهي مطّردة في القرآن الكريم، قال الله تعالى: {وما أدراك ما يوم الدين. ثم ما أدراك ما يوم الدين}، وقال تعالى: {الحاقة. ما الحاقة. وما أدراك ما الحاقة}، {القارعة. ما القارعة. وما أدراك ما القارعة}، فهذه الصيغة تعني التفخيم والتعظيم». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٧٠).

(ليلة القدر خير من ألف شهر):

قال السعدي: «أي: تعادل من فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها، خير من العمل في ألف شهر خالية منها، وهذا مما تتحير فيه الألباب، وتندهش له العقول، حيث منّ تبارك وتعالى على هذه الأمة الضعيفة القوة والقوى، بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد على ألف شهر، عمرَ رجل معمّر عمرًا طويلا، نيفًا وثمانين سنة». «تفسير السعدي» (ص٩٣١).

(تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر):

قال ابن كثير: «{تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر} أي: يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٤٤).

وقال ابن عثيمين: «نزول الملائكة في الأرض عنوان على الرحمة والخير والبركة، ولهذا إذا امتنعت الملائكة من دخول شيء كان ذلك دليلاً على أن هذا المكان الذي امتنعت الملائكة من دخوله قد يخلو من الخير والبركة، كالمكان الذي فيه الصور، فإن الملائكة لا تدخل بيتـًا فيه صورة». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٧١).

(سلام هي حتى مطلع الفجر):

قال البغوي: «{سلام} قال عطاء: يريد: سلام على أولياء الله وأهل طاعته.

وقال الشعبي: هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حيث تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر.

وقال الكلبي: الملائكة ينزلون فيه، كلما لقوا مؤمنا أو مؤمنة سلّموا عليه من ربه، حتى يطلع الفجر». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٩١).

وقال ابن كثير: «وقد حكي عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن، من قوله: {هي} لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة، والله أعلم». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٤٨).

وقال ابن عثيمين: «وصفها الله تعالى بالسلام، لكثرة من يسلم فيها من الآثام وعقوباتها، قال النبي صلى الله عليه وسلّم: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، ومغفرة الذنوب لا شك أنها سلامة من وبائها وعقوباتها». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٧٢).

وقال ابن عثيمين: «وفي هذه السورة الكريمة فضائل متعددة لليلة القدر:

الفضيلة الأولى: أن الله أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

الفضيلة الثانية: ما يدل عليه الاستفهام من التفخيم والتعظيم في قوله: {وما أدراك ما ليلة القدر}.

الفضيلة الثالثة: أنها خير من ألف شهر.

الفضيلة الرابعة: أن الملائكة تتنزل فيها، وهم لا ينزلون إلا بالخير والبركة والرحمة.

الفضيلة الخامسة: أنها سلام، لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب بما يقوم به العبد من طاعة الله عز وجل.

الفضيلة السادسة: أن الله أنزل في فضلها سورة كاملة تتلى إلى يوم القيامة». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٧٤).

فضائل ليلة القدر ووقتها:

قال البغوي: «أبهم الله هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا في العبادة ليالي رمضان طمعا في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، واسمَه الأعظم في الأسماء، ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها، وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذرا من قيامها». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٨٢-٤٩٠).

وقال ابن تيمية: «ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان، هكذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هي في العشر الأواخر من رمضان». وتكون في الوتر منها:

لكن الوتر يكون باعتبار الماضي، فتطلب ليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين، وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين، وليلة تسع وعشرين.

ويكون باعتبار ما بقي، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لتاسعة تبقى، لسابعة تبقى، لخامسة تبقى، لثالثة تبقى». فعلى هذا إذا كان الشهر ثلاثين يكون ذلك ليالي الأشفاع. وتكون الاثنين وعشرين تاسعة تبقى، وليلة أربع وعشرين سابعة تبقى. وهكذا فسره أبو سعيد الخدري في الحديث الصحيح. وهكذا أقام النبي صلى الله عليه وسلم في الشهر. وإن كان الشهر تسعا وعشرين، كان التاريخ بالباقي كالتاريخ بالماضي.

وإذا كان الأمر هكذا فينبغي أن يتحراها المؤمن في العشر الأواخر جميعه. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تحروها في العشر الأواخر»، وتكون في السبع الأواخر أكثر، وأكثر ما تكون ليلة سبع وعشرين، كما كان أبي بن كعب يحلف أنها ليلة سبع وعشرين. فقيل له: بأي شيء علمت ذلك؟ فقال: بالآية التي أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، «أخبرنا أن الشمس تطلع صبيحتها كالطشت، لا شعاع لها».

فهذه العلامة التي رواها أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم من أشهر العلامات في الحديث، وقد روي في علاماتها: «أنها ليلة بلجة منيرة» وهي ساكنة، لا قوية الحر، ولا قوية البرد، وقد يكشفها الله

لبعض الناس في المنام أو اليقظة. فيرى أنوارها، أو يرى من يقول له هذه ليلة القدر، وقد يفتح على قلبه من المشاهدة ما يتبين به الأمر. والله تعالى أعلم». «الفتاوى الكبرى لابن تيمية» (٢/ ٤٧٥).

وقال ابن كثير: «اختلف العلماء: هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة، أو هي من خصائص هذه الأمة؟ على قولين:

قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري: حدثنا مالك: أنه بلغه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أري أعمار الناس قبله -أو: ما شاء الله من ذلك-فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر. وقد أُسند من وجه آخر، وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الأمة بليلة القدر، وقد نقله صاحب العدة أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء، فالله أعلم». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٤٥).

وقال ابن كثير: «عن أبي هريرة قال: لما حضر رمضان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغلّ فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم"...

ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر، ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)...

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله عز وجل. ثم اعتكف أزواجه من بعده. أخرجاه...

وقالت عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر، أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر. أخرجاه.

ولمسلم عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره.

وهذا معنى قولها: (وشد المئزر). وقيل: المراد بذلك: اعتزال النساء. ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين، لما رواه الإمام أحمد:... عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بقي عشر من رمضان شد مئزره، واعتزل نساءه...

والمستحب الإكثار من الدعاء في جميع الأوقات، وفي شهر رمضان أكثر، وفي العشر الأخير منه، ثم في أوتاره أكثر. والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء: (اللهم، إنك عفو تحب العفو، فاعف عني)؛ لما رواه الإمام أحمد:... أن عائشة قالت: يا رسول الله، إن وافقت ليلة القدر فما أدعو؟ قال: (قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو، فاعف عني). «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٤٣-٤٥١).

وقال ابن عثيمين: «ومن فضائل ليلة القدر ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: «من قام ليلة القدر إيمانـاً واحتسابـاً غُفر له ما تقدم من ذنبه»، فقوله: «إيمانـاً واحتسابـاً» يعني إيمانـاً بالله وبما أعد الله من الثواب للقائمين فيها، واحتسابـاً للأجر وطلب الثواب. وهذا حاصل لمن علم بها ومن لم يعلم، لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يشترط العلم بها في حصول هذا الأجر». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٧٤).

الوقف والابتداء في سورة التين:

لا وقف فيها إلا على رؤوس الآيات، وكلها آيات قصيرة.

وإذا احتاج إلى وقف حسن في قول الله تعالى: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) فإنه يقف على (أجر)، ثم يعود فيقرأ (فلهم أجر غير ممنون).

الوقف والابتداء في سورة القدر:

لا وقف فيها إلا على رؤوس الآيات، وكلها آيات قصيرة.

وإذا احتاج إلى وقف حسن في قول الله تعالى: (تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) فإنه يقف على (بإذن ربهم)، ثم يعود فيقرأ (بإذن ربهم من كل أمر).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة التين والقدر

١- احرص على أكل التين والزيتون، وشرب زيت الزيتون والادّهان به والائتدام به، فقد أقسم الله بهما لكثرة منافعهما (والتين والزيتون).

٢- مكة المكرمة بلد آمن، يأمن فيه كل ما فيه من إنسان أو حيوان أو مال أو زرع، فلا يحل فيها أن تروّع مسلما، أو تصيد صيدا، أو تقطع شجرا، أو تأخذ مالا ساقطا إلا للبحث عن صاحبه، فاحرص على زيارة هذا البلد حاجا أو معتمرا، وكن بين جنباته معظّما شعائر الله، مبتعدا عن حرمات الله، حريصا على الطاعات (وهذا البلد الأمين).

٣- احمد الله كثيرا واشكره على أن كرّمك من بين سائر المخلوقات، فخلقك في أحسن خِلقة وأكمل صورة، ورزقك العقل والتمييز، ثم فطرك على التوحيد والإسلام، وهداك إلى هذا الدين القويم، فالحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم).

٤- تمسّك بإيمانك، واستكثر من الأعمال الصالحة في حال قوّتك وصحّتك وشبابك، حتى يحفظ الله لك عقلك وقوّتك وجوارحك في كبَرك، وحتى يُكتب لك في حال المرض والكِبَر ما كنت تعمل في حال الصحة والعافية فضلا من الله وإحسانا (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون).

٥- كلما ازددت إيمانا ويقينا باليوم الآخر، وما فيه من الحساب والجزاء، والجنة والنار، صحّ قلبك، ونشطت جوارحك، وطابت نفسك، فازددت علما نافعا وعملا صالحا حتى يرضى الله عنك (فما يكذّبك بعد بالدين).

٦- من كمال حكمة الله سبحانه وتعالى، أن لا يترك الخلق سُدى وهملا، لا يؤمرون ولا ينهون، ثم لا يثابون ولا يعاقبون، بل لا بد أن يجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته، فلا يساوي بين من عمل الصالحات ومن عمل السيّئات، ولا يترك ظلم الظالم دون أن يأخذ للمظلوم منه (أليس الله بأحكم الحاكمين).

٧- أحكام الله سبحانه وتعالى نابعة من حكمته سبحانه، فهو الذي خلق الخلق، وهو الذي يعلم ما فيه مصلحتهم، فاستسلم لأحكام الله الشرعية، واقبلها بيقين وتصديق ورضى (أليس الله بأحكم الحاكمين).

٨- ليلة القدر أعظم ليالي السنة على الإطلاق، فيها أنزل القرآن، وتتنزّل ملائكة الرحمن، وينزل الروح الأمين جبريل عليه السلام، ويقدّر ما يكون في السنة القادمة من الأعمال والأرزاق، وهي سلام على أهل الخير والطاعات، والعمل فيها خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة قدر، ومن قامها إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، وهي في العشر الأواخر من شهر رمضان، فهل يفرّط فيها إلا محروم مخذول شقيّ تعيس مغبون جاهل خاسر؟ وأما المؤمن العاقل فلو قيل له: إن في السنة ليلة خير من ألف شهر، لقام السنة كلها حتى يدركها، فما أعظم خسارة وحرمان من يتكاسل عن قيام عشر ليالٍ للفوز بهذا الثواب العظيم؟! فاحرص على قيامها، لعلّ الله أن يفتح لك أبواب فضله ورحمته ورزقه وجوده وكرمه وإحسانه ولطفه (إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة العلق من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة العلق: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ]: الإنسان بين هدايته بالوحي، وضلاله بالاستكبار والجهل.

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾.

اقرأ -أيها الرسول- ما يوحيه الله إليك؛ مفتتحًا باسم ربك الَّذي خلق جميع الخلائق.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢﴾.

خلق الإنسان من قطعة دم متجمدة بعد أن كانت نطفة.

﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣﴾.

اقرأ -أيها الرسول- ما يوحيه الله إليك، وربك الأكرم الَّذي لا يداني كرمه كريم، فهو كثير الجود والإحسان.

﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤﴾.

الَّذي علّم الخط والكتابة بالقلم.

﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾.

علّم الإنسان ما لم يكن يعلمه.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦﴾.

حقًّا إن الانسان الفاجر مثل أبي جهل ليتجاوز الحدّ في تعدّي حدود الله.

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾.

لأجل أن رآه استغنى بما لديه من الجاه والمال.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨﴾.

إنّ إلى ربك -أيها الانسان- الرجوع يوم القيامة فيجازي كلًّا بما يستحقه.

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩﴾.

أرأيت أعجب من أمر أبي جهل الَّذي ينهى.

﴿عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠﴾.

عبدنا محمدًا – صلى الله عليه وسلم – إذا صلَّى عند الكعبة.

﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ١١﴾.

أرأيت إن كان هذا المنهيّ على هدى وبصيرة من ربه؟!

﴿ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ١٢ ﴾.

أو كان يأمر الناس بتقوى الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، أيُنْهى من كان هذا شأنه؟!

﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ١٣ ﴾.

أرأيت إن كذّب هذا الناهي بما جاء به الرسول، وأعرض عنه، ألا يخشى الله؟!

﴿ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤ ﴾.

ألم يعلم ناهي هذا العبد عن الصلاة أنّ الله يرى ما يصنع، لا يخفى عليه منه شيء؟!

﴿ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥ ﴾.

ليس الأمر كما تصوّر هذا الجاهل، لئن لم يكفّ عن أذاه لعبدنا وتكذيبه له، لنأخذنّه مجذوبًا إلى النار بمقدم رأسه بعنف.

﴿ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ١٦ ﴾.

صاحب تلك الناصية كاذب في القول خاطئ في الفعل.

﴿ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧ ﴾.

فليدع حين يؤخذ بمقدم رأسه إلى النار أصحابه وأهل مجلسه يستعين بهم لينقذوه من العذاب.

﴿ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨ ﴾.

سندعو نحن خَزَنة جهنم من الملائكة الغلاظ الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، فلينظر أي الفريقين أقوى وأقدر.

﴿ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ١٩﴾.

ليس الأمر كما توهم هذا الظالم أن يصل إليك بسوء، فلا تطعه في أمر ولا نهي، واسجد لله، واقترب منه بالطاعات، فإنها تقرّب إليه.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• أهمية القراءة والكتابة في الإسلام.

• خطر الغنى إذا جرّ إلى الكبر والبُعد عن الحق.

• النهي عن المعروف صفة من صفات الكفر.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة العلق

الكلمة	المعنى
عَلَق	قطعةِ دم غليظ
لَيَطغَى	ليتجاوز حدود الله
أن رَءاه استَغنى	لأجل أن رأى نفسه مستغنيًا بماله وعشيرته عن ربه
الرُّجعى	الرجوعَ في الآخرة للجزاء
لَنَسْفَعًا بالنّاصِيَة	لنأخُذنّه بمقدّم رأسه بشدة وعنف فنطرحه في النار
فليَدعُ نَادِيَه	فليُحضِر جُلساءه وعشيرته الذين يعتزّ بهم
الزّبَانِيَة	ملائكةَ العذاب
واقْتَرِب	واجتهد في القرب من الله بالطاعات

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة العلق

فوائد عامة في سورة العلق:

عن عائشة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: كان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حراء، فيتحنث فيه - قال: والتحنث: التعبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود بمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أنا بقارئ»، قال: (فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: {اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم} فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال: «زملوني زملوني»، فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، قال لخديجة: «أي خديجة، ما لي! لقد خشيت على نفسي»، فأخبرها الخبر، قالت خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأ تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، قال ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا، يا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو مخرجيّ هم؟» قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. صحيح البخاري (٦/ ١٧٣)، صحيح مسلم (١/ ١٤٠).

قال ابن عثيمين: ومعنى «ما أنا بقارىء» يعني لست من ذوي القراءة، وليس مراده المعصية لأمر جبريل، لكنه لا يستطيع، ليس من ذوي القراءة، إذ أنه صلى الله عليه وسلّم كان أميًّا، كما قال الله تعالى: {فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي}، وقال تعالى: {هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم}، فكان لا يقرأ ولا يكتب، وهذا من حكمة الله أنه لا يقرأ ولا يكتب، حتى تتبين حاجته وضرورته إلى هذه الرسالة، وحتى لا يبقى لشاك شك في صدقه، وقد أشار الله إلى هذه في قوله: {وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون}. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢٥٦).

عن عثمان بن أبي العاص، أن آخر كلام كلمني به رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ استعملني على الطائف فقال: (خفّف الصلاة على الناس، حتى وقّت لي (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وأشباهها من القرآن. مسند أحمد (٢٩/ ٤٤٠).

(اقرأ باسم ربك الذي خلق):

قال ابن تيمية: قوله تعالى في أول ما أنزل: {اقرأ باسم ربك الذي خلق}، وقوله {اقرأ وربك الأكرم}. ذكر في الموضعين بالإضافة التي توجب التعريف، وأنه معروف عند المخاطبين، إذ الرب تعالى معروف عند العبد بدون الاستدلال بكونه خلق، وأن المخلوق مع أنه دليل وأنه يدل على الخالق لكن هو معروف في الفطرة قبل هذا الاستدلال؛ ومعرفته فطرية مغروزة في الفطرة؛ ضرورية بديهية أولية. وقوله {اقرأ} وإن كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم أولا، فهو خطاب لكل أحد...

فقوله في هذه السورة {اقرأ} كقوله في آخرها {واسجد واقترب}، وقوله {فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر. وأما بنعمة ربك فحدث}، هذا متناول لجميع الأمة. وقوله {يا أيها المزمل. قم الليل إلا قليلا}، فإنه كان خطابا للمؤمنين كلهم. وكذلك قوله {يا أيها المدثر. قم فأنذر}، لما أُمر بتبليغ ما أنزل إليه من الإنذار. وهذا فرض على الكفاية. فواجب على الأمة أن يبلغوا ما أنزل إليه وينذروا كما أنذر. مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٢٤).

وقال ابن جُزي: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك، أو متبركا باسم ربك، وموضع (باسم ربك) نصب على الحال، ولذا كان تقديره: مفتتحا، فيحتمل أن يريد ابتداء القراءة بقول: بسم الله الرحمن الرحيم، أو يريد الابتداء باسم الله مطلقا.

والوجه الثاني: أن معناه: اقرأ هذا اللفظ وهو: (باسم ربك الذي خلق)، فيكون (باسم ربك) مفعولا، وهو المقروء. التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩٦).

وقال ابن كثير: أول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات، وهن أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم. وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وأن مِن كرَمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة. تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٧).

وقال ابن عثيمين: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أول ما بدئ بالوحي أنه يرى الرؤيا في المنام، فتأتي مثل فلق الصبح، يعني يَحدُث ما يصدّق هذه الرؤيا، وأول ما كان يرى هذه الرؤيا في ربيع الأول فبقي ستة أشهر يرى مثل هذه الرؤيا، ويراها تجيء مثل فلق الصبح، وفي رمضان نزل الوحي الذي في اليقظة، والمدة بين ربيع الأول ورمضان ستة شهور، وزمن الوحي ثلاث وعشرون سنة، ولهذا جاء في الحديث «أن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة». تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢٥٥).

وقال ابن عثيمين: {باسم ربك} يعني: اقرأ مستعيناً باسم الله؛ لأن أسماء الله تعالى كلها خير، وكلها إعانة يستعين بها الإنسان، يستعين بها على وضوئه، ويستعين بها على أكله، ويستعين بها على جماعه، فهي كلها عون، وقال: {باسم ربك} دون أن يقول باسم الله؛ لأن المقام مقام ربوبية وتصرف وتدبير للأمور وابتداء رسالة، فلهذا قال: {باسم ربك}. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢٥٧).

وقال ابن عثيمين: {الذي خلق} أي: خلق كل شيء، كما قال تعالى: {وخلق كل شيء فقدره تقديراً}. وقال تعالى: {الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل}. فما من شيء في السماء ولا في الأرض، من خفي وظاهر، وصغير وكبير إلا وهو مخلوق لله عز وجل؛ ولهذا قال: {خلق} وحذف المفعول إشارة للعموم؛ لأن حذف المفعول يفيد العموم، إذ لو ذكر المفعول لتقيد الفعل به، لو قال: خلق كذا، تقيد الخلق بما ذكر فقط، لكن إذا قال {خلق} وأطلق صار عامًّا، فهو خالق كل شيء جل وعلا. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢٥٧).

(خلق الإنسان من علق):

قال الطبري: (خلق الإنسان من علق) يعني: من الدم، وقال: من علق؛ والمراد به: من علقة، لأنه ذهب إلى الجمع، كما يقال: شجرة وشجر، وقصبة وقصب، وكذلك علقة وعلق. وإنما قال: من علق والإنسان في لفظ واحد، لأنه في معنى جمع، وإن كان في لفظ واحد، فلذلك قيل: من علق. تفسير الطبري (٢٤/ ٥١٩).

وقال السعدي: خص الإنسان، وذكر ابتداء خلقه {من علق}، فالذي خلق الإنسان واعتنى بتدبيره، لا بد أن يدبره بالأمر والنهي، وذلك بإرسال الرسول إليهم، وإنزال الكتب عليهم، ولهذا ذكر بعد الأمر بالقراءة خلقه للإنسان. تفسير السعدي (ص: ٩٣٠).

وقال ابن عثيمين: {خلق الإنسان من علق} خص الله تعالى خلق الإنسان تكريمـًا للإنسان وتشريفـًا له؛ لأن الله تعالى يقول: {ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً}. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢٥٧).

وقال ابن عثيمين: وقد بين الله عز وجل أنه خلق الإنسان من علق، ولكنه يتطور، وبين في آيات أخرى أنه خلق الإنسان من تراب، وفي آيات أخرى خلقه من طين، وفي آيات أخرى من صلصال كالفخار، وفي آيات أخرى من ماء دافق، وفي آيات أخرى من ماء مهين، وفي هذه الآية من علَق، فهل في هذا تناقض؟

الجواب: ليس هناك تناقض، ولا يمكن أن يكون في كلام الله تعالى، أو ما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلّم شيء من التناقض أبداً، فإن الله يقول: {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافـًا كثيراً}. لكنه سبحانه وتعالى يذكر أحيانـًا مبدأ الخلق من وجه، ومبدأ الخلق من وجه آخر، فخلَقه من تراب؛ لأن أول ما خَلق الإنسان من التراب، ثم صب عليه الماء فكان طينـًا، ثم استمر مدة فكان حمئـًا مسنونـًا، ثم طالت مدته فكان صلصالاً، يعني إذا ضربته بيدك تسمع له صلصلة كالفخّار، ثم خلقه عز وجل لحمـًا، وعظمـًا، وعصبـًا إلى آخره، هذا ابتداء الخلق المتعلق بآدم. والخلق الآخر من بنيه أول منشئهم من نطفة، وهي الماء المهين، وهي الماء الدافق، هذه النطفة تبقى في الرحم أربعين يومـًا، ثم تتحول شيئـًا فشيئـًا وبتمام الأربعين تتقلب بالتطور والتدريج حتى تكون دمـًا علقة، ثم تبدأ بالنمو والثخونة وتتطور شيئـًا فشيئـًا، فإذا تمت ثمانين يومـًا انتقلت إلى مضغة ـ قطعة من لحم بقدر ما يمضغه الإنسان ـ، وتبقى كذلك أربعين يومـًا فهذه مائة وعشرون يومـًا. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢٥٨).

(اقرأ وربك الأكرم):

قال ابن تيمية: {اقرأ وربك الأكرم} سمى ووصف نفسه بالكرم، وبأنه الأكرم، بعد إخباره أنه خلق، ليتبين أنه ينعم على المخلوقين، ويوصلهم إلى الغايات المحمودة... ولفظ الكرم لفظ جامع للمحاسن والمحامد. لا يراد به مجرد الإعطاء، بل الإعطاء من تمام معناه...

فدل على أنه الأكرم وحده بخلاف ما لو قال (وربك أكرم). فإنه لا يدل على الحصر، وقوله {الأكرم} يدل على الحصر. ولم يقل "الأكرم من كذا" بل أطلق الاسم ليبين أنه الأكرم مطلقا غير مقيد. فدل على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه...

وقد قال بعض السلف: "لا يهدين أحدكم لله ما يستحيي أن يهديه لكريمه، فإن الله أكرم الكرماء". أي: هو أحق من كل شيء بالإكرام؛ إذ كان أكرم من كل شيء. وهو سبحانه ذو الجلال والإكرام. فهو

المستحق لأن يجل ولأن يكرم. والإجلال يتضمن التعظيم، والإكرام يتضمن الحمد والمحبة. مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٩٣-٢٩٦).

وقال ابن عثيمين: {اقرأ وربك الأكرم} {اقرأ} تكرار للأولى، لكن هل هي توكيد أو هي تأسيس؟ الصحيح أنها تأسيس، وأن الأولى {اقرأ باسم ربك الذي خلق} قرنت بما يتعلق بالربوبية، و {اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم} قرنت بما يتعلق بالشرع، فالأولى بما يتعلق بالقدر، والثانية بما يتعلق بالشرع، لأن التعليم بالقلم أكثر ما يعتمد الشرع عليه، إذ أن الشرع يكتب ويحفظ، والقرآن يكتب ويحفظ، والسنة تكتب وتحفظ، وكلام العلماء يكتب ويحفظ، فلهذا أعادها الله مرة ثانية. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢٥٩).

(الذي علّم بالقلم):

عن قتادة: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) قرأ حتى بلغ (علم بالقلم) قال: القلم نعمة من الله عظيمة، لولا ذلك لم يقم، ولم يصلح عيش. تفسير الطبري (٢٤/ ٥١٩).

وقال ابن تيمية: (الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم)، والكتابة بالقلم تتضمن القول، والقول يتضمن العلم، وهذه الثلاثة هي مراتب التقدير العلمي. جامع المسائل لابن تيمية (٦/ ٨٠).

وقال ابن جُزي: (الذي علم بالقلم) هذا تفسير للأكرم، فدل على أن نعمة التعليم أكبر نعمة، وخص من التعليمات الكتابة بالقلم؛ لما فيها من تخليد العلوم، ومصالح الدين والدنيا. التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٩٦).

(علّم الإنسان ما لم يعلم):

قال ابن تيمية: المعلم لغيره يجب أن يكون هو عالما بما علمه إياه، وإلا فمن الممتنع أن يعلم غيره ما لا يعلمه هو. فمن علّم كل شيء الإنسان وغيره ما لم يعلم أولى أن يكون عالما بما علّمه. والخلق أيضا يستلزم العلم، كما قال تعالى {ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير}. مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٥٤).

وقال ابن تيمية: والتعليم يتناول تعليم ما أنزله، كما قال {الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان}، وقوله {بالقلم} يتناول تعليم كلامه الذي يكتب بالقلم. ونزوله في أول السورة التي أنزل فيها كلامه وعلّم نبيه كلامه الذي يُكتب بالقلم دليل على شمول الآية لذلك. مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٦٤).

وقال ابن كثير: {اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم} وفي الأثر: (قيّدوا العلم بالكتابة). وفيه أيضا: (من عمل بما علم رزقه الله علم ما لم يكن يعلم). تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٧).

وقال السعدي: {علم الإنسان ما لم يعلم} فإنه تعالى أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئا، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، ويسر له أسباب العلم. فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم، الذي به تحفظ العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلا للناس تنوب مناب خطابهم، فلله الحمد والمنة، الذي أنعم على عباده بهذه النعم التي لا يقدرون لها على جزاء ولا شكور. تفسير السعدي (ص: ٩٣٠).

(كلا إن الإنسان ليطغى * أن رءاه استغنى):

سبب نزول الآيات: عن أبي هريرة، قال: قال أبو جهل: هل يعفّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا». قال: فأنزل الله عز

وجل - لا ندري في حديث أبي هريرة، أو شيء بلغه -: {كلا إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى، إن إلى ربك الرجعى، أرأيت الذي ينهى، عبدا إذا صلى، أرأيت إن كان على الهدى، أو أمر بالتقوى، أرأيت إن كذب وتولى} - يعني أبا جهل - {ألم يعلم بأن الله يرى، كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية، ناصية كاذبة خاطئة، فليدع ناديه، سندع الزبانية، كلا لا تطعه}. صحيح مسلم (٤/ ٢١٥٤).

وقال الطبري: وقوله: (كلا) يقول تعالى ذكره: ما هكذا ينبغي أن يكون الإنسان أن ينعم عليه ربه بتسويته خلقه، وتعليمه ما لم يكن يعلم، وإنعامه بما لا كفء له، ثم يكفر بربه الذي فعل به ذلك، ويطغى عليه، أن رآه استغنى. تفسير الطبري (٢٤/ ٥٢٢).

وقال ابن عثيمين: {إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى} الإنسان هنا ليس شخصاً معيناً، بل المراد الجنس، كل إنسان من بني آدم إذا رأى نفسه استغنى فإنه يطغى، من الطغيان وهو مجاوزة الحد، إذا رأى أنه استغنى عن رحمة الله طغى ولم يبالِ، إذا رأى أنه استغنى عن الله عز وجل في كشف الكربات وحصول المطلوبات صار لا يلتفت إلى الله ولا يبالي... فالإنسان من طبيعته الطغيان والتمرد متى رأى نفسه في غنى، ولكن هذا يخرج منه المؤمن، لأن المؤمن لا يرى أنه استغنى عن الله طرفة عين، فهو دائماً مفتقر إلى الله سبحانه وتعالى، يسأل ربه كل حاجة، ويلجأ إليه عند كل مكروه، ويرى أنه إن وكله الله إلى نفسه وكله إلى ضعف وعجز وعورة، وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرًّا، هذا هو المؤمن، لكن الإنسان من حيث هو إنسان من طبيعته الطغيان، وهذا كقوله تعالى: {وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً}. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢٦٠).

(إن إلى ربك الرجعى):

قال ابن عثيمين: {إن إلى ربك الرجعى} ربما نقول إنه أعم من الوعيد والتهديد، يعني أنه يشمل الوعيد والتهديد، ويشمل ما هو أعم، فيكون المعنى: أن إلى الله المرجع في كل شيء: في الأمور الشرعية التحاكم إلى الكتاب والسنة، {فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول}. والأمور الكونية المرجع

فيها إلى الله {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم}. فلا رجوع للعبد إلا إلى الله، كل الأمور ترجع إلى الله عز وجل، يفعل ما يشاء. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢٦١).

(ألم يعلم بأن الله يرى):

قال ابن تيمية: قوله تعالى في الذي ينهى عبدا إذا صلى: {ألم يعلم بأن الله يرى}، وقوله تعالى {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون}، وقوله: {أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون}، وقوله تعالى {وكل شيء فعلوه في الزبر. وكل صغير وكبير مستطر}، وأمثال ذلك. فذِكْر رؤيته الأعمال وعلمه بها وإحصائه لها يتضمن الوعيد بالجزاء عليها، كما يقول القائل: قد علمت ما فعلت، وقد جاءتني أخبارك كلها، وأمثال ذلك، فليس المراد الإخبار بقدرة مجردة وعلم مجرد؛ لكن بقدرة وعلم يقترن بهما الجزاء. مجموع الفتاوى (١٣/ ٣١٨).

وقال ابن عثيمين: {ألم يعلم بأن الله يرى} يعني: يرى المنهي وهو الساجد محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم الآمر بالتقوى، ويرى هذا العبد الطاغية الذي ينهى عبداً إذا صلى، {ألم يعلم بأن الله يرى} يرى سبحانه وتعالى علماً ورؤية، فهو سبحانه يرى كل شيء مهما خفي ودق، ويعلم كل شيء مهما بعد، ومهما كثر أو قل، فيعلم الآمر والناهي، ويعلم المصلي والساجد، ويعلم من طغى، ومن خضع لله عز وجل، وسيجازي كل إنسان بعمله. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢٦٣).

(كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية):

قال الطبري: (لنسفعن بالناصية) يقول: لنأخذن بمقدم رأسه، فلنضمنه ولنذلنه؛ يقال منه: سفعت بيده: إذا أخذت بيده.

وقيل: إنما قيل (لنسفعن بالناصية) والمعنى: لنسودن وجهه، فاكتفى بذكر الناصية من الوجه كله، إذ كانت الناصية في مقدم الوجه.

وقيل: معنى ذلك: لنأخذن بناصيته إلى النار، كما قال: (فيؤخذ بالنواصي والأقدام). تفسير الطبري (٢٤/ ٥٢٥).

(ناصية كاذبة خاطئة):

قال ابن عثيمين: {خاطئة} أي: مرتكبة للخطأ عمداً، وليعلم أن هناك فرقًا بين خاطىء ومخطىء، الخاطىء من ارتكب الخطأ عمداً، والمخطىء من ارتكبه جهلاً، والثاني معذور، والأول غير معذور، قال الله تبارك وتعالى: {لا يأكله إلا الخاطئون}، أي: المذنبون ذنبًا عن عمد، وقال تعالى: {ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا}. فقال الله: قد فعلت، ومثل ذلك: القاسط والمقسط، القاسط هو الجائر، والمقسط هو العادل، قال الله تعالى: {وأقسطوا إن الله يحب المقسطين}. وقال تعالى: {وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا}. إذاً {خاطئة} أي: مرتكبة للإثم عمداً. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢٦٤).

(فليدع ناديه * سندع الزبانية):

عن ابن عباس، قال: (جاء أبو جهل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، فنهاه، فتهدده النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أتهدّدني؟ أما والله، إني لأكثر أهل الوادي ناديا، فأنزل الله: {أرأيت الذي ينهى. عبدا إذا صلى. أرأيت إن كان على الهدى. أو أمر بالتقوى. أرأيت إن كذب وتولى} الآيات، قال ابن عباس: والذي نفسي بيده، لو دعا ناديه، لأخذته الزبانية). مسند أحمد (٥/ ١٦٧).

وقال ابن عثيمين: {سندع الزبانية} يعني: عندنا من هم أعظم من نادي هذا الرجل، وهم الزبانية ملائكة النار، وقد وصف الله ملائكة النار بأنهم غلاظ شداد، غلاظ في الطباع، شداد في القوة، {لا يعصون الله ما أمرهم}. بل يمتثلون كل ما أمرهم الله به، {ويفعلون ما يؤمرون}، لا يعجزون عن ذلك، فوصفهم بوصفين أنهم في تمام الانقياد لله عز وجل، {لا يعصون الله ما أمرهم}، وأنهم في تمام القدرة {ويفعلون ما يؤمرون}، وعدم تنفيذ أمر الله عز وجل إما أن يكون للعجز، وإما أن يكون للمعصية، فمثلاً الذي لا يصلي الفرض قائمًا قد يكون للعجز، وقد يكون للعناد، فهو لا ينفذ أمر الله، لكن الملائكة الذين على

النار ليس عندهم عجز، بل عندهم قوة وقدرة، وليس عندهم استكبار عن الأمر، بل عندهم تمام التذلل والخضوع، هؤلاء الزبانية لا يمكن لهذا وقومه وناديه أن يقابلوهم أبداً. تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢٦٥).

(كلا لا تطعه واسجد واقترب):

قال ابن تيمية: الصلاة مؤلفة من أقوال وأفعال، فأعظم أقوالها القرآن، وأعظم أفعالها الركوع والسجود. وأول ما أنزله الله من القرآن (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، وختمها بقوله (واسجد واقترب)، فافتتحها بالأمر بالقراءة، وختمها بالأمر بالسجود، وكل منهما يكون عبادة مستقلة، فالقراءة في نفسها عبادة مطلقا إلا في مواضع، والسجود عبادة بسبب السهو والتلاوة وسجود الشكر وعند الآيات على قول. جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ٣٥٣).

وقال ابن تيمية: لما أثنى على النبيين وأهل العلم وصفهم بالسجود والبكاء، ولما أخبر عما لا بد منه من الإيمان وما يذم به من تركه ذكر السجود فقط، فقال: (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون)، وقال: (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون). بل هذا -والله أعلم- كما شرعه لمحمد صلى الله عليه وسلم بقوله: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) إلى أن قال: (كلا لا تطعه واسجد واقترب)، فأمره بالقراءة والسجود، وعلى ذلك بنيت الصلوات، فأعظم أركانها القولية القراءة، وأعظم أركانها الفعلية السجود، وهما أفضل أعمال الصلاة. جامع المسائل لابن تيمية (٦/ ٢٩٣).

وقال ابن تيمية: وأمْره بالاقتراب مطلق لا يتقيد بالسجود، بل يكون الاقتراب بالسجود وبغير السجود، وإن كان العبد أقرب ما يكون من ربه إذا كان ساجدا، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرّب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه)...

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يقول الله: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، ومن تقرب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إليّ ذراعا تقربت إليه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة).

وذكر التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة كثير في الأحاديث، وقد قال تعالى في كتابه (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه)، وابتغاء الوسيلة إلى ربهم أيهم أقرب هو طلب التقرب إليه. وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة)، وقال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون)، وقال تعالى (والسابقون السابقون. أولئك المقربون. في جنات النعيم)، وقال: (فأما إن كان من المقربين، فروح وريحان وجنت نعيم)، وقال: (ومزاجه من تسنيم، عينا يشرب بها المقربون)، فوصف خير الأصناف الثلاثة من عباده بأنهم المقربون، وقال تعالى في موسى (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا)، وقال في داود (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) والزلفى هو القرب. بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٥١).

وقال السعدي: {كلا لا تطعه} أي: فإنه لا يأمر إلا بما فيه خسارة الدارين، {واسجد} لربك {واقترب} منه في السجود وغيره من أنواع الطاعات والقربات، فإنها كلها تدني من رضاه وتقرّب منه.

وهذا عام لكل ناه عن الخير ومنهي عنه، وإن كانت نازلة في شأن أبي جهل حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة، وعبث به وآذاه. تفسير السعدي (ص: ٩٣٠).

عن أبي هريرة قال: «سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، و (إذا السماء انشقت)». صحيح ابن خزيمة (١/ ٢٧٨)، صحيح ابن حبان (٦/ ٤٧٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة العلق

١- افتتح دوما قراءتك للقرآن وغيره مستعينا باسم ربك، متبركا به سبحانه، قائلا: بسم الله الرحمن الرحيم، فإنه سبحانه هو الخالق المستحق للعبادة والاستعانة، واعلم أن كل شيء لا يفتتح باسم الله يكون ناقص البركة مقطوعا عن الخير (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق).

٢- احرص على كثرة القراءة في كتب أهل العلم الراسخين لتتعلّم أمور دينك، واجعل ديدنك حين تلقّي العلم كتابة الفوائد بالقلم، فتلك الوسيلة المثلى للتعلّم، واستعن بربك الأكرم، واسأله أن يعلّمك ما لم تكن تعلم (اقرأ وربك الأكرم * الذي علّم بالقلم *علّم الإنسان ما لم يعلم).

٣- احذر من رؤية استغنائك عن ربك، وترفّعك عن العبودية له، فهو الذي رعاك منذ كنت نطفة، ودبّر أمرك، وأكرمك، ووفّقك، وهداك، وأعطاك، وأسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة، فإياك والطغيان، والتكبر عن طاعة الرحمن، فإنك إليه عائد، وبين يديه واقف، وعن عملك مسؤول ومحاسب (كلا إن الإنسان ليطغى * أن رءاه استغنى * إن إلى ربك الرجعى).

٤- المؤمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، بخلاف المنافق والكافر، فإنهما يأمران بالمنكر وينهيان عن المعروف، فاعرف المعروف لتأمر به وتدعو إليه، واعرف المنكر لتنهى عنه وتحذّر منه، وإياك والنهي عن المعروف لمخالفته هواك، أو الأمر بالمنكر لموافقته هواك، فإن الله يعلم قصدك، ويرى ما في نفسك، فاحذر عقوبته، ولا تأمن مكره (أرأيت الذي ينهى * عبدا إذا صلّى * أرأيت إن كان على الهدى * أو أمر بالتقوى * أرأيت إن كذّب وتولّى * ألم يعلم بأن الله يرى).

٥- قل لكل معارض للدين، أو محارب له، أو مستهزئ بأهله، أو ساعٍ لإطفاء نور الله: إن عقوبة الله شديدة، وإن الله يُمهل ولا يُهمل، وإنه يأخذ الظالم أخذ عزيز مقتدر (كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة * فليدع ناديه * سندع الزبانية).

٦- تقرّب إلى الله بالطاعات عموما، وبكثرة الصلاة والسجود خصوصا، ولا تطع الكافرين والمنافقين في ترك الطاعات، ودع أذاهم، وتوكل على الله، وكفى بالله وكيلا (كلا لا تطعه واسجد واقترب).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الضحى والشرح من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة الضحى: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] بيان عناية الله بنبيه صلى الله عليه وسلم في أول أمره وآخره.

(والضحى):

١ - أقسم الله بأول النهار.

(والليل إذا سجى):

٢ - وأقسم بالليل إذا أظلم وسكن الناس فيه عن الحركة.

(ما ودّعك ربك وما قلى):

٣ - ما تركك -أيها الرسول- ربك، وما أبغضك؛ كما يقول المشركون لما فَتَر الوحي.

(وللآخرة خير لك من الأولى):

٤ - ولَلدار الآخرة خير لك من الدنيا؛ لما فيها من النعيم الدائم الَّذي لا ينقطع.

(ولسوف يعطيك ربك فترضى):

٥ - ولسوف يعطيك من الثواب الجزيل لك ولأمتك حتَّى ترضى بما أعطاك وأعطى أمتك.

(ألم يجدك يتيما فآوى):

٦ - لقد وجدك صغيرًا قد مات عنك أبوك، فجعل لك مأوى، حيث عطف عليك جدُّك عبد المطلب، ثم عمّك أبو طالب.

(ووجدك ضالا فهدى):

٧ - ووجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلّمك من ذلك ما لم تكن تعلم.

(ووجدك عائلا فأغنى):

٨ - ووجدك فقيرًا فأغناك.

(فأما اليتيم فلا تقهر):

٩ - فلا تُسِئ معاملة من فقد أباه في الصغر، ولا تذلّه.

(وأما السائل فلا تنهر):

١٠ - ولا تزجر السائل المحتاج.

(وأما بنعمة ربك فحدّث):

١١ - واشكر نِعَم الله عليك وتحدّث بها.

سورة الشرح: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] المنة على النبي صلى الله عليه وسلم بتمام النعم المعنوية له.

(ألم نشرح لك صدرك):

١ - لقد شرحنا لك صدرك فحبَّبنا إليك تلقي الوحي.

(ووضعنا عنك وزرك):

٢ - وغفرنا لك ما سلف من ذنوبك، وحططنا عنك ثقل أيام الجاهلية التي كنت فيها.

(الذي أنقض ظهرك):

٣ - الذي أتعبك حتَّى كاد أن يكسر ظهرك.

(ورفعنا لك ذكرك):

٤ - وأعلينا لك ذكرك، فقد أصبحت تُذْكَر في الأذان والإقامة وفي غيرهما.

(فإن مع العسر يسرا):

٥ - فإن مع الشدّة والضيق سهولة واتساعًا وفرَجا

(إن مع العسر يسرا):

٦ - إن مع الشدة والضيق سهولة واتساعًا وفرَجا، إذا علمت ذلك فلا يهولنك أذى قومك، ولا يصدنك عن الدعوة إلى الله.

(فإذا فرغت فانصب):

٧ - فإذا فرغت من أعمالك، وانتهيت منها فاجتهد في عبادة ربك.

(وإلى ربك فارغب):

٨ - واجعل رغبتك وقصدك إلى الله وحده.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• منزلة النبي – صلى الله عليه وسلم – عند ربه لا تدانيها منزلة.

• شكر النعم حقّ لله على عبده.

• وجوب الرحمة بالمستضعفين واللين لهم.

• إكرام الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن رفع له ذكره.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الضحى والشرح

الكلمة	المعنى
والضُّحى	قسَم بأول النهار أو النهار كله
إذا سَجَى	إذا اشتدّ ظلامه وغطّى الكون
ما ودّعك ربّك	ما تركك ربّك
وما قَلَى	وما أبغضك
فآوى	فرعاك وجعل لك من يكفلك
ضالّا	غافلا عن أحكام الشريعة لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان
عائلا	فقيرا
فلا تقْهر	فلا تسئ معاملته ولا تأخذ ماله
فلا تنْهر	فلا تزجره
ووَضَعْنا	وحطَطنا وغفرنا وخفّفنا
وِزرَك	ذنبك، أو حِملك أي: أعباء النبوة والرسالة
أنقَضَ ظهرك	أثقل ظهرك
فإن مع العُسر يُسرا	فإن مع الضّيق فرَجًا
فَانْصَب	فاجتهد في عبادة ربك
فَارْغَب	فاجعل رغبتك وتوجّهك إلى الله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الضحى والشرح

فوائد عامة في سورة الضحى:

سبب النزول: عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: «اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يقم ليلتين أو ثلاثا، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث. فأنزل الله عز وجل: {والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى}». «صحيح البخاري» (٦/ ١٧٢)، «صحيح مسلم» (٣/ ١٤٢٢).

وقال ابن كثير: «روينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرئ قال: قرأت على عكرمة بن سليمان، وأخبرني أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد، فلما بلغت: (والضحى) قالا لي: كبّر حتى تختم مع خاتمة كل سورة، فإنا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك. وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك. وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبيّ بن كعب فأمره بذلك، وأخبره أبيّ أنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره بذلك.

فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي، من ولد القاسم بن أبي بزة، وكان إماما في القراءات، فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي وقال: لا أحدث عنه، وكذلك أبو جعفر العقيلي قال: هو منكر الحديث. لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في شرح الشاطبية عن الشافعي أنه سمع رجلا يكبر هذا التكبير في الصلاة، فقال له: أحسنت وأصبت السنة. وهذا يقتضي صحة هذا الحديث.

ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته، فقال بعضهم: يكبر من آخر (والليل إذا يغشى)، وقال آخرون: من آخر (والضحى).

وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول: الله أكبر، ويقتصر، ومنهم من يقول: الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر.

وذكر الفراء في مناسبة التكبير من أول سورة (الضحى): أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفتر تلك المدة، ثم جاءه الملك فأوحى إليه: (والضحى. والليل إذا سجى) السورة بتمامها، كبّر فرحا وسرورا. ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف، فالله أعلم». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٢٣).

(والضحى):

قال البغوي: «أقسم بالضحى وأراد به النهار كله، بدليل أنه قابله بالليل، فقال: (والليل إذا سجى)، نظيره: قوله: (أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) أي: نهارا. «تفسير البغوي» (٨/ ٤٥٤).

وقال ابن تيمية: «والضحى يعم النهار كله، كما قال: {أم السماء بناها. رفع سمكها فسواها. وأغطش ليلها وأخرج ضحاها}، وقال: {والضحى. والليل إذا سجى}». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢٢٧).

(والليل إذا سجى):

قال البغوي: قال الحسن: أقبل بظلامه، وهي رواية العوفي عن ابن عباس. وقال الوالبي عنه: إذا ذهب. قال عطاء والضحاك: غطى كل شيء بالظلمة. وقال مجاهد: استوى. وقال قتادة وابن زيد: سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك. يقال: ليل ساج، وبحر ساج: إذا كان ساكنا». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٥٤).

(ما ودّعك ربك وما قلى):

قال السعدي: «{مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ} أي: ما تركك منذ اعتنى بك، ولا أهملك منذ رباك ورعاك، بل لم يزل يربيك أحسن تربية، ويعليك درجة بعد درجة.

{وَمَا قَلَا} ك الله أي: ما أبغضك منذ أحبك، فإن نفي الضد دليل على ثبوت ضده، والنفي المحض لا يكون مدحًا، إلا إذا تضمن ثبوت كمال، فهذه حال الرسول صلى الله عليه وسلم الماضية والحاضرة،

أكمل حال وأتمها، محبة الله له واستمرارها، وترقيته في درج الكمال، ودوام اعتناء الله به». «تفسير السعدي» (ص٩٢٨).

(وللآخرة خير لك من الأولى):

قال ابن كثير: «أي: والدار الآخرة خير لك من هذه الدار. ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا، وأعظمهم لها اطّراحا، كما هو معلوم بالضرورة من سيرته...

عن عبد الله بن مسعود قال: اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير، فأثر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه، وقلت: يا رسول الله، ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما لي وللدنيا؟! ما أنا والدنيا؟! إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة، ثم راح وتركها)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٢٥).

وقال السعدي: {وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأولَى} أي: كل حالة متأخرة من أحوالك، فإن لها الفضل على الحالة السابقة. فلم يزل صلى الله عليه وسلم يصعد في درج المعالي، ويمكن له الله دينه، وينصره على أعدائه، ويسدد له أحواله، حتى مات، وقد وصل إلى حال لا يصل إليها الأولون والآخرون، من الفضائل والنعم، وقرة العين، وسرور القلب.

ثم بعد ذلك، لا تسأل عن حاله في الآخرة، من تفاصيل الإكرام، وأنواع الإنعام، ولهذا قال: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}، وهذا أمر لا يمكن التعبير عنه بغير هذه العبارة الجامعة الشاملة». «تفسير السعدي» (ص٩٢٨).

وقال ابن عثيمين: {وللآخرة خير لك من الأولى} أي: من الدنيا، وذلك لأن الآخرة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وموضع سوط أحدنا في الجنة خير من الدنيا وما فيها، كما جاء ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ولهذا لما خير الله نبيه صلى الله عليه وعلى آله

وسلم في مرضه بين أن يعيش في الدنيا ما يعيش وبين ما عند الله، اختار ما عند الله». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٣٥).

(ولسوف يعطيك ربك فترضى):

قال البغوي: «قال عطاء عن ابن عباس: هو الشفاعة في أمته حتى يرضى، وهو قول علي والحسن.

وروينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم أمتي أمتي، وبكى، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك فيهم).

وقال حرب بن شريح: سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقول: إنكم يا معشر أهل العراق تقولون: أرجى آية في القرآن: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)، وإنا أهل البيت نقول: أرجى آية في كتاب الله: (ولسوف يعطيك ربك فترضى)». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٥٥).

وقال ابن القيم: «اتكال بعضهم على قوله تعالى: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} قالوا: وهو لا يرضى أن يكون في النار أحد من أمته! وهذا من أقبح الجهل، وأبين الكذب عليه. فإنّه يرضى بما يُرضي ربَّه عز وجل، والله تعالى يُرضيه تعذيبُ الظلَمة والفسَقة والخوَنة والمصرّين على الكبائر. فحاشا رسولَه أن لا يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى». «الداء والدواء» (١/ ٤٠).

وقال ابن كثير: «{ولسوف يعطيك ربك فترضى} أي: في الدار الآخرة، يعطيه حتى يرضيه في أمته، وفيما أعده له من الكرامة، ومن جملته نهر الكوثر، الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، وطينه من مسك أذفر... عن ابن عباس قال: عُرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزا كنزا، فسُرّ بذلك، فأنزل الله: {ولسوف يعطيك ربك فترضى}، فأعطاه في الجنة ألف ألف قصر، في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم. رواه ابن جرير من طريقه، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس: ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٢٥-٤٢٦).

وقال ابن عثيمين: «وليس من عباد الله فيما نعلم من هو خليل الله إلا إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلاً)؛ ولهذا اختاره الله لأعظم الرسالات، وأفضل الأمم، وجعله خاتم النبيين، فلا نبي بعده صلى الله عليه وآله وسلم، يقول عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلّم: {واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا} فعين الله تعالى تكلؤه وترعاه وتحميه وتحفظه...

ولقد أعطاه الله ما يرضيه صلى الله عليه وسلّم، فإن الله تعالى يبعثه يوم القيامة مقاماً محموداً، يحمده فيه الأولون والآخرون، حتى الأنبياء وأولو العزم من الرسل لا يستطيعون الوصول إلى ما وصل إليه. فإذا كان يوم القيامة، وعظم الكرب والغم على الخلق، وضاقت عليهم الأمور، طلب بعضهم من بعض أن يلتمسوا من يشفع لهم إلى الله عز وجل، فيأتون إلى آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، هؤلاء خمسة... من أولي العزم، كلهم يعتذرون عن الشفاعة للخلق، حتى تصل إلى النبي صلى الله عليه وسلّم، فيقوم ويشفع، ولا شك أن هذا عطاء عظيم لم ينله أحد من الخلق». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٣٤-٢٣٦).

(ألم يجدك يتيما فآوى):

قال ابن كثير: «وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه، وقيل: بعد أن ولد، عليه السلام، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب، إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره، ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره، إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم والأكمل. فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه، رضي الله عنهم أجمعين، وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٢٦).

وقال ابن عثيمين: «وجاء التعبير ـ والله أعلم ـ بـ {فآوى} لسبب لفظي، وسبب معنوي:
أما السبب اللفظي: فلأجل أن تتوافق رؤوس الآيات من أول السورة.
وأما السبب المعنوي: فإنه لو كان التعبير (فآواك) اختص الإيواء به صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والأمر أوسع من ذلك، فإن الله تعالى آواه، وآوى به، آوى به المؤمنين فنصرهم وأيدهم، ودفع عنهم، بل دافع عنهم سبحانه وتعالى». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٣٦).

(ووجدك ضالا فهدى):

قال البغوي: «{ووجدك ضالا} يعني: ضالا عما أنت عليه، {فهدى} أي: فهداك للتوحيد والنبوة.
قال الحسن والضحاك وابن كيسان: (ووجدك ضالا) عن معالم النبوة وأحكام الشريعة، غافلا عنها، فهداك إليها، كما قال: (وإن كنت من قبله لمن الغافلين)، وقال: (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان)». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٥٦).

وقال ابن القيم: «عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل عقول أهل الأرض على الإطلاق، فلو وُزن عقله بعقولهم لَرَجَحَ بها كلِّها. وقد أخبر سبحانه أنه قبل الوحي لم يكن يدري الإيمان، كما لم يكن يدري الكتاب؛ فقال تعالى: {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَلَا ٱلْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا}، وقال تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوى. وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى}. وتفسير هذه الآية بالآية التي في آخر الشورى. فإذا كان أعقلُ خَلْق الله على الإطلاق إنما حصل له الهدى بالوحي، كما قال تعالى: {قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي}. فكيف يحصل لسُفهاء العقول وأَخِفَّاء الأحلام وفَرَاش الألباب الاهتداءُ إلى حقائق الإيمان بمجرد عقولهم دون نصوص الأنبياء!». «الصواعق المرسلة» (١/ ٤٢٦-٤٢٧).

وقال ابن عثيمين: «{ووجدك ضالاً} أي: غير عالم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلّم لم يكن يعلم شيئًا قبل أن ينزل عليه الوحي، كما قال تعالى: {وعلمك ما لم تكن تعلم}. وقال: {وما كنت تتلو من قبله من

كتاب ولا تخطه بيمينك}. فهو صلى الله عليه وسلّم لم يكن يعلم شيئًا، بل هو من الأميين {هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم}. لا يقرأ ولا يكتب، لكن وصل إلى هذه الغاية العظيمة بالوحي الذي أنزله الله عليه، فعلم وعلَّم...

وهنا قال {فهدى} ولم يأت التعبير ـ والله أعلم ـ فهداك، ليكون هذا أشمل وأوسع... أي: فهداك وهدى بك». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٣٦).

(ووجدك عائلا فأغنى):

قال ابن القيم: في الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه أغناه من المال بعد فقره. وهذا قول أكثر المفسرين. لأنه قابله بقوله: «عائلا»، والعائل هو المحتاج...

والثاني: أنه رضّاه بما أعطاه، وأغناه به عن سواه. فهو غنى قلب ونفس، لا غنى مال. وهو حقيقة الغنى.

والثالث وهو الصحيح: أنه يعمّ نوعي الغنى؛ فأغنى قلبه وأغناه من المال. «مدارج السالكين» (٣/ ٢٤٨).

وقال ابن عثيمين: «{فأغنى} أي: أغناك وأغنى بك. قال الله تعالى: {وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها}. وما أكثر ما غنم المسلمون من الكفار تحت ظلال السيوف، غنائم عظيمة كثيرة كلها بسبب هذا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام حين اهتدوا بهديه، واتبعوا سنته، فنصرهم الله تعالى به، وغنموا من مشارق الأرض ومغاربها، ولو أن الأمة الإسلامية عادت إلى ما كان عليه السلف الصالح لعاد النصر إليهم، والغنى، والعزة، والقوة». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٣٧).

(فأما اليتيم فلا تقهر):

عن سهل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما شيئا». «صحيح البخاري» (٧/ ٥٣).

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه». «سنن ابن ماجه» (٤/ ٦٤١).

وقال ابن كثير: «أي: كما كنت يتيما فآواك الله فلا تقهر اليتيم، أي: لا تذله وتنهره وتهنه، ولكن أحسن إليه، وتلطف به. قال قتادة: كن لليتيم كالأب الرحيم». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٢٧).

(وأما السائل فلا تنهر):

قال البغوي: «قال المفسرون: يريد السائل على الباب، يقول: لا تنهره لا تزجره إذا سألك، فقد كنت فقيرا فإما أن تطعمه وإما أن ترده ردا لينا...

وقال قتادة: رُدّ السائل برحمة ولين.

قال إبراهيم بن أدهم: نعم القوم السؤال، يحملون زادنا إلى الآخرة.

وقال إبراهيم: السائل بريد الآخرة، يجيء إلى باب أحدكم فيقول: هل توجهون إلى أهليكم بشيء؟

وروي عن الحسن في قوله: (وأما السائل فلا تنهر) قال: طالب العلم». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٥٨).

وقال ابن تيمية: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه طالب حاجة لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول. وسأله مرة بعض أقاربه أن يوليه على الصدقات ويرزقه منها فقال: (إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد). فمنعهم إياها، وعوّضهم من الفيء. وتحاكم إليه علي وزيد وجعفر في ابنة حمزة، فلم يقض بها لواحد منهم؛ ولكن قضى بها لخالتها، ثم إنه طيّب قلب كل واحد منهم بكلمة حسنة، فقال لعلي: (أنت مني وأنا منك). وقال لجعفر: (أشبهت خَلقي وخُلقي). وقال لزيد: (أنت أخونا ومولانا). فهكذا ينبغي لولي الأمر في قسمه وحكمه؛ فإن الناس دائما يسألون ولي الأمر ما لا يصلح بذله من الولايات والأموال والمنافع والأجور والشفاعة في الحدود وغير ذلك، فيعوضهم من جهة أخرى إن أمكن، أو يردهم بميسور من القول، ما لم يحتج إلى الإغلاظ؛ فإن رد السائل يؤلمه، خصوصا من يحتاج

إلى تأليفه، وقد قال الله تعالى: {وأما السائل فلا تنهر}. وقال الله تعالى: {وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا} إلى قوله: {وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا}». «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٦٥).

وقال السعدي: «{وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ} يدخل فيه السائل للمال، والسائل للعلم، ولهذا كان المعلم مأمورًا بحسن الخلق مع المتعلم، ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه، فإن في ذلك معونة له على مقصده، وإكرامًا لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد». «تفسير السعدي» (ص٩٢٨).

وقال ابن عثيمين: «{وأما السائل فلا تنهر} هذا العموم يدخله التخصيص: إذا عرفت أن السائل في العلم إنما يريد التعنت، وأخذ رأيك وأخذ رأي فلان وفلان حتى يضرب آراء العلماء بعضها ببعض، فإذا علمت ذلك فهنا لك الحق أن تنهره، وأن تقول: يا فلان اتق الله، ألم تسأل فلاناً كيف تسألني بعدما سألته؟! أتلعب بدين الله؟! أتريد إن أفتاك الناس بما تحب سكتّ، وإن أفتوك بما لا تحب ذهبت تسأل؟! هذا لا بأس أن تنهره، لأن هذا النهر تأديب له.
وكذلك سائل المال إذا علمت أن الذي سألك المال غني فلك الحق أن تنهره، ولك الحق أيضاً أن توبخه على سؤاله وهو غني. إذاً هذا العموم {وأما السائل فلا تنهر} مخصوص فيما إذا اقتضت المصلحة أن يُنهر فلا بأس». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٣٩).

(وأما بنعمة ربك فحدث):

قال ابن القيم: «في هذا التحديث المأمور به قولان:
أحدهما: أنّه ذكر النِّعمة والإخبارُ بها، وقولُه: أنعم الله عليَّ بكذا وكذا.
قال مقاتلٌ: يعني اشكر ما ذُكِر من النِّعم عليك في هذه السُّورة مِن: جبر اليتم، والهدى بعد الضَّلالة، والإغناء بعد العيلة.

والتحدُّث بنعمة الله شكرٌ، كما في حديث جابرٍ مرفوعًا: «من صُنع إليه معروفٌ فليَجزِ به، فإن لم يجد ما يجزي فليُثنِ عليه، فإنَّه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره، ومن تحلَّى بما لم يُعطَ كان كلابس ثوبَي زورٍ». فذكر أقسام الخلق الثلاثة: شاكر النِّعمة المثني بها. والجاحد لها الكاتم لها. والمظهر أنَّه من أهلها وليس من أهلها، فهو متحلٍّ بما لم يُعطَه.

وفي أثرٍ آخر مرفوعٍ: «من لم يشكرِ القليلَ لم يشكرِ الكثير، ومن لم يشكرِ الناس لم يشكرِ الله، والتحدُّث بنعمة الله شكر، وتركه كفر، والجماعة رحمةٌ، والفرقة عذاب».

والقول الثاني: التحدُّث بالنِّعمة المأمور به في هذه الآية هو الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالته، وتعليم الأمَّة. قال مجاهدٌ: هي النبوَّة. قال الزجَّاج: أي بلِّغ ما أُرسلتَ به، وحدِّث بالنبوَّة التي آتاك الله. وقال الكلبيُّ: هو القرآن، أمره أن يقرأه.

والصواب أنَّه يعمُّ النّوعين، إذ كلٌّ منهما نعمةٌ مأمورٌ بشكرها والتحدُّثِ بها، وإظهارُها مِن شكرها. «مدارج السالكين» (٢/ ٥٩٥-٥٩٧).

وقال ابن كثير: «{وأما بنعمة ربك فحدث} أي: وكما كنت عائلا فقيرا فأغناك الله، فحدّث بنعمة الله عليك، كما جاء في الدعاء المأثور النبوي: (واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها عليك، قابليها، وأتمها علينا)... عن أبي نضرة قال: كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها...

عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أبلي بلاء فذكره فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره). تفرد به أبو داود». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٢٧-٤٢٨).

وقال السعدي: «{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ} هذا يشمل النعم الدينية والدنيوية {فَحَدِّثْ} أي: أثن على الله بها، وخصصها بالذكر إن كان هناك مصلحة. وإلا فحدّث بنعم الله على الإطلاق، فإن التحدث بنعمة الله، داع لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن». «تفسير السعدي» (ص٩٢٩).

وقال ابن عثيمين: «{وأما بنعمة ربك فحدث} تحدث بها إظهاراً للنعمة وشكراً للمنعم، لا افتخاراً بها على الخلق؛ لأنك إذا فعلت ذلك افتخاراً على الخلق كان هذا مذموماً. أما إذا قلت أو إذا ذكرت نعمة الله عليك تحدثاً بالنعم، وشكراً للمنعم فهذا مما أمر الله به». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٤٠).

(ألم نشرح لك صدرك):

قال ابن تيمية: «حرف الاستفهام إذا دخل على حرف النفي كان تقريرا، كقوله: {ألم نشرح لك صدرك}، {ألم نجعل له عينين}، {ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم}، ومثله كثير». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٤٠).

وقال ابن كثير: «{ألم نشرح لك صدرك} يعني: أما شرحنا لك صدرك، أي: نورناه وجعلناه فسيحا رحيبا واسعا، كقوله: {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام}، وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحا واسعا سمحا سهلا، لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق.

وقيل: المراد بقوله: {ألم نشرح لك صدرك} شرح صدره ليلة الإسراء... وهذا وإن كان واقعا، ولكن لا منافاة، فإن من جملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الإسراء، وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضا، والله أعلم». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٢٩).

وقال ابن عثيمين: «{ألم نشرح لك صدرك} هذا الاستفهام يقول العلماء إنه استفهام تقرير، واستفهام التقرير يرد في القرآن كثيراً، ويقدّر الفعل بفعل ماضٍ مقرون بقد. ففي قوله: {ألم نشرح لك} يقدّر بأن المعنى: قد شرحنا لك صدرك؛ لأن الله يقرر أنه شرح له صدره، وهكذا جميع ما يمر بك من استفهام التقرير فإنه يقدر بفعل ماضٍ مقرون بقد، أما كونه يقدر بفعل ماضٍ؛ فلأنه قد تم وحصل، وأما كونه مقروناً بقد؛ فلأن قد تفيد التحقيق إذا دخلت على الماضي، وتفيد التقليل إذا دخلت على المضارع، وقد تفيد التحقيق، ففي قول الناس: (قد يجود البخيل) قد هذه للتقليل، لكن في قوله تعالى: {قد يعلم ما أنتم عليه}. هذه للتحقيق ولا شك». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٤١).

وقال ابن عثيمين: «{ألم نشرح لك صدرك} شرح الصدر أن يكون متسعـًا لحكم الله عز وجل بنوعيه، حكم الله الشرعي وهو الدين، وحكم الله القدري وهو المصائب التي تحدث على الإنسان؛ وذلك لأن الشرع فيه مخالفة للهوى، فيجد الإنسان ثقلاً في تنفيذ أوامر الله، وثقلاً في اجتناب محارم الله، لأنه مخالف لهوى النفس، والنفس الأمارة بالسوء لا تنشرح لأوامر الله ولا لنواهيه، تجد بعض الناس تثقل عليه الصلاة، كما قال الله تعالى في المنافقين: {وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى}. ومن الناس من تخف عليه الصلاة، بل يشتاق إليها، ويترقب حصولها، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «جعلت قرة عيني في الصلاة»، إذاً فالشرع فيه ثقل على النفوس، كاجتناب المحرمات، فبعض الناس يهوى أشياء محرمة عليه كالزنا وشرب الخمر وما أشبه ذلك فتثقل عليه، ومن الناس من ينشرح صدره لذلك ويبتعد عما حرم الله... فشرح الصدر للحكم الشرعي معناه: قبول الحكم الشرعي والرضا به وامتثاله، وأن يقول القائل: سمعنا وأطعنا.

وأما انشراح الصدر للحكم القدري، فالإنسان الذي شرح الله صدره للحكم الكوني تجده راضيـًا بقضاء الله وقدره، مطمئنـًا إليه، يقول: أنا عبد، والله رب يفعل ما يشاء، هذا الرجل الذي على هذه الحال سيكون دائمـًا في سرور، لا يغتم ولا يهتم، هو يتألم، لكنه لا يصل إلى أن يحمل همًّا أو غمًّا، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «عجبـًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له».

إذاً شرح الصدر يعني توسعته وتهيئته لأحكام الله الشرعية والقدرية، لا يضيق بأحكام الله ذرعـًا إطلاقـًا، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلّم له الحظ الأوفر من ذلك، ولهذا تجده أتقى الناس لله، وأشدهم قيامـًا بطاعة الله، وأكثرهم صبراً على أقدار الله، ماذا فعل الناس به حين قام بالدعوة؟ وماذا يصيبه من الأمراض؟ حتى إنه يوعك كما يوعك الرجلان منا... وحتى أنه شدد عليه عند النزع عند الموت عليه الصلاة والسلام حتى يفارق الدنيا وهو أصبر الصابرين. «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٤١-٢٤٣).

(ووضعنا عنك وزرك * الذي أنقض ظهرك):

قال البغوي: «قال الحسن، ومجاهد وقتادة، والضحاك: وحططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية، وهو كقوله: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر).

وقال الحسين بن الفضل: يعني: الخطأ والسهو.

وقيل: ذنوب أمتك، فأضافه إليه لاشتغال قلبه بهم.

وقال عبد العزيز بن يحيى وأبو عبيدة: يعني: خففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٦٣).

وقال ابن عثيمين: «قال الله تبارك وتعالى: {إنا فتحنا لك فتحـًا مبينـًا. ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر}. وقيل للنبي صلى الله عليه وسلّم وهو يقوم الليل ويطيل القيام حتى تتورم قدماه أو تتفطر، قيل له: أتصنع هذا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»، إذاً مغفرة الذنوب المتقدمة والمتأخرة ثابتة بالقرآن والسنة، وهذا من خصائص الرسول عليه الصلاة والسلام، لا أحد من الناس يغفر له ما تقدم وما تأخر إلا الرسول صلى الله عليه وسلّم، أما غيره فيحتاج إلى توبة من الذنب، وقد يغفر الله له سبحانه وتعالى بدون توبة ما دون الشرك، لكن الرسول عليه الصلاة والسلام نجزم بأنه قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٤٤).

وقال ابن عثيمين: «أوزارنا تقض ظهورنا وتنقضها وتتعبها، ولكن كأننا لم نحمل شيئـًا، وذلك لضعف إيماننا وبصيرتنا، وكثرة غفلتنا، نسأل الله أن يعاملنا بالعفو، في بعض الآثار: أن المؤمن إذا أذنب ذنبـًا صار عنده كالجبل فوق رأسه، وإن المنافق إذا أذنب ذنبـًا صار عنده كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا، يعني أنه لا يهتم، فالمؤمن تهمه خطاياه، وتلحقه الهموم، حتى يتخلص منها بتوبة واستغفار، أو حسنات جليلة تمحو آثار هذه السيئة، وأنت إذا رأيت من قلبك الغفلة عن ذنوبك فاعلم أن قلبك مريض، لأن القلب الحي لا يمكن أن يرضى بالمرض، ومرض القلوب هي الذنوب، كما قال عبد الله بن المبارك رحمه الله:

رأيت الذنوب تميت القلوب *** وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب *** وخير لنفسك عصيانها

فيجب علينا أن نهتم بأنفسنا وأن نحاسبها، وإذا كان التجار لا ينامون حتى يراجعوا دفاتر تجارتهم، ماذا صرفوا، وماذا أنفقوا، وماذا كسبوا، فإن تجار الآخرة ينبغي أن يكونوا أشد اهتماماً؛ لأن تجارتهم أعظم، فتجارة أهل الدنيا غاية ما تفيدهم إن أفادتهم هو إتراف البدن فقط، على أن هذه التجارة يلحقها من الهم والغم ما هو معلوم، وإذا خسر في سلعة اهتم لذلك، وإذا كان في بلده مخاوف: قطاع طريق، أو سراق صار أشد قلقاً، لكن تجارة الآخرة على العكس من هذا {يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار}. تنجي من العذاب، ويغفر الله بها الذنوب، ويدخل بها الجنات، جنات عدن، أي: جنات إقامة، {ومساكن طيبة في جنات عدن}، مساكن طيبة في بنايتها وفي مادة البناء، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما»، والله لو يبقى الإنسان في سجدة منذ بلغ إلى أن يموت لكان هذا ثمناً قليلاً بالنسبة إلى هذه الغنيمة العظيمة، ولو لم يكن إلا أن ينجو الإنسان من النار لكفى... وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ليتني شجرةً تعضد، ليت أمي لم تلدني. لأن الإنسان يظن أنه آمن؛ لأنه يصلي، ويصوم، ويتصدق، ويحج، ويبر الوالدين، وما أشبه ذلك، لكن قد يكون في قلبه حسيكة تؤدي إلى سوء الخاتمة ـ والعياذ بالله ـ». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٤٦-٢٤٨).

(ورفعنا لك ذكرك):

قال البغوي: «عن الحسن قال: (ورفعنا لك ذكرك) إذا ذكرتُ، ذكرتَ معي.

وقال عطاء عن ابن عباس: يريد الأذان والإقامة والتشهد والخطبة على المنابر، ولو أن عبدا عبد الله وصدقه في كل شيء، ولم يشهد أن محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء، وكان كافرا...

وفيه يقول حسان بن ثابت:...

وضم الإله اسم النبي مع اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن: أشهد

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد.

وقيل: رفع الله ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين وإلزامهم الإيمان به والإقرار بفضله». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٦٤).

وقال ابن تيمية: «قيل لأبي بكر بن عياش: إن بالمسجد قوما يجلسون ويُجلس إليهم، فقال: من جلس للناس جلس الناس إليه. ولكن أهل السنة يموتون ويحيى ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم؛ لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان لهم نصيب من قوله: {ورفعنا لك ذكرك}. وأهل البدعة شنئوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان لهم نصيب من قوله: {إن شانئك هو الأبتر}». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٢٨).

(فإن مع العسر يسرا * إن مع العسر يسرا):

قال البغوي: «{فإن مع العسر يسرا} أي: مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بأن يُظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به، (إن مع العسر يسرا) كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء.

وقال الحسن: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أبشروا، قد جاءكم اليسر، لن يغلب عسر يسرين).

قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: (لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه، إنه لن يغلب عسر يسرين).

قال المفسرون: ومعنى قوله: (لن يغلب عسر يسرين) أن الله تعالى كرر العسر بلفظ المعرفة، واليسر بلفظ النكرة، ومن عادة العرب إذا ذكرت اسما معرّفا ثم أعادته كان الثاني هو الأول، وإذا ذكرت نكرة ثم أعادته مثله صار اثنين، وإذا أعادته معرفة فالثاني هو الأول، كقولك: إذا كسبتُ درهما أنفقت درهما، فالثاني غير الأول، وإذا قلت: إذا كسبتَ درهما فأنفق الدرهم، فالثاني هو الأول، فالعسر في الآية مكرر

بلفظ التعريف، فكان عسرا واحدا، واليسر مكرر بلفظ التنكير فكانا يسرين، فكأنه قال: فإن مع العسر يسرا، إن مع ذلك العسر يسرا آخر.

وقال أبو علي الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني صاحب "النظم": تكلم الناس في قوله: (لن يغلب عسر يسرين) فلم يحصل منه غير قولهم: إن العسر معرفة واليسر نكرة، فوجب أن يكون عسر واحد ويسران، وهذا قول مدخول، إذا قال الرجل: إن مع الفارس سيفا، إن مع الفارس سيفا، فهذا لا يوجب أن يكون الفارس واحدا والسيف اثنين.

فمجاز قوله: (لن يغلب عسر يسرين) أن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف، فكانت قريش تعيّره بذلك، حتى قالوا: إن كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كأيسر أهل مكة، فاغتمّ النبي ﷺ لذلك، فظن أن قومه إنما يكذبونه لفقره، فعدّد الله نعمه عليه في هذه السورة، ووعده الغنى، ليسليه بذلك عما خامره من الغم، فقال: (فإن مع العسر يسرا) مجازه: لا يحزنك ما يقولون، فإن مع العسر يسرا في الدنيا عاجلا، ثم أنجزه ما وعده، وفتح عليه القرى العربية، ووسّع عليه ذات يده، حتى كان يعطي المئين من الإبل، ويهب الهبات السنية، ثم ابتدأ فضلا آخر من أمر الآخرة، فقال: (إن مع العسر يسرا)، والدليل على ابتدائه: تعرّيه من الفاء والواو، وهذا وعد لجميع المؤمنين، ومجازه: (إن مع العسر يسرا)، أي: إن مع العسر في الدنيا للمؤمن يسرا في الآخرة، فربما اجتمع له اليسران: يسر الدنيا، وهو ما ذكره في الآية الأولى، ويسر الآخرة، وهو ما ذكره في الآية الثانية، فقوله عليه السلام: (لن يغلب عسر يسرين) أي: لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعده للمؤمنين في الدنيا، واليسر الذي وعدهم في الآخرة، وإنما يغلب أحدهما، هو يسر الدنيا، وأما يسر الآخرة فدائم غير زائل، أي: لا يجمعهما في الغلبة، كقوله صلى الله عليه وسلم: (شهرا عيد لا ينقصان) أي: لا يجتمعان في النقصان». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٦٤-٤٦٦).

وقال ابن القيم: «ولن يغلب عسر يسرين، وهذا لأن الرحمة غلبت الغضب، والعفو سبق العقوبة، والنعمة تقدمت المحنة». «شفاء العليل» (٢/ ٢٨٦).

وقال ابن كثير: «مما يروى عن الشافعي، رضي الله عنه، أنه قال:

صبرا جميلا ما أقرب الفرجا ... من راقب الله في الأمور نجا ...

من صدق الله لم ينله أذى ... ومن رجاه يكون حيث رجا ...

وقال ابن دريد: أنشدني أبو حاتم السجستاني:

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق لما به الصدر الرحيب ...

وأوطأت المكاره واطمأنت ... وأرست في أماكنها الخطوب ...

ولم تر لانكشاف الضر وجها ... ولا أغنى بحيلته الأريب

أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به اللطيف المستجيب ...

وكل الحادثات إذا تناهت ... فموصول بها الفرج القريب ...

وقال آخر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعا وعند الله منها المخرج ...

كملت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكان يظنها لا تفرج». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٣٢).

وقال السعدي: «وفي تعريفه بالألف واللام (العُسر)، الدالة على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر -وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ- فإنه في آخره التيسير ملازم له». «تفسير السعدي» (ص٩٢٩).

وقال ابن عثيمين: «{فإن مع العسر يسراً} هذا الكلام خبر من الله عز وجل، وخبره جل وعلا أكمل الأخبار صدقـًا، ووعده لا يخلف، فكلما تعسر عليك الأمر فانتظر التيسير.

أما في الأمور الشرعية فظاهر: ففي الصلاة: صل قائمـًا، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب، فهذا تيسير... وفي الصيام إن قدرت وأنت في الحضر فصم، وإن لم تقدر فأفطر، إذا كنت مسافراً فأفطر، في الحج إن استطعت إليه سبيلاً فحج، وإن لم تستطع فلا حج عليك، بل إذا شرعت في الحج وأحصرت ولم تتمكن معه من إكمال الحج فتحلل، وافسخ الحج واهدِ... إذاً كل عسر يحدث للإنسان في العبادة يجد التسهيل واليسر.

كذلك في القضاء والقدر، يعني تقدير الله على الإنسان من مصائب، وضيق عيش، وضيق صدر، وغيره، لا ييأس، فإن مع العسر يسراً، والتيسير قد يكون أمراً ظاهراً حسيًّا، مثل: أن يكون الإنسان فقيراً فتضيق عليه الأمور، فييسر الله له الغنى، مثال آخر: إنسان مريض يتعب يشق عليه المرض فيشفيه الله عز وجل، هذا أيضـًا تيسير حسي، وهناك تيسير معنوي، وهو معونة الله الإنسان على الصبر، هذا تيسير، فإذا أعانك الله على الصبر تيسر لك العسير، وصار هذا الأمر العسير الذي لو نزل على الجبال لدكها، صار بما أعانك الله عليه من الصبر أمراً يسيراً، وليس اليسر معناه أن ينفرج الشيء تمامـًا فقط، اليسر أن ينفرج الكرب ويزول، وهذا يسر حسي، وأن يعين الله الإنسان على الصبر حتى يكون هذا الأمر الشديد العسير أمراً سهلاً عليه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٤٩).

(فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب):

قال ابن تيمية: «{فإذا فرغت فانصب. وإلى ربك فارغب} قيل: إذا فرغت من أشغال الدنيا فانصب في العبادة، وإلى ربك فارغب. وهذا أشهر القولين...

وتفسير قوله: {فإذا فرغت فانصب} أي: فرغت من الصلاة قول ضعيف فإن قوله: إذا فرغت مطلق، ولأن الفارغ إن أريد به الفارغ من العبادة فالدعاء أيضا عبادة، وإن أريد به الفراغ من أشغال الدنيا بالصلاة فليس كذلك. يوضح ذلك أنه لا نزاع بين المسلمين أن الصلاة يدعى فيها كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيها...

فإذا كان الدعاء مشروعا في الصلاة لا سيما في آخرها فكيف يقول: إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء، والذي فرغ منه هو نظير الذي أُمر به، فهو في الصلاة كان ناصبا في الدعاء لا فارغا...

ثم لو كان قوله: (فانصب) في الدعاء لم يحتج إلى قوله: {وإلى ربك فارغب}؛ فإنه قد علم أن الدعاء إنما يكون لله. فعلم أنه أمره بشيئين: أن يجتهد في العبادة عند فراغه من أشغاله، وأن تكون رغبته إلى ربه لا إلى غيره، كما في قوله: {إياك نعبد وإياك نستعين}، فقوله: {إياك نعبد} موافق لقوله: (فانصب). وقوله: {وإياك نستعين} موافق لقوله: {وإلى ربك فارغب}». «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٩٥-٤٩٨).

وقال ابن تيمية: «قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس: {إذا سألت فاسأل الله. وإذا استعنت فاستعن بالله}.

وفي الترمذي: {ليسأل أحدُكم ربّه حاجته كلها، حتى شسع نعله إذا انقطع، فإنه إن لم ييسره لم يتيسر}.

وفي الصحيح أنه قال لعدي بن مالك والرهط الذين بايعهم معه: {لا تسألوا الناس شيئا} فإن سوط أحدهم يسقط من يده: فلا يقول لأحد ناولني إياه.

وفي الصحيح في حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب: {هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون} والاسترقاء طلب الرقية، وهو نوع من السؤال». «مجموع الفتاوى» (١/ ٧٨).

وقال ابن عثيمين: «{فإذا فرغت فانصب. وإلى ربك فارغب} أي: إذا فرغت من أعمالك فانصب لعمل آخر، يعني: اتعب لعمل آخر، لا تجعل الدنيا تضيع عليك، ولهذا كانت حياة الإنسان العاقل حياة جد، كلما فرغ من عمل شرع في عمل آخر، وهكذا؛ لأن الزمن يفوت على الإنسان في حال يقظته ومنامه، وشغله وفراغه... إذاً اجعل حياتك حياة جد، إذا فرغت من عمل فانصب في عمل آخر، إذا فرغت من عمل الدنيا عليك بعمل الآخرة، فرغت من عمل الآخرة اشتغلت بأمر الدنيا، فإذا قضيت الصلاة يوم الجمعة فانتشر في الأرض وابتغِ من فضل الله، وصلاة الجمعة يكتنفها عملان دنيويان {يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة} يعني: وأنتم مشتغلون في دنياكم {فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله}...

فإذا قال قائل: لو أنني استعملت الجد في كل حياتي لتعبت ومللت.

قلنا: إن استراحتك لتنشيط نفسك وإعادة النشاط يعتبر شغلاً وعملاً، يعني: لا يلزم الشغل بالحركات، ففراغك من أجل أن تنشط للعمل الآخر يعتبر عملاً، المهم أن تجعل حياتك كلها جدًّا وعملاً.

{وإلى ربك فارغب} يعني: إذا عملت الأعمال التي فرغت منها ونصبت في الأخرى، فارغب إلى الله عز وجل في حصول الثواب، وفي حصول الأجر، وفي الإعانة، كن مع الله عز وجل قبل العمل وبعد العمل، قبل العمل كن مع الله تستعينه عز وجل، وبعده ترجو منه الثواب». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٥٠-٢٥١).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الضحى والشرح

١- النبي محمد صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق على الله، وأعلاهم منزلة، وأشرفهم مكانة، وأفضلهم درجة، وأعظمهم فضلا، أحبه ربه ووصله، وأعطاه في الدنيا فأرضاه، وسيعطيه في الآخرة ما يرضيه، آواه في يُتمه، وهداه لتفاصيل الشريعة بعد ضلاله، وأغنى قلبه ونفسه بالقناعة وبالمال بعد فقره، وشرح له صدره، ووضع عنه وزره الذي أنقض ظهره، ورفع له ذكره، فما أعظمها من نعمة له ولنا أن كنا أتباعه على دينه، والقائمون بشريعته من بعده، فاحمد الله على ذلك كثيرا (والضحى * والليل إذا سجى * ما ودّعك ربك وما قلى * وللآخرة خير لك من الأولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى * ألم يجدك يتيما فآوى * ووجدك ضالا فهدى * ووجدك عائلا فأغنى)، (ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك * الذي أنقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك).

٢- اجعل الآخرة أكبر همّك، وغاية مقصودك في كل أعمالك، فإن فيها من النعيم المقيم، والثواب الجزيل ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فلا تكن الدنيا القليلة الزائلة عقبة أمام تحقيقك للدرجات العليا في الجنة (وللآخرة خير لك من الأولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى).

٣- تذكّر نعم الله عليك، واستحضرها دوما، فإن ذلك أدعى لشكرها، ولمحبة المنعم بها، وأبعدُ عن التسخط في حال نزول المصائب، فمن تذكّر النعم جيدا وقارنها بالمصائب هانت عليه المصائب، وعلم أن النعم أجل وأكبر وأكثر، فالحمد لله على نعمائه، والشكر له على آلائه (ألم يجدك يتيما فآوى * ووجدك ضالا فهدى * ووجدك عائلا فأغنى)، (ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك * الذي أنقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك).

٤- أحسن إلى الضعفاء من اليتامى والفقراء، وكن بهم رحيما بقولك وفعلك، فإن لم تقدر على الإحسان إليهم فلا أقل من تجنّب القسوة معهم، والإساءة إليهم (فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر).

٥- تحدّث بنعم الله عليك بين أهلك، وأقاربك، وأصدقائك، حتى يحبّوا هذا المنعم الكريم ويحمدوه، ويتقربوا إليه بالطاعات، ويستحيوا من عصيانه، ولا تتحدث بنعم الله تفاخرا وتعاليا، فإنه لو لم يُنعم بها عليك لما بلغتك هذه النعم، ولو أراد لسلبها عنك في طرفة عين (وأما بنعمة ربك فحدّث).

٦- أعظم نعم الله عليك هي النعم الدينية، فهي أساس النعم، ورأس المنن، ومن أعظمها: شرح الصدر لقبول شرع الله وللرضا بقضاء الله، ومغفرة الذنوب والمعاصي، ووضع القبول في الأرض، فاحرص على تحصيل هذه النعم ببذل أسبابها، وطلبها من الله (ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك * الذي أنقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك).

٧- إذا نزل بك عسر وبلاء وضيق وشدة فأبشر بتيسير الله لك وفرجه، وكن متفائلا بالتيسير، مستبشرا بالنصر، محسنا للظن بربك، فإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب (فإن مع العسر يسرا * إن مع العسر يسرا).

٨- كن جادا في حياتك، متنقلا بين عمل الدنيا وعمل الآخرة، لا كسولا، ولا فارغا، ولا عاطلا، بل إذا فرغت من عمل دنياك فاجتهد في عبادة ربك، وإذا انتهيت من عبادة ربك فاعمل في مصالح دنياك، وإذا انتهيت من عبادة ما فاجتهد في عبادة أخرى، وكن متنقلا بين صلاة ودعاء وصدقة وإحسان وبر وصوم، واجعل راحتك للتقوّي على أشغالك (فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الليل من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة الليل: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] بيان أحوال الخلق في الإيمان والإنفاق، وحال كل فريق.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١﴾.

أقسم الله بالليل إذا يغطي ما بين السماء والأرض بظلمته.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢﴾.

وأقسم بالنهار إذا تكشّف وظهر.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣﴾.

وأقسم بخلقه النوعين: الذكر والأنثى.

﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤﴾.

إن عملكم -أيها الناس- لمختلف، فمنه الحسنات التي هي سبب دخول الجنّة، والسيئات التي هي سبب دخول النار.

﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥﴾.

فأما من أعطى ما يلزمه بذله؛ من زكاة ونفقة وكفارة، واتقى ما نهى الله عنه.

﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦﴾.

وصدق بما وعده الله به من الخَلَف.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧﴾.

فسنُسَهِّل عليه العمل الصالح، والإنفاق في سبيل الله.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨﴾.

وأما من بخل بماله فلم يبذله فيما يجب عليه بذله فيه، واستغنى بماله عن الله فلم يسأل الله من فضله شيئًا.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩﴾.

وكذّب بما وعده الله من الخَلَف ومن الثواب على إنفاق ماله في سبيل الله.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠﴾.

فسنُسَهِّل عليه عمل الشرّ، ونُعَسِّر عليه فعل الخير.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ١١﴾.

وما يغني عنه ماله الَّذي بخل به شيئًا إذا هلك، ودخل النار.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ١٢﴾.

إن علينا أن نبيّن طريق الحق من الباطل.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ١٣﴾.

وإن لنا لَلْحياة الآخرة ولنا الحياة الدنيا، نتصرّف فيهما بما نشاء، وليس ذلك لأحد غيرنا.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ١٤﴾.

فحذّرتكم -أيها الناس- من نار تتوقد إن أنتم عصيتم الله.

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ١٥﴾.

لا يقاسي حرّ هذه النار إلا الأشقى وهو الكافر.

﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦﴾.

الَّذي كذب بما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وأعرض عن امتثال أمر الله.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ١٧﴾.

وسيُباعَد عنها أتقى الناس أبو بكر - رضي الله عنه -.

﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨﴾.

الَّذي ينفق ماله في وجوه البر ليتطهر من الذنوب.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ١٩﴾.

ولا يبذل ما يبذل من ماله ليكافئ نعمة أنعم بها أحد عليه.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ٢٠﴾.

لا يريد بما يبذله من ماله إلا وجه ربه العالي على خَلْقِه.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ٢١﴾.

ولسوف يرضى بما يعطيه الله من الجزاء الكريم.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• الذنوب سبب للعقوبات الدنيوية.

• كل ميسر لما خلق له فمنهم مطيع ومنهم عاصٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الليل

الكلمة	المعنى
يَغْشى	يُغطّي بظلامه الأرض وما عليها
تجلّى	انكشف بضيائه عن ظلام الليل
وما خلق الذكر والأنثى	وخلْقِ الذكر والأنثى، أو: والذي خلق الذكر والأنثى
إنّ سَعيَكم لَشَتّى	إنّ عملكم لمُختَلِف
أعطى	بذل من ماله في وجوه الخير
بِالحُسنى	بلا إله إلا الله والإسلام والثواب والجنة
لِليُسرَى	للعمل الصالح، والحياة الطيّبة
واسْتغْنى	استغنى عن طاعة ربه وعن ثوابه
لِلعُسرَى	للعمل السيّء، والحياة التعيسة
وما يُغني عنه	ولا ينفعه
تَردّى	هلك ودخل النار
إنّ علينا لَلهُدى	إنّ علينا بيان طريق الهدى فضلا منّا ورحمة
وإنّ لنا لَلآخرة والأولى	وإنّ لنا مُلك الآخرة والدنيا
تَلظّى	تتوقّد وتلتهب
لا يصلاها	لا يقاسي حرّها
وسيُجنّبُها	وسيُبعد عنها
يتزكّى	يتطهّر من الذنوب
من نِعمةٍ تُجزى	من معروف يكافئه عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الليل

فوائد عامة في سورة الليل:

سبب النزول: قال البغوي: «قيل: نزلت في أبي بكر الصديق، اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردة وعشرة أواق، فأعتقه، فأنزل الله تعالى: (والليل إذا يغشى) إلى قوله: (إن سعيكم لشتى) يعني: سعي أبي بكر وأمية». «تفسير البغوي - طيبة» (٨/ ٤٤٦).

«عن عامر بن عبد الله بن الزّبير، قال: كان أبو بكر الصدّيق يُعتق على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أي بنيّ، أراك تعتق أناسا ضعفاء، فلو أنك أعتقت رجالا جَلْدا يقومون معك، ويمنعونك، ويدفعون عنك، فقال: أي أبت، إنما أريد ما عند الله، قال: فحدثني بعض أهل بيتي، أن هذه الآية أنزلت فيه: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٧١).

«عن عروة: أن أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب في الله، بلال وعامر بن فهيرة والنهدية وابنتها وزنيرة وأم عيسى وأمة بني المؤمل، وفيه نزلت: (وسيجنبها الأتقى) إلى آخر السورة». «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣٤٤١).

(والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلّى):

قال ابن تيمية: «إقسامه بمخلوقاته يتضمن من ذكر آياته الدالة على قدرته وحكمته ووحدانيته ما يحسن معه إقسامه». «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٠٣).

(وما خلق الذكر والأنثى):

قال ابن تيمية: «(ما) في اللغة إما لما لا يَعلم، أو لصفات ما يعلم، كما في قوله: {فانكحوا ما طاب}، {وما سواها}، {وما خلق الذكر والأنثى}، وفي التسبيح المأثور أنه يقال عند سماع الرعد: (سبحان ما سبحت له)، ومثله كثير». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٦٢).

وقال السعدي: «{وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى} إن كانت (ما) موصولة، كان إقسامًا بنفسه الكريمة الموصوفة بأنه خالق الذكور والإناث، وإن كانت مصدرية كان قسمًا بخلقه للذكر والأنثى، وكمال حكمته في ذلك، أن خلق من كل صنف من الحيوانات التي يريد بقاءها ذكرًا وأنثى، ليبقى النوع ولا يضمحل، وقاد كلًّا منهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة، وجعل كلا منهما مناسبًا للآخر، فتبارك الله أحسن الخالقين». «تفسير السعدي» (ص٩٢٦).

(إنّ سعيكم لشتّى):

قال ابن تيمية: «السعي في كتاب الله هو العمل والفعل، (يعني: وليس هو الجري والعدْو)، كما قال تعالى: {إن سعيكم لشتى}، وقال تعالى: {ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا}، وقال تعالى: {وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها}، وقال تعالى: {إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا}، وقال عن فرعون: {ثم أدبر يسعى}». «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٢٥٩).

وقال ابن كثير: «لما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة (يعني: الليل والنهار والذكر والأنثى) كان المقسم عليه أيضا متضادا؛ ولهذا قال: {إن سعيكم لشتى} أي: أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة أيضا ومتخالفة، فمِن فاعلٍ خيرا ومن فاعل شرا». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤١٧).

وقال السعدي: «إن سعيكم أيها المكلفون لمتفاوت تفاوتا كثيًرا، وذلك بحسب تفاوت نفس الأعمال ومقدارها والنشاط فيها، وبحسب الغاية المقصودة بتلك الأعمال، هل هو وجه الله الأعلى الباقي؟ فيبقى السعي له ببقائه، وينتفع به صاحبه، أم هي غاية مضمحلة فانية، فيبطل السعي ببطلانها، ويضمحل باضمحلالها؟». «تفسير السعدي» (ص٩٢٦).

(فأما من أعطى واتقى):

عن علي، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة، إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كُتبت شقية أو سعيدة» قال فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا، وندع العمل؟ فقال: «من كان من أهل السعادة، فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة، فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة» فقال: «اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة»، ثم قرأ: {فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى}. «صحيح البخاري» (٢/ ٩٦)، «صحيح مسلم» (٤/ ٢٠٣٩).

(وصدّق بالحسنى):

قال البغوي: «قال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك: وصدّق بلا إله إلا الله، وهي رواية عطية عن ابن عباس.

وقال مجاهد: بالجنة، دليله: قوله تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى) يعني: الجنة.

وقيل: (وصدّق بالحسنى): أي: بالخلف، أي: أيقن أن الله تعالى سيُخلفه. وهي رواية عكرمة عن ابن عباس.

وقال قتادة ومقاتل والكلبي: بموعود الله عز وجل الذي وعده أن يثيبه». «تفسير البغوي – طيبة» (٨/ ٤٤٢).

(فسنيسّره لليُسرى):

قال ابن كثير: «قال ابن عباس: يعني للخير. وقال زيد بن أسلم: يعني للجنة. وقال بعض السلف: من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤١٧).

وقال ابن عثيمين: «{فسنيسره لليسرى} السين: هنا للتحقيق أي: أن من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسييسره الله عز وجل لليسرى في أموره كلها، في أمور دينه ودنياه، ولهذا تجد أيسر الناس عملاً هو من اتقى الله عز وجل، من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى. وكلما كان الإنسان أتقى لله كانت أموره أيسر له. قال تعالى: {ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٢٧).

(وأما من بخل واستغنى * وكذّب بالحسنى * فسنيسّره للعسرى):

قال ابن القيم: «الله تعالى قد جرت سنته في خلقه بأن يحرّم الطيبات شرعا وقدرا على من ظلم وتعدى حدوده، وعصى أمره، وأن ييسر للعسرى من بخل بما أمره به فلم يفعله، واستغنى عن طاعته باتباع شهوته وهواه، كما أنه سبحانه ييسر لليسرى من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى». «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (١/ ٥٧٩).

وقال ابن كثير: «{فسنيسره للعسرى} أي: لطريق الشر، كما قال تعالى: {ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون}، والآيات في هذا المعنى كثيرة، دالة على أن الله عز وجل يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان. وكل ذلك بقدر مقدّر، والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤١٧).

وقال ابن عثيمين: «{فسنيسره للعسرى} ييسر للعسرى في أموره كلها، ولكن قد يأتي الشيطان للإنسان فيقول: نجد أن الكفار تيسر أمورهم، فيقال: نعم قد تيسّر أمورهم، لكن قلوبهم تشتعل ناراً وضيقاً

وحرجًا، كما قال تعالى: {ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقـًا حرجـًا كأنما يصعد في السماء}. ثم ما ينعّمون به فهو تنعيم جسد فقط، لا تنعيم روح.

ثم هو أيضـًا وبال عليهم لقول الله تعالى فيهم: {سنستدرجهم من حيث لا يعلمون. وأملي لهم إن كيدي متين}. وقال النبي صلى الله عليه وسلّم: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، وتلا قوله تعالى: {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد}. وهؤلاء عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا، ومع ذلك فإن هذه الدنيا جنة لهم بالنسبة للآخرة. «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٢٧-٢٢٨).

(وما يُغني عنه ماله إذا تردّى):

قال السعدي: «{وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ} الذي أطغاه واستغنى به، وبخل به، إذا هلك ومات، فإنه لا يصحبه إلا عمله الصالح. وأما ماله الذي لم يُخرج منه الواجب فإنه يكون وبالا عليه، إذ لم يقدّم منه لآخرته شيئًا». «تفسير السعدي» (ص٩٢٦).

(إنّ علينا للهدى):

«عن قتادة، قوله: (إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى) يقول: على الله البيان، بيانُ حلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٧٧).

وقال البغوي: «قيل معناه: إن علينا للهدى والإضلال كقوله: (بيدك الخير)، فاقتصر على الهدى لدلالة الكلام عليه، وكقوله: (سرابيل تقيكم الحر)، فاقتصر على ذكر الحر ولم يذكر البرد؛ لأنه يدل عليه». «تفسير البغوي - طيبة» (٨/ ٤٤٧).

وقال ابن عثيمين: «{إن علينا للهدى} فيه التزام من الله عز وجل أن يبين للخلق ما يهتدون به إليه. والمراد بالهدى هنا: هدى البيان والإرشاد، فإن الله تعالى التزم على نفسه بيان ذلك، حتى لا يكون

للناس على الله حجة، وهذا في قوله تعالى: {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده} إلى أن قال: {رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل}. فلا يمكن للعقل البشري أن يستقلّ بمعرفة الهدى، ولذلك التزم الله عز وجل بأن يبين الهدى للإنسان...

وإذا نظرنا إلى هذه الآية الكريمة {إن علينا للهدى} وجدنا أن الله تعالى بين كل شيء. بين ما يلزم الناس في العقيدة، وما يلزمهم في العبادة، وما يلزمهم في الأخلاق، وما يلزمهم في المعاملات، وما يجب عليهم اجتنابه في هذا كله. حتى قال أبو ذر رضي الله عنه: لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما. وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي: علمكم نبيكم حتى الخراءة، قال: أجل علمنا حتى الخراءة. يعني: حتى آداب قضاء الحاجة، علّمها النبي صلى الله عليه وسلّم أمته، ويؤيد هذا قوله تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينــًا}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٢٩-٢٣٠).

(وإن لنا للآخرة والأولى):

قال الطبري: «يقول: وإن لنا ملك ما في الدنيا والآخرة، نعطي منهما من أردنا مِن خلقنا، ونحرمه مَن شئنا. وإنما عَنَى بذلك جلّ ثناؤه أنه يوفق لطاعته من أحبّ من خلقه، فيكرمه بها في الدنيا، ويهيئ له الكرامة والثواب في الآخرة، ويخذُل من يشاء خذلانه من خلقه عن طاعته، فيهينه بمعصيته في الدنيا، ويخزيه بعقوبته عليها في الآخرة». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٧٧).

وقال البغوي: «{وإن لنا للآخرة والأولى} فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق». «تفسير البغوي - طيبة» (٨/ ٤٤٧).

وقال ابن عثيمين: «{وإن لنا للآخرة والأولى} يعني: لنا الآخرة والأولى. الأولى متقدمة على الآخرة في الزمن، لكنه في هذه الآية أخّرها لفائدتين: الفائدة الأولى: معنوية. الفائدة الثانية: لفظية.

أما المعنوية فلأن الآخرة أهم من الدنيا، ولأن الآخرة يظهر فيها ملك الله تعالى تماماً. في الدنيا هناك رؤساء، وهناك ملوك، وهناك أمراء، يملكون ما أعطاهم الله عز وجل من المُلك، لكن في الآخرة لا ملك لأحد {لمن الملك اليوم لله الواحد القهار}. فلهذا قدم ذكر الآخرة من أجل هذه الفائدة المعنوية.

أما الفائدة اللفظية: فهي مراعاة الفواصل يعني: أواخر الآيات، كلها آخرها ألف». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٣٠).

(فأنذرتكم نارا تلظى):

قال ابن كثير: «عن النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول: (أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، حتى لو أن رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا. قال: حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه...

وعن النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منها دماغه). رواه البخاري.

وقال مسلم:... عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا، وإنه لأهونهم عذابا)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٢١).

(لا يصلاها إلا الأشقى):

قال ابن تيمية: «قوله: {فأنذرتكم نارا تلظى. لا يصلاها إلا الأشقى. الذي كذب وتولى}. وهذا الصلي قد فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال: بخطاياهم، فأماتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحما أَذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر. فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم. فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل...}. فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا الصلي لأهل النار

الذين هم أهلها، وأن الذين ليسوا من أهلها فإنها تصيبهم بذنوبهم، وأن الله يميتهم فيها حتى يصيروا فحما، ثم يُشفع فيهم فيخرجون، ويؤتى بهم إلى نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل. وهذا المعنى مستفيض عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل متواتر في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ١٩٤).

(الذي كذّب وتولّى):

قال ابن عثيمين: «التكذيب في مقابل الخبر، والتولي في مقابل الأمر والنهي. فهذا كذب الخبر ولم يصدق، قيل له: إنك ستبعث. قال: لا أبعث. قيل له: هناك جنة ونار. قال: ليس هناك جنة ونار. قيل له: سيكون كذا وكذا، قال: ما يكون. هذا تكذيب. {وتولى} يعني أعرض عن طاعة الله، وأعرض عما جاءت به رسله، فهذا هو الشقي». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٣١).

(وسيُجنّبها الأتقى * الذي يؤتي ماله يتزكّى):

قال ابن كثير: «ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك. ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظُ العموم، وهو قوله تعالى: {وسيجنبها الأتقى. الذي يؤتي ماله يتزكى. وما لأحد عنده من نعمة تجزى}، ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف، وسائر الأوصاف الحميدة؛ فإنه كان صدّيقا تقيا كريما جوادا بذالا لأمواله في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل؛ ولهذا قال له عروة بن مسعود -وهو سيد ثقيف، يوم صلح الحديبية-: أما والله لولا يد لك كانت عندي لم أجزك بها لأجبتك. وكان الصدّيق قد أغلظ له في المقالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل، فكيف بمن عداهم؟ ولهذا قال: {وما لأحد عنده من نعمة تجزى. إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى. ولسوف يرضى}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٢٢).

وقال السعدي: «{الذي يؤتي ماله يتزكى} بأن يكون قصده به تزكية نفسه، وتطهيرها من الذنوب والعيوب، قاصدًا به وجه الله تعالى، فدل هذا على أنه إذا تضمن الإنفاقُ المستحب تركَ واجب، كدين ونفقة ونحوهما، فإنه غير مشروع، بل تكون عطيته مردودةً عند كثير من العلماء، لأنه لا يتزكى بفعل مستحب يفوّت عليه الواجب». «تفسير السعدي» (ص٩٢٧).

وقال ابن عثيمين: «{الذي يؤتي ماله يتزكى} يعني: يعطي ماله من يستحقه على وجه يتزكى به، أي: يتطهر به، قال الله تعالى: {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم}. فقوله: {الذي يؤتي ماله يتزكى} يفيد أنه لا يبذر ولا يبخل، وإنما يؤتي المال على وجه يكون به التزكية، وضابط ذلك ما ذكره الله في سورة الفرقان: {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامـًا}. نجد بعض الناس يعطيه الله مالاً، ولكنه يبخل ويقتُر، حتى الواجب عليه لزوجته وأولاده وأقاربه لا يقوم به. ونرى بعض الناس قدّر الله عليه الرزق، وضيق عليه بعض الشيء، ومع هذا يذهب يتدين من الناس من أجل أن يكمل بيته حتى يكون مثل: بيت فلان وفلان، أو من أجل أن يشتري سيارة فخمة كسيارة فلان وفلان، وكلا المنهجين والطريقين منهج باطل. الأول: قصّر. والثاني: أفرط. والواجب على الإنسان أن يكون إنفاقه بحسب حاله.

فإن قال قائل: هل يجوز أن يتدين الإنسان ليتصدق؟

فالجواب: لا. لأن الصدقة تطوع، والتزام الدَّين خطر عظيم، لأن الدَين ليس بالأمر الهين، فالإنسان إذا مات وعليه دَين فإن نفسه معلقة بدَينه حتى يقضى عنه، وكثير من الورثة لا يهتم بدَين الميت، تجده يتأخر ويماطل وربما لا يوفيه. وقد كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا قُدّمت إليه جنازة سأل هل عليه دَين؟ أله وفاء؟ فإن قالوا: لا، قال: «صلوا على صاحبكم». وأخبر صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن الشهادة في سبيل الله تكفّر كل شيء إلا الدَّين، فالدَّين أمره عظيم، لا يجوز للإنسان أن يتهاون به». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٣١).

(وما لأحد عنده من نعمة تُجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى):

قال ابن تيمية: «ألا ترى أن أبا طالب نصر النبي صلى الله عليه وسلم وذب عنه أكثر من غيره؛ لكن فعل ذلك لأجل القرابة لا لأجل الله تعالى فلم يتقبل الله ذلك منه ولم يثبه على ذلك. وأبو بكر الصديق رضي الله عنه أعانه بنفسه وماله لله؛ فقال الله فيه: {وسيجنبها الأتقى. الذي يؤتي ماله يتزكى. وما لأحد عنده من نعمة تجزى. إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى. ولسوف يرضى}». «جامع الرسائل لابن تيمية» (٢/ ١٠٤).

وقال السعدي: «{وَمَا لأحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى} أي: ليس لأحد من الخلق على هذا الأتقى نعمة تُجزى إلا وقد كافأه بها، وربما بقي له الفضل والمنة على الناس، فتمحّض عبدًا لله، لأنه رقيق إحسانه وحده، وأما من بقي عليه نعمة للناس لم يجزها ويكافئها، فإنه لا بد أن يترك للناس، ويفعل لهم ما يُنقص إخلاصه». «تفسير السعدي» (ص٩٢٧).

(ولسوف يرضى):

قال ابن عثيمين: «يعني: سوف يرضيه الله عز وجل بما يعطيه من الثواب الكثير، وقد بين الله ذلك في قوله: {مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم}. نسأل الله أن يجعلنا من هؤلاء البررة الأطهار الكرام، إنه على كل شيء قدير». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٣٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الليل

١- من سنن الله سبحانه وتعالى أن الناس لا يزالون مختلفين في دينهم وعقائدهم وأفكارهم وأعمالهم، والموفق من رحمه الله فوفقه لطاعته وتقواه، فكن من الموفقين بجمع خصال الخير، وهي: السخاء بإعطاء المال وإنفاقه في وجوه الخير الواجبة والمستحبة، وتقوى الله حيثما كنت، والتصديق بلا إله إلا الله وما دلت عليه وما يترتب عليها من جزاء، وأبشر بتيسيرك لليسرى، فتتيسر أمورك في الدنيا والآخرة، وتوفّق للعمل الصالح إثر العمل الصالح، وتسلم من المعاصي والآثام (والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلّى * وما خلق الذكر والأنثى * إن سعيكم لشتّى * فأما من أعطى واتّقى * وصدّق بالحسنى * فسنيسّره لليُسرى).

٢- من الناس من يكون سببا في تعسير أموره بنفسه، وذلك بجمعه خصال الشر في نفسه، بالبخل والامتناع عن بذل المال فيما يجب، والاستغناء عن حفظ ربه وتوفيقه وجزائه، والتكذيب بالإسلام والجنة والنار، فيعاقبه الله بتعسير أموره في الدنيا والآخرة، وبتعسير الطاعات عليه، وتيسير المعاصي له، وحينئذ يبوء بالخسران، ويحاط بالحرمان، ويصلى النيران (وأما من بخل واستغنى * وكذّب بالحسنى * فسنيسّره للعسرى).

٣- إذا أكرمك الله بالمال وأغناك، فكن شكورا لربك بطاعته وبذل المال ابتغاء وجهه، ولا تكن كفورا بالبخل والإسراف والتبذير، واعمل بمالك في حياتك ما يكون سببا لنجاتك من التردّي في النار بعد مماتك (وما يغني عنه ماله إذا تردّى).

٤- الله سبحانه تكفّل ببيان طريق الهدى من الضلال فضلا منه ورحمة وكرما وإحسانا، وذلك في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فجاء دين الإسلام محجة بيضاء واضحة، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فاسأل الله الهداية بصدق، واطلبها بتدبر كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم (إن علينا للهدى).

٥- الله سبحانه هو الذي يملك الدنيا والآخرة، وهو المتصرّف فيهما بما شاء، لا رادّ لقضائه، ولا معقّب لحُكمه، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فاسأله حاجاتك كلها، بتوكل صادق، وظن حسن (وإن لنا للآخرة والأولى).

٦- احذر النار، واتّق النار، واستعذ بالله من النار، وأعتق رقبتك من النار، وقِ نفسك وأهلك من النار، وذلك بترك المعاصي كلها والبعد عنها وعن الحوم حول حماها (فأنذرتكم نارا تلظّى * لا يصلاها إلا الأشقى * الذي كذّب وتولى).

٧- احرص على النفقة والبذل في جميع وجوه الخير، خصوصا فيما يكون سببا لعزة الإسلام ونصرة المسلمين، كما كان يفعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قاصدا بذلك وجه الله وحده، لا رياء، ولا سمعة، ولا جزاء معروف سابق، ولا تحصيل منفعة دنيوية أخرى، وليكن إنفاقك بدون منّة ولا أذى، حتى تفوز برضوان الله سبحانه، وتزكّي نفسك وتطهّرها، وتنجو من النار يوم القيامة (وسيُجنّبها الأتقى * الذي يؤتي ماله يتزكّى * وما لأحد عنده من نعمة تُجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى * ولسوف يرضى).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الشمس من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة الشمس: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] التأكيد بأطول قسم في القرآن على تعظيم تزكية النفس بالطاعات، وخسارة دسّها بالمعاصي.

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١﴾.

١ - أقسم الله بالشمس، وأقسم بوقت ارتفاعها بعد طلوعها من مشرقها.

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢﴾.

٢ - وأقسم بالقمر إذا تبع أثرها بعد غروبها.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ٣﴾.

٣ - وأقسم بالنهار إذا كشف ما على وجه الأرض بضوئه.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ٤﴾.

٤ - وأقسم بالليل إذا يغشى وجه الأرض، فيصير مظلمًا.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ٥﴾.

٥ - وأقسم بالسماء، وأقسم ببنائها المتقن.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ٦﴾.

٦ - وأقسم بالأرض، وأقسم ببسطها؛ ليسكن الناس عليها.

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧﴾.

٧ - وأقسم بكل نفس، وأقسم بخلق الله لها سوية.

﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨﴾.

٨ - فأفهمها من غير تعليم ما هو شرّ لتجتنبه، وما هو خير لتأتيه.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩﴾.

٩ - قد فاز بمطلوبه من طهّر نفسه بتحليتها بالفضائل، وتخليتها عن الرذائل.

﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾.

١٠ - وقد خسر من دَسَّ نفسه مخفيًا إياها في المعاصي والآثام.

ولما ذكر الله خسران من دَسَّ نفسه وأخفاها بالمعاصي ذكر ثمود مثالًا على ذلك فقال:

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١﴾.

١١ - كذبت ثمود نبيها صالحًا بسبب مجاوزتها الحدّ في ارتكاب المعاصي، واقتراف الآثام.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢﴾.

١٢ - حين قام أشقاهم بعد انتداب قومه له.

﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣﴾.

١٣ - فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام: اتركوا ناقة الله، وشِرْبها في يومها، فلا تتعرضوا لها بسوء.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤﴾.

١٤ - فكذبوا رسولهم في شأن الناقة، فقتلها أشقاهم مع رضاهم بما فعل، فكانوا شركاء في الإثم، فأطبق الله عليهم عذابه، فأهلكهم بالصيحة بسبب ذنوبهم، وسوّاهم في العقوبة التي أهلكهم بها.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ١٥﴾.

١٥ - فعل الله بهم من العذاب ما أهلكهم غير خائف سبحانه من تبعاته.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• أهمية تزكية النفس وتطهيرها.

• المتعاونون على المعصية شركاء في الإثم.

• الذنوب سبب للعقوبات الدنيوية.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الشمس

الكلمة	المعنى
وضُحاها	وضوئِها إذا أشرقت
تلاها	تَبِعَها بالإضاءة بعد غروبها
جَلّاها	كشف ظلمة الليل
يَغْشاها	يغطّي الأرض بظُلمته
طَحَاها	بسَطَها
سوّاها	خلقها مستوية معتدلة لأداء مهمتها
فألْهمها فُجُورَها وتقواها	فبيّن لها طريق الخير والشر
زكّاها	طهّرها ونمّاها بفعل الطاعات وترك المعاصي
خَابَ	خسِر
دسّاها	أخفى نفسه في المعاصي
بِطَغواها	بسبب مجاوزتها الحدّ في الطغيان
انْبَعَث	انطلق مُسرِعا لِعَقر الناقة
ناقةَ الله وسُقيَاها	احذروا أن تمسّوا ناقة الله بسُوء وأن تعتدوا على شِربها
فعَقَرُوها	فقتَلُوها
فدَمْدَم	فأطبق عليهم العذاب بالصيحة
فسوّاها	فعمّهم بالعقوبة فلم يُفلت منهم أحد
عُقْبَاها	عاقبة هذه العقوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الشمس

(والشمس وضحاها):

قال البغوي: «{وضحاها} الضحى: حين تطلع الشمس، فيصفو ضوؤها، قال قتادة: هو النهار كله. وقال مقاتل: حرها، كقوله في طه: (ولا تضحى)، يعني: لا يؤذيك الحر». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٣٥).

وقال ابن عثيمين: «في هذه الشمس من الآيات ما لا يدركه بعض الناس، فإذا طلعت الشمس فكم توفر على العالم من طاقة كهربائية؟ توفر آلاف الملايين، لأنهم يستغنون بها عن هذه الطاقة، وكم يحصل للأرض من حرارتها، من نضج الثمار، وطيب الأشجار، ما لا يعلمه إلا الله عز وجل». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٢٠).

(والقمر إذا تلاها):

«قال الزجاج: وذلك حين استدار، يعني: كمل ضوؤه تابعا للشمس في الإنارة، وذلك في الليالي البيض». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٣٥).

وقال ابن عثيمين: «إذا تلاها في السير؛ لأن القمر يتأخر كل يوم عن الشمس، فبينما تجده في أول الشهر قريباً منها في المغرب، إذا هو في نصف الشهر أبعد ما يكون عنها في المشرق، لأنه يتأخر كل يوم.
أو إذا تلاها في الإضاءة، لأنها إذا غابت بدأ ضوء القمر، لاسيما في الربع الثاني إلى نهاية الربع الثالث، فإن ضوء القمر يكون بيناً واضحاً. يعني: إذا مضى سبعة أيام إلى أن يبقى سبعة أيام يكون الضوء قويًّا، وأما في السبعة الأولى والأخيرة فهو ضعيف،
وعلى كل حال فإن إضاءة القمر لا تكون إلا بعد ذهاب ضوء الشمس كما هو ظاهر. فأقسم الله تعالى بالشمس لأنها آية النهار، وبالقمر لأنه آية الليل». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٢١).

(والنهار إذا جلاها):

قال ابن كثير: «قال قتادة: {والنهار إذا جلاها} إذا غشيها النهار. قال ابن جرير: وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى: والنهار إذا جلا الظلمة، لدلالة الكلام عليها.

قلت: ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى {والنهار إذا جلاها} أي: البسيطة، لكان أولى، ولصح تأويله في قول الله: {والليل إذا يغشاها} فكان أجود وأقوى، والله أعلم. ولهذا قال مجاهد: {والنهار إذا جلاها} إنه كقوله: {والنهار إذا تجلى}. وأما ابن جرير فاختار عود الضمير في ذلك كله على الشمس، لجريان ذكرها». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤١٠).

(والليل إذا يغشاها):

قال ابن عثيمين: «{والليل إذا يغشاها} إذ يغطي الأرض حتى يكون كالعباءة المفروشة على شيء من الأشياء، وهذا يتضح جلياً فيما إذا غابت الشمس وأنت في الطائرة، تجد أن الأرض سوداء تحتك، لأنك أنت الآن تشاهد الشمس لارتفاعك، لكن الأرض التي تحتك حيث غربت عليها الشمس تجدها سوداء، كأنها مغطاة بعباءة سوداء، وهذا معنى قوله: {والليل إذا يغشاها}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٢١).

(والسماء وما بناها):

قال ابن تيمية: «قوله {والسماء وما بناها. والأرض وما طحاها. ونفس وما سواها} على القول الصحيح إنها اسم موصول والمعنى: وبانيها وطاحيها ومسويها». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٩٦).

وقال السعدي: «{وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا} يحتمل أن (ما) موصولة، فيكون الإقسام بالسماء وبانيها، الذي هو الله تبارك وتعالى. ويحتمل أنها مصدرية، فيكون الإقسام بالسماء وبنيانها، الذي هو غاية ما يقدر من الإحكام والإتقان والإحسان، ونحو ذلك قوله: {وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا} أي: مدها ووسعها، فتمكن الخلق حينئذ من الانتفاع بها، بجميع وجوه الانتفاع». «تفسير السعدي» (ص٩٢٦).

وقال ابن عثيمين: «السماء عظيمة بارتفاعها وسعتها وقوتها، وغير ذلك مما هو من آيات الله فيها، وكذلك بناؤها بناء محكم، كما قال تبارك وتعالى: {ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور. ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئًا وهو حسير}. «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٢١).

(والأرض وما طحاها):

قال ابن عثيمين: «يعني: الأرض وما سواها حتى كانت مستوية، وحتى كانت ليست لينة جداً، وليست قوية صلبة جداً، بل هي مناسبة للخلق على حسب ما تقوم به حوائجهم، وهذا من نعمة الله سبحانه وتعالى على عباده أن سوى لهم الأرض وجعلها بين اللين والخشونة إلا في مواضع، لكن هذا القليل لا يحكم به على الكثير». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٢٢).

(ونفس وما سوّاها):

قال الطبري: «يعني جلّ ثناؤه بقوله: (وَمَا سَوَّاهَا) نفسه؛ لأنه هو الذي سوّى النفس وخلقها، فعدّل خلقها، فوضع (ما) موضع (مَنْ).

وقد يُحتمل أن يكون معنى ذلك أيضا المصدر، فيكون تأويله: ونفس وتسويَتها، فيكون القسم بالنفس وبتسويتها». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٥٤).

وقال ابن تيمية: «ختم القسم بالنفس التي هي آخر المخلوقات؛ فإن الله خلق آدم يوم الجمعة آخر المخلوقات». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢٣٠).

وقال ابن كثير: «{ونفس وما سواها} أي: خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة، كما قال تعالى: {فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله}، وقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟) أخرجاه من رواية أبي هريرة.
وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حمار المجاشعي، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يقول الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤١١).

وقال السعدي: «النفس آية كبيرة من آياته التي حقيقة بالإقسام بها، فإنها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقل والحركة والتغير والتأثر والانفعالات النفسية، من الهم والإرادة والقصد والحب والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة». «تفسير السعدي» (ص٩٢٦).

وقال ابن عثيمين: «{وما سواها} يعني سواها خِلقة وسواها فطرة، سواها خلقة حيث خلق كل شيء على الوجه الذي يناسبه ويناسب حاله. قال الله تعالى: {الذي أعطى كل شيء خلقه} أي: خلقه المناسب له، {ثم هدى} أي: هداه لمصالحه. وكذلك سواه فطرة، ولا سيما البشر، فإن الله جعل فطرتهم هي الإخلاص والتوحيد، كما قال تعالى: {فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٢٢).

(فألهمها فجورها وتقواها):

قال ابن القيم: «الإلهام: الإلقاء في القلب، لا مجرد البيان والتعليم، كما قاله طائفة من المفسرين؛ إذ لا يقال لمن بيّن لغيره شيئًا وعلّمه إيّاه: إنه قد ألهمه ذلك. هذا لا يُعرف في اللغة البتّة، بل الصواب ما قاله ابن زيد، قال: جعل فيها فجورها وتقواها.
وعليه دل حديث عمران بن حصين أن رجلًا من مزينة أو من جهينة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون، أشيءٌ قُضِيَ عليهم ومضى عليهم من قدر سبق، أو

فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم؟ قال: (بل شيء قُضِيَ عليهم ومضى)، قال: ففيم العمل؟ قال: (من خلقه الله لإحدى المنزلتين استعمله بعمل أهلها، وتصديق ذلك في كتاب الله {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}).

فقراءة هذه الآية عقيب إخباره بتقدم القضاء والقدر السابق يدل على أن المراد بالإلهام استعمالها فيما سبق لها، لا مجرد تعريفها؛ فإن التعريف والبيان لا يستلزم وقوع ما سبق به القضاء والقدر.

ومن فَسَّرَ الآية من السلف بالتعليم والتعريف فمراده: تعريف مستلزم لحصول ذلك، لا تعريف مجرد عن الحصول، فإنه لا يُسمّى إلهامًا، والله أعلم». «شفاء العليل» (١/ ١٨٧-١٨٨).

وقال ابن عثيمين: «الفجور هو ما يقابل التقوى، والتقوى طاعة الله، فالفجور معصية الله، فكل عاص فهو فاجر. وإن كان الفاجر خُصَّ عرفـًا بأنه من ليس بعفيف، لكن هو شرعـًا يعم كل من خرج عن طاعة الله، كما قال تعالى: {كلا إن كتاب الفجار لفي سجين}. والمراد الكفار. وإلهامها تقواها هو الموافق للفطرة؛ لأن الفجور خارج عن الفطرة، لكن قد يلهمه الله بعض النفوس لانحرافها، لقوله تعالى: {فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم}. والله تعالى لا يظلم أحدًا، لكن من عَلم منه أنه لا يريد الحق أزاغ الله قلبه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٢٢).

(قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها):

قال البغوي: «قال الحسن: معناه: قد أفلح من زكى نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله عز وجل، (وقد خاب من دساها) أهلكها وأضلها وحملها على المعصية، فجعل الفعل للنفس...

وعن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والجبن والهم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها)». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٣٩).

وقال ابن تيمية: «قال تعالى: {قد أفلح من زكاها}، و {قد أفلح من تزكى}. قال قتادة وابن عيينة وغيرهما: قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال. وقال الفراء والزجاج: قد أفلحت نفس زكاها الله، وقد خابت نفس دساها الله. وكذلك ذكره الوالبي عن ابن عباس وهو منقطع. وليس هو مراد الآية؛ بل المراد بها الأول قطعا لفظا ومعنى...

والمقصود هنا أمر الناس بتزكية أنفسهم والتحذير من تدسيتها، كقوله: {قد أفلح من تزكى}، فلو قدر أن المعنى: قد أفلح من زكى الله نفسه لم يكن فيه أمر لهم ولا نهي؛ ولا ترغيب ولا ترهيب. والقرآن إذا أمر أو نهى لا يذكر مجرد (القدر)، فلا يقول: من جعله الله مؤمنا. بل يقول: {قد أفلح المؤمنون}، {قد أفلح من تزكى}؛ إذ ذكر مجرد القدر في هذا يناقض المقصود، ولا يليق هذا بأضعف الناس عقلا فكيف بكلام الله؟ ألا ترى أنه في مقام الأمر والنهي والترغيب والترهيب يذكر ما يناسبه من الوعد والوعيد والمدح والذم؟ وإنما يذكر القدر عند بيان نعمه عليهم: إما بما ليس من أفعالهم، وإما بإنعامه بالإيمان والعمل الصالح. ويذكره في سياق قدرته ومشيئته. وأما في معرض الأمر فلا يذكره إلا عند النعم. كقوله: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا} الآية فهذا مناسب». «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٦٢٥-٦٢٨).

وقال ابن تيمية: «إذا كان الضلال في القدر حصل تارة بالتكذيب بالقدر والخلق، وتارة بالتكذيب بالشرع والوعيد، وتارة بتظليم الرب: كان في هذه السورة ردا على هذه الطوائف كلها.

فقوله تعالى: {فألهمها فجورها وتقواها} إثبات للقدر بقوله: (فألهمها)؛ وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه ليعلم أنها هي الفاجرة والمتقية؛ وإثبات للتفريق بين الحسن والقبيح والأمر والنهي بقوله: {فجورها وتقواها}. وقوله بعد ذلك: {قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها} إثبات لفعل العبد والوعد والوعيد بفلاح من زكى نفسه وخيبة من دساها». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢٤٣).

وقال ابن القيم: «والتزكية جعل الشيء زكيا: إما في ذاته، وإما في الاعتقاد والخبر عنه، كما يقال: عدلته وفسقته إذا جعلته كذلك في الخارج، أو في الاعتقاد والخبر.

وعلى هذا فقوله تعالى: {فلا تزكوا أنفسكم} هو على غير معنى: {قد أفلح من زكاها}؛ أي: لا تخبروا بزكاتها وتقولوا: نحن زاكون صالحون متقون، ولهذا قال عقيب ذلك: {هو أعلم بمن اتقى}...

وكذلك قوله: {ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم}؛ أي: يعتقدون زكاءها ويخبرون به، كما يزكي المزكي الشاهد، فيقول عن نفسه ما يقول المزكي فيه، ثم قال تعالى: {بل الله يزكي من يشاء}؛ أي: هو الذي يجعله زاكيا ويخبر بزكاته. وهذا بخلاف قوله: {قد أفلح من زكاها}؛ فإنه من باب قوله: {هل لك إلى أن تزكى}؛ أي: تعمل بطاعة الله، فتصير زاكيا، ومثله قوله تعالى: {قد أفلح من تزكى}. «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (١/ ٨٠).

وقال ابن القيم: «قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} والمعنى: قد أفلح من كبّرها وأعلاها بطاعة الله وأظهرها. وقد خسر من أخفاها وحقّرها وصغرها بمعصية الله. وأصل التدسية الإخفاء. ومنه قوله تعالى: {أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ}. فالعاصي يدسّ نفسه في المعصية، ويخفي مكانها، ويتوارى من الخلق من سوء ما يأتي به، قد انقمع عند نفسه، وانقمع عند الله، وانقمع عند الخلق.

فالطاعة والبرّ تكبّر النفس، وتعزّها، وتعليها، حتى تصير أشرف شيء، وأكبره، وأزكاه، وأعلاه؛ ومع ذلك فهي أذلّ شيء وأحقره وأصغره لله تعالى. وبهذا الذلّ حصل لها هذا العزّ والشرف والنموّ، فما صغّر النفوسَ مثلُ معصية الله، وما كبّرها وشرّفها ورفعها مثلُ طاعة الله». «الداء والدواء» (١/ ١٨٩).

وقال ابن عثيمين: «{قد أفلح من زكّاها. وقد خاب من دساها} هذا يحتاج إلى دعاء الله سبحانه وتعالى أن يثبت الإنسان على طاعته، وعلى القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. فعليك دائماً أن تسأل الله الثبات، والعلم النافع، والعمل الصالح، فإن الله تعالى قال: {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٢٣).

(كذبت ثمود بطغواها):

قال ابن تيمية: «ذكر سبحانه في هذه السورة ثمود دون غيرهم من الأمم المكذبة...:

هذا والله أعلم من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى. فإنه لم يكن في الأمم المكذبة أخف ذنبا وعذابا منهم؛ إذ لم يَذكر عنهم من الذنوب ما ذكر عن عاد ومدين وقوم لوط وغيرهم...

وكان عذاب كل أمة بحسب ذنوبهم وجرائمهم. فعَذّب قوم عاد بالريح الشديدة العاتية التي لا يقوم لها شيء؛ وعَذّب قوم لوط بأنواع من العذاب لم يعذب بها أمة غيرهم... وعذّب قوم شعيب بالنار التي أحرقتهم وأحرقت تلك الأموال التي اكتسبوها بالظلم والعدوان.

وأما ثمود فأهلكهم بالصيحة فماتوا في الحال. فإذا كان هذا عذابه لهؤلاء وذنبهم مع الشرك عقر الناقة التي جعلها الله آية لهم. فمن انتهك محارم الله واستخف بأوامره ونواهيه وعقر عباده وسفك دماءهم كان أشد عذابا». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢٤٩-٢٥٠).

(إذ انبعث أشقاها):

قال البغوي: «الانبعاث: هو الإسراع في الطاعة للباعث، أي: كذبوا بالعذاب، وكذبوا صالحا لما انبعث أشقاها وهو: قدار بن سالف، وكان أشقر أزرق العينين قصيرا قام لعقر الناقة...

عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذ انبعث أشقاها) انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في أهله مثل أبي زمعة». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٤٠).

(فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها):

قال الطبري: «وكيف قيل (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا) وقد كان القوم قبل قتل الناقة مُسَلِّمين، لها شرب يوم، ولهم شرب يوم آخر. قيل: جاء الخبر أنهم بعد تسليمهم ذلك أجمعوا على منعها الشرب، ورضوا بقتلها، وعن رضا جميعهم قَتَلها قاتِلُها، وعقَرَها من عقرها، ولذلك نُسب التكذيب والعقر إلى جميعهم...

عن قتادة، قوله: (فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا) ذُكر لنا أن أحيمر ثَمود أبى أن يعقرها، حتى بايعه صغيرُهم وكبيرُهم، وذكرهم وأنثاهم، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسوّاها». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٦٠).

وقال السعدي: «{فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ} أي: دمر عليهم وعمهم بعقابه، وأرسل عليهم الصيحة من فوقهم، والرجفة من تحتهم، فأصبحوا جاثمين على ركبهم، لا تجد منهم داعيًا ولا مجيبا». «تفسير السعدي» (ص٩٢٦).

وقال ابن عثيمين: «الذنوب سبب للهلاك والدمار والفساد؛ لقول الله تبارك وتعالى: {ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون}. وقال تعالى: {وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً}. وقال الله تعالى يخاطب أشرف الخلق وخير القرون: {أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم}. فالإنسان يصاب بالمصائب من عند نفسه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٢٥).

(ولا يخاف عقباها):

قال ابن عثيمين: «يعني: أن الله لا يخاف من عاقبة هؤلاء الذين عذبهم، ولا يخاف من تبعتهم، لأن له الملك وبيده كل شيء، بخلاف غيره من الملوك لو انتصروا على غيرهم، أو عاقبوا غيرهم تجدهم في خوف، يخشون أن تكون الكرة عليهم. أما الله عز وجل فإنه لا يخاف عقباها. أي: لا يخاف عاقبة من عذبهم، لأنه سبحانه وتعالى له الملك كله، والحمد كله، فسبحانه وتعالى ما أعظمه، وما أجل سلطانه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٢٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الشمس

١- تأمل في آيات الله الباهرة من حولك، في الشمس وضيائها، والقمر وضوئه، والنهار وإشراقه، والليل وظلامه، والسماء وبنيانها، والأرض ومدّها، والنفس وتسويتها خلقا وفطرة، وإلهامها فجورها وتقواها، واعلم أنه كلّما قوي تأمّلك لهذه الآيات زاد إيمانك، وقوي يقينك، وزالت عن قلبك الغشاوة (والشمس وضحاها ❁ والقمر إذا تلاها ❁ والنهار إذا جلّاها ❁ والليل إذا يغشاها ❁ والسماء وما بناها ❁ والأرض وما طحاها ❁ ونفس وما سوّاها ❁ فألهمها فجورها وتقواها).

٢- اعمل على تزكية نفسك بفعل الطاعات وتنويعها وإحسانها وإتقانها والإخلاص فيها والإكثار منها، فذاك هو الفلاح الحقيقي. واحذر من إخفاء نفسك وترديتها بترك الطاعات وفعل المحرمات فتبوء بالخسران المبين، وهذا الخسران وذلك الفلاح قد أكّدهما الله بأطول قسَم في القرآن، فليكن تحقيق الفلاح رأس اهتماماتك، والنجاة من الخسران أهمّ أولوياتك، وادعُ دائما بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليّها ومولاها)، وبما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم من الدعاء: (اللهم ألهمني رشدي، وقني شرّ نفسي) (قد أفلح من زكاها ❁ وقد خاب من دسّاها).

٣- احذر المجاهرة بالذنوب والمعاصي، أو الموافقة عليها، أو التبرير لأصحابها، أو إعانة فاعليها، أو السكوت عن إنكارها، فإنه لا طاقة لنا بعقاب الله إذا نزل، وتأمل قصة ثمود، فإنه انبعث أشقاهم، وهو رجل واحد فعقر الناقة، لكن لما رضي بذلك جميعهم، أهلكهم الله جميعا (كذّبت ثمود بطغواها ❁ إذ انبعث أشقاها ❁ فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ❁ فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها ❁ ولا يخاف عقباها).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة البلد من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة البلد: مَكيّة

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] بيان افتقار الإنسان وكبَده وسبل نجاته.

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾.

أقسم الله بالبلد الحرام الَّذي هو مكة المكرمة.

﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾.

وأنت -أيها الرسول- حلال لك ما تصنع فيها؛ من قَتْل مَنْ يستحق القتل، وأَسْر من يستحقّ الأسر.

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾.

وأقسم الله بوالد البشر، وأقسم بما تناسل منه من الولد.

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾.

لقد خلقنا الإنسان في تعب ومشقة؛ لما يعانيه من الشدائد في الدنيا.

﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥﴾.

أيظنّ الإنسان أنَّه إذا اقترف المعاصي لا يقدر عليه أحد، ولا ينتقم منه، ولو كان ربه الَّذي خلقه؟!

﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦﴾.

يقول: أنفقت مالًا كثيرًا متراكمًا بعضه فوق بعض.

﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾.

أيظنّ هذا المتباهي بما ينفقه أن الله لا يراه؟! وأنه لا يحاسبه في ماله؛ من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟!

﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨﴾.

ألم نجعل له عينين يبصر بهما؟!

﴿وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩﴾.

ولسانًا وشفتين يتحدث بها؟!

﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠﴾.

وعرّفناه طريق الخير، وطريق الباطل؟!

﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١﴾.

وهو مطالَب بأن يتجاوز العقبة التي تفصله عن الجنّة فيقطعها ويتجاوزها.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢﴾.

وما أعلمك -أيها الرسول- ما العقبة التي عليه أن يقطعها ليدخل الجنّة؟!

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣﴾.

هي إعتاق رقبة ذكرًا كانت أو أنثى.

﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤﴾.

أو أن يطعِم في يوم مجاعة يندر فيه وجود الطعام.

﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥﴾.

طفلًا فقد أباه، له به قرابة.

﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦﴾.

أو فقيرًا ليس له شيء يملكه.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧﴾.

ثم كان من الذين آمنوا بالله، وأوصى بعضهم بعضًا بالصبر على الطاعات وعن المعاصي وعلى البلاء، وأوصى بعضهم بعضًا بالرحمة بعباد الله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨﴾.

أولئك المتصفون بتلك الصفات هم أصحاب اليمين.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩﴾.

والذين كفروا بآياتنا المنزلة على رسولنا هم أصحاب الشمال.

﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾.

عليهم نار مغلقة يوم القيامة يعذبون فيها.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• عتق الرقاب، وإطعام المحتاجين في وقت الشدة، والإيمان بالله، والتواصي بالصبر والرحمة: من أسباب دخول الجنّة.

• من دلائل النبوة إخباره أن مكة ستكون حلالًا له ساعة من نهار.

• لما ضيق الله طرق الرق وسع طرق العتق، فجعل الإعتاق من القربات والكفارات.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة البلد

الكلمة	المعنى
لا أُقسِم	أُقسِم، و (لا) للتوكيد
بِهَذا البَلَد	بمكة المكرّمة
وأنت حِلٌّ بهذا البَلَد	وأنت مقيم بمكة، أو: حلال لك ما تصنع في مكة من القتل والأسر
ووَالِد وما وَلَد	قسَم بكل والد وبكل مولود، ومنهم آدم عليه السلام وذريته
في كَبَد	في تعب ومشقة
أَهْلَكْتُ	أنفقت
لُبَدًا	كثيرا مُباهاة وتفاخُرا
وهديناه النجْدَيْن	وبيّنّا له طريقي الخير والشر
فلا اقتحَم العقَبة	فهلّا تجاوز مشقة الآخرة
فكُّ رقبة	إعتاق رقبة إنسان من الرقّ والعبودية
ذي مَسغَبَة	ذي مجاعة وحاجة
ذا مَقْرَبة	ذا قرابة في النسب
ذا مَترَبَة	التصق بالتراب لشدة حاجته
بِالمَرحَمة	بالرحمة فيما بينهم
المَيمَنَة	الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة
المَشأَمة	الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار
مُؤْصَدَة	مُطبَقة مُغلَقة

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة البلد

(لا أقسم بهذا البلد):

قال ابن القيم: «ولو لم يكن البلد الأمين خيرَ بلاده، وأحبَّها إليه، ومختارَه من البلاد= لما جعل عرصاتها مناسك لعباده، وفرَضَ عليهم قصدها، وجعل ذلك من آكد فروض الإسلام، وأقسم به في كتابه في موضعين منه فقال: {وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ}، وقال تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}. وليس على وجه الأرض بقعة يجب على كلِّ قادر السعيُ إليها والطوافُ بالبيت الذي فيها غيرها. وليس على وجه الأرض موضع يُشرَع تقبيلُه واستلامه، ويَحُطُّ الخطايا والأوزارَ غير الحجر الأسود والركن اليماني.

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة. ففي النسائي والمسند بإسناد صحيح عن عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة». ورواه ابن حبان في «صحيحه». وهذا صريح في أن المسجد الحرام أفضل بقاع الأرض على الإطلاق، ولذلك كان شدُّ الرحال إليه فرضًا، وإلى غيره إنما يُستحَبّ ولا يجب.

وفي الترمذي والنسائي والمسند عن عبد الله بن عَدي بن الحمراء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته بالحَزْوَرة من مكة يقول: «والله إنك لخير أرض الله وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخْرِجتُ منك ما خرجتُ». قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

ومن خصائصها: كونها قبلةً لأهل الأرض كلهم، فليس لله على وجه الأرض قبلة غيرها.

ومن خواصِّها أيضًا: أنه يحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة دون سائر بقاع الأرض...

ومن خواصِّها أيضًا: أن المسجد الحرام أول مسجد وضع في الأرض، كما في «الصحيحين» عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض؟ قال: «المسجد الحرام». قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون عامًا»...

ومما يدل على تفضيلها أن الله تعالى أخبر أنها أم القرى. فالقرى كلها تبع لها وفرع عليها، وهي أصل القرى، فيجب أن لا يكون لها في القرى عديل». «زاد المعاد في هدي خير العباد» (١/ ٢٣-٢٦).

وقال ابن عثيمين: «{لا} للاستفتاح، أي: استفتاح الكلام وتوكيده، وليست نافية، لأن المراد إثبات القسم، يعني: أنا أقسم بهذا البلد، لكن (لا) هذه تأتي هنا للتنبيه والتأكيد.

و {أقسم} القسم: تأكيد الشيء بذكرِ معظم على وجه مخصوص. فكل شيء محلوف به لابد أن يكون معظمـًا لدى الحالف، وقد لا يكون معظمًا في حد ذاته. فمثلاً: الذين يحلفون باللات والعزى هي معظمة عندهم، لكن هي في الواقع ليست عظيمة ولا معظمة...

{بهذا البلد} البلد هنا مكة، وأقسم الله بها لشرفها وعظمها... فجدير بهذا البلد الأمين أن يقسم به. ولكن نحن لا نقسم به، لأنه مخلوق، وليس لنا الحق أن نقسم بمخلوق. كما قال النبي صلى الله عليه وسلّم: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»، أما الله عز وجل فإنه سبحانه يقسم بما شاء، ولهذا أقسم هنا بمكة». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢١٠-٢١١).

(وأنت حل بهذا البلد):

«عن ابن عباس: (وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) يعني بذلك: نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، أحلّ الله له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء، ويستحْيِي من شاء؛ فقتل يومئذ ابن خَطَل صَبْرا وهو آخذ بأستار الكعبة، فلم تحِل لأحد من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل فيها حراما حرّمه الله، فأحلّ الله له ما صنع بأهل مكة». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٣٠).

وقال البغوي: «أحل الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح، حتى قاتل وقَتل... فأحل دماء قوم وحرم دماء قوم، فقال: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن)، ثم قال: (إن الله حرّم مكة يوم خلق السماوات والأرض، ولم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة». والمعنى: أن الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظيم قدرها مع حرمتها، فوعد نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يحلها له حتى يقاتل فيها، وأن يفتحها على يده». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٢٦).

وقال ابن كثير: «هذا المعنى الذي قالوه قد ورد به الحديث المتفق على صحته: (إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شجره، ولا يختلى خلاه. وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب). وفي لفظ آخر: (فإن أحد ترخّص بقتال رسول الله فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٠٢).

وقال ابن عثيمين: {وأنت حل بهذا البلد} قيل المعنى: أُقسم بهذا البلد حال كونك حالاًّ فيه، لأن حلول النبي صلى الله عليه وسلّم في مكة يزيدها شرفـًا إلى شرفها.
وقيل المعنى: وأنت تستحل هذا البلد، فيكون إقسام الله تعالى بمكة حال كونها حلاًّ للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وذلك عام الفتح... لأنها في ذلك اليوم تزداد شرفـًا إلى شرفها، حيث طُهِّرت من الأصنام وهزم المشركون، وفتحت عليهم بلادهم عنوة، وصارت هذه البلد بعد أن كانت بلد كفر صارت بلاد إيمان، وبعد أن كانت بلاد شرك صارت بلاد توحيد، وبعد أن كانت بلاد عناد صارت بلاد إسلام، فأشرف حال لمكة كانت عند الفتح». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢١١).

(لقد خلقنا الإنسان في كبد):
قال «سعيد بن أبي الحسن: (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي كَبَدٍ) قال: يكابد مصائب الدنيا، وشدائد الآخرة». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٣٤).

وقال البغوي: «قال عطاء عن ابن عباس: في شدةٍ خُلق: حمله، وولادته، ورضاعه، وفطامه، وفصاله، ومعاشه، وحياته، وموته. وقال عمرو بن دينار: عند نبات أسنانه. قال يمان: لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم، وهو مع ذلك أضعف الخلق». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٣٠).

وقال السعدي: «{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم يقوم الأشهاد، وأنه ينبغي له أن يسعى في عمل يريحه من هذه الشدائد، ويوجب له الفرح والسرور الدائم. وإن لم يفعل، فإنه لا يزال يكابد العذاب الشديد أبد الآباد.

ويحتمل أن المعنى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وأقوم خلقة، مقدر على التصرف والأعمال الشديدة، ومع ذلك، فإنه لم يشكر الله على هذه النعمة العظيمة، بل بطر بالعافية وتجبر على خالقه، فحسب بجهله وظلمه أن هذه الحال ستدوم له، وأن سلطان تصرفه لا ينعزل، ولهذا قال تعالى: {أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ}». «تفسير السعدي» (ص٩٢٥).

(أيحسب أن لن يقدر عليه أحد):

قال الطبري: «أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ) ذُكر أن ذلك نزل في رجل بعينه من بني جُمح، كان يُدعى أبا الأشدّ، وكان شديدًا، فقال جلّ ثناؤه: أيحسب هذا القويّ بجَلَده وقوّته، أن لن يقهره أحد ويغلبه، فالله غالبه وقاهره». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٣٥).

وقال ابن عثيمين: «{أيحسب أن لن يقدر عليه أحد} أي: أن الإنسان في نفسه وقوته يظن أن لن يقدر عليه أحد، لأنه في عنفوان شبابه وقوته وكبريائه وغطرسته، فيقول: لا أحد يقدر عليّ، أنا أعمل ما شئت، ومنه قوله تبارك وتعالى: {فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة}. قال الله تعالى: {أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة}... وهذا لا شك بالنسبة للكافر، أما المؤمن فإنه يعلم أن الله قادر عليه، وأنه على كل شيء قدير فيخاف منه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢١٣).

(يقول أهلكت مالا لُبدا * أيحسب أن لم يره أحد):

«عن قتادة: (أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ): ابن آدم! إنك مسئول عن هذا المال، من أين اكتسبته؟ وأين أنفقته؟». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٣٦).

وقال السعدي: «سمى الله تعالى الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكًا، لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود عليه من إنفاقه إلا الندم والخسار والتعب والقلة، لا كمن أنفق في مرضاة الله في سبيل الخير، فإن هذا قد تاجر مع الله، وربح أضعاف أضعاف ما أنفق.

قال الله متوعدًا هذا الذي يفتخر بما أنفق في الشهوات: {أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ} أي: أيحسب في فعله هذا، أن الله لا يراه ويحاسبه على الصغير والكبير؟ بل قد رآه الله، وحفظ عليه أعماله، ووكل به الكرام الكاتبين، لكل ما عمله من خير وشر». «تفسير السعدي» (ص٩٢٥).

(ألم نجعل له عينين * ولسانا وشفتين):

قال ابن تيمية: «بالعين والنظر يعرف القلب الأمور، واللسان والصوت يخرجان من عند القلب الأمور، هذا رائد القلب وصاحب خبره وجاسوسه، وهذا ترجمانه». «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٣٨٣).

وقال السعدي: «قرّره بنعمه، فقال: {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ. وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ} للجمال والبصر والنطق، وغير ذلك من المنافع الضرورية فيها، فهذه نعم الدنيا، ثم قال في نعم الدين: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} أي: طريقي الخير والشر، بينا له الهدى من الضلال، والرشد من الغي.

فهذه المنن الجزيلة، تقتضي من العبد أن يقوم بحقوق الله، ويشكر الله على نعمه، وأن لا يستعين بها على معاصيه». «تفسير السعدي» (ص٩٢٥).

وقال ابن عثيمين: «{ألم نجعل له عينين} يعني: يبصر بهما ويرى فيهما، وهاتان العينان تؤديان إلى القلب ما نظر إليه الإنسان، فإن نظر نظرة محرمة كان آثمـاً، وإن نظر نظراً يقرّبه إلى الله كان غانمـاً، وإذا نظر إلى ما يباح له فإنه لا يحمد ولا يذم، ما لم يكن هذا النظر مفضيـاً إلى محظور شرعي فيكون آثمـاً بهذا النظر.

{ولسانـاً وشفتين} لسانـاً ينطق به، وشفتين يضبط بهما النطق، وهذه من نعم الله العظيمة، لأنه بهذا اللسان والشفتين يستطيع أن يعبّر عما في نفسه، ولولا هذا ما استطاع، لو كان لا يتكلم فكيف يعبر عما في

قلبه؟ كيف يُعلم الناس بما في نفسه؟ اللهم إلا بإشارة تتعب، يتعب المشير ويتعب الذين أشير إليهم. ولكن من نعمة الله أن جعل له لسانـاً ناطقـاً، وشفتين يضبط بهما النطق، وهذا من نعمة الله، وهو أيضـاً من عجائب قدرته: يأتي النطق من هواء يكون من الرئة يخرج من مخارج معينة، إن مر بشيء صار حرفـاً، وإن مر بشيء آخر صار حرفـاً آخر، وهو هواء واحد من مخرج واحد، لكن يمر بشعيرات دقيقة في الحلق، وفي الشفتين، وفي اللثة، هذه الشعيرات تكوّن الحروف. فتجد مثلاً الباء والشين كلها بهواء يندفع من الرئة، ومع ذلك تختلف باختلاف ما تمر عليه في هذا الفم، ومخارج الحروف المعروفة، هذا من تمام قدرة الله عز وجل». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢١٤).

(وهديناه النجدين):

قال ابن تيمية: «في كل أحد ما يقتضي معرفته بالحق ومحبته له. وقد هداه ربه إلى أنواع من العلم يمكنه أن يتوصل بها إلى سعادة الأولى والآخرة. وجعل في فطرته محبة لذلك. لكن قد يُعرض الإنسان بجاهليته وغفلته عن طلب علم ما ينفعه». «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٢٩٧).

وقال ابن عثيمين: «{وهديناه النجدين} قيل: أي بيّنّا له طريق الخير، وطريق الشر.

القول الثاني: {وهديناه النجدين} دللناه على ما به غذاؤه، وهو الثديان؛ فإنهما نجدان؛ لارتفاعهما فوق الصدر، فهداه الله تعالى وهو رضيع لا يعرف، فمن حين أن يخرج وتضعه أمه يطلب الثدي، والذي أعلمه الله عز وجل، فبين الله عز وجل منته على هذا الإنسان من حين أن يخرج يهتدي إلى النجدين». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢١٤).

(فلا اقتحم العقبة):

قال البغوي: «{فلا اقتحم العقبة} يقول: فهلا أنفق ماله فيما يجوز به من فك الرقاب وإطعام السغبان، فيكون خيرا له من إنفاقه على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم، هذا قول ابن زيد وجماعة.

وقيل: (فلا اقتحم العقبة) أي: لم يقتحمها ولا جاوزها.

والاقتحام: الدخول في الأمر الشديد، وذِكر العقبة هاهنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة، يقول: لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة ولا إطعام، وهذا معنى قول قتادة.

وقيل: إنه شبّه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة، فإذا أعتق رقبة وأطعم كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها...

وقال مجاهد، والضحاك، والكلبي: هي صراط يضرب على جهنم كحد السيف، مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا، وإن بجنبتيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان، فناج مسلّم، وناج مخدوش، ومكردس في النار منكوس، فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح العاصف، ومنهم من يمر كالفارس، ومنهم من يمر عليه كالرجل يعدو، ومنهم من يمر كالرجل يسير، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم الزالون، ومنهم من يكردس في النار». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٣١).

(فك رقبة):

عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أعتق رقبة مؤمنة، أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار، حتى يعتق فرجه بفرجه». «صحيح البخاري» (٣/ ١٤٤)، «صحيح مسلم» (٢/ ١١٤٧).

وقال ابن عثيمين: «فك الرقبة له معنيان:

المعنى الأول: فكها من الرق، بحيث يعتق الإنسان العبيد المملوكين، سواء كانوا في ملكه فيعتقهم، أو كانوا في ملك غيره فيشتريهم ويعتقهم.

المعنى الثاني: فك رقبة الأسير، فإن فكاك الأسير من أفضل الأعمال إلى الله عز وجل. والأسير ربما لا يفكه العدو إلا بفدية مالية، وربما تكون هذه الفدية فدية باهظة كثيرة لا يقتحمها إلا من كان عنده إيمان بالله عز وجل بأن يخلف عليه ما أنفق، وأن يثيبه على ما تصدق». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢١٦).

(أو إطعام في يوم ذي مسغبة):

قال ابن عثيمين: «{أو إطعام في يوم ذي مسغبة} أي: ذي مجاعة شديدة، لأن الناس قد يصابون بالمجاعة الشديدة، إما لقلة الحاصل من الثمار والزروع، وإما لأمراض في أجسامهم، يأكل الإنسان ولا يشبع، وهذا قد وقع فيما نسمع عنه في البلاد النجدية، وربما في غيرها أيضـًا. أن الناس يأكلون ولا يشبعون، يأكل الواحد مأكل العشرة ولا يشبع... ويتساقطون في الأسواق من الجوع، هذه من المساغب. أو قلة المحصول بحيث لا تثمر الأشجار، ولا تنبت الزروع، فيقل الحاصل وتحصل المسغبة، ويموت الناس جوعـًا، وربما يهاجرون عن بلادهم». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢١٦).

(يتيما ذا مقربة):

«عن سلمان بن عامر الضبي، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة، وصلة)». «مسند أحمد» (٢٩/ ٤١٢)، «سنن الترمذي» (٣/ ٣٨)، «سنن النسائي» (٥/ ٩٢).

وقال ابن عثيمين: «اليتيم: هو من مات أبوه قبل أن يبلغ، سواءً كان ذكراً أم أنثى. فإن بلغ فإنه لا يكون يتيمـًا؛ لأنه بلغ وانفصل. وكذلك لو ماتت أمه فإنه لا يكون يتيمـًا، خلافـًا لما يظنه بعض العامة، أن اليتيم من ماتت أمه، وهذا ليس بصحيح». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢١٦).

(ثم كان من الذين آمنوا):

قال ابن كثير: «{ثم كان من الذين آمنوا} أي: ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبه، محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل. كما قال تعالى: {ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا}، وقال {من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن} الآية». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٠٨).

(وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة):

قال ابن تيمية: «قَرن بين (الرحمة والصبر) في مثل قوله تعالى {وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة}... فإن القسمة أيضا رباعية: إذ من الناس من يصبر ولا يرحم: كأهل القوة والقسوة. ومنهم من يرحم ولا يصبر: كأهل الضعف واللين، مثل كثير من النساء ومن يشبههن. ومنهم من لا يصبر ولا يرحم، كأهل القسوة والهلع. والمحمود هو الذي يصبر ويرحم». «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٦٧٧).

وقال ابن تيمية: «وأما السماحة والصبر فخلقان في النفس. قال تعالى: {وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة}... وهو أن يكون صبارا شكورا، فيه سماحة بالرحمة للإنسان وصبر على المكاره، وهذا ضد الذي (خُلق هلوعا. إذا مسه الشر جزوعا. وإذا مسه الخير منوعا)؛ فإن ذاك ليس فيه سماحة عند النعمة، ولا صبر عند المصيبة». «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٦٤).

وقال السعدي: «{وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ} للخلق، من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الوجوه، ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه». «تفسير السعدي» (ص٩٢٥).

وقال ابن عثيمين: «{وتواصوا بالصبر} أي: أوصى بعضهم بعضـاً بالصبر، والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة، فهم صابرون متواصون بالصبر بهذه الأنواع... وقد اجتمعت هذه الأنواع الثلاثة في الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم، فها هو الرسول عليه الصلاة والسلام صابر على طاعة الله، يجاهد في سبيل الله، ويدعو إلى الله، ويؤذى ويعتدى عليه بالضرب، حتى همّ المشركون بقتله، وهو مع ذلك صابر محتسب.
وهو أيضـاً صابر عن معصية الله، لا يمكن أن يغدر بأحد، ولا أن يكذب أحداً، ولا أن يخون أحداً، وهو أيضـاً متق لله تعالى بقدر ما يستطيع.

كذلك صابر على أقدار الله، كم أوذي في الله عز وجل من أجل طاعته، أليست قريش قد آذوه حتى إذا رأوه ساجداً تحت الكعبة أمروا من يأتي بسلا ناقة فيضعه على ظهره، وهو ساجد عليه الصلاة والسلام؟! وهو صابر في ذلك كله». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢١٧).

وقال ابن عثيمين: «رحمة الإنسان للمخلوقات تكون في البهائم وتكون في الناطق. فهو يرحم آباءَه، وأمهاته، وأبناءَه، وبناته، وإخوانه، وأخواته، وأعمامه، وعماته، وهكذا. ويرحم كذلك سائر البشر، وهو أيضاً يرحم الحيوان البهيم، فيرحم ناقته، وفرسه، وحماره، وبقرته، وشاته، وغير ذلك، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢١٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة البلد

١- إذا كنت من أهل مكة المكرمة، أو يسّر الله لك زيارة هذا البلد الأمين، فاحرص على تعظيم حرمته، واعلم أن كل ما فيه آمن، فلا يجوز لك أن تروّع فيه شخصا فضلا عن أن تعتدي عليه، ولا أن تنفّر فيه صيدا فضلا عن أن تصيده، ولا أن تلتقط مالا ساقطا فضلا عن أن تسرقه، ولا أن تقطع فيه شجرا، واعلم أن من يُرد فيه بإلحاد بظلم يُذقه الله من عذاب أليم (لا أقسم بهذا البلد ❋ وأنت حِلٌ بهذا البلد).

٢- اعلم أنك في هذه الدنيا في عناء وشدة، فلا تحسب هذه الدنيا محل راحة واستجمام، بل هي محل ابتلاء واختبار، قد حُفّت بالمكاره: من واجبات تُفعل، ومحرمات تُجتنب، وبلاء ينزل، فوطّن نفسك على هذا، وتجاوز هذه العقبات، حتى تمهّد لنفسك الطريق إلى حيث الراحة الأبدية الكاملة التي لا ينغّصها شيء، في جنات النعيم (لقد خلقنا الإنسان في كبَد).

٣- اعلم أن الله على كل شيء قدير، وبكل شيء محيط، فلا تغترّ بقوتك، ولا تبذّر مالك في الحرام، أو في اللهو واللعب، فإن من أعطاك القوة والمال قادر على سلبهما منك، واعلم أنك مسؤول عن مالك: من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟ (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ❋ يقول أهلكت مالا لُبَدا ❋ أيحسب أن لم يره أحد).

٤- قد أنعم الله عليك بنعمة البصر والنطق، وقد سلبهما عن أناس من حولك، فاستعملهما في طاعة الله، واجعلهما وسيلة إلى مرضاة الله، فاستعمل بصرك في التأمل في آيات الله، وغض البصر عمّا حرّم الله، واستعمل نُطقك في ذكر الله، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله (ألم نجعل له عينين ❋ ولسانا وشفتين).

٥- من أعظم نعم الله عليك أن أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم، وأنزل عليه القرآن ليبيّن لك طريق الهدى من الضلال، فأدّ شكر هذه النعمة بتعلّم ما جاء في القرآن، وما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم مما حفظه لنا الأئمة الأعلام، واعمل بذلك؛ لتكون مهتديا حقا (وهديناه النجدين).

٦- احرص على الإحسان إلى عباد الله بفك أسيرهم، وإطعام جائعهم، والإحسان إلى قريبهم، واعلم أنه كلما زادت حاجة من تُحسن إليه زاد أجرك، ووجدت أثر ذلك في الدنيا قبل الآخرة في نفسك وأهلك ومالك (وما أدراك ما العقبة ❁ فك رقبة ❁ أو إطعام في يوم ذي مسغبة ❁ يتيما ذا مقربة ❁ أو مسكينا ذا متربة).

٧- جاهد نفسك على أن تكون صبورا على طاعة الله، صبورا عن معاصي الله، صبورا على أقدار الله المؤلمة، رحيما بالخلق من البشر والبهائم، وأوصِ بذلك من حولك، فإن ذلك سبب السعادة في الدنيا، والدرجات العلى في الجنة (ثم كان من الذين أمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ❁ أولئك أصحاب الميمنة).

٨- اعلم أن عمل الصالحات، والإحسان إلى الضعفاء والفقراء والمحتاجين، وفك الرقاب، لا ينفع إلا مع الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وأما الكافر فلا ينفعه عمل ذلك يوم القيامة، وإنما يجازى به في الدنيا فقط من سعة رزق وحياة سعيدة، ومصيره في الآخرة النار؛ لأنه لم يتأمّل في آيات الله الكونية والشرعية، ولم يستعمل نعم الله عليه في هداية قلبه (فك رقبة ❁ أو إطعام في يوم ذي مسغبة ❁ يتيما ذا مقربة ❁ أو مسكينا ذا متربة ❁ ثم كان من الذين آمنوا)، (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة ❁ عليهم نار مؤصدة).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الفجر (١-١٤) من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة الفجر: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] بيان عاقبة الطغاة، والحكمة من الابتلاء، والتذكير بالآخرة.

﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١﴾.

أقسم الله سبحانه بالفجر.

﴿وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢﴾.

وأقسم بالليالي العشر الأولى من ذي الحجة.

﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣﴾.

وأقسم بالزوج والفرد من الأشياء.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ٤﴾.

وأقسم بالليل إذا جاء، واستمرّ وأدبر. وجواب هذه الأقسام: لتجَازُنّ على أعمالكم.

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥﴾.

هل في ذلك المذكور قَسَم يقنع ذا عقل؟!

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦﴾.

ألم تر -أيها الرسول- كيف فعل ربك بعاد قوم هود لما كذبوا رسوله؟!

﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧﴾.

قبيلة عاد المنسوبة إلى جدها إرم ذات الطول.

﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨﴾.

التي لم يخلق الله مثلها في البلاد.

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩﴾.

أوَلم تر كيف فعل ربك بثمود قوم صالح، الذين شقُّوا صخور الجبال، وجعلوا منها بيوتًا بالحِجْر.

﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠﴾.

أَوَلم تر كيف فعل ربك بفرعون الَّذي كانت له أوتاد يعذب بها الناس؟

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١﴾.

كلّ هؤلاء تجاوزوا الحدّ في الجَبَرُوت والظلم، كل تجاوزه في بلده.

﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢﴾.

فأكثروا فيها الفساد بما نشروه من الكفر والمعاصي.

﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣﴾.

فأذاقهم الله عذابه الشديد، واستأصلهم من الأرض.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾.

إن ربك -أيها الرسول- ليرصد أعمال الناس ويراقبها؛ ليجازي من أحسن بالجنّة، ومن أساء بالنار.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• فضل عشر ذي الحجة على أيام السنة.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الفجر ١-١٤

الكلمة	المعنى
ولَيَالٍ عَشر	إقسام بالعشر الأولى من ذي الحجة
والشَّفع والوَتر	إقسام بكل زوج وكل فرد
إذا يَسْر	حين يُقبل ويستمرّ ويُدبر
هل في ذلك قسَمٌ لذي حِجر	أليس في القسم المذكور ما يُقنع أصحاب العقول؟
بِعَاد	بقوم هود عليه السلام
إِرَم	اسم جدهم، وبه سمّيت القبيلة
ذات العِماد	صاحبة القوة والأبنية المرفوعة على الأعمدة
وثمود	وقوم صالح عليه السلام
جَابُوا الصّخر	قطعوا الجبال ونحتوا فيها بيوتهم
بالواد	في وادي القرى شمال غرب الجزيرة العربية
ذي الأوتاد	صاحب الجنود الكثيرين الذين ثبّتوا ملكه
طَغَوا	تجاوزا الحدّ في العصيان
سَوْطَ عذاب	عذابا شديدا مهلكا
لَبِالمِرصَاد	ليرقب العاصين، ويمهلهم، ثم يأخذهم

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الفجر ١-١٤

(والفجر):

قال ابن عثيمين: «أقسم الله بالفجر لأنه ابتداء النهار، وهو انتقال من ظلمة دامسة إلى فجر ساطع.

وأقسم الله به لأنه لا يقدر على الإتيان بهذا الفجر إلا الله عز وجل، كما قال الله تبارك وتعالى: {قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون}.

وأقسم الله بالفجر لأنه يترتب عليه أحكام شرعية، مثل: إمساك الصائم، فإنه إذا طلع الفجر وجب على الصائم أن يمسك إذا كان صومه فرضـاً أو نفلاً إذا أراد أن يتم صومه، ويترتب عليه أيضـاً: دخول وقت صلاة الفجر، وهما حكمان شرعيان عظيمان». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٨٧).

(وليال عشر):

«عن مجاهد، قال: ليس عمل في ليال من ليالي السنة أفضل منه في ليالي العشر، وهي عشر موسى التي أتمَّها الله له». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣٩٦).

وقال البغوي: «{وليال عشر} روي عن ابن عباس: أنها العشر الأول من ذي الحجة. وهو قول مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، والكلبي.

وقال أبو روق عن الضحاك: هي العشر الأواخر من شهر رمضان». «تفسير البغوي» (٨/ ٤١٢).

وقال ابن القيم: «وكذلك تفضيل عشر ذي الحجة على غيره من الأيام، فإن أيامه أفضل الأيام عند الله. وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أيامٍ العملُ الصالحُ فيها أحبُّ إلى الله منه في الأيام العشر»، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء». وهي الأيام العشر التي أقسم الله تعالى بها في كتابه بقوله: {وَلَيَالٍ عَشْرٍ}؛ ولهذا يستحب فيها الإكثار من التكبير والتهليل والتحميد، كما

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فأكثِروا فيهن من التكبير والتهليل والتحميد»، ونسبتها إلى الأيام كنسبة مواضع المناسك إلى سائر البقاع». «زاد المعاد في هدي خير العباد» (١/ ٣٤).

وقال السعدي: «أقسم بعده بالليالي العشر، وهي على الصحيح: ليالي عشر رمضان، أو عشر ذي الحجة، فإنها ليال مشتملة على أيام فاضلة، ويقع فيها من العبادات والقربات ما لا يقع في غيرها.
وفي ليالي عشر رمضان ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وفي نهارها صيام آخر رمضان الذي هو ركن من أركان الإسلام.
وفي أيام عشر ذي الحجة، الوقوف بعرفة، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرة يحزن لها الشيطان، فما رئي الشيطان أحقر ولا أدحر منه في يوم عرفة، لما يرى من تنزل الأملاك والرحمة من الله لعباده، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة، وهذه أشياء معظمة مستحِقة لأن يقسم الله بها». «تفسير السعدي» (ص٩٢٣).

(والشفع والوتر):
قال البغوي: «سئل أبو بكر الوراق عن الشفع والوتر فقال: الشفع: تضاد أخلاق المخلوقين من العز والذل، والقدرة والعجز، والقوة والضعف، والعلم والجهل، والبصر والعمى، والوتر: انفراد صفات الله عز بلا ذل، وقدرة بلا عجز، وقوة بلا ضعف، وعلم بلا جهل، وحياة بلا ممات». «تفسير البغوي» (٨/ ٤١٦).

وقال ابن عثيمين: «{والشفع والوتر} قيل: إن المراد به كل الخلق، فالخلق إما شفع وإما وتر، والله عز وجل يقول: {ومن كل شيء خلقنا زوجين}. والعبادات إما شفع وإما وتر، فيكون المراد بالشفع والوتر كل ما كان مخلوقـًا من شفع ووتر، وكل ما كان مشروعـًا من شفع ووتر». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٨٩).

(والليل إذا يسر):

قال ابن كثير: «{والليل إذا يسر} قال العوفي، عن ابن عباس: أي إذا ذهب...

وقال مجاهد، وأبو العالية، وقتادة، ومالك، عن زيد بن أسلم وابن زيد: {والليل إذا يسر} إذا سار. وهذا يمكن حمله على ما قاله ابن عباس، أي: ذهب.

ويحتمل أن يكون المراد إذا سار أي: أقبل. وقد يقال: إن هذا أنسب؛ لأنه في مقابلة قوله: {والفجر}؛ فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل، فإذا حمل قوله: {والليل إذا يسر} على إقباله كان قسما بإقبال الليل وإدبار النهار، وبالعكس، كقوله: {والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفس}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٩٣).

وقال ابن عثيمين: «أقسم الله به (الليل) لما في ساعاته من العبادات كصلاة المغرب، والعشاء، وقيام الليل، والوتر، وغير ذلك، ولأن في الليل مناسبة عظيمة، وهي أن الله عز وجل ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: «من يسألني فأعطيه، من يدعوني فأستجيب له، من يستغفرني فأغفر له»، ولهذا نقول: إن الثلث الآخر من الليل وقت إجابة، فينبغي أن ينتهز الإنسان هذه الفرصة فيقوم لله عز وجل يتهجد ويدعو الله سبحانه بما شاء من خير الدنيا والآخرة، لعله يصادف ساعة إجابة ينتفع بها في دنياه وأخراه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٩٠).

(هل في ذلك قسم لذي حجر):

قال ابن كثير: «أي: لذي عقل ولب وحجا ودين، وإنما سمي العقل حجرا؛ لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال، ومنه حِجر البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي. ومنه حجر اليمامة، وحَجَر الحاكم على فلان: إذا منعه التصرف...

وهذا القسم هو بأوقات العبادة، وبنفس العبادة، من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرب بها إليه عباده المتقون، المطيعون له، الخائفون منه، المتواضعون لديه، الخاشعون لوجهه الكريم». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٩٤).

(ألم تر كيف فعل ربك بعاد):

قال ابن كثير: «وهؤلاء عاد الأولى، وهم أولاد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، قاله ابن إسحاق. وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هودا عليه السلام، فكذبوه وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم، وأهلكهم بريح صرصر عاتية {سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية. فهل ترى لهم من باقية}. وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٩٤).

(إرم ذات العماد):

قال الطبري: «أشبه الأقوال فيه (إرم) بالصواب عندي أنها اسم قبيلة من عاد، ولذلك جاءت القراءة بترك إضافة عاد إليها، وترك إجرائها... ولو كانت (إرم) اسم بلدة، أو اسم جدّ لعاد لجاءت القراءة بإضافة عاد إليها، كما يقال: هذا عمروُ زبيدٍ وحاتمُ طيئ وأعشى هَمْدانَ، ولكنها اسم قبيلة منها فيما أرى، كما قال قتادة، والله أعلم». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٠٥).

وقال البغوي: «وسموا ذات العماد؛ لأنهم كانوا أهل عمد سيارة، وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي، ورواية عطاء عن ابن عباس.

وقال بعضهم: سموا ذات العماد لطول قامتهم. قال ابن عباس: يعني طولهم مثل العماد. وقال مقاتل: كان طول أحدهم اثني عشر ذراعا». «تفسير البغوي» (٨/ ٤١٨).

وقال ابن تيمية: «وبعض الناس فسر ذات العماد بدمشق لما فيها من العمد، ومعلوم أن هذا باطل؛ فإن عادًا لم يكونوا بالشام، بل باليمن، وهودًا إنما أرسل إليهم، فقد قال تعالى: (بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ).

قد نقلوا هذا في كتب التفسير عن عكرمة وابن المسيب. وعن القرطبي أنها الإسكندرية، فإنها كثيرة العمد أيضا. فهذا قد اشتبه على طائفة من العلماء مع أنه من الآيات المحكمات، فإنه تعالى قال: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ

فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ). وقد ذكر الله تعالى عاداً في موضع آخر، وأنه أرسل إليهم هوداً، وأنه أنذر قومه بالأحقاف: أحقاف الرمل، وهذا كله مما علم بالتواتر أنه كان باليمن.

وقد صار مثل هذا يُجعل أحد الأقوال في تفسير الآية مع أن الذين قالوه من علماء السلف قد يكونون أرادوا التمثيل، وأن دمشق والإسكندرية ذات عماد؛ ليُعرف معنى (ذات العماد)، وإلا فلا يخفى على أدنى طلبة العلم أن عاداً كانوا باليمن». «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (٨/ ٣٥٩).

وقال ابن كثير: «وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة، وأقواهم بطشا، ولهذا ذكّرهم هود بتلك النعمة، وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم، فقال: {واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون}. وقال تعالى: {فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٩٤).

(التي لم يُخلق مثلها في البلاد):

قال ابن كثير: «{التي لم يخلق مثلها في البلاد} أعاد ابن زيد الضمير على العماد؛ لارتفاعها، وقال: بنوا عمدا بالأحقاف لم يُخلق مثلها في البلاد.

وأما قتادة وابن جرير فأعادا الضمير على القبيلة، أي: لم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد، يعني في زمانهم. وهذا القول هو الصواب، وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه ضعيف؛ لأنه لو كان أراد ذلك لقال: التي لم يعمل مثلها في البلاد، وإنما قال: {لم يخلق مثلها في البلاد}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٩٥).

وقال ابن عثيمين: «وفي قوله: {التي لم يخلق مثلها في البلاد} مع أن الذي صنعها الآدمي دليل على أن الآدمي قد يوصف بالخلق، فيقال: خلق كذا، ومنه قول النبي عليه الصلاة والسلام في المصوّرين: «يقال لهم: أحيوا ما خلقتم». لكن الخلق الذي ينسب للمخلوق ليس هو الخلق المنسوب إلى الله. الخلق

المنسوب إلى الله إيجاد بعد عدم وتحويل وتغيير، أما الخلق المنسوب لغير الله فهو مجرد تحويل وتغيير.

وأضرب لكم مثلاً: هذا الباب من خشب، الذي خلق الخشب الله، ولا يمكن للبشر أن يخلقوه، لكن البشر يستطيع أن يحوّل جذوع الخشب وأغصان الخشب إلى أبواب وإلى كراسي وما أشبه ذلك، فالخلق المنسوب للمخلوق ليس هو الخلق المنسوب للخالق؛ لأن الخلق المنسوب للخالق إيجاد من عدم، وهذا لا يستطيعه أحد، والمنسوب للمخلوق تغيير وتحويل، يحوّل الشيء من صفة إلى صفة». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٩١).

(وثمود الذين جابوا الصخر بالواد):

قال ابن عثيمين: ثمود هم قوم صالح، ومساكنهم معروفة الآن، كما قال تعالى: {ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين}. في سورة (الحجر) ذكر الله أن ثمود كانوا في بلاد الحجر، وهي معروفة، مرّ عليها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في طريقه إلى تبوك وأسرع وقنّع رأسه صلى الله عليه وسلّم وقال: «لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم».

هؤلاء القوم أعطاهم الله قوة حتى صاروا يخرقون الجبال والصخور العظيمة ويصنعون منها بيوتـًا، ولهذا قال: {جابوا الصخر بالواد} أي: وادي ثمود، وهو معروف، هؤلاء أيضـًا فعل الله بهم ما فعل من العذاب والنكال حيث قيل لهم: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام، ثم بعد الثلاثة الأيام أخذتهم الصيحة والرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

فعلينا أن نعتبر بحال هؤلاء المكذبين الذين صار مآلهم إلى الهلاك والدمار، وليُعلم أن هذه الأمة لن تُهلَك بما أُهلكت به الأمم السابقة بهذا العذاب العام، فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سأل الله تعالى أن لا يهلكهم بسنة بعامة، ولكن قد تُهلك هذه الأمة بأن يجعل الله بأسهم بينهم، فتجري بينهم الحروب والمقاتلة، ويكون هلاك بعضهم على يد بعض، لا بشيء ينزل من السماء كما صنع الله تعالى بالأمم السابقة». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٩٢).

(وفرعون ذي الأوتاد):

«عن ابن عباس (وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ) قال: الأوتاد: الجنود الذين يشدّون له أمره، ويقال: كان فرعون يُوتِد في أيديهم وأرجلهم أوتادًا من حديد، يعلّقهم بها». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٠٩).

وقال البقاعي: «{ذي الأوتاد} أي: الذي ثبّت ملكه تثبيت من يظن أنه لا يزول، بالعساكر والجنود وغيرهم، من كل ما يظن أنه يشد أمره، من الجنات والعيون والزروع والمقامات الكريمة، فصارت له اليد المبسوطة في الملك». «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (٢٢/ ٣٠).

وقال ابن عثيمين: «فرعون استكبر في الأرض وعلا في الأرض، وقال لقومه: (أنا ربكم الأعلى)، وقال لهم: (ما علمت لكم من إله غيري)، وقال لهم: (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين)، يعني موسى (ولا يكاد يبين)، قال الله تعالى: {فاستخف قومه فأطاعوه}. وقال لقومه مقرراً لهم: {أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون}. افتخر بالأنهار وهي المياه فأغرق بالماء». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٩٤).

(فأكثروا فيها الفساد):

قال ابن عثيمين: «{فأكثروا فيها الفساد} أي: الفساد المعنوي، والفساد المعنوي يتبعه الفساد الحسي، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: {ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون}. ولهذا قال بعض العلماء في قوله تعالى: {ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها}. قالوا: لا تفسدوها بالمعاصي». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٩٤).

(فصب عليهم ربك سوط عذاب):

قال الطبري: «وإنما كانت نِقَما تنزل بهم، إما ريحا تُدَمرهم، وإما رَجفا يُدَمدم عليهم، وإما غَرَقا يُهلكهم، من غير ضرب بسوط ولا عصا؛ لأنه كان من أليم عذاب القوم الذين خوطبوا بهذا القرآن الجلد بالسياط، فكثر استعمال القوم الخبر عن شدّة العذاب الذي يعذّب به الرجل منهم أن يقولوا: ضُرب فلان حتى بالسياط، إلى أن صار ذلك مثلا فاستعملوه في كلّ معذَّب بنوع من العذاب شديد، وقالوا: صَبّ عليه سَوْط عذاب». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤١١).

وقال ابن عثيمين: «{فصب عليهم ربك} الصب معروف أنه يكون من فوق، والعذاب الذي أتى هؤلاء من فوق من عند الله عز وجل {سوط عذاب} السوط: هو العصا الذي يُضرب به، ومعلوم أن الضرب بالعصا نوع عذاب، لكن هل هذا السوط الذي صبه الله تعالى على عاد، وثمود، وفرعون، هل هو العصا المعروف الذي نعرف، أو أنه عصا عذاب أهلكهم؟ الجواب: الثاني، عصا عذاب أهلكهم وأبادهم. نسأل الله تعالى أن يجعل لنا فيما سبق من الأمم عبرة نتعظ بها وننتفع بها، ونكون طائعين لله عز وجل غير طاغين، إنه على كل شيء قدير». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٩٥).

(إن ربك لبالمرصاد):

قال ابن عثيمين: «يبين الله عز وجل أنه بالمرصاد لكل من طغى واعتدى وتكبر، فإنه له بالمرصاد سوف يعاقبه ويؤاخذه، وهذا المعنى له نظائر في القرآن الكريم، منها قوله تبارك وتعالى: {أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها}. وكقول شعيب لقومه: {ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٩٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الفجر ١-١٤

١- احرص على أداء صلاة الفجر في وقتها مع جماعة المسلمين؛ مع أداء سنّتها القبليّة، لتكون في ذمة الله وحفظه، وتنال بركة يومك وخيره (والفجر).

٢- إذا منّ الله عليك بإدراك العشر الأول من ذي الحجة أو العشر الأواخر من رمضان فشمّر عن ساعد الجد، واقطع العلائق مع الخلائق، وتدارك كل لحظة فيهما بعبادة الله سبحانه، ففيهما رأس أيام السنة وأفضلها (وليالٍ عشر).

٣- احرص على أداء الصلوات كلها، شفعها ووترها، ولا تُغفل صلاة الوتر في كل ليلة (والشفع والوتر).

٤- احرص على اغتنام ليلك بالطاعة لربك، واعلم أن من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله، وعليك بقيام الليل فإنه دأب الصالحين، واغتنم الثلث الأخير من الليل، لتفوز بالراحة والسكينة، وتحقيق الأمنيات (والليل إذا يسر).

٥- صاحب العقل الصحيح هو الذي يقنع بوحي الله وبيانه، وخبره وإقسامه، ولا يشكّك في ذلك بهواه، ولا يعارضه برأيه، بل يسلّم لربه، ويذعن لأمره، ويصدّق خبره (هل في ذلك قسَم لِذي حِجر).

٦- اعلم أن كثيرا من الأمم الماضية قد أعطيت من القوة والشدة الشيء الكثير، فلما عصوا الله وكذّبوا رسله، ونزل عذاب الله بهم لم تُغن عنهم قوّتهم ولا شدّتهم من الله شيئا، فالمؤمن الحصيف يعتبر بحالهم، ويتّعظ بمصيرهم، ويحذر من الإفساد في الأرض بالمجاهرة بالمعاصي، أو الإصرار عليها، أو التبرير لها ولأصحابها، أو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعلم أن الله يُمهل ولا يُهمل، وأنه للعاصين بالمرصاد، وأنه إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد، أخذ عزيز مقتدر (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يُخلق مثلها في البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذي الأوتاد * الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصبّ عليهم ربك سوط عذاب * إن ربك لبالمرصاد).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الفجر (١٥-٣٠) من المختصر في تفسير القرآن الكريم

ولما كانت الأمم التي أهلكها الله منعمًا عليها بالقوة والمنعة، بيّن أن الإنعام بذلك ليس دليلًا على رضا الله عنهم، فقال:

﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥﴾.

فأما الإنسان فمِن طَبْعِه أنَّه إذا اختبره ربه وأكرمه، وأنعم عليه بالمال والأولاد والجاه، ظن أنّ ذلك لكرامة له عند الله، فيقول: ربي أكرمني لاستحقاقي لإكرامه.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦﴾.

وأما إذا اختبره وضيق عليه رزقه، فإنه يظن أن ذلك لهوانه على ربه فيقول: ربي أهانني.

﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧﴾.

كلا، ليس الأمر كما تصور هذا الإنسان من أنّ النعم دليل على رضا الله عن عبده، وأن النقم دليل على هوان العبد عند ربه، بل الواقع أنكم لا تكرمون اليتيم مما أعطاكم الله من الرزق.

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨﴾.

ولا يحثّ بعضكم بعضًا على إطعام الفقير الذي لا يجد ما يقتات به.

﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ١٩﴾.

وتأكلون حقوق الضعفاء من النساء واليتامى أكلًا شديدًا دون مراعاة حلِّه.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠﴾.

وتحبون المال حبًّا كثيرًا، فتبخلون بإنفاقه في سبيل الله حرصًا عليه.

﴿كَلَّآۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١﴾.

لا ينبغي أن يكون هذا عملكم، واذكروا إذا حُرِّكت الأرض تحريكًا شديدًا وزُلْزِلت.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾.

وجاء ربك -أيها الرسول- للفصل بين عباده، وجاءت الملائكة مصطفين صفوفًا.

﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣﴾.

وجيء في ذلك اليوم بجهنم لها سبعون ألف زِمام، مع كل زِمام سبعون ألف ملك يجرّونها، في ذلك اليوم يتذكر الإنسان ما فرَّط في جنب الله، وأنى له أن ينفعه التذكر في ذلك اليوم؛ لأنه يوم جزاء لا يوم عمل؟!

﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾.

يقول من شدّة الندم: يا ليتني قدمت الأعمال الصالحة لحياتي الأخروية التي هي الحياة الحقيقية.

﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥﴾.

في ذلك اليوم لا يُعَذِّب أحد مثل عذاب الله؛ لأن عذاب الله أشدّ وأبقى.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦﴾.

ولا يُوثِق في السلاسل أحد مثل وثاقه للكافرين فيها.

ولما ذكر الله جزاء الكفار ذكر جزاء المؤمنين فقال:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧﴾.

وأما نفس المؤمن فيقال لها عند الموت ويوم القيامة: يا أيتها النفس المطمئنة إلى الإيمان والعمل الصالح.

﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾.

ارجعي إلى ربك راضية عنه بما تنالين من الثواب الجزيل، مرضية عنده سبحانه بما كان لك من عمل صالح.

﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩﴾.

فادخلي في جملة عبادي الصالحين.

﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾.

وادخلي معهم جنتي التي أعددتها لهم.

من فوائد الآيات:

• ثبوت المجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما يليق به؛ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

• المؤمن إذا ابتلي صبر وإن أعطي شكر.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الفجر ١٥-٣٠

الكلمة	المعنى
ابتلاه	اختبره بالنعم أو المصائب
فأكرمه ونعّمه	فوسّع عليه في الرزق وجعله في أطيب عيش
فقَدَرَ عليه رِزقَه	فضيّق عليه رِزقه
ولا تَحَاضُّون	ولا يحثُّ بعضكم بعضا
التُّراث	الميراثَ الذي تركه الميت
أكلًا لمًّا	أكلا شديدا دون مراعاة حِلّه
حُبًّا جَمًّا	حُبا كثيرا مع حرص وطمَع
دُكَّت الأرض	زُلزِلت ودَمّر بعضها بعضا
وجاء ربّك	وجاء الله لفصل القضاء بين الناس مجيئا يليق بجلاله
والملَك صفًّا صفًّا	والملائكة مصطفّين صفوفا
وأنّى له الذِّكرى؟	وكيف ينتفع بالتذكّر يوم القيامة؟ وقد فات وقته
لِحَيَاتي	لحياتي الأخرويّة التي هي الحياة الحقيقية
ولا يُوثِق	ولا يشُدّ بالسلاسل والأغلال
مَرضِيّة	رضي الله عنكِ
في عِبادي	مع عبادي، أو: في جملة عبادي الصالحين

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الفجر ١٥-٣٠

(فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن):

قال ابن تيمية: «التقي لا يُحرم ما يحتاج إليه من الرزق، وإنما يُحمى من فضول الدنيا رحمة به وإحسانا إليه؛ فإن توسيع الرزق قد يكون مضرة على صاحبه، وتقديره يكون رحمة لصاحبه. قال تعالى: {فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن. وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن. كلا} أي: ليس الأمر كذلك، فليس كل من وسع عليه رزقه يكون مكرما، ولا كل من قدر عليه رزقه يكون مهانا؛ بل قد يوسع عليه رزقه إملاء واستدراجا، وقد يقدر عليه رزقه حماية وصيانة له». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٣).

وقال ابن القيم: «وهذا الابتلاء إنما هو ابتلاء صبر العباد وشكرهم في الخير والشر والسرّاء والضرّاء، فالابتلاء بالنعم من الغنى والعافية والجاه والقدرة وتأتّي الأسباب أعظم الابتلاءين، والصبر على طاعة الله عز وجل أشق الصبرين. كما قال الصحابة رضي الله عنهم: "ابتلينا بالضرّاء فصبرنا، وابتلينا بالسرّاء فلم نصبر". والنعمة بالفقر والمرض وقبض الدنيا وأسبابها وأذى الخلق قد تكون أعظم النعمتين، وفرض الشكر عليها أوجب من الشكر على أضدادها، فالرب تعالى يبتلي بنعمه، ويُنعم بابتلائه». «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» (١/ ٢٩٦).

وقال ابن عثيمين: «الابتلاء من الله عز وجل يكون بالخير وبالشر، كما قال تعالى: {ونبلوكم بالشر والخير فتنة}. فيُبتلى الإنسان بالخير ليبلوه الله عز وجل أيشكر أم يكفر؟ ويبتلى بالشر ليبلوه أيصبر أم يفجر؟ وأحوال الإنسان دائرة بين خير وشر، بين خير يلائمه ويسره، وبين شر لا يلائمه ولا يسره، وكله ابتلاء من الله، والإنسان بطبيعته الإنسانية المبنية على الظلم والجهل إذا ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه يقول {ربي أكرمن} يعني أنني أهل للإكرام، ولا يعترف بفضل الله عز وجل، وهذا كقوله تعالى: {قال إنما أوتيته على علم عندي}. لما ذُكّر بنعمة الله عليه قال: {إنما أوتيته على علم عندي} ولم يعترف بفضل

الله، وما أكثر الناس الذين هذه حالهم إذا أكرمهم الله عز وجل ونعمهم، قالوا: هذا إكرام من الله لنا؛ لأننا أهل لذلك، ولو أن الإنسان قال: إن الله أكرمني بكذا اعترافاً بفضله وتحدثاً بنعمته لم يكن عليه في ذلك بأس، {وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه} يعني: ضيق عليه الرزق {فيقول ربي أهانن} يعني: يقول إن الله تعالى ظلمني فأهانني ولم يرزقني كما رزق فلاناً، ولم يكرمني كما أكرم فلاناً، فصار عند الرخاء لا يشكر، يعجب بنفسه ويقول هذا حق لي، وعند الشدة لا يصبر، بل يعترض على ربه ويقول {ربي أهانن} وهذا حال الإنسان باعتباره إنساناً، أما المؤمن فليس كذلك، المؤمن إذا أكرمه الله ونعّمه شكر ربه على ذلك، ورأى أن هذا فضل من الله عز وجل وإحسان، وليس من باب الإكرام الذي يقدم لصاحبه على أنه مستحق، وإذا ابتلاه الله عز وجل وقدر عليه رزقه صبر واحتسب، وقال: هذا بذنبي، والرب عز وجل لم يهني ولم يظلمني، فيكون صابراً عند البلاء، شاكراً عند الرخاء». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٩٦).

(كلا بل لا تكرمون اليتيم):

عن سهل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا». وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا». «صحيح البخاري» (٧/ ٥٣).

وقال السعدي: «وقوف همة العبد عند مراد نفسه فقط، من ضعف الهمة، ولهذا لامهم الله على عدم اهتمامهم بأحوال الخلق المحتاجين، فقال: {كَلا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ}». «تفسير السعدي» (ص٩٢٤).

وقال ابن عثيمين: «{اليتيم} يشمل الفقير من اليتامى، والغني من اليتامى؛ لأنه ينبغي الإحسان إليه وإكرامه، لأنه انكسر قلبه بفقد أبيه ومن يقوم بمصالحه، فأوصى الله تعالى به حتى يزول هذا الكسر الذي أصابه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٩٧).

(وتأكلون التراث أكلا لما):

قال البغوي: «{وتأكلون التراث} أي: الميراث {أكلا لما} شديدا، وهو أن يأكل نصيبه ونصيب غيره، وذلك أنهم كانوا لا يورّثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون نصيبهم.

قال ابن زيد: الأكل اللمّ: الذي يأكل كل شيء يجده، لا يسأل عنه أحلال هو أم حرام؟ ويأكل الذي له ولغيره، يقال: لممت ما على الخِوان، إذا أتيت عليه فأكلته». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٢٢).

(وتحبون المال حُبا جمّا):

قال ابن عثيمين: «هذا هو طبيعة الإنسان، لكن الإيمان له مؤثراته، قد يكون الإنسان بإيمانه لا يهتم بالمال، وإن جاءه شكر الله عليه، وأدى ما يجب، وإن ذهب لا يهتمّ به، لكن طبيعة الإنسان من حيث هو كما وصفه الله عز وجل». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٩٨).

(وجاء ربك والملك صفا صفا):

قال ابن كثير: «{وجاء ربك} يعني: لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد صلى الله عليه وسلم، بعدما يسألون أولي العزم من الرسل واحدا بعد واحد، فكلهم يقول: لست بصاحب ذاكم، حتى تنتهي النوبة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول: (أنا لها، أنا لها). فيذهب فيشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء، فيشفّعه الله في ذلك، وهي أول الشفاعات، وهي المقام المحمود... فيجيء الرب تعالى لفصل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفا صفوفا». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٩٩).

وقال ابن عثيمين: «{وجاء ربك} هذا المجيء هو مجيئه عز وجل؛ لأن الفعل أسند إلى الله، وكل فعل يسند إلى الله فهو قائم به لا بغيره، هذه القاعدة في اللغة العربية، والقاعدة في أسماء الله وصفاته كل ما أسنده الله إلى نفسه فهو له نفسه لا لغيره، وعلى هذا فالذي يأتي هو الله عز وجل، وليس كما حرّفه أهل التعطيل حيث قالوا: إنه جاء أمر الله، فإن هذا إخراج للكلام عن ظاهره بلا دليل... ولكن كيف هذا

المجيء؟ هذا هو الذي لا علم لنا به. لا ندري كيف يجيء؟ والسؤال عن مثل هذا بدعة، كما قال الإمام مالك رحمه الله حين سُئل عن قوله تعالى: {الرحمن على العرش استوى} (كيف استوى؟)، فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرّحضاء ـ يعني: العرق ـ لشدة هذا السؤال على قلبه، لأنه سؤال عظيم، سؤال متنطع، سؤال متعنت أو مبتدع يريد السوء، ثم رفع رأسه وقال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٩٩).

(وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى):

عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها». «صحيح مسلم» (٤/ ٢١٨٤).

وقال ابن عثيمين: «النار إذا رأت أهلها من مكان بعيد، سمعوا لها تغيظـًا وزفيراً، وليست كزفير الطائرات أو المعدات، زفير تنخلع منه القلوب، {كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير}. وقال الله عز وجل: {تكاد تميز من الغيظ} تكاد تقطع من شدة الغيظ على أهلها، فلهذا أنذرنا الله تعالى منها». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٠٢).

وقال ابن عثيمين: «{يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى. يقول يا ليتني قدمت لحياتي} ولكن قد فات الأوان، لأننا في الدنيا في مجال العمل، في زمن المهلة، يمكن للإنسان أن يكتسب لمستقره، كما قال مؤمن آل فرعون: {يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار}. متاع يتمتع به الإنسان كما يتمتع المسافر بمتاع السفر حتى ينتهي سفره، فهكذا الدنيا...

{يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى}... يتذكر أنه وعد بهذا اليوم، وأنه أعلم به من قبل الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأَنذروا وخوفوا، ولكن من حقت عليه كلمة العذاب فإنه لا يؤمن ولو جاءته كل آية، حينئذ يتذكر، لكن يقول الله عز وجل {وأنى له الذكرى} أين يكون له الذكرى في هذا اليوم الذي رأى فيه ما أخبر عنه يقينـًا؟! وأنى له الاتعاظ؟! فات الأوان». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٩٩-٢٠٠).

(يقول يا ليتني قدّمت لحياتي):

قال ابن القيم: «الحياة الدائمة الباقية بعد طي هذا العالم، وذهاب الدنيا وذهاب أهلها في دار الحيوان، وهي الحياة التي شمر إليها المشمرون، وتسابق إليها المتسابقون، وتنافس فيها المتنافسون، وهي التي أجرينا الكلام إليها، ونادت الكتب السماوية ورسل الله جميعهم عليها، وهي التي يقول من فاته الاستعداد لها إذا دكت الأرض دكا دكا. وجاء ربك والملك صفا صفا. وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى: {يا ليتني قدمت لحياتي}، وهي التي قال الله فيها: {وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون}.

والحياة المتقدمة كالنوم بالنسبة إليها... وإنما الحياة الدنيا بالنسبة إليها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يُدخل أحدُكم إصبعه في اليم فلينظر بم ترجع؟».

وكما قيل: تنفست الآخرة فكانت الدنيا نفَسا من أنفاسها، فأصاب أهلُ السعادة نفَسَ نعيمها، فهم على هذا النفس يعملون، وأصاب أهلُ الشقاء نفَسَ عذابها، فهم على ذلك النفَس يعملون.

وإذا كانت حياة أهل الإيمان والعمل الصالح في هذه الدار حياة طيبة، فما الظن بحياتهم في البرزخ، وقد تخلصوا من سجن الدنيا وضيقها؟ فما الظن بحياتهم في دار النعيم المقيم الذي لا يزول، وهم يرون وجه ربهم تبارك وتعالى بكرة وعشيا ويسمعون خطابه؟». «مدارج السالكين» (٤/ ١٩٥-١٩٦).

وقال ابن كثير: «{يقول يا ليتني قدمت لحياتي} يعني: يندم على ما كان سلف منه من المعاصي -إن كان عاصيا-ويود لو كان ازداد من الطاعات -إن كان طائعا-كما قال الإمام أحمد بن حنبل». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٠٠).

وقال ابن عثيمين: «{يا ليتني قدمت لحياتي} يتمنى أنه قدم لحياته، وما هي حياته؟ أهي حياة الدنيا؟ لا والله، الحياة الدنيا انتهت وقضت، وليست الحياة الدنيا حياةً في الواقع، الواقع أنها هموم وأكدار، كل صفو يعقبه كدر، كل عافية يتبعها مرض، كل اجتماع يعقبه تفرق، انظروا ما حصل؟ أين الآباء؟ أين الإخوان؟ أين الأبناء؟ أين الأزواج؟ هل هذه حياة؟ ولهذا قال بعض الشعراء الحكماء:

لا طيب للعيش مادامت منغصة .. لذاته بادكار الموت والهرم». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٠٣).

(فيومئذ لا يعذب عذابه أحد * ولا يوثق وثاقه أحد):

قال ابن عثيمين: «يُلقى على أهل النار في الموقف العطش الشديد، فينظرون إلى النار كأنها السراب، والسراب هو ما يشاهده الإنسان في أيام الصيف في شدة الحر من البقاع حتى يخيل إليه أنه الماء، ينظرون إلى النار كأنها سراب وهم عطاش، فيتهافتون عليها يذهبون إليها سراعـًا، يريدون أي شيء؟ يريدون الشرب، فإذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها: {ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا}. قد قامت عليكم الحجة، فيوبخونهم قبل أن يدخلوا النار، والتوبيخ عذاب قلبي وألم نفسي قبل أن يذوقوا ألم النار، وفي النار يوبخهم الجبار عز وجل توبيخـًا أعظم من هذا. يقولون {ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قومـًا ضالين. ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون}، قال الله تعالى وهو أرحم الراحمين: {اخسئوا فيها ولا تكلمون}. أبلغ من هذا الإذلال {اخسئوا فيها ولا تكلمون} يقوله أرحم الراحمين، فمن يرحمهم بعد الرحمن؟! لا راحم لهم، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن أهون أهل النار عذابـًا من عليه نعلان يغلي منهما دماغه، ولا يرى أن أحداً أشد منه عذابـًا، يرى أنه أشد الناس عذابـًا وهو أهونهم عذابـًا، وعليه نعلان يغلي منهما الدماغ». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٠٤).

(يا أيتها النفس المطمئنة):

«عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح، وريحان، ورب غير غضبان. قال: فلا يزال يقال ذلك حتى تخرج، ثم يُعرج بها إلى السماء، فيُستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقولون: مرحبا بالنفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة، وأبشري بروح، وريحان، ورب غير غضبان. قال: فلا يزال يقال لها حتى يُنتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل.

وإذا كان الرجل السوء، قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج، فلا تزال تخرج، ثم يُعرج بها إلى السماء، فيُستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحبا بالنفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنه لا يفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء، ثم تصير إلى القبر». «مسند أحمد» (١٤/ ٣٧٧-٣٧٨)، «سنن ابن ماجه» (٥/ ٣٢٩).

وقال ابن القيم: «النفس إذا سكنت إلى الله، واطمأنت بذكره، وأنابت إليه، واشتاقت إلى لقائه، وأنست بقربه، فهي مطمئنة، وهي التي يقال لها عند الموافاة: {يا أيتها النفس المطمئنة (٢٧) ارجعي إلى ربك راضية مرضية}...

وحقيقة الطمأنينة: السكون والاستقرار، فهي التي قد سكنت إلى ربها وطاعتِه وأمرِه وذكرِه، ولم تسكن إلى سواه، فقد اطمأنت إلى محبته وعبوديته وذكره، واطمأنت إلى أمره ونهيه وخبره، واطمأنت إلى لقائه ووعده، واطمأنت إلى التصديق بحقائق أسمائه وصفاته، واطمأنت إلى الرضا به ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا، واطمأنت إلى قضائه وقدره، واطمأنت إلى كفايته وحسبه وضمانه، فاطمأنت بأنه وحده ربها، وإلهها، ومعبودها، ومليكها، ومالك أمرها كله، وأن مرجعها إليه، وأنها لا غنى لها عنه طرفة عين». «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (١/ ١٢٧-١٢٨).

وقال ابن القيم: «وقد ركّب الله سبحانه في الإنسان نفسًا أمّارةً ونفسًا مطمئنّة، وهما متعاديتان، فكلُّ ما خفّ على هذه ثَقُل على هذه، وكلّ ما التذّت به هذه تألّمت به الأخرى.

فليس على النفس الأمّارة أشقُّ من العملِ لله، وإيثارِ رضاه على هواها؛ وليس لها أنفعُ منه. وليس على النفس المطمئنّة أشقُّ من العمل لغير الله، وإجابةِ داعي الهوى؛ وليس عليها أضرُّ منه. والملَك مع هذه عن يَمنةِ القلب، والشيطان مع تلك عن يَسْرةِ القلب. والحروب مستمرة، لا تضع أوزارها إلى أن تستوفي أجلَها من الدنيا. والباطل كلّه يتحيّز مع الشيطان والأمّارة، والحقّ كلّه يتحيّز مع الملَك والمطمئنّة. والحروب دُوَل وسِجال، والنصر مع الصبر». «الداء والدواء» (١/ ٣٦٠).

وقال ابن عثيمين: «لا تجد نفسًا أكثر اطمئنانـًا من نفس المؤمن أبداً، المؤمن نفسه طيبة مطمئنة، ولهذا تعجب الرسول صلى الله عليه وسلّم من المؤمن قال: «عجباً لأمر المؤمن! إن أمره كله خير، إن أصابته ضَراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له»، مطمئن راض بقضاء الله وقدره، لا يسخط عند المصائب، ولا يبطر عند النعم، بل هو شاكر عند النعم، صابر عند البلاء، فتجده مطمئنـًا، لكن الكافر أو ضعيف الإيمان لا يطمئن، إذا أصابه البلاء جزع وسخط، ورأى أنه مظلوم من قبل الله ـ والعياذ بالله ـ حتى إن بعضهم ينتحر ولا يصبر، ولا يطمئن، بل يكون دائمـًا في قلق... ولهذا نجد الناس الآن يذهبون إلى كل مكان ليرفّهوا عن أنفسهم، ليزيلوا عنها الألم والتعب، لكن لا يزيل ذلك حقًّا إلا الإيمان، فالإيمان الحقيقي هو الذي يؤدي إلى الطمأنينة، فالنفس المطمئنة هي المؤمنة، مؤمنة في الدنيا، آمنة من عذاب الله يوم القيامة... ولعل هذا هو السر في قوله تبارك وتعالى: {لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى}. يعني في الجنة لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى، ومعلوم أن الجنة لا موت فيها لا أولى ولا ثانية، لكن لما كان نعيم القلب ممتداً من الدنيا إلى دخول الجنة صارت كأن الدنيا والآخرة كلها جنة، وليس فيها إلا موتة واحدة». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٠٥).

(ارجعي إلى ربك راضية مرضية):

قال ابن القيم: «في وقت هذه المقالة ثلاثة أقوالٍ للسلف:

أحدها: أنَّه عند الموت، وهو الأشهر. قال الحسن رضي الله عنه: إذا أراد الله قبضها اطمأنَّت إلى ربِّها ورضيت عن الله، فيرضى عنها.

وقال آخرون: إنَّما يقال لها ذلك عند البعث. هذا قول عكرمة وعطاءٍ والضحَّاك وجماعة.

وقال آخرون: الكلمة الأولى، وهي: {ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً} تقال لها عند الموت، والكلمة الثانية، وهي: {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّتِي} إنما تقال لها يوم القيامة...

والصواب: أنَّ هذا القول يقال لها عند الخروج من الدُّنيا ويوم القيامة. فإنَّ أوَّل بعثها عند مفارقتها الدُّنيا، وحينئذٍ فهي في الرفيق الأعلى ـ إن كانت مطمئنَّةً إلى الله ـ وفي جنَّته، كما دلَّ عليه الأحاديث الصحيحة.

فإذا كان يوم القيامة قيل لها ذلك، وحينئذٍ يكون تمام الرُّجوع إلى الله ودخول الجنَّة. فأوَّل ذلك عند الموت، وتمامه ونهايته يوم القيامة، فلا اختلاف في الحقيقة». «مدارج السالكين» (٢/ ٤٨٨-٤٨٩).

(فادخلي في عبادي):

قال البغوي: «{فادخلي في عبادي} أي: مع عبادي في جنتي. وقيل: في جملة عبادي الصالحين المطيعين المصطفين، نظيره: (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين)». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٢٤).

(وادخلي جنتي):

قال ابن عثيمين: «أضافها الله إلى نفسه للدلالة على شرفها وعناية الله بها، وهذا يوجب للإنسان أن يرغب فيها غاية الرغبة، كما أنه يرغب في بيوت الله التي هي المساجد، لأن الله أضافها إلى نفسه، فكذلك يرغب في هذه الدار التي أضافها الله إلى نفسه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٠٨).

وقال ابن عثيمين: «قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها»، سوط الإنسان: العصا القصير، موضع السوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، وليست دنياك أنت، بل الدنيا من أولها إلى آخرها، بما فيها من النعيم، والملك، والرفاهية وغيرها، موضع سوط خير من الدنيا وما فيها، فكيف بمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي عام... يرى أقصاه كما يرى أدناه، نعيم لا يمكن أن ندركه بنفوسنا ولا بتصورنا {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٠٥).

الوقف والابتداء:

قول الله تعالى: (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن) لا وقف فيها؛ لأنها جملة اسمية واحدة، فالمبتدأ (الإنسان)، والخبر جملة (فيقول ربي أكرمن)، وجاءت في الوسط جملة شرطية معترضة (إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه). فإذا احتاج إلى موضع يقف عليه وقفا حسنا ثم يربط فإنه يقف على (فأكرمه ونعّمه)، ثم يعود من قوله: (فأكرمه ونعّمه) إلى نهاية الآية.

وكذلك قوله تعالى: (وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن) لا وقف فيها؛ لأنها جملة اسمية واحدة، في وسطها جملة شرطية معترضة. فإذا احتاج إلى موضع يقف عليه وقفا حسنا ثم يربط فإنه يقف على (فقدر عليه رزقه)، ثم يعود من قوله: (فقدر عليه رزقه) إلى نهاية الآية.

ويصح الوقف على (كلا) في قول الله تعالى: (كلا بل لا تكرمون اليتيم)؛ لأنها نفي لما يحسبه الإنسان من إكرام الله له بالنعم وإهانته بالمصائب، أو نفي لإهانة من قدر عليه رزقه. وجاءت بعدها جملة مستأنفة مسبوقة بـ(بل) للإضراب، ونص على الوقف بعض علماء الوقف والابتداء.

وكذلك في قول الله تعالى: (كلا إذا دُكّت الأرض دكا دكا) يصح الوقف على (كلا)، على اعتبارها ردعا لما قبلها، فالمعنى: لا ينبغي أن يكون حالكم هكذا، أو لا يغني عنكم جمع المال شيئا، ونص على الوقف هنا بعض علماء الوقف والابتداء.

وقول الله تعالى: (وجيء يومئذ بجهنم) يصح الوقف هنا؛ لأن الجملة التي بيّنت الإتيان بجهنم انتهت هنا، ثم جاءت جملة أخرى لبيان حال الإنسان في يوم القيامة، وهو رأس آية في غير الكوفي والبصري. ونص عليه بعض علماء الوقف والابتداء. ومنع منه بعضهم كالأشموني؛ لأن (يومئذ) الثانية بدل من (إذا). والأمر في هذا محتمل.

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الفجر ١٥-٣٠

١- اعلم أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وأن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، فلا تظننّ أن غناك وصحتك ونعيمك في الدنيا لكرامتك عند الله، بل هو ابتلاء لك هل تشكر؟ ولا تظنن أن فقرك ومرضك وشقاءك لمهانتك عند الله، بل هو ابتلاء لك هل تصبر؟ وانظر إلى قلبك وأعمالك، فإن كنت مخلصا متّقيا فأنت صاحب الكرامة عند الله، وإن كنت على الضد من ذلك فذلك دليل المهانة عند الله، فالحذر الحذر (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن * كلا).

٢- ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، فالراحمون يرحمهم الرحمن، وخير الناس أنفعهم للناس، فعوّد نفسك على إكرام اليتيم والإحسان إليه، وإطعام المسكين والرحمة به، وإعطاء الضعيف والصغير حقه، وحضّ غيرك على ذلك تعاونا على البر والتقوى (كلا بل لا تكرمون اليتيم * ولا تحاضون على طعام المسكين).

٣- احذر من أكل حق النساء واليتامى من الميراث، وعدم إعطائهم حقوقهم التي أمر الله بها، فإن ذلك من الظلم العظيم، والعدوان الأثيم (وتأكلون التراث أكلا لمّا).

٤- المؤمن لا يتعلق قلبه بحب المال، ولا يسعى لتحصيله سعيا حثيثا، فإن رزقه الله مالا جعله في يده لا في قلبه، وأنفق منه في وجوه الخير ابتغاء وجه الله، وجعله ذخرا له يوم القيامة (وتحبون المال حبا جما).

٥- اعلم أنك ستقف بين يدي الله يوم القيامة، وقد دُكّت الأرض وزلزلت، وجاء الله لفصل القضاء، والملائكة واقفون صفوفا، وجيء يومئذ بجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، فترى عندئذ شدة عذاب الله للفاسقين، حينها ستتذكّر ما كان منك في هذه الدنيا من التفريط في طاعة الله، والجرأة على معصية الله، وظلم عباد الله، وهل ينفع التذكّر؟ وتتمنى حينها أن لو لم تفعل، وهل ينفع التمني؟ وستعضّ على أصابع الندم، وهل ينفع الندم؟ فتدارك أمرك، وتب إلى ربك، وردّ الحقوق إلى أصحابها، قبل أن يفجأك الموت (كلا إذا دُكّت الأرض دكا دكا *

وجاء ربك والملك صفا صفا * وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى * يقول يا ليتني قدّمت لحياتي * فيومئذ لا يعذّب عذابه أحد * ولا يوثق وثاقه أحد).

٦- الحياة الحقيقية هي الحياة الأخروية، فهي الحياة الدائمة التي لا انقطاع لها، فأعدّ لتلك الحياة عُدّتها، واسعَ لعمارتها، واغرس في أرضها، حتى تفوز بجنة عرضها السماوات والأرض، وحينئذ تنعم فلا تبأس، وتصحّ فلا تمرض، لا تعاني هما ولا غما ولا كربا ولا مرضا، ولا تواجه عدوا ولا حاسدا ولا ظالما (يقول يا ليتني قدّمت لحياتي).

٧- احرص على الرقيّ بنفسك، حتى تكون صاحب نفس مطمئنة، مطمئنة إلى ربها وخالقها، مطمئنة إلى عبادته وذكره وشكره، مطمئنة إلى كتابه ورسوله، مطمئنة إلى قضائه وقدره، مطمئنة إلى أحكامه وتشريعاته، مطمئنة إلى وعده لأهل الطاعة والإيمان، حتى تُبشّر عند موتك بروح وريحان، ورب راض غير غضبان، وترجع إلى جوار الله في الجنة، فترضى عن ربك بما أعدّ لك من النعيم، ويرضى الله عنك (يا أيتها النفس المطمئنّة * ارجعي إلى ربك راضية مرضيّة * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الغاشية (١-١٦) من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة الغاشية: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] التذكير بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب، والنظر في براهين قدرة الله.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ١﴾.

هل أتاك -أيها الرسول- حديث القيامة التي تغشى الناس بأهوالها؟!

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢﴾.

فالناس في يوم القيامة إما أشقياء وإما سعداء، فوجوه الأشقياء ذليلة خاضعة.

﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ٣﴾.

متعبة مجهدة بالسلاسل التي تُسْحب بها، والأغلال التي تُغَل بها.

﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ٤﴾.

تدخل تلك الوجوه نارًا حارة تقاسي حرّها.

﴿تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ٥﴾.

تُسقى من عين شديدة حرارة الماء.

﴿ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦﴾.

ليس لهم طعام يتغذّون به إلا من أخبث الطعام وأنتنه من نبات يسمَّى الشِّبْرِق إذا يبس صار مسمومًا.

﴿لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ٧﴾.

لا يُسْمِن آكله، ولا يسدّ جوعّته.

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ٨﴾.

ووجوه السعداء في ذلك اليوم ذات نعمة وبهجة وسرور؛ لما لاقوه من النعيم.

﴿لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ٩﴾.

لعملها الصالح الَّذي عملته في الدنيا راضية، فقد وجدت ثواب عملها مدخرًا لها مضاعفًا.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ١٠﴾.

في جنة مرتفعة المكان والمكانة.

﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ١١﴾.

لا تسمع في الجنّة كلمة باطل ولغو، فضلًا عن سماع كلمة محرمة.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ١٢﴾.

في هذه الجنّة عيون جارية يفجرونها، ويصرفونها كيف شاؤوا.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ١٣﴾.

فيها أسرة عالية.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ١٤﴾.

وأكواب مطروحة مُهيَّأة للشرب.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ١٥﴾.

وفيها وسائد مرصوص بعضها إلى بعض.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ١٦﴾.

وفيها بسط كثيرة مفروشة هنا وهناك.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الغاشية ١-١٦

الكلمة	المعنى
الغاشِيَة	القيامة تغشى الناس بأهوالها
خاشِعَة	ذليلة منكسرة من الخزي
عامِلَة ناصِبَة	مُتعَبة من العذاب تجرّ السلاسل والأغلال في النار، أو: عاملة في الدنيا على غير هدى أو رياء وسمعة.
حَامِيَة	شديدةَ الحرارة
آنِيَة	بلغت الغاية في الحرارة
ضَرِيع	نباتٍ خبيثٍ مرٍّ ذي شوك
لا يُسمِن ولا يُغني من جُوع	لا يُزيل ضعف الجسم وهزاله ولا يسدّ جوعًا
لاغِيَة	باطلا ولغوا من القول
سرُرٌ مرفوعة	أسرّة مرتفعة السماكة رفيعة القدر
وأكوابٌ موضوعة	وأكواب معَدّة بين أيديهم ممتلئة بأنواع الشراب
ونَمَارِق مصفوفة	ووسائد يُتّكأ عليها بعضها بجانب بعض
وزَرَابِيّ مبثوثة	وفُرُشٌ كثيرة مفرّقة

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الغاشية ١-١٦

فوائد عامة في سورة الغاشية:

عن النعمان بن بشير، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين، وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى، وهل أتاك حديث الغاشية»، قال: «وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد، يقرأ بهما أيضا في الصلاتين». «صحيح مسلم» (٢/ ٥٩٨).

قال ابن القيم: «ولا يستحَبُّ أن يقرأ من كلِّ سورة بعضَها، أو يقرأ إحداهما في الركعتين، فإنه خلاف السنَّة. وجُهَّال الأئمة يداومون على ذلك». «زاد المعاد في هدي خير العباد» (١/ ٤٦٨).

(هل أتاك حديث الغاشية):

قال ابن القيم: «المتكلم إذا أراد أن يخبر المخاطَب بأمر عجيب ينبغي الاعتناء به، وإحضار الذهن له صدّر له الكلام بأداة الاستفهام، لتنبيه سمعه وذهنه للمخبَر به، فتارة يصدّره بألا، وتارة يصدّره بهل، فقول: هل علمت ما كان من كيت وكيت؟ إما مذكرا به، وإما واعظاً له مخوفا، وإما منبها على عظم ما يخبر به، وإما مقرراً له، فقوله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى}، و {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ}، و {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ}، و {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ} متضمن لتعظيم هذه القصص، والتنبيه على تدبرها، ومعرفة ما تضمنته.

فيه أمر آخر. وهو التنبيه على أن إتيان هذا إليك علم من أعلام النبوة، فإنه من الغيب الذي لا تعمله أنت ولا قومك، فهل أتاك من غير إعلامنا وإرسالنا وتعريفنا؟ أم لم يأتك إلا من قِبَلنا؟». «الرسالة التبوكية» (ص٦٥).

وقال ابن عثيمين: «{الغاشية} هي الداهية العظيمة التي تغشى الناس، وهي يوم القيامة التي تحدث الله عنها في القرآن كثيراً، ووصفها بأوصاف عظيمة، مثل قوله تعالى: {يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم. يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٧١).

(وجوه يومئذ خاشعة):

قال الألوسي: «والمراد بخاشعة: ذليلة، ولم توصف بالذل ابتداء لما في وصفها بالخشوع من الإشارة إلى التهكم، وأنها لم تخشع في وقت ينفع فيه الخشوع». «روح المعاني» (١٥/ ٣٢٥).

(عاملة ناصبة):

قال البغوي: «{عاملة ناصبة} قال عطاء عن ابن عباس: يعني: الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب، مثل الرهبان وغيرهم، لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلالة، يدخلون النار يوم القيامة، وهو قول سعيد بن جبير، وزيد بن أسلم...

وقال عكرمة والسدي: عاملة في الدنيا بالمعاصي، ناصبة في الآخرة في النار.

وقال بعضهم: عاملة في النار ناصبة فيها.

قال الحسن: لم تعمل لله في الدنيا، فأعملها وأنصبها في النار بمعالجة السلاسل، والأغلال...

قال ابن مسعود: تخوض في النار كما تخوض الإبل في الوحل.

وقال الكلبي: يُجرّون على وجوههم في النار.

وقال الضحاك: يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٠٤).

وقال السعدي: «{عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ} أي: تاعبة في العذاب، تجر على وجوهها، وتغشى وجوههم النار.

ويحتمل أن المراد بقوله: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ. عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ} في الدنيا؛ لكونهم في الدنيا أهل عبادات وعمل، ولكنه لما عَدم شرطَه وهو الإيمان صار يوم القيامة هباء منثورا، وهذا الاحتمال وإن كان صحيحًا من حيث المعنى، فلا يدل عليه سياق الكلام، بل الصواب المقطوع به هو الاحتمال الأول، لأنه قيّده بالظرف، وهو يوم القيامة، ولأن المقصود هنا بيان وصف أهل النار عمومًا، وذلك الاحتمال جزء قليل من أهل النار بالنسبة إلى أهلها؛ ولأن الكلام في بيان حال الناس عند غشيان الغاشية، فليس فيه تعرض لأحوالهم في الدنيا». «تفسير السعدي» (ص٩٢٢).

(تصلى نارا حامية):

قال ابن عثيمين: «النار الحامية: التي بلغت من حَموها أنها فُضّلت على نار الدنيا بتسعة وستين جزءًا». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٧٢).

(تُسقى من عين آنية):

قال البغوي: «{تُسقى من عين آنية} متناهية في الحرارة، قد أُوقدت عليها جهنم منذ خلقت، فدُفعوا إليها وِردا: عطاشا. قال المفسرون: لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٠٨).

وقال ابن عثيمين: «{من عين آنية} أي: شديدة الحرارة، هذا بالنسبة لشرابهم، ومع هذا لا يأتي هذا الشراب بكل سهولة، أو كلما عطِشوا سُقوا، وإنما يأتي كلما اشتد عطشهم واستغاثوا، كما قال تعالى: {وإن يستغيثوا يُغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب}. هذا الماء إذا قُرِّب من وجوههم شواها، وتساقط لحمها، وإذا دخل في أجوافهم قطّعها، يقول عز وجل: {وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعائهم}. فلا يستفيدون منه لا ظاهراً ولا باطنـًا، لا ظاهراً بالبرودة ببرد الوجوه، ولا باطنـًا بالري...

فإذا قال قائل: كيف تكون هذه العين في نار جهنم والعادة أن الماء يطفئ النار؟

فالجواب: أولاً: أن أمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا، لو أنها قيست بأمور الدنيا ما استطعنا أن نتصور كيف يكون؟ أليست الشمس تدنو يوم القيامة من رؤوس الناس على قدر ميل؟... لو كانت الآخرة كالدنيا لشوت الناس شيًّا، لكن الآخرة لا تقاس بالدنيا. أيضـًا يحشر الناس يوم القيامة في مكان واحد، منهم من هو في ظلمة شديدة، ومنهم من هو في نور {نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم}. يحشرون في مكان واحد ويعرقون، منهم من يصل العرق إلى كعبه، ومنهم من يصل إلى ركبتيه، ومنهم من يصل إلى حِقويه، ومع ذلك هم في مكان واحد. إذن أحوال الآخرة لا يجوز أن تقاس بأحوال الدنيا.

ثانيـًا: أن الله على كل شيء قدير. ها نحن الآن نجد أن الشجر الأخضر توقد منه النار، كما قال تعالى: {الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون}. الشجر الأخضر رَطِب، ومع ذلك إذا ضرب بعضه ببعض، أو ضرب بالزَند انقدح، خرجت منه نار حارة يابسة، وهو رطب بارد، فالله على كل شيء قدير». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص ١٧٢-١٧٣).

(ليس لهم طعام إلا من ضريع * لا يسمن ولا يغني من جوع):

قال البغوي: «قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية قال المشركون: إن إبلنا لتسمن على الضريع، وكذبوا في ذلك، فإن الإبل إنما ترعاه ما دام رطبا، وتسمى "شِبرقا"، فإذا يبس لا يأكله شيء. فأنزل الله: {لا يسمن ولا يغني من جوع}». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٠٩).

وقال البغوي: «قال ابن زيد: أما في الدنيا فإن "الضريع": الشوك اليابس الذي يبس له ورق، وهو في الآخرة شوك من نار. وجاء في الحديث عن ابن عباس: (الضريع: شيء في النار شبه الشوك، أمرّ من الصبِر، وأنتن من الجيفة، وأشد حرا من النار).

وقال أبو الدرداء، والحسن: إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بالضريع، ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصّة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء، فيستسقون، فيعطشهم ألف سنة، ثم يسقون من عين آنية، شربة لا هنيئة ولا مريئة، فلما أدنوه من وجوههم، سلخ جلود وجوههم وشواها، فإذا وصل إلى بطونهم قطّعها، فذلك قوله عز جل: (وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم)». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٠٨).

(في جنة عالية):

قال السعدي: «{فِي جَنَّةٍ} جامعة لأنواع النعيم كلها، {عَالِيَةٍ} في محلها ومنازلها، فمحلها في أعلى عليين، ومنازلها مساكن عالية، لها غرف، ومن فوق الغرف غرف مبنية، يُشرفون منها على ما أعد الله لهم من الكرامة». «تفسير السعدي» (ص٩٢٢).

وقال ابن عثيمين: «الجنة هي دار النعيم التي أعدها الله عز وجل لأوليائه يوم القيامة، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، قال الله تبارك وتعالى: {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون}... وقال الله تعالى: {وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٧٤).

(لا تسمع فيها لاغية):

قال الطبري: «يعني باللاغية: كلمة لغو، واللَّغو: الباطل، فقيل للكلمة التي هي لغو: لاغية، كما قيل لصاحب الدرع: دارع، ولصاحب الفرس: فارس، ولقائل الشعر: شاعر». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣٨٦).

وقال السعدي: «{لاغِيَةً} أي: كلمة لغو وباطل، فضلا عن الكلام المحرم، بل كلامهم كلام حسن نافع، مشتمل على ذكر الله تعالى، وذكر نعمه المتواترة عليهم، وعلى الآداب المستحسنة بين المتعاشرين، الذي يسرّ القلوب، ويشرح الصدور». «تفسير السعدي» (ص٩٢٢).

وقال ابن عثيمين: «{لا تسمع فيها لاغية} أي: لا تسمع في هذه الجنة قولةً لاغية، أو نفساً لاغية، بل كل ما فيها جد، كل ما فيها سلام، كل ما فيها تسبيح، وتحميد، وتهليل، وتكبير، يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس، أي: أنه لا يشق عليهم، فهم دائماً في ذكر الله عز وجل، وتسبيح وأنس وسرور، يأتي بعضهم إلى بعض، يزور بعضهم بعضاً في حبور لا نظير له». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٧٥).

(فيها عين جارية):

قال ابن كثير: «{فيها عين جارية} أي: سارحة. وهذه نكرة في سياق الإثبات، وليس المراد بها عينا واحدة، وإنما هذا جنس، يعني: فيها عيون جاريات.

وقال ابن أبي حاتم:... قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أنهار الجنة تفجر من تحت تلال -أو: من تحت جبال- المسك)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٨٦).

وقال ابن عثيمين: «{فيها عين جارية} وهذه العين بين الله عز وجل أنها أنهار {فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى}. {جارية} أي: تجري حيث أراد أهلها، لا تحتاج إلى حَفر ساقية، ولا إقامة أخدود، كما قال ابن القيم رحمه الله:
أنهارها في غير أخدود جرت .. سبحان ممسكها عن الفيضان». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٧٥).

(فيها سرر مرفوعة):

قال الطبري: «(فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ) والسرر: جمع سرير، مرفوعة ليرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوّله ربه من النعيم والملك فيها، ويلحق جميع ذلك بصره». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣٨٧).

وقال البغوي: «{فيها سرر مرفوعة} قال ابن عباس: ألواحها من ذهب، مكللة بالزبرجد والدر والياقوت، مرتفعة ما لم يجئ أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها، ثم ترتفع إلى مواضعها». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٠٩).

(وأكواب موضوعة):

قال الطبري: «عُنِي بقوله: (مَوْضُوعَةٌ): أنها موضوعة على حافة العين الجارية، كلما أرادوا الشرب وجدوها ملأى من الشراب». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣٨٧).

وقال ابن عثيمين: «{موضوعة} يعني: ليست مرفوعة عنهم، بل هي موضوعة لهم متى شاءوا شربوا فيها». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٧٦).

(ونمارق مصفوفة * وزرابيّ مبثوثة):

قال ابن عثيمين: «ولا تظن أن هذه النمارق، وهذه الأكواب، وهذه السرر، وهذه الزرابي لا تظن أنها تشبه ما في الدنيا؛ لأنها لو كانت تشبه ما في الدنيا لكنا نعلم نعيم الآخرة، ونعلم حقيقته؛ لكنها لا تشبهه، لقول الله تعالى: {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون}. إنما الأسماء واحدة، والحقائق مختلفة، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ليس في الآخرة مما في الدنيا إلا الأسماء فقط)، فنحن لا نعلم حقيقة هذه النعم المذكورة في الجنة، وإن كنا نشاهد ما يوافقها في الاسم في الدنيا، لكنه فرق بين هذا وهذا». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٧٦).

«عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم لأصحابه: (ألا مشمّر للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطّرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة في مقامٍ أبدٍ، في حَبْرة ونَضْرة، في دار عالية سليمة بهية) قالوا: نحن المشمرون لها يا رسول الله. قال: (قولوا: إن شاء الله)». «سنن ابن ماجه» (٥/ ٣٨٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الغاشية ١-١٦

١- تجنّب كل عقيدة أو قول أو فعل أو خُلُق توعّد الله عليه بالنار، واعلم أنه لا طاقة لأحد منا على تحمّل عذاب النار ولو للحظة واحدة، فإنها نار حامية، ومن دخلها صار ذليلا ولو كان في الدنيا من أعزّ الناس، وكُلّف بجرّ السلاسل والأغلال فيها لأنه تكبّر عن العمل لله في الدنيا، وسُقي من عين حارة ماء يشوي وجهه ويقطّع أمعاءه، وأُطعم من شوك مُرّ خبيث، لا ينتفع به صاحبه سِمنًا، ولا يسُدّ عنه جوعا، فاعتبروا يا أولي الألباب (هل أتاك حديث الغاشية ❁ وجوه يومئذ خاشعة ❁ عاملة ناصبة ❁ تصلى نارا حامية ❁ تُسقى من عين آنية ❁ ليس لهم طعام إلا من ضريع ❁ لا يُسمن ولا يُغني من جوع).

٢- احرص على التحلي بصفات أهل الجنة، والتمسك بعقائدهم وأقوالهم وأفعالهم، والمسارعة إليها، والمنافسة فيها، فإن في الجنة نعيما عظيما، لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر، وأهلها في نعيم وسرور وفرح وحبور، قد رضي الله عنهم لما عملوه في الدنيا، ورضوا عنه لما أكرمهم به من النعيم، ونعيمها يحصل لهم بلا تعب ولا مشقّة؛ لأنهم نصَبوا وتعبوا في الدنيا بالأعمال الصالحة، فالأكواب موضوعة ممتلئة بين أيديهم بما يشتهونه من الشراب، والأسرّة مهيّأة للراحة، والوسائد مصفوفة للاتّكاء، والفرش مبثوثة هنا وهناك، وليس فيها ما يكدّر النعيم ويعكّر الصفو، فليس فيها لغو ولا باطل ولا حسد ولا حقد ولا غيبة ولا نميمة ولا فُحش ولا غدر ولا سب ولا لعن ولا كذب، فهل من مشمّر للجنة؟ (وجوه يومئذ ناعمة ❁ لسعيها راضية ❁ في جنة عالية ❁ لا تسمع فيها لاغية ❁ فيها عين جارية ❁ فيها سرر مرفوعة ❁ وأكواب موضوعة ❁ ونمارق مصفوفة ❁ وزرابيّ مبثوثة).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الغاشية (١٧-٢٦) من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧﴾.

أفلا ينظرون نظر تأمل إلى الإبل كيف خلقها الله، وسخرها لبني آدم؟!

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨﴾.

وينظرون إلى السماء كيف رفعها حتَّى صارت فوقهم سقفًا محفوظًا، لا يسقط عليهم؟!

﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩﴾.

وينظرون إلى الجبال كيف نصبها وثبت بها الأرض أن تضطرب بالناس؟!

﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ۝٢٠﴾.

وينظرون إلى الأرض كيف بسطها، وجعلها مُهيَّأة لاستقرار الناس عليها؟! ولمَّا وجههم إلى النظر إلى ما يدل على قدرته تعالى وَجَّه رسوله، فقال:

﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١﴾.

فعظ -أيها الرسول- هؤلاء، وخوفهم من عذاب الله، إنما أنت مذكر، لا يطلب منك إلا تذكيرهم، وأما توفيقهم للإيمان فهو بيد الله وحده.

﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ۝٢٢﴾.

لست عليهم مسلطًا حتَّى تكرههم على الإيمان.

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣﴾.

لكن من تولّى منهم عن الإيمان، وكفر بالله وبرسوله.

﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ۝٢٤﴾.

فيعذبه الله يوم القيامة العذاب الأعظم بأن يدخله جهنم خالدًا فيها:

﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥﴾.

إن إلينا وحدنا رجوعهم بعد موتهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾.

ثم إن علينا وحدنا حسابهم على أعمالهم، وليس لك ولا لأحد غيرك ذلك.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• الاستدلال بالمخلوقات على وجود الخالق وعظمته.

• مهمة الداعية الدعوة، لا حمل الناس على الهداية؛ لأن الهداية بيد الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الغاشية ١٧-٢٦

الكلمة	المعنى
ينظرون	نظر تأمّل وتفكّر
سُطِحَت	بُسطت ومُهّدت
بِمُصَيْطِر	بمتسلّط تُكرههم على الإيمان
إِيَابَهُم	رجوعَهم بعد الموت

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الغاشية ١٧-٢٦

(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت):

قال البغوي: «تكلمت الحكماء في وجه تخصيص الإبل من بين سائر الحيوانات؛ فقال مقاتل: لأنهم لم يروا بهيمة قط أعظم منها، ولم يشاهد الفيل إلا الشاذ منهم...

وسئل الحسن عن هذه الآية، وقيل له: الفيل أعظم في الأعجوبة؟ فقال: أما الفيل فالعرب بعيدة العهد بها. ثم هو لا خير فيه، لا يركب ظهره، ولا يؤكل لحمه، ولا يحلب دره. والإبل أعز مال للعرب وأنفسها: تأكل النوى والقت، وتخرج اللبن.

وقيل: إنها مع عظمها تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، حتى إن الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء». «تفسير البغوي» (٨/ ٤١٠).

وقال ابن عثيمين: «{أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت} هذا الاستفهام للتوبيخ، أي: إن الله يوبخ هؤلاء الذين أنكروا ما أخبر الله به عن يوم القيامة، وعن الثواب والعقاب، أنكر عليهم إعراضهم عن النظر في آيات الله تعالى التي بين أيديهم، وبدأ بالإبل؛ لأن أكثر ما يلابس الناس في ذلك الوقت الإبل، فهم يركبونها، ويحلبونها، ويأكلون لحمها، وينتفعون من أوبارها، إلى غير ذلك من المنافع... تجد البعير تمشي مسافات طويلة لا يبلغها الإنسان إلا بشق الأنفس وهي متحملة، وتجد البعير أيضاً يحمل الأثقال وهو بارك ثم يقوم في حمله لا يحتاج إلى مساعدة، والعادة أن الحيوان لا يكاد يقوم إذا حُمّل وهو بارك، لكن هذه الإبل أعطاها الله عز وجل قوة وقدرة من أجل مصلحة الإنسان، لأن الإنسان لا يمكن أن يحمل عليها وهي قائمة لعلوها، ولكن الله تعالى يسر لهم الحمل عليها وهي باركة ثم تقوم بحملها، وكما قال الله تعالى في سورة يس: {ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٧٧).

(وإلى السماء كيف رُفعت):

قال ابن عثيمين: «{وإلى السماء كيف رفعت} يعني: وينظرون إلى السماء كيف رفعت بما فيها من النجوم، والشمس، والقمر وغير هذا من الآيات العظيمة التي لم يتبين كثير منها إلى الآن، ولا نقول إن هذه الآيات السماوية هي كل الآيات، بل لعل هناك آيات كبيرة عظيمة لا ندركها حتى الآن.

وقوله: {كيف رفعت} أي: رفعت هذا الارتفاع العظيم، ومع هذا فليس لها عَمَد، مع أن العادة أن السقوف لا تكون إلا على عمد، لكن هذا السقف العظيم المحفوظ قام على غير عمد، {الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٧٧).

(وإلى الجبال كيف نُصِبَت):

قال ابن القيم: «تأمَّل الحكمةَ العجيبةَ في الجبال التي قد يحسبُها الجاهلُ الغافلُ فَضْلةً في الأرض لا حاجة إليها. وفيها من المنافع ما لا يحصيه إلا خالقُها وناصِبُها.

وفي حديث إسلام ضِمام بن ثعلبة قولُه للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: أسألك بالذي نَصَبَ الجبالَ وأودعَ فيها المنافع، آللهُ أمَرك بكذا وكذا؟ قال: «اللهمَّ نَعَم».

فمن منافعها: أنَّ الثَّلجَ يسقطُ عليها فيبقى في قُلَلِها حاملًا لشراب النَّاس إلى حين نفاده، وجُعِل فيها ليذوبَ أوَّلًا فأوَّلًا، فتجري منه العيونُ الغزيرة، وتسيل منه الأنهارُ والأودية، فيُنْبِتُ في المُروج والوِهاد والرُّبى ضروبَ النَّبات والفواكه والأدوية التي لا يكونُ مثلُها في السَّهل والرِّمال. فلولا الجبالُ لسقط الثَّلجُ على وجه الأرض فانحلَّ جملةً، وساحَ دَفْعةً؛ فعُدِمَ وقتَ الحاجة إليه، وكان في انحلاله جملةً السُّيولُ التي تُهلِكُ ما مرَّت عليه، فيُضِرُّ بالنَّاس ضررًا لا يمكنُ تلافيه، ولا دفعُ أذيَّته.

ومن منافعها: ما يكون في حُصونها وقُلَلِها من المغارات والكهوف والمعاقل التي هي بمنزلة الحصون والقِلاع، وهي ـ أيضًا ـ أكنانٌ للنَّاس والحيوان.

ومن منافعها: ما يُنْحَتُ من أحجارها للأبنية على اختلاف أصنافها، والأرْحِيَة وغيرها.

ومن منافعها: ما يوجدُ فيها من المعادن على اختلاف أصنافها، من الذَّهب والفضة والنُّحاس والحديد والرَّصاص والزَّبَرْجَد والزُّمُرُّد وأضعاف ذلك من أنواع المعادن الذي يعجزُ البشرُ عن معرفتها على

التفصيل، حتى إنَّ فيها ما يكونُ الشيءُ اليسيرُ منه تزيدُ قيمتُه ومنفعتُه على قيمة الذَّهب بأضعافٍ مضاعفة، وفيها من المنافع ما لا يعلمه إلا فاطرُها ومبدعُها سبحانه وتعالى.

ومن منافعها أيضًا: أنها تردُّ الرياحَ العاصفة، وتَكْسِرُ حِدَّتها، فلا تدعُها تَصْدِمُ ما تحتها؛ ولهذا السَّاكنون تحتها في أمانٍ من الرياح العِظام المؤذية.

ومن منافعها أيضًا: أنها تردُّ عنهم السُّيولَ إذا كانت في مجاريها، فتَصْرِفُها عنهم ذاتَ اليمين وذات الشمال، ولولاها لأَخْرَبَت السُّيولُ في مجاريها ما مرَّت به؛ فتكون لهم بمنزلة السَّدِّ والسِّكْر.

ومن منافعها: أنها أعلامٌ يُسْتَدلُّ بها في الطُّرقات، فهي بمنزلة الأدلَّة المنصوبةِ المرشدَة إلى الطُّرق، ولهذا سمَّاها الله أعلامًا؛ فقال: {وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ}، فالجواري: هي السُّفن، والأعلامُ: الجبال؛ واحدُها عَلَم. قالت الخنساء: وإنَّ صَخْرًا لتأتمُّ الهُداةُ به ... كأنه عَلَمٌ في رأسِه نارُ
فسُمِّي الجبلُ عَلَمًا من العلامة والظُّهور.

ومن منافعها أيضًا: ما ينبتُ فيها من العقاقير والأدوية التي لا تكونُ في السُّهول والرمال، كما أنَّ ما ينبتُ في السُّهول والرمال لا ينبتُ مثلُه في الجبال، وفي كلٍّ من هذا وهذا منافعُ وحِكَمٌ لا يحيطُ بها إلا الخلَّاقُ العليم.

ومن منافعها: أنها تكون حُصونًا من الأعداء، يتحرَّزُ فيها عبادُ الله من أعدائهم كما يتحصَّنون بالقِلاع، بل تكونُ أبلغَ وأحصنَ من كثيرٍ من القِلاع والمدن.

ومن منافعها: ما ذكره الله تعالى في كتابه أنه جَعَلها للأرض أوتادًا تثبِّتها، ورواسي بمنزلة مراسي السُّفن، وأعْظِم بها منفعةً وحكمة.

هذا، وإذا تأمَّلْتَ خِلْقَتها العجيبةَ البديعةَ على هذا الوضع وجدتها في غاية المطابقة للحكمة:

فإنها لو طالت واستَدَقَّت كالحائط، لتعذَّر الصُّعودُ عليها والانتفاعُ بها، وسَتَرَت عن النَّاس الشمسَ والهواءَ، فلم يتمكَّنوا من الانتفاع بها.

ولو بُسِطَت على وجه الأرض، لضيَّقت عليهم المزارعَ والمساكن، ولملأت السَّهْل، ولما حصل لهم بها الانتفاعُ من التَّحصُّن والمغارات والأكنان، ولما سَتَرَت عنهم الرياح، ولما حَجَبَت السُّيول.

ولو جُعِلَت مستديرةً على الكُرة لم يتمكَّنوا من صُعودها، ولما حَصَل لهم بها الانتفاعُ التَّام.

فكان أولى الأشكال والأوضاع بها وأليقَها وأوقعَها على وَفْق المصلحة هذا الشكلُ الذي نُصِبَت عليه... فخَلْقُها ومنافعُها من أكبر الشواهد على قدرة باريها وفاطرها، وعلمه وحكمته ووحدانيَّته.

هذا مع أنها تسبِّحُ بحمده، وتخشعُ له، وتسجدُ له، وتتشقَّقُ وتهبطُ من خشيته، وهي التي خافت من ربها وفاطرها وخالقها ـ على شدَّتها وعِظَم خَلْقِها ـ من الأمانة إذ عَرَضَها عليها وأشفَقَت مِنْ حملِها». «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٦٢٢-٦٢٦).

(وإلى الأرض كيف سُطحت):

قال ابن كثير: «نبه البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه، والسماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه، والأرض التي تحته-على قدرة خالق ذلك وصانعه، وأنه الرب العظيم الخالق المتصرف المالك، وأنه الإله الذي لا يستحق العبادة سواه». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٨٧).

وقال السعدي: «{وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} أي: مدت مدًا واسعًا، وسهلت غاية التسهيل، ليستقر الخلائق على ظهرها، ويتمكنوا من حرثها وغراسها، والبنيان فيها، وسلوك الطرق الموصلة إلى أنواع المقاصد فيها». «تفسير السعدي» (ص٩٢٢).

وقال ابن عثيمين: «{وإلى الأرض كيف سطحت} أي: وانظروا كيف سطح الله هذه الأرض الواسعة، وجعلها سطحاً واسعاً ليتمكن الناس من العيش فيه بالزراعة والبناء وغير هذا، وما ظنكم لو كانت الأرض صبباً غير مسطحة، يعني مثل الجبال يرقى لها ويصعد لكانت شاقة، ولما استقر الناس عليها، لكن الله عز وجل جعلها سطحاً ممهداً للخلق». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٧٩).

(فذكّر إنما أنت مذكّر * لست عليهم بمُصيطِر):

قال ابن القيم: «سَمّى الله سبحانه ما كمَّل به موجبات الفطرة: تذكيرًا وذكرى، وجعل رسوله مذكِّرًا، فقال: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ}، وقال: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى}... وقال: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ}، وقال: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}، وقال: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}. وهذا كثير في القرآن، يخبر أنّ كتابه ورسوله مذكِّر لهم بما هو مركوز في فِطَرهم من معرفته ومحبته وتعظيمه وإجلاله والخضوع له والإخلاص له، ومحبة شرعه الذي هو العدل المحض، وإيثاره على ما سواه.

فالفِطَر مركوز فيها معرفته ومحبته والإخلاص له، والإقرار بشرعه، وإيثاره على غيره، فهي تعرف ذلك وتشعر به مجملًا ومفصّلًا بعض التفصيل، فجاءت الرسل تذكّرها بذلك، وتنبّهها عليه، وتفصّله لها، وتبيّنه، وتعرّفها الأسباب المعارضة لموجِب الفطرة، المانعة من اقتضائها أثرها.

وهكذا شأن الشرائع التي جاءت بها الرسل، فإنها أَمْر بمعروف، ونَهْي عن منكر، وإباحة طيّب، وتحريم خبيث، وأَمْر بعدل، ونَهْي عن ظلم. وهذا كله مركوز في الفطرة، وكمال تفصيله وتبيينه موقوف على الرسل.

وهكذا باب التوحيد وإثبات الصفات، فإن في الفطرة الإقرار بالكمال المطلق الذي لا نقص فيه للخالق سبحانه، ولكن معرفة هذا الكمال على التفصيل مما يتوقف على الرسل، وكذلك تنزيهه عن النقائص والعيوب هو أمر مستقرّ في فِطَر الخلائق، خلافًا لمن قال من المتكلمين: إنه لم يقم دليل عقلي على تنزيهه عن النقائص، وإنما عُلِم بالإجماع.

فقُبْحًا لهاتيك العقول فإنها ... عقال على أصحابها ووبالُ

فليس في العقول أبين ولا أجلى من معرفتها بكمال خالق هذا العالم، وتنزيهه عن العيوب والنقائص، وجاءت الرسل بالتذكرة بهذه المعرفة وتفصيلها.

وكذلك في الفِطَر الإقرار بسعادة النفوس البشرية وشقاوتها، وجزائها بكسبها في غير هذه الدار، وأما تفصيل ذلك الجزاء والسعادة والشقاوة فلا يُعلم إلا بالرسل.

وكذلك فيها معرفة العدل ومحبته وإيثاره، وأما تفاصيل العدل الذي هو شرع الربّ تعالى فلا يُعلم إلا بالرسل.

فالرسل تذكّر بما في الفِطَر، وتفصّله وتبيّنه. ولهذا كان العقل الصريح موافقًا للنقل الصحيح، والشِّرْعة مطابقة للفطرة، تتصادقان ولا تتعارضان، خلافًا لمن قال: إذا تعارض العقل والوحي قدّمنا العقل على الوحي.

فقُبْحًا لعقل يَنقضُ الوحيَ حكمُهُ ... ويشهد حقًّا أنه هو كاذبُ». «شفاء العليل» (٢/ ٤٤٨-٤٥٠).

وقال ابن عثيمين: {فذكر} أمره الله أن يذكر، ولم يخصّص أحداً بالتذكير، أي: لم يقل ذكّر فلانـاً وفلانـاً فالتذكير عام، لأن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بُعث إلى الناس كافة، أي: ذكّر كل أحد في كل حال وفي كل مكان، فذكر النبي عليه الصلاة والسلام، وذكّر خلفاؤه من بعده، الذين خلفوه في أمته في العلم والعمل والدعوة.

ولكن هذه الذكرى هل ينتفع بها كل الناس؟ الجواب: لا، {فإن الذكرى تنفع المؤمنين}. أما غير المؤمن فإن الذكرى تقيم عليه الحجة لكن لا تنفعه، لا تنفع الذكرى إلا المؤمن، ونقول: إذا رأيت قلبك لا يتذكر بالذكرى فاتهمه، لأن الله يقول: {وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين}، فإذا ذُكّرت ولم تجد من قلبك تأثراً وانتفاعـاً فاتهم نفسك، واعلم أن فيك نقص إيمان، لأنه لو كان إيمانك كاملاً لانتفعت بالذكرى، لأن الذكرى لابد أن تنفع المؤمنين.

{إنما أنت مذكر} يعني أن محمداً عليه الصلاة والسلام ليس إلا مذكراً مبلغـاً، وأما الهداية فبيد الله عز وجل، {ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء}. وقد قام صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالذكرى والتذكير إلى آخر رمق من حياته، حتى أنه في آخر حياته يقول: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم»، حتى جعل يغرغر بها عليه الصلاة والسلام. فذكّر صلوات الله وسلامه عليه منذ بعث وقيل له: {قم فأنذر} إلى أن توفاه الله، لم يأل جهداً في التذكير في كل موقف، وفي كل زمان على ما أصابه من الأذى من قومه ومن غير قومه، والذي قرأ التاريخ ـ السيرة النبوية ـ يعرف ما جرى له من أهل مكة من قومه الذين هم أقرب الناس إليه، والذين كانوا يعرفونه، ويلقبونه بالأمين... فالرسول عليه الصلاة والسلام يذكّر

وليس عليه إلا التذكير، ومن هنا نأخذ أن الهداية بيد الله، لا يمكن أن نهدي أقرب الناس إلينا {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء}. فلا نجزع إذا ذكّرنا إنساناً ووجدناه يعاند، أو يخاصم، أو يقول: أنا أعمل ما شئت، أو ما أشبه ذلك. قال الله تعالى لنبيه: {لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين}. لا تهلك نفسك إذا لم يؤمنوا، إيمانهم لهم، وكفرهم ليس عليك، ولهذا قال: {لست عليهم بمصيطر} يعني: ليس لك سلطة عليهم، ولا سيطرة عليهم، السلطة لله رب العالمين، أنت عليك البلاغ، بلّغ، والسلطان والسيطرة لله عز وجل». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٨١-١٨٢).

(إلا من تولى وكفر):

قال صلى الله عليه وسلم: «ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله». «مسند أحمد» (٣٦/ ٥٦٠).

وقال الطبري: «(إِلا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ) يتوجَّه لوجهين:

أحدهما: فذكّر قومك يا محمد، إلا من تولى منهم عنك، وأعرض عن آيات الله فكفر. فيكون قوله "إلا" استثناء من الذين كان التذكير عليهم، وإن لم يذكّروا، كما يقال: مضى فلان، فدعا إلا من لا تُرْجَى إجابته، بمعنى: فدعا الناس إلا من لا ترجى إجابته.

والوجه الثاني: أن يجعل قوله: (إِلا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ) منقطعا عما قبله، فيكون معنى الكلام حينئذ: لست عليهم بمسيطر، إلا من تولى وكفر يعذّبه الله». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣٩١).

وقال ابن عثيمين: «التولي يعني الإعراض، فلا يتجه للحق، ولا يقبل الحق، ولا يسمع الحق، حتى لو سمعه بأذنه لم يسمعه بقلبه، كما قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون. ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون}. أي: لا ينقادون». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٨٣).

(فيعذبه الله العذاب الأكبر):

قال ابن عثيمين: «{فيعذبه الله العذاب الأكبر} والعذاب الأكبر يوم القيامة. وهنا قال {الأكبر} ولم يذكر المفضل عليه، يعني: لم يقل الأكبر من كذا، فهو قد بلغ الغاية في الكبَر والمشقة والإهانة، وكل من تولى وكفر فإن الله يعذبه العذاب الأكبر. وهناك عذاب أصغر في الدنيا، قد يبتلى المتولي المعرض بأمراض في بدنه، أو في عقله، أو في أهله، أو في ماله، أو في مجتمعه، وكل هذا بالنسبة لعذاب النار عذاب أصغر، لكن العذاب الأكبر إنما يكون يوم القيامة». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٨٣).

(إن إلينا إيابهم):

قال ابن عثيمين: «{إن إلينا إيابهم} أي: مرجعهم، فالرجوع إلى الله، مهما فر الإنسان فإنه راجع إلى ربه عز وجل، ولو طالت به الحياة راجع إلى الله، ولهذا قال تعالى: {يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحـًا فملاقيه}. فاستعد يا أخي لهذه الملاقاة؛ لأنك سوف تلاقي ربك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان - مباشرة بدون مترجم يكلمه الله يوم القيامة - فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه - يعني على اليسار - فلا يرى إلا ما قدم، وينظر تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»... كم من ذنوب سترها الله عز وجل، كم من ذنوب اقترفناها لم يعلم بها أحد ولكن الله تعالى علم بها، فموقفنا من هذه الذنوب أن نستغفر الله عز وجل، وأن نكثر من الأعمال الصالحة المكفرة للسيئات حتى نلقى الله عز وجل ونحن على ما يرضيه سبحانه وتعالى». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٨٣).

(ثم إن علينا حسابهم):

قال ابن عثيمين: «لو يناقشك الله عز وجل على كل حساب هلكت، لو ناقشك في نعمة من النعم كالبصر لا يمكن أن تجد أي شيء تعمله يقابل نعمة البصر، نعمة النفَس الذي يخرج ويدخل بدون أي مشقة، وبدون أي عناء، الإنسان يتكلم وينام، يأكل ويشرب، ومع ذلك لا يحس بالنفس، ولا يعرف قدر النفس إلا إذا أصيب بما يمنع النفس، حينئذ يذكر نعمة الله، لكن مادام في عافية يقول هذا شيء طبيعي، لكن لو

أنه أصيب بكتم النفس لعرف قدر النعمة. فلو نوقش لهلك، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام لعائشة: «من نوقش الحساب هلك» أو قال «عذّب».

لكن كيفية الحساب: أما المؤمن فإن الله تعالى يخلو به بنفسه، ليس عندهما أحد، ويقرره بذنوبه، فعلت كذا، فعلت كذا، فعلت كذا، حتى إذا أقرّ بها قال الله تعالى: «قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم».

أما الكفار فلا يحاسبون هذا الحساب؛ لأنه ليس لهم حسنات تمحو سيئاتهم، لكنها تحصى عليهم أعمالُهم، ويقرّرون بها أمام العالَم، ويحصون بها، وينادى على رؤوس الأشهاد {هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٨٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الغاشية ١٧-٢٦

١- التفكّر في مخلوقات الله من أعظم العبادات، فتأمّل في مخلوقات الله من حولك: في الإبل والسماء والجبال والأرض وغيرها، وما جعل الله فيها من المنافع العظيمة للعباد، لتعلم عظيم صنع الله الذي أتقن كل شيء، فتزداد محبتك لله، ويزداد إيمانك، فتلهج بذكر الله وشكره دائما (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت * وإلى السماء كيف رُفعت * وإلى الجبال كيف نُصبت * وإلى الأرض كيف سُطحت).

٢- واجبك في الدعوة إلى الله هو تذكير الناس بما أودع الله في فِطَرهم من محبة الله وتعظيمه، ومحبة رسله وشرعه، واليقين بدار الجزاء والحساب، ووجوب إقامة العدل بين الناس، فأحيِ هذه الفطرة في قلوبهم بالرفق واللين والحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وذكّرهم بنعم الله العظيمة، وآلائه الجسيمة، وذكّرهم برجوعهم إلى الله ووقوفهم بين يديه للحساب، وذكّرهم بالجنة ونعيمها، والنار وجحيمها، واستعن بالله في هدايتهم، واعلم أن الهداية بيد الله، فلا تتسلّط على أحد فتكرهه على الإيمان بالقوة والشدة (فذكّر إنما أنت مذكّر * لست عليهم بمُصيطر).

٣- من أعظم ما يصدّ الإنسان عن الهدى: التولّي والإعراض عن دين الله، فلا يتفكّر في مخلوقات الله، ولا يتأمّل آيات الله، ولا يستمع لحجج الله، فمن كان هذا حاله كان حقيقا أن يعذّب في الدنيا بالمصائب في نفسه وماله وأهله، ثم يعذّب العذاب الأكبر في النار يوم القيامة (إلا من تولّى وكفر * فيعذّبه الله العذاب الأكبر).

٤- اعلم أنك راجع إلى ربك، فواقف بين يديه، فمحاسب على أعمالك، وهو سبحانه محيط بكل ما عملته في الدنيا، فاسأل نفسك: هل أعمالي تشرّفني عند لقاء ربي؟ وهل تنجيني من النار؟ وهل تكون سببا في دخولي الجنة؟ (إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الأعلى من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة الأعلى: مَكيّة.

مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ: تذكير النفس بالحياة الأخروية، وتخليصها من التعلقات الدنيوية.

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾

نَزِّه ربك الَّذي علا على خلقه ناطقًا باسمه عند ذكرك إياه وتعظيمك له.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢﴾

الَّذي خلق الانسان سويًّا، وعدل قامته.

﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾

والذي قَدَّر الخلائق أجناسها وأنواعها وصفاتها، وهدى كل مخلوق إلى ما يناسبه ويوائمه.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ٤﴾

والذي أخرج من الأرض ما ترعاه دوابكم.

﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ٥﴾

فصيّره هشيمًا يابسًا مائلًا للسواد بعد أن كان أخضر غضًّا.

﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾

سنقرئك -أيها الرسول- القرآن، ونجمعه في صدرك ولن تنساه، فلا تسابق جبريل في القراءة كما كنت تفعل حرصًا على ألا تنساه.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ٧﴾

إلا ما شاء الله أن تنساه منه لحكمة، إنه سبحانه يعلم ما يُعْلَن وما يُخفَى، لا يَخْفَى عليه شيء من ذلك.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ٨﴾

ونهوّن عليك العمل بما يرضي الله من الأعمال التي تدخل الجنّة.

﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩﴾

فعظ الناس بما نوحيه إليك من القرآن، وذكّرهم ما دامت الذكرى مسموعة.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠﴾

سيتعظ بمواعظك من يخاف الله؛ لأنه الَّذي ينتفع بالموعظة.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ١١﴾

ويبتعد عن الموعظة وينفر منها الكافر؛ لأنه أشد الناس شقاءً في الآخرة لدخوله في النار.

﴿ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ١٢﴾

الَّذي يدخل نار الآخرة الكبرى يقاسي حرّها ويعانيه أبدًا.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ١٣﴾

ثم يخلد في النار بحيث لا يموت فيها فيستريح مما يقاسيه من العذاب، ولا يحيا حياة طيبة كريمة.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾

قد فاز بالمطلوب من تطهّر من الشرك والمعاصي.

﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾

وذكر ربه بما شرع من أنواع الذكر، وأدى الصلاة بالصفة المطلوبة لأدائها.

﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦﴾

بل تقدمون الحياة الدنيا، وتفضلونها على الآخرة على ما بينهما من تفاوت عظيم.

﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾

ولَلْآخرة خير وأفضل من الدنيا وما فيها من متع ولذات وأدوم؛ لأن ما فيها من نعيم لا ينقطع أبدًا.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨﴾

إنّ هذا الَّذي ذكرنا لكم من الأوامر والأخبار لفي الصحف المنزلة من قبلك.

﴿صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾

هي الصحف المنزلة على إبراهيم وموسى عليهما السلام.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• خشية الله تبعث على الاتعاظ.

• أهمية تطهير النفس من الخبائث الظاهرة والباطنة.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الأعلى

الكلمة	المعنى
سبّح اسم ربّك	نزّه ربّك عما لا يليق به ذاكرا أسماءه الحسنى بلسانك
الأعلى	الذي له العلو المطلق ذاتا وقدْرا وقهْرا
فَسَوَّى	فأتقن خلقه وأحسنه
فهدى	فيسّر له ما يناسبه
المرعى	الزرعَ الأخضر
غُثاءً	هشيما يابسا
أَحْوى	مُتَغيّرا إلى السّواد بعد الخضرة
سَنُقرِئُك فلا تنسَى	سنوحي إليك القرآن ونجمعه في قلبك فلا تنساه
ونُيسّرك لليُسرى	ونُوفّقك للطريقة اليسرى في كل أمر، ونهوّن عليك عمل أهل الجنة
لا يموت فيها ولا يَحْيَى	لا يموت فيستريح من العذاب، ولا يحيا حياة طيبة كريمة
تَزَكّى	تطهّر من الشرك والبدع والمعاصي
تُؤْثِرُون	تقدّمون وتُفضّلون
الصُحُفِ الأُولى	الكُتبِ التي نزلت قبل القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الأعلى

فوائد عامة في سورة الأعلى:

قال ابن كثير: «عن علي قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة: (سبّح اسم ربك الأعلى). تفرد به أحمد.

وثبت في الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ: (هلا صليت بـ (سبح اسم ربك الأعلى)، (والشمس وضحاها)، (والليل إذا يغشى)...

وكان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بـ (سبح اسم ربك الأعلى)، و (هل أتاك حديث الغاشية)، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما.

وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب، وعبد الله بن عباس، وعبد الرحمن بن أبزى، وعائشة أم المؤمنين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الوتر بـ (سبح اسم ربك الأعلى)، و (قل يا أيها الكافرون)، و (قل هو الله أحد). زادت عائشة: والمعوذتين. «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٧٧-٣٧٨).

(سبح اسم ربّك الأعلى):

قال البغوي: «{سبح اسم ربك الأعلى} يعني: قل: سبحان ربي الأعلى. وإلى هذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين...

وقال قوم: معناه: نزّه ربك الأعلى عما يصفه به الملحدون، وجعلوا الاسم صلة. ويحتجّ بهذا من يجعل الاسم والمسمى واحدا، لأن أحدا لا يقول: سبحان اسم الله، وسبحان اسم ربنا، إنما يقول: سبحان الله وسبحان ربنا، فكان معنى: سبح اسم ربك الأعلى: سبح ربك.

وقال آخرون: نزه تسمية ربك، بأن تذكره وأنت له معظم، ولذكره محترم، ولأوامره مطاوع، وجعلوا الاسم بمعنى التسمية.

وقال ابن عباس: {سبح اسم ربك الأعلى} أي: صلّ بأمر ربك الأعلى». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٩٦).

وقال ابن تيمية: «اسم الله مبارك تنال معه البركة، والعبد يسبح اسم ربه الأعلى فيقول: سبحان ربي الأعلى، ولما نزل قوله: {سبح اسم ربك الأعلى} قال صلى الله عليه وسلم: (اجعلوها في سجودكم)؛ فقالوا: سبحان ربي الأعلى». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٢٢-٣٢٣).

وقال ابن عثيمين: «{سبح اسم ربك الأعلى} {سبح} يعني: نزه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته، فإن التسبيح يعني التنزيه، إذا قلت: سبحان الله، يعني أنني أنزه الله عن كل سوء، عن كل عيب، عن كل نقص، ولهذا كان من أسماء الله تعالى (السلام، القدوس) لأنه منزه عن كل عيب...

{اسم ربك الأعلى} قال بعض المفسرين: إن قوله {اسم ربك} يعني مسمى ربك؛ لأن التسبيح ليس للاسم بل لله نفسه، ولكن الصحيح أن معناها: سبح ربك ذاكراً اسمه، يعني لا تسبحه بالقلب فقط بل سبحه بالقلب واللسان، وذلك بذكر اسمه تعالى، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى: {فسبح باسم ربك العظيم}. يعني: سبح تسبيحاً مقروناً باسم، وذلك لأن تسبيح الله تعالى قد يكون بالقلب، بالعقيدة، وقد يكون باللسان، وقد يكون بهما جميعاً، والمقصود أن يسبح بهما جميعاً بقلبه لافظاً بلسانه». تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٥٧-١٥٨).

وقال ابن عثيمين: «{الأعلى} من العلو، وعلو الله عز وجل نوعان: علو صفة، وعلو ذات، أما علو الصفة: فإن أكمل الصفات لله عز وجل، قال تعالى: {ولله المثل الأعلى}.

وأما علو الذات: فهو أن الله تعالى فوق عباده مستو على عرشه، والإنسان إذا قال: يا الله أين يتجه؟ يتجه إلى السماء إلى فوق، فالله جل وعلا فوق كل شيء مستو على عرشه. إذن {الأعلى} إذا قرأتها فاستشعر بنفسك أن الله عال بصفاته، وعال بذاته، ولهذا كان الإنسان إذا سجد يقول: سبحان ربي الأعلى، يتذكر بسفوله هو، لأنه هو الآن نزل، فأشرف ما في الإنسان وأعلى ما في الإنسان هو وجهه، ومع ذلك يجعله في الأرض التي تداس بالأقدام، فكان من الحكمة أن تقول: سبحان ربي الأعلى، يعني: أنزه ربي الذي هو فوق كل شيء، لأني نزلت أنا أسفل كل شيء، فتسبح الله الأعلى بصفاته، والأعلى بذاته». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٥٩).

(الذي خلق فسوّى):

قال ابن تيمية: «قال تعالى: {الذي خلق فسوى} فأطلق الخلق والتسوية، ولم يخص بذلك الإنسان، كما أطلق قوله بعد: {والذي قدر فهدى} لم يقيده. فكان هذا المطلق لا يمنع شموله لشيء من المخلوقات. وقد بين موسى عليه السلام شموله في قوله: {ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}. وقد ذكر المقيد بالإنسان في قوله: {يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم. الذي خلقك فسواك فعدلك}. وقد ذكر المطلق والمقيد في أول ما نزل من القرآن وهو قوله: {اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم}.

وفي جميع هذه الآيات مطلقها ومقيدها والجامع بين المطلق والمقيد قد ذكر خلقه وذكر هدايته وتعليمه بعد الخلق، كما قال في هذه السورة: {الذي خلق فسوى. والذي قدر فهدى}؛ لأن جميع المخلوقات خلقت لغاية مقصودة بها، فلا بد أن تهدى إلى تلك الغاية التي خلقت لها. فلا تتم مصلحتها وما أريدت له إلا بهدايتها لغاياتها. وهذا مما يبين أن الله خلق الأشياء لحكمة وغاية تصل إليها، كما قال ذلك السلف وجمهور المسلمين وجمهور العقلاء...

والتسوية: جعل الشيئين سواء، كما قال: {وما يستوي الأعمى والبصير}، وقوله تعالى {تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم}، و {سواء} وسط؛ لأنه معتدل بين الجوانب. وذلك أنه لا بد في الخلق والأمر من العدل. فلا بد من التسوية بين المتماثلين، فإذا فُضّل أحدهما فسد المصنوع، كما في مصنوعات العباد، إذا بنوا بنيانا فلا بد من التسوية بين الحيطان، إذ لو رُفع حائط على حائط رفعا كثيرا فسد. ولا بد من التسوية بين جذوع السقف فلو كان بعض الجذوع قصيرا عن الغاية وبعضها فوق الغاية فسد. وكذلك إذا بني صف فوق صف لا بد من التسوية بين الصفوف، وكذلك الدرج المبنية، وكذلك إذا صُنع لسقي الماء جداول ومساكب فلا بد من العدل والتسوية فيها، وكذلك إذا صُنعت ملابس للآدميين فلا بد من أن تكون مقدرة على أبدانهم لا تزيد ولا تنقص. وكذلك ما يُصنع من الطعام لا بد أن تكون أخلاطه على وجه الاعتدال والنار التي تطبخه كذلك. وكذلك السفن المصنوعة... فإذا كان هذا في مصنوعات العباد وهي جزء من مصنوعات الرب فكيف بمخلوقاته العظيمة التي لا صنع فيها للعباد؟ كخلق الإنسان

وسائر البهائم، وخلق النبات، وخلق السموات والأرض والملائكة... فالعدل والتسوية لازم لجميع المخلوقات والمصنوعات. فمتى لم تصنع بالعدل والتسوية بين المتماثلين وقع فيها الفساد. وهو سبحانه {الذي خلق فسوى}». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ١٢٩-١٣٤).

(والذي قدّر فهدى):

قال ابن تيمية: «{والذي قدّر فهدى} يتضمن أنه قدر ما سيكون للمخلوقات وهداها إليه. عَلِم ما يحتاج إليه الناس والدواب من الرزق فخلق ذلك الرزق وسواه. وخلق الحيوان وسواه وهداه إلى ذلك الرزق. وهدى غيره من الأحياء أن يسوق إليه ذلك الرزق. وخلق الأرض وقدّر حاجتها إلى المطر، وقدّر السحاب وما يحمله من المطر، وخلق ملائكة هداهم ليسوقوا ذلك السحاب إلى تلك الأرض فيمطر المطر الذي قدّره، وقدّر ما نبت بها من الرزق، وقدّر حاجة العباد إلى ذلك الرزق، وهداهم إلى ذلك الرزق، وهدى من يسوق ذلك الرزق إليهم». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ١٣٩).

وقال ابن تيمية: «في كل أحد ما يقتضي معرفته بالحق ومحبته له. وقد هداه ربه إلى أنواع من العلم يمكنه أن يتوصل بها إلى سعادة الأولى والآخرة. وجعل في فطرته محبة لذلك. لكن قد يُعرض الإنسان - بجاهليته وغفلته - عن طلب علم ما ينفعه». «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٢٩٧).

وقال ابن القيم: «الهداية لها أربع مراتب، وهي مذكورة في القرآن:
المرتبة الأولى: الهداية العامة؛ وهي هداية كل مخلوق من الحيوان والآدمي لمصالحه التي بها قيام أمره. قال الله تعالى: {سبح اسم ربك الأعلى. الذي خلق فسوى. والذي قدّر فهدى}؛ فذكر أمورا أربعة: الخلق، والتسوية، والتقدير، والهداية، فسوى ما خلقه وأتقنه وأحكمه، ثم قدر له أسباب مصالحه في معاشه وتقلباته وتصرفاته، وهداه إليها، والهداية تعليم؛ فذكر أنه الذي خلق وعلّم، كما ذكر نظير ذلك في أول سورة أنزلها على رسوله... وهذه المرتبة أسبق مراتب الهداية وأعمها.

المرتبة الثانية: هداية البيان والدلالة التي أقام بها حجته على عباده. وهذه لا تستلزم الاهتداء التام. قال الله تعالى: {وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى}، يعني: بينا لهم ودللناهم وعرفناهم، فآثروا الضلالة والعمى...

وهذه المرتبة أخص من الأولى، وأعم من الثالثة، وهي هدى التوفيق والإلهام؛ قال الله تعالى: {والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم}، فعم بالدعوة خلقه، وخص بالهداية من شاء منهم... وهذه الهداية الثالثة هي الهداية الموجبة المستلزمة للاهتداء، وأما الثانية فشرط لا موجب، فلا يستحيل تخلف الهدى عنها، بخلاف الثالثة فإن تخلف الهدى عنها مستحيل.

المرتبة الرابعة: الهداية في الآخرة إلى طريق الجنة والنار. قال الله تعالى: {احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون. من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم}. وأما قول أهل الجنة: {الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله}، فيحتمل أن يكونوا أرادوا الهداية إلى طريق الجنة، وأن يكونوا أرادوا الهداية في الدنيا التي أوصلتهم إلى دار النعيم. ولو قيل: إن كلا الأمرين مراد لهم، وأنهم حمدوا الله على هدايته لهم في الدنيا، وهدايتهم إلى طريق الجنة؛ كان أحسن وأبلغ». «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٣٤-٢٣٦).

(والذي أخرج المرعى * فجعله غُثاء أحوى):

قال ابن تيمية: «خصّ هذا بالذكر لأنه مثل الحياة الدنيا. إذ كانت هذه السورة تضمنت أصول الإيمان: الإيمان بالله، واليوم الآخر، والإيمان بالرسل والكتب التي جاءوا بها، وذلك يتضمن الإيمان بالملائكة. وفيها العمل الصالح الذي ينفع في الآخرة، والفاسد الذي يضر فيها. فذكر سبحانه المرعى عقب ما ذكره من الخلق والهدى ليبين مآل بعض المخلوقات، وأن الدنيا هذا مثلها». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ١٥١).

(سنقرئك فلا تنسى * إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى):

قال البغوي: «{سنقرئك} سنعلمك بقراءة جبريل عليك {فلا تنسى إلا ما شاء الله} أن تنساه، وما نسخ الله تلاوته من القرآن، كما قال: (ما ننسخ من آية أو ننسها) والإنساء نوع من النسخ.

وقال مجاهد، والكلبي: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل عليه السلام، لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولها، مخافة أن ينساها، فأنزل الله تعالى: (سنقرئك فلا تنسى) فلم ينس بعد ذلك شيئا...

وقيل: هو متصل بالكلام الأول، معناه: إنه يعلم الجهر مما تقرؤه على جبريل إذا فرغ من التلاوة، (وما يخفى) ما تقرأ في نفسك مخافة النسيان، ثم وعده فقال: {ونيسرك لليسرى} أي: نهوّن عليك الوحي حتى تحفظه وتعلمه». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٠١).

(ونيسّرك لليسرى):

قال ابن كثير: «{ونيسرك لليسرى} أي: نسهّل عليك أفعال الخير وأقواله، ونشرع لك شرعا سهلا سمحا مستقيما عدلا لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٨٠).

(فذكّر إن نفعت الذكرى):

قال ابن تيمية: «وقيل: ذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع. قاله طائفة، أولهم الفراء، واتبعه جماعة، منهم النحاس، والزهراوي. والواحدي. والبغوي ولم يذكر غيره. قالوا: وإنما لم يذكر الحال الثانية كقوله: (سرابيل تقيكم الحر) وأراد الحر والبرد. وإنما قالوا هذا لأنهم قد علموا أنه يجب عليه تبليغ جميع الخلق وتذكيرهم سواء آمنوا أو كفروا. فلم يكن وجوب التذكير مختصا بمن تنفعه الذكرى، كما قال في الآية الأخرى: {فذكر إنما أنت مذكر. لست عليهم بمسيطر}، وقال: {وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون}، وقال: {ويقولون إنه لمجنون. وما هو إلا ذكر للعالمين} وقال: {ليكون للعالمين نذيرا}.

وهذا الذي قالوه له معنى صحيح، وهو قول الفراء وأمثاله، لكن لم يقله أحد من مفسري السلف...

وهذا المعنى الذي قالوه مدلول عليه بآيات أخر. وهو معلوم بالاضطرار من أمر الرسول، فإن الله بعثه مبلغا ومذكرا لجميع الثقلين الإنس والجن. لكن ليس هو معنى هذه الآية. بل معنى هذه يشبه قوله: {فذكر بالقرآن من يخاف وعيد}، وقوله: {إنما أنت منذر من يخشاها}، وقوله: {إنما تنذر من اتبع الذكر

وخشي الرحمن بالغيب}، وقوله: {إن هو إلا ذكر للعالمين. لمن شاء منكم أن يستقيم}، فالقرآن جاء بالعام والخاص. وهذا كقوله: {هدى للمتقين}، ونحو ذلك.

وسبب ذلك أن التعليم والتذكير والإنذار والهدى ونحو ذلك له فاعل وله قابل. فالمعلّم المذكّر يعلّم غيره، ثم ذلك الغير قد يتعلم ويتذكر وقد لا يتعلم ولا يتذكر. فإن تعلم وتذكر فقد تم التعليم والتذكير، وإن لم يتعلم ولم يتذكر فقد وُجد أحد طرفيه وهو الفاعل دون المحل القابل. فيقال في مثل هذا: علّمته فما تعلّم، وذكّرته فما تذكّر، وأمرته فما أطاع. وقد يقال: ما علّمته وما ذكّرته؛ لأنه لم يحصل تاما، ولم يحصل مقصوده، فيُنفى لانتفاء كماله وتمامه، وانتفاء فائدته بالنسبة إلى المخاطَب السامع، وإن كانت الفائدة حاصلة للمتكلم القائل المخاطِب.

فحيث خص بالتذكير والإنذار ونحوه المؤمنون فهم مخصوصون بالتام النافع الذي سعدوا به. وحيث عمم فالجميع مشتركون في الإنذار الذي قامت به الحجة على الخلق سواء قبلوا أو لم يقبلوا...

وعلى هذا فقوله تعالى: {إن نفعت الذكرى} لا يمنع كون الكافر يبلّغ القرآن لوجوه:

أحدها: أنه لم يخص قوما دون قوم، لكن قال: {فذكّر} وهذا مطلق بتذكير كل أحد. وقوله: {إن نفعت الذكرى} لم يقل: إن نفعت كل أحد. بل أطلق النفع. فقد أمر بالتذكير إن كان ينفع. والتذكير المطلق العام ينفع. فإن من الناس من يتذكر فينتفع به، والآخر تقوم عليه الحجة ويستحق العذاب على ذلك، فيكون عبرة لغيره، فيحصل بتذكيره نفع أيضا. ولأنه بتذكيره تقوم عليه الحجة، فتجوز عقوبته بعد هذا بالجهاد وغيره، فتحصل بالذكرى منفعة. فكل تذكير ذكر به النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين حصل به نفع في الجملة، وإن كان النفع للمؤمنين الذين قبلوه واعتبروا به وجاهدوا المشركين الذين قامت عليهم الحجة. فإن قيل: فعلى هذا كل تذكير قد حصل به نفع فأي فائدة في التقييد؟

قيل: بل منه ما لم ينفع أصلا وهو ما لم يؤمر به. وذلك كمن أخبر الله أنه لا يؤمن كأبي لهب، فإنه بعد أن أنزل الله قوله: {سيصلى نارا ذات لهب} فإنه لا يخص بتذكير بل يُعرض عنه. وكذلك كل من لم يصغ إليه ولم يستمع لقوله فإنه يعرض عنه، كما قال: {فتول عنهم فما أنت بملوم}، ثم قال: {وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين}، فهو إذا بلغ قوما الرسالة فقامت الحجة عليهم ثم امتنعوا من سماع كلامه

أعرض عنهم. فإن الذكرى حينئذ لا تنفع أحدا. وكذلك من أظهر أن الحجة قامت عليه وأنه لا يهتدي فإنه لا يكرر التبليغ عليه.

الوجه الثاني: أن الأمر بالتذكير أمر بالتذكير التام النافع كما هو أمر بالتذكير المشترك. وهذا التام النافع يَخُصّ به المؤمنين المنتفعين. فهم إذا آمنوا ذكّرهم بما أُنزل، وكلما أُنزل شيء من القرآن ذكّرهم به، ويذكرهم بمعانيه، ويذكرهم بما نزل قبل ذلك. بخلاف الذين قال فيهم: {فما لهم عن التذكرة معرضين. كأنهم حمر مستنفرة. فرت من قسورة}. فإن هؤلاء لا يذكّرهم كما يذكر المؤمنين إذا كانت الحجة قد قامت عليهم وهم معرضون عن التذكرة لا يسمعون. ولهذا قال: {عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكى. أو يذكر فتنفعه الذكرى. أما من استغنى. فأنت له تصدى. وما عليك ألا يزكى. وأما من جاءك يسعى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهى} فأمره أن يُقبل على من جاءه يطلب أن يتزكى وأن يتذكر. وقال: {سيذكر من يخشى} إلى قوله {قد أفلح من تزكى}، فذكر التذكّر والتزكّي كما ذكرهما هناك. وأمره أن يُقبل على من أقبل عليه دون من أعرض عنه، فإن هذا ينتفع بالذكرى دون ذاك. فيكون مأمورا أن يذكّر المنتفعين بالذكرى تذكيرا يخصهم به غير التبليغ العام الذي تقوم به الحجة». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ١٥٤-١٦٤).

وقال ابن كثير: «{فذكر إن نفعت الذكرى} أي: ذكر حيث تنفع التذكرة. ومن هاهنا يؤخذ الأدب في نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله، كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم. وقال: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟!». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٨٠).

وقال السعدي: «ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرى، بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير، لم تكن الذكرى مأمورًا بها، بل منهيًا عنها». «تفسير السعدي» (ص٩٢١).

وقال ابن عثيمين: «قال بعض العلماء: إن ظن أن الذكرى تنفع وجبت، وإن ظن أنها لا تنفع فهو مخير إن شاء ذكّر وإن شاء لم يذكّر.

ولكن على كل حال نقول: لابد من التذكير حتى وإن ظننت أنها لا تنفع، فإنها سوف تنفعك أنت، وسوف يعلم الناس أن هذا الشيء الذي ذكّرت عنه إما واجب، وإما حرام، وإذا سكتَّ والناس يفعلون المحرم، قال الناس: لو كان هذا محرمًا لذكَّر به العلماء، أو لو كان هذا واجبًا لذكَّر به العلماء، فلابد من التذكير، ولابد من نشر الشريعة سواء نفعت أم لم تنفع». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٦٤-١٦٥).

(سيذكّر من يخشى * ويتجنّبها الأشقى):

قال ابن تيمية: «{سيذكر من يخشى} يقتضي أن كل من يخشى يتذكر. والخشية قد تحصل عقب الذكر وقد تحصل قبل الذكر، وقوله: {من يخشى} مطلق. ومن الناس من يظن أن ذلك يقتضي أنه لا بد أن يكون قد خشي أولا حتى يذكّر وليس كذلك. بل هذا كقوله: {هدى للمتقين}، وقوله: {إنما أنت منذر من يخشاها}، وقوله: {فذكر بالقرآن من يخاف وعيد}، وقوله: {إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب}، وهو إنما خاف الوعيد بعد أن سمعه، لم يكن وعيد قبل سماع القرآن، وكذلك قوله: {إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب}، وهو إنما اتبع الذكر وخشي الرحمن بعد أن أنذره الرسول. وقد لا يكونون خافوها قبل الإنذار، ولا كانوا متقين قبل سماع القرآن، بل به صاروا متقين... فمن استمع القرآن فآمن به وعمل به صار من المتقين الذين هو هدى لهم. ومن لم يؤمن به ولم يعمل به لم يكن من المتقين؛ ولم يكن ممن اهتدى به. بل هو كما قال الله تعالى: {قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى}، ولم يرد أنهم كانوا مؤمنين فلما سمعوه صار هدى وشفاء؛ بل إذا سمعه الكافر فآمن به صار في حقه هدى وشفاء، وكان من المؤمنين به بعد سماعه». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ١٧١-١٧٢).

وقال ابن تيمية: «كما أن الخوف من الله يستلزم العلم به؛ فالعلم به يستلزم خشيته، وخشيته تستلزم طاعته. فالخائف من الله ممتثل لأوامره مجتنب لنواهيه... يدل على ذلك أيضا قوله تعالى: {فذكر إن

نفعت الذكرى. سيذكر من يخشى. ويتجنبها الأشقى. الذي يصلى النار الكبرى}. فأخبر أن من يخشاه يتذكر، والتذكر هنا مستلزم لعبادته، قال الله تعالى: {هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب}. وقال: {تبصرة وذكرى لكل عبد منيب}. ولهذا قالوا في قوله: {سيذكر من يخشى} سيتعظ بالقرآن من يخشى الله. وفي قوله: {وما يتذكر إلا من ينيب} إنما يتعظ من يرجع إلى الطاعة. وهذا لأن التذكر التام يستلزم التأثر بما تذكره؛ فإن تذكر محبوبا طلبه، وإن تذكر مرهوبا هرب منه». «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٤).

وقال ابن تيمية: «ذِكر الإنسان بقلبه ما أمره الله به واستحضاره لذلك بحيث لا يكون غافلا عنه؛ أكمل ممن صدق به وغفل عنه؛ فإن الغفلة تضاد كمال العلم؛ والتصديق والذكر والاستحضار يكمل العلم واليقين؛ ولهذا قال عمير بن حبيب من الصحابة: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته؛ وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه. وهو كذلك؛ وكان معاذ بن جبل يقول لأصحابه: اجلسوا بنا ساعة نؤمن، قال تعالى: {ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه}، وقال تعالى: {وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين}، وقال تعالى: {سيذكر من يخشى. ويتجنبها الأشقى}، ثم كلما تذكر الإنسان ما عرفه قبل ذلك؛ وعمل به حصل له معرفة شيء آخر لم يكن عرفه قبل ذلك، وعرف من معاني أسماء الله وآياته ما لم يكن عرفه قبل ذلك، كما في الأثر: {من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم}، وهذا أمر يجده في نفسه كل مؤمن. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: {مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت}. قال تعالى: {وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا}، وذلك أنها تزيدهم علم ما لم يكونوا قبل ذلك علموه، وتزيدهم عملا بذلك العلم، وتزيدهم تذكرا لما كانوا نسوه، وعملا بتلك التذكرة... فالآيات المخلوقة والمتلوة فيها تبصرة وفيها تذكرة: تبصرة من العمى، وتذكرة من الغفلة؛ فيُبصر من لم يكن عرف حتى يَعرف، ويذكر من عرف ونسي. والإنسان يقرأ السورة مرات حتى سورة الفاتحة، ويظهر له في أثناء الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل ذلك، حتى كأنها تلك الساعة نزلت؛ فيؤمن بتلك المعاني، ويزداد علمه وعمله، وهذا موجود في كل من قرأ القرآن بتدبر، بخلاف من قرأه مع

الغفلة عنه، ثم كلما فعل شيئا مما أُمر به استحضر أنه أُمر به فصدق الأمر، فحصل له في تلك الساعة من التصديق في قلبه ما كان غافلا عنه وإن لم يكن مكذبا منكرا». «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٣٥-٢٣٦).

(ويتجنّبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى):

قال الطبري: «(ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا) يقول: ثم لا يموت في النار الكبرى ولا يحيا، وذلك أن نفس أحدهم تصير فيها في حلقه، فلا تخرج فتفارقه فيموت، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا.

وقيل: لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه.

وقال آخرون: قيل ذلك؛ لأن العرب كانت إذا وصفت الرجل بوقوع في شدة شديدة، قالوا: لا هو حيّ، ولا هو ميت، فخاطبهم الله بالذي جرى به ذلك من كلامهم». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣٧٣).

وقال ابن تيمية: «قوله: {ويتجنبها الأشقى. الذي يصلى النار الكبرى. ثم لا يموت فيها ولا يحيا}. وقد ذكر في سورة الليل قوله: {فأنذرتكم نارا تلظى. لا يصلاها إلا الأشقى. الذي كذب وتولى}. وهذا الصلي قد فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال: بخطاياهم فأماتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر. فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم. فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ١٩٤-١٩٦).

وقال ابن تيمية: «{ثم لا يموت فيها ولا يحيا} فالجزاء من جنس العمل، لما كان في الدنيا ليس بحي الحياة النافعة ولا ميتا عديم الإحساس، كان في الآخرة كذلك». «مجموع الفتاوى» (٨/ ٢٠٦).

وقال ابن القيم: «والشيء قد ينتفي لنفي ثمرته والمراد منه؛ قال تعالى في ساكن النار: {فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى}، نفى الحياة لانتفاء فائدتها والمراد منها. ويقولون: «لا مال إلا ما أُنفق، ولا علم

إلا ما نفع». ولهذا نفى سبحانه عن الكفار الأسماع والأبصار والعقول لما لم ينتفعوا بها؛ قال تعالى: {وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله}، وقال تعالى: {ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها}. ولما لم يحصل لهم الهدى المطلوب بهذه الحواس كانوا بمنزلة فاقديها؛ قال تعالى: {صم بكم عمي فهم لا يعقلون}. فالقلب يوصف بالبصر والعمى، والسمع والصمم، والنطق والبكم، بل هذه له أصلا وللعين والأذن واللسان تبعا، فإذا عدمها القلب فصاحبه أعمى مفتوح العين، أصم ولا آفة بأذنه، أبكم وإن كان فصيح اللسان». «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (١/ ٢٧٨).

وقال ابن عثيمين: «{الذي يصلى النار الكبرى} وهي نار جهنم؛ لأن نار الدنيا صغرى بالنسبة لها، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أن نار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار الآخرة»، أي: أن نار الآخرة فضلت على نار الدنيا بتسعة وستين جزءاً، والمراد بنار الدنيا كلها أشد ما يكون من نار الدنيا، فإن نار الآخرة فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، ولهذا وصفها بقوله: {النار الكبرى}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٦٥).

(قد أفلح من تزكّى * وذكر اسم ربه فصلّى):

قال البغوي: «{قد أفلح من تزكى}: تطهر من الشرك، وقال: لا إله إلا الله. هذا قول عطاء وعكرمة، ورواية الوالبي وسعيد بن جبير عن ابن عباس. وقال الحسن: من كان عمله زاكيا.

وقال آخرون: هو صدقة الفطر، روي عن أبي سعيد الخدري في قوله: (قد أفلح من تزكى) قال: أعطى صدقة الفطر. {وذكر اسم ربه فصلى} قال: خرج إلى العيد فصلى. كان ابن مسعود يقول: رحم الله امرءا تصدق ثم صلى، ثم يقرأ هذه الآية. وروى نافع: كان ابن عمر إذا صلى الغداة -يعني من يوم العيد- قال: يا نافع أخرجت الصدقة؟ فإن قلت: نعم، مضى إلى المصلى، وإن قلت: لا، قال: فالآن فأخرج، فإنما نزلت هذه الآية في هذا (قد أفلح من تزكى. وذكر اسم ربه فصلى)، وهو قول أبي العالية وابن سيرين.

وقال بعضهم: لا أدري ما وجه هذا التأويل؟ لأن هذه السورة مكية، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر... ويجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم، كما قال: (وأنت حل بهذا البلد)، فالسورة مكية، وظهر أثر الحل يوم الفتح، حتى قال عليه الصلاة والسلام: (أحلت لي ساعة من نهار)، وكذلك نزل بمكة: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) قال عمر بن الخطاب: كنت لا أدري أي جمع يهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول: (سيُهزم الجمع ويولون الدبر)». «تفسير البغوي» (٨/ ٤٠٢).

وقال ابن تيمية: «قالوا: في {قد أفلح من تزكى} تطهر من الشرك ومن المعصية بالتوبة. وعن أبي سعيد وعطاء وقتادة: صدقة الفطر. ولم يريدوا أن الآية لم تتناول إلا هي، بل مقصودهم: أن من أعطى صدقة الفطر وصلى صلاة العيد فقد تناولته وما بعدها، ولهذا كان يزيد بن حبيب كلما خرج إلى الصلاة خرج بصدقة ويتصدق بها قبل الصلاة، ولو لم يجد إلا بصلا». «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٦٣٢-٦٣٣).

وقال ابن عثيمين: «التزكية لها ثلاث متعلقات: الأول: في حق الله. والثاني: في حق الرسول. والثالث: في حق عامة الناس. في حق الله تعالى يتزكى من الشرك فيعبد الله تعالى مخلصاً له الدين. في حق الرسول يتزكى من الابتداع فيعبد الله على مقتضى شريعة النبي صلى الله عليه وسلّم في العقيدة، والقول، والعمل. في معاملة الناس يتزكى من الغل والحقد والعداوة والبغضاء، وكل ما يجلب العداوة والبغضاء بين المسلمين يتجنبه، ويفعل كل ما فيه المودة والمحبة، ومن ذلك: إفشاء السلام الذي قال فيه الرسول عليه الصلاة والسلام: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٦٨).

وقال ابن عثيمين: «قال بعض العلماء: {وذكر اسم ربه} يعني: الخطيب يوم الجمعة، {فصلى} أي: صلاة الجمعة. فهذه الآية تشمل كل الصلوات التي يسبقها ذكر، وما من صلاة إلا ويسبقها ذكر؛ لأن الإنسان يتوضأ قبيل الصلاة فيذكر اسم الله ثم يصلي.

لكن الصحيح: أنها أعم من هذا، وأن المراد به كل ذكر لاسم الله عز وجل، أي: كلما ذكر الإنسان اسم الله اتعظ وأقبل إلى الله وصلى». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٦٩).

(بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى):

قال ابن كثير: «{والآخرة خير وأبقى} أي: ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى، فإن الدنيا دنية فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى، ويهتم بما يزول عنه قريبا، ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد؟!...

عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له)...

عن عرفجة الثقفي قال: استقرأت ابن مسعود: {سبح اسم ربك الأعلى} فلما بلغ: {بل تؤثرون الحياة الدنيا} ترك القراءة، وأقبل على أصحابه وقال: آثرنا الدنيا على الآخرة؟ فسكت القوم، فقال: آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل، وتركنا الآجل...

عن أبي موسى الأشعري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٨٢).

وقال ابن عثيمين: «تأمل حالك في الدنيا تجد أنه لا يمر بك وقت ويكون الصفو فيه دائماً بل لابد من كدر، ولا يكون السرور دائماً بل لابد من حزن، ولا تكون راحة دائماً بل لابد من تعب، فالدنيا على اسمها دنيا. {والآخرة خير وأبقى} الآخرة خير من الدنيا وأبقى، خير بما فيها من النعيم والسرور الدائم الذي لا ينغص بكدر، {لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين}. كذلك أيضاً هي أبقى من الدنيا؛ لأن بقاء الدنيا كما أسلفنا قليل زائل مضمحلّ، بخلاف بقاء الآخرة فإنه أبد الآبدين». تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٧٠).

(إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى):

قال ابن تيمية: «الله تعالى يفضل هذين الرسولين ويخصهما في مثل قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى)، وقوله: (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى. وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى)، وهما اللذان رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فوق الأنبياء كلهم في السماء السادسة والسابعة، فرأى أحدهما في السادسة، ورأى الآخر في السابعة، وقد جاءت الأحاديث التي في الصحيح بعلو هذا وعلو هذا». «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (٣/ ٥٩).

وقال ابن كثير: «عن عكرمة في قوله: {إن هذا لفي الصحف الأولى. صحف إبراهيم وموسى} يقول: الآيات التي في (سبح اسم ربك الأعلى).

وقال أبو العالية: قصة هذه السورة في الصحف الأولى.

واختار ابن جرير أن المراد بقوله: {إن هذا} إشارة إلى قوله: {قد أفلح من تزكى. وذكر اسم ربه فصلى. بل تؤثرون الحياة الدنيا. والآخرة خير وأبقى}. ثم قال: {إن هذا} أي: مضمون هذا الكلام {لفي الصحف الأولى. صحف إبراهيم وموسى}. وهذا اختيار حسن قوي. وقد روي عن قتادة وابن زيد، نحوه. والله أعلم». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٨٣).

وقال السعدي: «{إِنَّ هَذَا} المذكور لكم في هذه السورة المباركة، من الأوامر الحسنة، والأخبار المستحسنة {لَفِي الصُّحُفِ الأولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} اللذين هما أشرف المرسلين، سوى النبي محمد صلى الله وسلم عليه وسلم. فهذه أوامر في كل شريعة، لكونها عائدة إلى مصالح الدارين، وهي مصالح في كل زمان ومكان». «تفسير السعدي» (ص٩٢١).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الأعلى

١- احرص على قراءة سورة الأعلى وتدبرها، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبها، ويقرأ بها في صلاة الجمعة والعيد والوتر.

٢- أكثر من تسبيح الله وتنزيهه، بقول: سبحان ربي الأعلى، خاصة عند وضع جبهتك على الأرض ساجدا لله سبحانه في صلاتك، مستحضرا نعمه سبحانه عليك وعلى جميع الخلق، متذكرا أنه سبحانه عالٍ بذاته وصفاته (سبّح اسم ربك الأعلى).

٣- تأمل كمال الله وعظمته في خلقه، فهو الذي خلق جميع المخلوقات، فسوّاها على الخلقة المناسبة لها، وقدّر لها أقواتها وأرزاقها، وهداها لمصالحها وما يناسبها (الذي خلق فسوّى * والذي قدّر فهدى).

٤- الحياة الدنيا حياة مؤقتة زائلة، مليئة بالهموم والأحزان، مكدّرة بالمصائب والمنغّصات، فلا تغرّنّك بزخرفها، ولا تُلهِينّك بزينتها، فما هي إلا كزرع أخضر سرعان ما يتغيّر ويسودّ، فكن عاقلا، وآثر الآخرة الشريفة الدائمة على الدنيا الدنيّة الزائلة، وعنوان ذلك: أن تؤثر ما يحبه الله على ما تحبه نفسك، ودليله: أن تكثر من الصدقة في سبيل الله (والذي أخرج المرعى * فجعله غثاء أحوى)، (بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى).

٥- تكفّل الله بحفظ القرآن منذ أوحاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وها هو اليوم يُتلى – بعد أربعة عشر قرنا- غضا طريا كيوم نزل على النبي صلى الله عليه وسلم، فما أعظمه من حفظ! وما أجلّها من معجزة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد! (سنقرئك فلا تنسى * إلا ما شاء الله).

٦- راقب الله في مقاصدك ونياتك وإراداتك وخلواتك قبل أن تراقبه في أقوالك وأفعالك أمام الناس، فهو سبحانه مطّلع عليك في كل حالاتك (إنه يعلم الجهر وما يخفى).

٧- من جاهد نفسه لتحقيق مرضاة الله يسّر الله له الطاعة، وحبّبها إلى قلبه، ووفقه لها، ويسّر له البعد عن المعصية، وكرّهها إلى قلبه، ونفّره منها، وباعد بينه وبينها (ونيسّرك لليسرى).

٨- ذكّر الناس من حولك بأمرهم بالمعروف وترغيبهم فيه، ونهيهم عن المنكر وتنفيرهم منه، ونصحهم بالتي هي أحسن، واحرص على من تجد فيهم إقبالا وحبا للخير وانتفاعا بالذكرى وخشية لله، ولا تحدّث الناس بما لا يفهمون، ولا تبيّن مسائل العلم الدقيقة لسفهاء الناس وأصحاب الأهواء منهم حتى لا يتّخذوها وسيلة للتلاعب بدين الله، وإن ذكّرك أحد بشيء فاحرص على الانتفاع بتذكيره، فإن ذلك علامة على الإيمان (فذكّر إن نفعت الذكرى * سيذكر من يخشى).

٩- سبب الشقاء الأكبر هو عدم الخشية من الله، فكلما قلّ الخوف من الله في القلب تجرّأ العبد على الفسوق والعصيان، وكلّما زاد الخوف من الله في القلب تورّع العبد عن كثير من الفسوق والعصيان، فاحرص على تنمية الخوف من الله في قلبك بشتى الوسائل، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (سيذكر من يخشى * ويتجنبها الأشقى).

١٠- اتق النار، فإنها والله نار عظيمة مهولة، لو غُمس فيها الإنسان غمسة واحدة لنسي نعيم الدنيا كلها، فكيف بالخلود فيها إلى الأبد؟ (ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى).

١١- احرص على تزكية قلبك وتطهيره من الشرك والكفر والرياء والسمعة والعُجب وإرادة الدنيا بالعمل الصالح والكِبر والحقد والحسد، وتزكية مالك بإخراج الزكاة والصدقات في وجوه البر والإحسان، فتلك وسيلتك للتوفيق في العبادات، وحضور قلبك فيها، وتحقيق المقصود منها (قد أفلح من تزكّى * وذكر اسم ربه فصلّى).

١٢- شرائع الأنبياء كلهم متفقة على أصول الإيمان وأصول العبادات وأصول الأخلاق، وهي التي يتحقق بها مصالح البشرية الدينية والاجتماعية والاقتصادية في كل زمان ومكان (إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الطارق من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة الطارق: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] بيان قدرة الله وإحاطته في خلق الإنسان وإعادته.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ١﴾

أقسم الله بالسماء، وأقسم بالنجم الَّذي يَطْرُق ليلًا.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٢﴾

وما أعلمك -أيها الرسول- شأن هذا النجم العظيم؟!

﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ٣﴾

هو النجم يثقب السماء بضيائه المتوهج.

﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ٤﴾

ما من نفس إلا وكَّل الله بها ملكًا يحفظ عليها أعمالها للحساب يوم القيامة.

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥﴾

فليتأمل الإنسان مم خلقه الله؛ لتتضح له قدرة الله وعجز الإنسان.

﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦﴾

خلقه الله من ماء ذي اندفاق يُصَبّ في الرحم.

﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ٧﴾

يخرج هذا الماء من بين العمود العظمي الفقري للرجل، وعظام الصدر.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨﴾

إنه سبحانه -إذ خلقه من ذلك الماء المَهين- قادر على بعثه بعد موته حيًّا للحساب والجزاء.

﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩﴾

يوم تُختَبر السرائر فيُكْشَف عما كانت تضمره القلوب من النيات والعقائد وغيرها، فيتميز الصالح منها والفاسد.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ١٠﴾

فما للإنسان في ذلك اليوم من قوة يمتنع بها من عذاب الله ولا معين يعينه.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾﴾

أقسم الله بالسماء ذات المطر؛ لأنه ينزل من جهتها مرة بعد مرة.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾﴾

وأقسم بالأرض التي تتشقق عما فيها من النبات والثمر والشجر.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾﴾

إن هذا القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لَقول يفصل بين الحق والباطل، والصدق والكذب.

﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾﴾

وليس باللعب والباطل، بل هو الجد والحق.

﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾﴾

إن المكذبين بما جاءهم رسولهم يكيدون كيدًا كثيرًا ليردّوا دعوته، ويبطلوها.

﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾﴾

وأكيد أنا كيدًا لإظهار الدين ودحض الباطل.

﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾﴾

فأمهل -أيها الرسول- هؤلاء الكافرين، أمهلهم قليلًا، ولا تستعجل عذابهم وإهلاكهم.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• تحفظ الملائكة الإنسان وأعماله خيرها وشرها ليحاسب عليها.

• ضعف كيد الكفار إذا قوبل بكيد الله سبحانه.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الطارق

الكلمة	المعنى
والطارق	والنجمِ الذي يطلُع ليلا
الثَّاقِب	المُضيءُ المُتوهّج
إنْ كُلّ نَفسٍ لمّا عليها حافِظ	ما كلّ نفس إلا عليها ملَك يحفظها ويُحصي أعمالها
ماءٍ دَافِقٍ	ماء مندفع بسرعة، وهو المنيّ
الصُّلب	فقراتِ الظهر
والترائِب	والصدر
رَجْعِه	إحياء الإنسان بعد الموت
تُبلَى السّرائِر	تُكشَف خبايا القلوب
ذاتِ الرّجع	ذاتِ المطر الذي ينزل مرة بعد مرة
ذاتِ الصّدع	ذاتِ التشقق بالنبات
لَقَولٌ فَصْل	يفصل بين الحق والباطل
بِالهَزل	باللعب والباطل
فمَهّل الكافرين	فأنظِرهم
رُوَيْدًا	قليلا

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الطارق

فوائد عامة في سورة الطارق:

«عن جابر بن سمرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر: (والسماء ذات البروج)، (والسماء والطارق)، وشبهها». «مسند أحمد» (٣٤/ ٤٩٧)، «سنن الترمذي» (٢/ ١١١)، وحسّنه، «سنن النسائي» (٢/ ١٦٦).

«عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العشاء الآخرة بـ (السماء – يعني: ذات البروج –)، (والسماء والطارق)». «مسند أحمد» (١٤/ ٧٨).

(والسماء والطارق * وما أدراك ما الطارق):

قال ابن القيم: «الأرض والبحار والهواء وكل ما تحت السموات ـ بالإضافة إلى السموات ـ كقطرة في بحر، ولهذا قلّ أن تجيء سورة في القرآن إلا وفيها ذكرها (السماء)؛ إما إخبارا عن عظمتها وسعتها، وإما إقساما بها، وإما دعاء إلى النظر فيها، وإما إرشادا للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيها ورافعها، وإما استدلالا منه سبحانه بخلقها على ما أخبر به من المعاد والقيامة، وإما استدلالا منه بربوبيته لها على وحدانيته وأنه الله الذي لا إله إلا هو، وإما استدلالا منه بحسنها واستوائها والتئام أجزائها وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته. وكذلك ما فيها من الكواكب والشمس والقمر والعجائب التي تتقاصر عقول البشر عن قليلها، فكم من قسم في القرآن بها... ولم يقسم في كتابه بشيء من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والشمس والقمر، وهو سبحانه يقسم بما يقسم به من مخلوقاته لتضمنه الآيات والعجائب الدالة عليه، وكلما كان أعظم آية وأبلغ في الدلالة كان إقسامه به أكثر من غيره». «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٥٦١-٥٦٢).

وقال ابن كثير: «قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارقا؛ لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار. ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح: نهى أن يطرق الرجل أهله طروقا، أي: يأتيهم فجأة بالليل. وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء: (إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٧٤).

وقال ابن عثيمين: «والسماء هو كل ما علا، فكل ما علاك فهو سماء، حتى السحاب الذي ينزل منه المطر يسمى سماءً، كما قال الله تعالى: {أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها}. وإذا كان يطلق على كل ما علاك فإنه يشمل ما بين السماء والأرض، ويشمل السماوات كلها؛ لأنها كلها قد علتك، وهي فوقك». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٤٧).

(النجم الثاقب):

قال الطبري: «قال ابن زيد، في قوله: (النَّجْمُ الثَّاقِبُ) قال: كانت العرب تسمِّي الثُّريا النجم.

ويقال: إن الثاقبَ النجمُ الذي يقال له زُحَلْ. والثاقب أيضًا: الذي قد ارتفع على النجوم.

والعرب تقول للطائر - إذا هو لحق ببطن السماء ارتفاعًا -: قد ثَقَبَ، والعرب تقول: أثقِب نارك: أي أضئها». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣٥٢).

وقال ابن عثيمين: «{النجم الثاقب} هذا هو الطارق، والنجم هنا يحتمل أن يكون المراد به جميع النجوم فتكون (ال) للجنس، ويحتمل أنه النجم الثاقب، أي: النجم اللامع، قوي اللمعان، لأنه يثقب الظلام بنوره، وأيًّا كان فإن هذه النجوم من آيات الله عز وجل الدالة على كمال قدرته، في سيرها وانتظامها، واختلاف أشكالها، واختلاف منافعها أيضـاً، قال الله تبارك وتعالى: {وعلامات وبالنجم هم يهتدون}. وقال تعالى: {ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومـاً للشياطين}. فهي زينة للسماء، ورجوم للشياطين، وعلامات يهتدى بها». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٤٧).

(إن كل نفس لمّا عليها حافظ):

قال ابن عثيمين: «{إن} هنا نافية، يعني: ما كل نفس، و {لما} بمعنى (إلا)، يعني: ما كل نفس إلا عليها حافظ من الله، وبين الله سبحانه وتعالى مهمة هذا الحافظ بقوله: {وإنّ عليكم لحافظين. كراماً كاتبين. يعلمون ما تفعلون}. هؤلاء الحفظة يحفظون على الإنسان عمله، ما له وما عليه، ويجده يوم القيامة كتاباً منشوراً يقال له: {اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً}. هؤلاء الحفظة يكتبون ما يقوم به الإنسان من قول، وما يقوم به من فعل، سواء كان ظاهراً كأقوال اللسان، وأعمال الجوارح، أو باطناً حتى ما في القلب مما يعتقده الإنسان فإنه يكتب عليه، لقوله تعالى: {ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد. إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد. ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد}. هذا الحافظ يحفظ عمل بني آدم، وهناك حفظة آخرون ذكرهم الله في قوله: {له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٤٧).

(فلينظر الإنسان ممّ خُلِق * خُلِق من ماء دافق * يخرج من بين الصُلب والترائب):

قال ابن القيم: «لقد دل سبحانه على نفسه أوضح دلالة بما أشهده كل عبد على نفسه من حاله وحدوثه، وإتقان صنعه، وعجائب خلقه، وآيات قدرته، وشواهد حكمته فيه.

ولقد دعا ـ سبحانه ـ الإنسان إلى النظر في مبدأ خلقه وتمامه، فقال: {فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب}. وقال: {يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا}. وقال تعالى: {وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم أفلا تبصرون}.

وهذا في القرآن كثير لمن تدبره وعقله، وهو شاهد منك عليك، فمن أين للطبيعة والقوة المحصورة هذا الخلق والإتقان والإبداع، وتفصيل تلك العظام، وشد بعضها ببعض على اختلاف أشكالها ومقاديرها

ومنافعها وصفاتها، ومن جعل في النطفة تلك العروق واللحم والعصب؟ ومن فتح لها تلك الأبواب والمنافذ؟ ومن شق سمعها وبصرها؟ ومن ركب فيها لسانا تنطق به، وعينين تبصر بهما، وأذنين تسمع بهما، وشفتين؟ ومن أودع فيها الصدر وما حواه من المنافع والآلات التي لو شاهدتها لرأيت العجائب؟ ومن جعل هناك حوضا وخزانة يجتمع فيها الطعام والشراب، وساق إليه مجاري وطرقا ينفذ فيها، فيسقي جميع أجزاء البدن، كل جزء يشرب من مجراه الذي يختص به لا يتعداه {قد علم كل أناس مشربهم}. ومن أخذ منها تلك القوى التي بها تمت مصالحها ومنافعها؟ ومن أودع فيها العلوم الدقيقة والصنائع العجيبة، وعلمها ما لم تكن تعلم، وألهمها فجورها وتقواها، ونقلها في أطوار التخليق طورا بعد طور، وطبقا بعد طبق إلى أن صارت شخصا حيا ناطقا سميعا بصيرا، عالما متكلما آمرا ناهيا، مسلطا على طير السماء وحيتان الماء، ووحوش الفلوات، عالما بما لا يعلمه غيره من المخلوقات؟ {قتل الإنسان ما أكفره. من أي شيء خلقه. من نطفة خلقه فقدره. ثم السبيل يسره. ثم أماته فأقبره. ثم إذا شاء أنشره}». «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص٣٨٥-٣٨٧).

وقال ابن القيم: «الجنين يخلق من ماء الرجل وماء المرأة، خلافا لمن يزعم من الطبائعيين أنه إنما يخلق من ماء الرجل وحده، وقد قال تعالى: {فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب}. قال الزجاج: قال أهل اللغة: التريبة موضع القلادة من الصدر، والجمع: ترائب. وقال أبو عبيدة: الترائب: معلق الحلي على الصدر. وهو قول جميع أهل اللغة. وقال عطاء عن ابن عباس: يريد صلب الرجل، وترائب المرأة، وهو موضع قلادتها. وهذا قول الكلبي، ومقاتل، وسفيان وجمهور أهل التفسير». «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص٣٩٣).

وقال ابن كثير: «{فلينظر الإنسان مم خلق} تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد؛ لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى، كما قال: {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٧٥).

وقال ابن عثيمين: «{فلينظر الإنسان مم خلق} (اللام) هنا للأمر، والمراد بالنظر هنا نظر الاعتبار وهو النظر بالبصيرة، يعني ليفكر الإنسان مما خلق؟ هل خلق من حديد؟ هل خلق من فولاذ؟ هل خلق من شيء قاسٍ قوي؟ والجواب على هذه التساؤلات: أنه {خلق من ماء دافق} وهو ماء الرجل، ووصفه الله تعالى في آيات أخرى بأنه ماء مهين ضعيف السيلان ليس كالماء العادي المنطلق، ووصفه الله تعالى في آية أخرى أنه نطفة، أي: قليل من الماء، هذا الذي خُلق منه الإنسان، والعجب أن يُخلق الإنسان من هذا الماء المهين، ثم يكون قلبه أقسى من الحجارة ـ والعياذ بالله ـ إلا من ألان الله قلبه لدين الله». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٤٨).

(إنه على رجعه لقادر):

قال ابن القيم: «{إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ} الصحيح أن الضمير يرجع على الإنسان، أي: إن الله على ردِّه إليه لقادر يوم القيامة، وهو اليوم الذي تبلى فيه السرائر. ومن قال: إنَّ الضمير يرجع على الماء، أي: إن الله على رجعه في الإحليل أو في الصَّدر أو حبسه عن الخروج لقادر، فقد أبعد، وإن كان الله سبحانه قادرًا على ذلك؛ ولكن السِّياق يأباه، وطريقة القرآن هي الاستدلال بالمبدأ والنشأة الأولى على المعاد والرجوع إليه. وأيضًا فإنه قيَّده بالظرف، وهو {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ}. والمقصود أنه سبحانه دعا الإنسان أن ينظر في مبدأ خلقه ورزقه، فإن ذلك يدلُّه دلالة ظاهرة على معاده ورجوعه إلى ربه». «أعلام الموقعين عن رب العالمين» (١/ ٣٠٣).

وقال ابن عثيمين: «الذي قدر على أن يخلق الإنسان من هذا الماء الدافق المهين، قادر على أن يعيده يوم القيامة، وهذا من باب الاستدلال بالمحسوس على المنظور المترقب، وهو قياس عقلي، فإن الإنسان بعقله يقول: إذا كان الله قادراً على أن يخلق الإنسان من هذا الماء المهين ويحييه قادر على أن يعيده مرة ثانية {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه}. ولهذا يستدل الله عز وجل بالمبدأ على المعاد لأنه قياس جلي واضح، ينتقل العقل من هذا إلى هذا بسرعة وبدون كلفة». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٤٩).

(يوم تبلى السرائر):

«عن عطاء بن أبي رباح، في قوله: (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) قال: ذلك الصوم والصلاة وغسل الجنابة، وهو السرائر، ولو شاء أن يقول: قد صُمْتُ، وليس بصائم، وقد صلَّيتُ، ولم يصلّ، وقد اغتسلت، ولم يغتسل». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣٥٨).

وقال السعدي: «{يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} أي: تختبر سرائر الصدور، ويظهر ما كان في القلوب من خير وشر على صفحات الوجوه، قال تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ}. ففي الدنيا، تنكتم كثير من الأمور، ولا تظهر عيانًا للناس، وأما في القيامة، فيظهر بر الأبرار، وفجور الفجار، وتصير الأمور علانية». «تفسير السعدي» (ص٩٢٠).

وقال ابن عثيمين: {يوم تبلى السرائر} أي: تختبر السرائر، وهي القلوب، فإن الحساب يوم القيامة على ما في القلوب، والحساب في الدنيا على ما في الجوارح، ولهذا عامل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم المنافقين معاملة المسلمين، حيث كان يُستأذن في قتلهم فيقول: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»، فكان لا يقتلهم وهو يعلم أن فلانًا منافق، وفلانًا منافق، لكن العمل في الدنيا على الظاهر ويوم القيامة على الباطن. {يوم تبلى السرائر} أي: تختبر، وهذا كقوله: {أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور. وحصل ما في الصدور}.

ولهذا يجب علينا العناية بعمل القلب أكثر من العناية بعمل الجوارح، عمل الجوارح علامة ظاهرة، لكن عمل القلب هو الذي عليه المدار، ولهذا أخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن الخوارج يخاطب الصحابة يقول: «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم ـ يعني أنهم يجتهدون في الأعمال الظاهرة، لكن قلوبهم خالية والعياذ بالله ـ لا يتجاوز الإسلام حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية». وقال الحسن البصري رحمه الله: (والله ما سبقهم أبو بكر بصلاة ولا صوم، وإنما سبقهم بما وقر في قلبه من الإيمان). والإيمان إذا وقر في القلب حمل الإنسان على العمل، لكن العمل

الظاهر قد لا يحمل الإنسان على إصلاح قلبه، فعلينا أن نعتني بقلوبنا وأعمالها، وعقائدها، واتجاهاتها، وإصلاحها، وتخليصها من شوائب الشرك والبدع، والحقد والبغضاء، وكراهة ما أنزل الله على رسوله، وكراهة الصحابة رضي الله عنهم، وغير ذلك مما يجب تنزيه القلب عنه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٤٩-١٥٠).

(والسماء ذات الرجع * والأرض ذات الصدع):

قال السعدي: «{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ} أي: ترجع السماء بالمطر كل عام، وتنصدع الأرض للنبات، فيعيش بذلك الآدميون والبهائم، وترجع السماء أيضًا بالأقدار والشؤون الإلهية كل وقت، وتنصدع الأرض عن الأموات». «تفسير السعدي» (ص٩٢٠).

وقال ابن عثيمين: «{والسماء ذات الرجع. والأرض ذات الصدع} هذا هو القسم الثاني بالسماء، والقسم الأول ما كان في أول السورة، فهناك قال: {والسماء والطارق. وما أدراك ما الطارق. النجم الثاقب} وهنا قال: {والسماء ذات الرجع. والأرض ذات الصدع. إنه لقول فصل} والمناسبة بين القسمين ـ والله أعلم ـ أن الأول فيه إشارة إلى الطارق الذي هو النجم، والنجم تُرمى به الشياطين الذين يسترقون السمع، وفي رمي الشياطين بذلك حفظ لكتاب الله عز وجل، أما هنا فأقسم بالسماء ذات الرجع أن هذا القرآن قول فصل، فأقسم على أن القرآن قول فصل، فصار القسم الأول مناسبته أن فيه الإشارة إلى ما يُحفظ به هذا القرآن حال إنزاله، وفي القسم الثاني الإشارة إلى أن القرآن حياة، يعني: يقال: {والسماء ذات الرجع} الرجع هو المطر، يسمى رجعـًا لأنه يرجع ويتكرر، ومعلوم أن المطر به حياة الأرض. {والأرض ذات الصدع} الصدع هو الانشقاق، يعني: التشقق بخروج النبات منه، فأقسم بالمطر الذي هو سبب خروج النبات، وبالتشقق الذي يخرج منه النبات، وكله إشارة إلى حياة الأرض بعد موتها، والقرآن به حياة القلوب بعد موتها، كما قال الله تبارك وتعالى: {وكذلك أوحينا إليك روحـًا من أمرنا}. فسمى الله القرآن روحـًا؛ لأنه تحيا به القلوب». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٥١).

(إنه لَقول فصل * وما هو بالهزل):

قال ابن عثيمين: «{إنه} أي: القرآن {لقول فصل} وصفه الله تعالى بأنه قول فصل، وهو قول الله عز وجل، فهو الذي تكلم به وألقاه إلى جبريل عليه الصلاة والسلام، ثم نزل به جبريل على قلب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقد أضاف الله القرآن قولاً إلى جبريل، وإلى محمد عليهما الصلاة والسلام، فقال تعالى في الأول: {إنه لقول رسول كريم. ذي قوة عند ذي العرش مكين. مطاع ثمَّ أمين}. وقال في الثاني -إضافته إلى الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: {إنه لقول رسول كريم. وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون}. ففي الأول أضاف القول إلى جبريل عليه الصلاة والسلام، لأنه بلغه عن الله إلى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وفي الثاني أضافه إلى محمد صلى الله عليه وسلّم لأنه بلغه إلى الناس، وإلا فإن الذي قاله ابتداءً هو الله سبحانه وتعالى.

{إنه لقول فصل} فصل يفصل بين الحق والباطل، وبين المتقين والظالمين، بل إنه فصل، أي: قاطع لكل من ناوأه وعاداه، ولهذا نجد المسلمين لما كانوا يجاهدون الكفار بالقرآن نجدهم غلبوا الكفار، وقطعوا دابرهم، وقضي بينهم، فلما أعرضوا عن القرآن هُزموا وذلوا بقدر بُعدهم عن القرآن، وكلما أبعد الإنسان عن كتاب الله ابتعدت عنه العزة، وابتعد عنه النصر حتى يرجع إلى كتاب الله عز وجل.

{وما هو بالهزل} أي: ما هو باللعب والعبث واللغو، بل هو حق، كلماته كلها حق، أخباره صدق، وأحكامه عدل، وتلاوته أجر، لو تلاه الإنسان كل أوانه لم يمل منه، وإذا تلاه بتدبر وتفكر فتح الله عليه من المعاني ما لم يكن عنده من قبل، وهذا شيء مشاهد، اقرأ القرآن وتدبره، كلما قرأته وتدبرته حصل لك من معانيه ما لم يكن يحصل لك من قبل، كل هذا لأنه فصل وليس بالهزل، لكن الكلام اللغو من كلام الناس كلما كررته مججته وكرهته ومللته، أما كتاب الله فلا». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٥١).

(إنهم يكيدون كيدا * وأكيد كيدا):

قال ابن عثيمين: «يكيدون للرسول عليه الصلاة والسلام، ويكيدون لمن اتبعه، وانظر ماذا كانوا يفعلون بالمؤمنين أيام كانوا في مكة من التعذيب والتوبيخ والتشريد، هاجر المسلمون مرتين إلى الحبشة، ثم

هاجروا إلى المدينة، كل ذلك فراراً بدينهم من هؤلاء المجرمين، الذين آذوهم بكل كيد، وأعظم ما فعلوه بالنبي عليه الصلاة والسلام حين الهجرة حيث اجتمع رؤساؤهم وأشرافهم يتشاورون ماذا يفعلون بمحمد؟ فكلما ذكروا رأيـاً نقضوه، قالوا: هذا لا يصلح، حتى أشار إليهم فيما ذكره أهل التاريخ الشيطان الذي جاء بصورة رجل، وقال لهم: إني أرى أن تختاروا عشرة شبان من قبائل متفرقة، وتعطوا كل واحد منهم سيفـًا، حتى يقتلوا محمداً قتلة رجل واحد، فإذا فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل، فلم تستطع بنو هاشم أن تقتصّ من القبائل كلها، فيرضخون إلى أخذ الدية، وهذا هو الذي يريدون، فأجمعوا على هذا الرأي، واستحسنوا هذا الرأي، وفعلاً جلس الشبان العشرة ينتظرون خروج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليقتلوه، ولكن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم خرج من الباب وهم جلوس ولم يشاهدوه، وذكر التاريخ أنه جعل يذُرّ التراب على رؤوسهم إذلالاً لهم، ويقرأ قول الله تعالى: {وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون}. «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٥٣).

(فمهّل الكافرين أمهلهم رويدا):

قال ابن كثير: «{فمهل الكافرين} أي: أنظرهم ولا تستعجل لهم، {أمهلهم رويدا} أي: قليلا. أي: وترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك، كما قال: {نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٧٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الطارق

١- تأمل في السماء وسعتها وعظمتها، وما فيها من النجوم والكواكب والشمس والقمر، وما ينزل منها من المطر المتكرر الذي تنبُت به الزروع، وتفكّر في عظمة هذه المخلوقات ودقّتها، وقل: تبارك الله أحسن الخالقين (والسماء والطارق * وما أدراك ما الطارق * النجم الثاقب)، (والسماء ذات الرّجع * والأرض ذات الصّدع).

٢- اعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل عليك ملائكة يحفظون أعمالك ويحصونها ويكتبونها، وهم معك لا يفارقونك أبدا، فاستحيِ منهم وأكرمهم، واعمل الصالحات، وتجنّب المنكرات (إن كل نفس لمّا عليها حافظ).

٣- انظر نظر تفكّر وتأمّل في خلقك منذ أن كنت ماء مهينا في صلب أبيك وترائب أمك، ثم خلقك الله نطفة في رحم أمك، ثم علقة، ثم مضغة لحم، ثم عظاما، ثم كسى العظام لحما، ثم أنشأك خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين، وهذا إنما يدل على عجزك وضعفك، فما أقبح الإنسان الذي يتكبّر عن عبادة ربه! أو يترفع عن التسليم لأمره! أو يرى أنه يقدر على التحكم في الكون! أو يظن أن الله لا يقدر على بعثه بعد الموت للحساب والجزاء؟ (فلينظر الإنسان ممّ خُلق * خُلق من ماء دافق * يخرج من بين الصُّلب والترائب * إنه على رجعه لقادر).

٤- اعلم أنه في يوم القيامة يُكشف ما كان في القلب من النفاق والكبر والرياء والسمعة والغش والحسد والخديعة والمكر والاعتماد على غير الله وغير ذلك، ويظهر ما فعلته في السرائر من الذنوب، فطهّر قلبك اليوم، واستغفر الله من ذنوب الخلوات، فإنه لا ينفع الندم يوم القيامة، ولن تكون لك قوة من نفسك تدفع عنك، ولا ناصر من غيرك يدافع عنك (يوم تُبلى السرائر * فما له من قوة ولا ناصر).

٥- القرآن الكريم كلام الله الذي يفصل بين الحق والباطل، أخباره صدق، وأحكامه عدل، وقراءته أجر، ويهدي به الله من اتّبع رضوانه سُبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم، فتدبّر القرآن طالبا الهدى منه (إنه لَقول فصل * وما هو بالهزل).

٦- كيد الكفار بالإسلام وأهله عظيم، وهو مستمر عبر الأزمان، لكنه في هذا الزمن أشدّ وأعظم، فاحذر من تأثير كيدهم عليك في تمسكك بدينك، فالخوف على المسلم أن ينسلخ من دينه من حيث يدري أو لا يدري، وأما الإسلام فإن الله ناصره ومؤيّده، وهو سبحانه يكيد بمن كاد بالإسلام وأهله، ويأبى الله إلا أن يُتمّ نوره ولو كره الكافرون (إنهم يكيدون كيدا * وأكيد كيدا * فمهّل الكافرين أمهلهم رُويدا).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة البروج ١-١١ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة البروج: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] بيان قوة الله وإحاطته الشاملة، ونصرته لأوليائه، والبطش بأعدائه.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١﴾

أقسم الله بالسماء المشتملة على منازل الشمس والقمر وغيرهما.

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢﴾

وأقسم بيوم القيامة الَّذي وعد أن يجمع فيه الخلائق.

﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣﴾

وأقسم بكل شاهد كالنبي يشهد على أمته، وكل مشهود كالأمة يشهد عليها نبيها.

﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤﴾

لُعِن الذين شَقّوا في الأرض شقًّا عظيمًا.

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥﴾

وأوقدوا فيه النار، وألقوا المؤمنين فيه أحياء.

﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦﴾

إذ هم قعود على ذلك الشقّ المملوء نارًا.

﴿وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧﴾

وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من التعذيب والتنكيل شهود؛ لحضورهم ذلك.

﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨﴾

وما عاب هؤلاء الكفار على المؤمنين شيئًا إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الَّذي لا يغلبه أحد، المحمود في كل شيء.

﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٩﴾

الَّذي له وحده ملك السماوات وملك الأرض، وهو مُطَّلِع على كل شيء، لا يخفى عليه شيء من أمر عباده.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠﴾

إن الذين عذَّبوا المؤمنين والمؤمنات بالنار ليصرفوهم عن الإيمان بالله وحده، ثم لم يتوبوا إلى الله من ذنوبهم، فلهم يوم القيامة عذاب جهنم، ولهم عذاب النار التي تحرقهم؛ جزاء على ما فعلوه بالمؤمنين من الإحراق بالنار.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١﴾

إن الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات، لهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ذلك الجزاء الذي أُعدّ لهم هو الفوز العظيم الَّذي لا يدانيه فوز.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• يكون ابتلاء المؤمن على قدر إيمانه.

• إِيثار سلامة الإيمان على سلامة الأبدان من علامات النجاة يوم القيامة.

• التوبة بشروطها تهدم ما قبلها.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة البروج ١-١١

الكلمة	المعنى
ذاتِ البروج	ذات المنازل التي تمرّ بها الشمس والقمر والنجوم والكواكب
واليومِ الموعود	قسَم بيومِ القيامة الذي وعد الله الخلق أن يَجمعهم فيه
وشاهد ومشهود	قسَم بكل شاهد وكل مشهود عليه
قُتِل	لُعِن وعُذّب
أصحاب الأُخدود	الذين شقّوا في الأرض شقًّا عظيما لإحراق المؤمنين
الوَقود	ما تُوقد به النار من حطب ونحوه
شُهُود	حضور
وما نقَمُوا منهم	وما عابُوا وأنكروا عليهم
العزيز	القويّ الغالب
فَتَنُوا المؤمنين والمؤمنات	عذّبوهم بالنار ليصرفوهم عن الإيمان بالله
عذاب الحَرِيق	العذاب المُحرق لهم

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة البروج ١-١١

فوائد عامة في سورة البروج:

«عن جابر بن سمرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر: (والسماء ذات البروج)، (والسماء والطارق)، وشبهها». «مسند أحمد» (٣٤/ ٤٩٧)، «سنن أبي داود» (٢/ ١٠٣).

(والسماء ذات البروج):

قال ابن كثير: «يقسم الله بالسماء وبروجها، وهي: النجوم العظام، كما تقدم بيان ذلك في قوله: {تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا}.

قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي: البروج: النجوم. وعن مجاهد أيضا: البروج التي فيها الحرس. وقال يحيى بن رافع: البروج: قصور في السماء. وقال المنهال بن عمرو: {والسماء ذات البروج}: الخلق الحسن.

واختار ابن جرير أنها: منازل الشمس والقمر، وهي اثنا عشر برجا، تسير الشمس في كل واحد منها شهرا، ويسير القمر في كل واحد يومين وثلثا، فذلك ثمانية وعشرون منزلة، ويستسر ليلتين». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٦٣).

(واليوم الموعود):

قال ابن عثيمين: «{واليوم الموعود} اليوم الموعود هو يوم القيامة، وعد الله تعالى به، وبينه في كتابه، ونصب عليه الأدلة العقلية التي تدل على أنه واقع حتمـًا، كما قال تعالى: {كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنَّا كنا فاعلين}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٢٥).

(وشاهد ومشهود):

قال البغوي: «الأكثرون: أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٧٨).

وقال ابن كثير: «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ({واليوم الموعود} يوم القيامة، {وشاهد} يوم الجمعة. وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه، ولا يستعيذ فيها من شر إلا أعاذه، {ومشهود} يوم عرفة). وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة، من طرق عن موسى بن عبيدة الربذي-وهو ضعيف الحديث-وقد روي موقوفا على أبي هريرة، وهو أشبه». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٦٤).

وقال ابن القيم: «والظاهر والله أعلم: أنه من تفسير أبي هريرة». «زاد المعاد في هدي خير العباد» (١/ ٥١١).

وقال ابن عثيمين: «ذكر علماء التفسير في الشاهد والمشهود عدة أقوال يجمعها: أن الله أقسم بكل شاهد وبكل مشهود، والشهود كثيرون: منهم: محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم شهيد علينا، كما قال الله تعالى: (وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً). ومنهم: هذه الأمة شهداء على الناس، (وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ). وأعضاء الإنسان يوم القيامة تشهد عليه بما عمل من خير وشر، كما قال تعالى: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). ومنهم: الملائكة يشهدون يوم القيامة. فكل من شهد بحق فهو داخل في قوله {وشاهد}.

وأما {المشهود} فهو يوم القيامة وما يعرض فيه من الأهوال العظيمة، كما قال تعالى: {ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود}. فأقسم الله بكل شاهد وبكل مشهود». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٢٥).

(قُتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوَقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود):

قال ابن كثير: «وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة، مَن هم؟

فعن علي رضي الله عنه، أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم، فامتنع عليه علماؤهم، فعمد إلى حفر أخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم، واستمرّ فيهم تحليل المحارم إلى اليوم.

وعنه: أنهم كانوا قوما باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم، فغلب مؤمنوهم على كفارهم، ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين، فخدّوا لهم الأخاديد، وأحرقوهم فيها...

وقال العوفي، عن ابن عباس: {قتل أصحاب الأخدود. النار ذات الوقود} قال: ناس من بني إسرائيل، خدّوا أخدودا في الأرض، ثم أوقدوا فيه نارا، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالا ونساء، فعرضوا عليها، وزعموا أنه دانيال وأصحابه. وهكذا قال الضحاك بن مزاحم، وقيل غير ذلك.

وقد قال الإمام أحمد:... عن صهيب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبرت سني وحضر أجلي، فادفع إليّ غلاما لأعلّمه السحر. فدفع إليه غلاما، فكان يعلّمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه، فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال: ما حبسك؟ وإذا أتى أهله ضربوه، وقالوا: ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسني أهلي. وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل: حبسني الساحر.

قال: فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس، فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر. قال: فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس. ورماها فقتلها، ومضى الناس. فأَخبر الراهب بذلك فقال: أي بني، أنت أفضل مني، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل عليّ. فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان جليس للملك فعمي، فسمع به، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: اشفني ولك ما هاهنا أجمع. فقال: ما أنا أشفي أحدا، إنما يشفي الله، عز وجل، فإن آمنت به دعوتُ الله فشفاك. فآمن فدعا الله فشفاه. ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال له الملك: يا فلان، من ردّ عليك بصرك؟ فقال: ربي؟ فقال: أنا؟ قال: لا، ربي وربك الله. قال: ولك رب غيري؟ قال: نعم، ربي وربك الله. فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الغلام، فبعث إليه فقال: أي بني، بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء؟ قال: ما أشفي أنا أحدا، إنما يشفي الله عز وجل. قال: أنا؟ قال: لا. قال: أوَلك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله. فأخذه أيضا بالعذاب، فلم يزل به حتى دل على الراهب، فأتى بالراهب فقال: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه،

وقال للأعمى: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض. وقال للغلام: ارجع عن دينك، فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه من فوقه، فذهبوا به، فلما علوا به الجبل، قال: اللهم اكفنيهم بما شئت. فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون. وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله. فبعث به مع نفر في قرقور فقال: إذا لججتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرّقوه في البحر. فلججوا به البحر، فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت. فغرقوا أجمعون، وجاء الغلام حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله. ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني على جذع، وتأخذ سهما من كنانتي ثم قل: "بسم الله رب الغلام"، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. ففعل، ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه، وقال: "بسم الله رب الغلام". فوقع السهم في صدغه، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات، فقال الناس: آمنا برب الغلام. فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحذر؟ فقد -والله- نزل بك، قد آمن الناس كلهم. فأمر بأفواه السكك فخدت فيها الأخاديد، وأضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه، وإلا فأقحموه فيها. قال: فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكأنها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أماه، فإنك على الحق). وهكذا رواه مسلم في آخر الصحيح...

وقد يحتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيرا، كما قال ابن أبي حاتم:... عن عبد الرحمن بن جبير قال: كانت الأخدود في اليمن زمان تبع، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد، فاتخذوا أتونا، وألقي فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد. وفي العراق في أرض بابل بختنصر، الذي وضع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له، فامتنع دانيال وصاحباه عزريا وميشائيل، فأوقد لهم أتونا وألقى فيه الحطب والنار، ثم ألقاهما فيه، فجعلها الله عليهما بردا وسلاما، وأنقذهما منها، وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط، فأكلتهم النار». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٦٦-٣٧١).

وقال السعدي: «وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها، ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقائهم فيها». «تفسير السعدي» (ص٩١٨).

(وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد):

قال القرطبي: «أعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية، ما كان يلقاه من وحّد قبلهم من الشدائد، يؤنسهم بذلك. وذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام والمشقات التي كانوا عليها، ليتأسوا بمثل هذا الغلام في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به، وبذله نفسه في حق إظهار دعوته، ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظم صبره. وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار. وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الإيمان في قلوبهم صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا عن دينهم». «تفسير القرطبي» (١٩/ ٢٩٣).

وقال ابن القيم: «قول اللوطية: {أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون} من جنس قوله سبحانه في أصحاب الأخدود: {وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد}، وقوله تعالى: {قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل}.

وهكذا المشرك، إنما ينقم على الموحد تجريدَه للتوحيد، وأنه لا يشوبه بالإشراك.

وهكذا المبتدع، إنما ينقم على السني تجريدَه متابعة الرسول، وأنه لم يشُبها بآراء الرجال، ولا بشيء مما خالفها.

فصبْر الموحد المتبع للرسول على ما ينقمه عليه أهل الشرك والبدعة خير له وأنفع، وأسهل عليه من صبره على ما ينقمه الله ورسوله عليه من موافقة أهل الشرك والبدعة.

إذا لم يكن بد من الصبر فاصطبر ... على الحق، ذاك الصبر تُحمَد عُقباه». «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (١/ ١١١).

وقال ابن عثيمين: «المؤمن بالله العزيز الحميد يجب أن يساعد ويعان، وأن تسهل له الطرق، أما أن يمنع ويردع حتى يصل الحد إلى أن يحرق بالنار فلا شك أن هذا عدوان كبير، وليس هذا بمنكَر عليهم، بل هم يُحمدون على ذلك؛ لأنهم عبدوا من هو أهل للعبادة، وهو الله جل وعلا، الذي خلق الخلق ليقوموا بعبادته، فمن قام بهذه العبادة فقد عرف الحكمة من الخلق وأعطاها حقها». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٢٦).

وقال ابن عثيمين: «{الحميد} بمعنى المحمود، فالله سبحانه وتعالى محمود على كل حال، وكان من هدي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه إذا جاءه ما يُسرّ به قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات»، وإذا جاءه خلاف ذلك قال: «الحمد لله على كل حال»...

ويجوز أن يكون معنى قوله: {الحميد} أنه هو الحامد، فإنه سبحانه وتعالى يحمد من يستحق الحمد، يثني على عباده من المرسلين والأنبياء والصالحين، والثناء عليهم حمدٌ لهم، فهو جل وعلا حامد، وهو كذلك محمود، وقد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أن الله يرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها، لأنه لولا أن الله يسر لك هذه الأكلة والشربة ما حصلت عليها». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٢٧-١٢٨).

(الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد):

قال السعدي: «أفلا خاف هؤلاء المتمردون على الله أن يبطش بهم العزيز المقتدر؟ أو ما علموا أنهم جميعهم مماليك لله، ليس لأحد على أحد سلطة، من دون إذن المالك؟ أو خفي عليهم أن الله محيط بأعمالهم، مجاز لهم على فعالهم؟ كلا. إن الكافر في غرور، والظالم في جهل وعمى عن سواء السبيل». «تفسير السعدي» (ص٩١٨).

وقال ابن عثيمين: «{الذي له ملك السماوات والأرض}... فهو يملك السماوات ومن فيها، والأرضين ومن فيها، وما بينهما، وما فيها، كل شيء ملك لله ولا يشاركه أحد في ملكه، (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

وما يضاف إلينا من الملك فيقال: مثلاً هذا البيت ملك لفلان، هذه السيارة ملك لفلان، فهو مُلك قاصر وليس ملكـًا حقيقيـًا؛ لأنه لو أن إنسانا أراد أن يهدم بيته بدون سبب فلا يملك ذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلّم نهى عن إضاعة المال، لو أراد إنسان أن يحرق سيارته بدون سبب فلا يملك هذا. ولو أنه فعل لحجر القاضي عليه بمنعه من التصرف في ماله، مع أن الله منعه قبل، إذن ملكنا قاصر، والملك التام لله». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٢٩).

(إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق):

قال البغوي: «{إن الذين فتنوا} عذبوا وأحرقوا {المؤمنين والمؤمنات} يقال: فتنت الشيء إذا أحرقته، نظيره (يوم هم على النار يفتنون). {ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم} بكفرهم {ولهم عذاب الحريق} بما أحرقوا المؤمنين. وقيل: ولهم عذاب الحريق في الدنيا، وذلك أن الله أحرقهم بالنار التي أحرقوا بها المؤمنين، ارتفعت إليهم من الأخدود، قاله الربيع بن أنس والكلبي». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٨٨).

وقال ابن القيم: «{إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا} فُسّرت الفتنة هاهنا بتعذيبهم المؤمنين وإحراقهم إياهم بالنار، واللفظ أعم من ذلك، وحقيقته: عذبوا المؤمنين ليُفتتنوا عن دينهم؛ فهذه الفتنة المضافة إلى المشركين.

وأما الفتنة التي يضيفها سبحانه إلى نفسه، أو يضيفها رسوله إليه، كقوله: {وكذلك فتنا بعضهم ببعض}، وقول موسى: {إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء} فتلك بمعنى آخر، وهي بمعنى الامتحان والاختبار والابتلاء من الله لعباده بالخير والشر، بالنعم والمصائب؛ فهذه لون، وفتنة المشركين لون، وفتنة المؤمن في ماله وولده وجاره لون آخر». «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٣/ ١٩٨).

وقال ابن القيم: «يدعوهم سبحانه إلى التوبة، وقد حاربوه، وعذَّبوا أولياءه، وأحرقوهم بالنار. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ}. قال بعض السلف: انظروا إلى كرمه، كيف عذبوا أولياءَه، وحرَّقوهم بالنار؛ ثُمَّ هو يدعوهم إلى التوبة! فهذا الباب يدخل منه كلّ أحد إلى محبته سبحانه». «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (٢/ ٦٨٩).

وقال ابن عثيمين: «في هذه الآيات من العبر: أن الله سبحانه وتعالى قد يسلط أعداءه على أوليائه، فلا تستغرب إذا سلط الله عز وجل الكفار على المؤمنين وقتلوهم وحرقوهم، وانتهكوا أعراضهم، لا تستغرب، فلله تعالى في هذا حكمة، المصابون من المؤمنين أجرهم عند الله عظيم، وهؤلاء الكفار المعتدون أملى لهم الله سبحانه وتعالى ويستدرجهم من حيث لا يعلمون، والمسلمون الباقون لهم عبرة وعظة فيما حصل لإخوانهم». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٣٠).

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير):

قال ابن عثيمين: «لما ذكر عقاب المجرمين ذكر ثواب المؤمنين، وهذه هي طريقة القرآن في عرض الترغيب والترهيب، والقرآن الكريم مثاني، تُذكر فيه المعاني المتقابلة، فيُذكر فيه عذاب أهل النار ونعيم أهل الجنة، صفات المؤمنين وصفات الكافرين، من أجل أن يكون الإنسان سائراً إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء، فيعرف نعمة الله عليه بالإسلام، ويعرف حكمة الله تعالى في وجود هؤلاء الكافرين المجرمين. ويزداد حذرا من ذلك». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٣٣).

وقال ابن عثيمين: «{ذلك الفوز الكبير} يعني الذي به النجاة من كل مرهوب، وحصول كل مطلوب؛ لأن الفوز هو عبارة عن حصول المطلوب وزوال المكروه، والجنة كذلك فيها كل مطلوب، وقد زال عنها كل مرهوب، فلا يذوقون فيها الموت، ولا المرض، ولا السقم، ولا الهم، ولا النصب». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٣٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة البروج ١-١١

١- تأمل في السماء ونجومها وبروجها، واقرأ شيئا مما ورد في أبحاث علماء الفلك من بيان سعتها وعظيم خلقها، ليكون ذلك سببا في زيادة إيمانك، ورسوخ يقينك (والسماء ذات البروج).

٢- يوم القيامة يوم عظيم، وعد الله الخلق جميعا أن يجمعهم فيه، فأعدّ له عُدّته، وتزوّد له بزاد التقوى، وكن مستعدًّا للانتقال إليه في كل لحظة، فإنك لا تدري متى تغادر الدنيا إلى الآخرة (واليوم الموعود).

٣- اغتنم يوم الجمعة ويوم عرفة ويوم النحر بالأعمال الصالحة، فإنها أيام عظيمة فاضلة، تحوي فضائل جمّةً وافرة، وحذار أن تكون مواسم الخيرات أوقات لهو أو كسل (وشاهد ومشهود).

٤- اقرأ قصص الأنبياء والصالحين الذين تعرّضوا للأذى من قومهم، لتعلم أن الابتلاء طريق الأنبياء والمؤمنين، وليكون ذلك حافزا لك على الصبر واحتمال الأذى في سبيل الله (قُتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود).

٥- اعلم أن ما فيك من صفات حميدة وخصال جليلة من إيمان بالله ورسوله، وتمسّك بشرائع الإسلام الظاهرة والباطنة، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، لا يُعجب أهل الكفر والنفاق والزندقة، فقد يوبّخونك لصلاحك، وقد ينتقمون منك لإيمانك، فلا يزيدنّك بغضُهم وجفاؤهم إلا صبرا وتمسّكا واستقامة ويقينا (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد).

٦- الله سبحانه هو الذي يملك السماوات والأرض وما فيها وما بينها، وهو الذي يقدّر الخير والشر، والنعم والمصائب، فقد يسلّط الكفار على المؤمنين ليبتلي المؤمنين، ويكفّر سيئاتهم، ويرفع درجاتهم (الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد).

٧- كن رفيقا بالمؤمنين، رحيما بالمتّقين، ليّن الجانب للصالحين، رؤوفا بالمحسنين، فهم أهل الله وخاصته، وأولياؤه وحزبه، فاحذر من أذيّتهم، أو الاستهزاء بهم، أو الاعتداء عليهم بقول أو فعل، واعلم أن من عادى لله وليا فقد آذنه الله بالحرب، فعذابه أليم، وعاقبته وخيمة في الدنيا والآخرة (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق).

٨- ما أوسع رحمة الله! يعرض التوبة على الكافرين المجرمين الذين حرّقوا عباده المؤمنين بالنار وأرادوا أن يفتنوهم عن دينهم، فلا تيأس من رحمة الله الرحيم الرحمن (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق).

٩- الفوز الكبير، والسعادة الحقيقية، إنما تتحقق لك إذا دخلت جنات تجري من تحتها الأنهار، فوجدت فيها ما تشتهيه نفسك، وتلذّ عينُك (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة البروج ١٢-٢٢ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾

إن أخذ ربك -أيها الرسول- للظالم -وإن أمهله حينًا- لقويّ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣﴾

إنه هو يُبْدِئ الخلق والعذاب، ويعيدهما.

﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤﴾

وهو الغفور لذنوب من تاب من عباده، وإنه يحبّ أولياءه من المتقين.

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥﴾

صاحب العرش الكريم.

﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾

فعّال لما يريده من العفوِ عن ذنوب من شاء، ومعاقبة من شاء، لا مُكره له سبحانه.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧﴾

هل جاءك -أيها الرسول- خبر الجنود الذين تجنَّدوا لمحاربة الحق، والصدّ عنه؟!

﴿فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨﴾

فرعون، وثمود أصحاب صالح عليه السلام.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩﴾

ليس المانع من إيمان هؤلاء أنهم لم تأتهم أخبار الأمم المكذبة وما حصل من إهلاكهم، بل هم يكذّبون بما جاءهم به رسولهم اتباعًا لأهوائهم.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾

والله محيط بأعمالهم محصيها لا يفوته منها شيء سيجازيهم عليها.

﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١﴾

وليس القرآن شعرًا ولا سَجْعًا كما يقول المكذبون، بل هو قرآن كريم.

﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾

في لوحٍ محفوظٍ من التبديل والتحريف، والنقص والزيادة.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة البروج ١٢-٢٢

الكلمة	المعنى
بطْش ربّك	عذابَه وانتقامَه
يُبدِئ ويُعيد	يخلق الخلق ابتداءً ثم يبعثهم بعد موتهم للحساب والجزاء
الودود	المُحبّ لأوليائه المحبوب لهم
المجيد	الكريم العظيم
حديث الجُنُود	خبر الجموع الكافرة المكذّبة لأنبيائها

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة البروج ١٢-٢٢

(إن بطش ربك لشديد):

قال ابن عثيمين: «{بطش} يعني: أخذه بالعقاب، والشديد: القوي، كما قال تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). فبطش الله يعني انتقامه وأخذه شديد عظيم، ولكنه لمن يستحق ذلك. أما من لا يستحق ذلك فإن رحمة الله تعالى أوسع، ما أكثر ما يعفو الله عن الذنوب! وما أكثر ما يستر من العيوب! ما أكثر ما يدفع من النقم! وما أكثر ما يجري من النعم! لكن إذا أخذ الظالم لم يفلته، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، وتلا قوله تعالى: {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٣٧).

(إنه هو يبدئ ويعيد):

قال ابن عثيمين: «يعني أن الأمر إليه ابتداء وإعادة، وهذا كقوله تعالى: {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده} فهو الذي بدأ الأشياء، وإليه تنتهي الأشياء، الأشياء منه وإليه في كل شيء، الخلق من الله وإليه، الشرائع من الله وإليه، كل الأمور من الله وإليه، ولهذا قال: {يبدئ} ولم يذكر ما الذي يبدئه، فمعناه {يبدئ} كل شيء، ويعيد كل شيء، فكل الأمر بيده عز وجل، فاعرف أيها العبد من أين أنت، وأنك ابتدأت من عدم، واعرف منتهاك وغايتك، وأن غايتك إلى الله عز وجل». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٣٧).

(وهو الغفور الودود):

قال ابن القيم: «الودود من صفات الله سبحانه وتعالى، أصله من المودة، واختلف فيه على قولين:

فقيل: هو ودود بمعنى واد، كضروب بمعنى ضارب، وقتول بمعنى قاتل، ونؤوم بمعنى نائم، ويشهد لهذا القول: أن فعولا في صفات الله سبحانه بمعنى فاعل، كغفور بمعنى غافر، وشكور بمعنى شاكر، وصبور بمعنى صابر.

وقيل: بل هو بمعنى مودود، وهو الحبيب، وبذلك فسره البخاري في صحيحه، فقال: الودود: الحبيب.

والأول أظهر؛ لاقترانه بالغفور في قوله: {وهو الغفور الودود}، وبالرحيم في قوله: {إن ربي رحيم ودود}، وفيه سر لطيف وهو: أنه يحب عبده بعد المغفرة، فيغفر له ويحبه، كما قال: {إن الله يحب التوابين}، فالتائب حبيب الله. فالود: أصفى الحب وألطفه». «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٧٥).

وقال السعدي: «{الْوَدُودُ} الذي يحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء، فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال والجمال، والمعاني والأفعال، فمحبته في قلوب خواص خلقه، التابعة لذلك، لا يشبهها شيء من أنواع المحاب، ولهذا كانت محبته أصل العبودية، وهي المحبة التي تتقدم جميع المحاب وتغلبها، وإن لم يكن غيرها تبعًا لها، كانت عذابًا على أهلها». «تفسير السعدي» (ص٩١٩).

وقال ابن عثيمين: «{الغفور} يعني ذو المغفرة، والمغفرة ستر الذنب والعفو عنه، فليست المغفرة ستر الذنب فقط، بل ستره وعدم المؤاخذة عليه، كما جاء في الحديث الصحيح: «إن الله يخلو بعبده المؤمن يوم القيامة، ويقرره بذنوبه حتى يقر بها ويعترف، فيقول الله عز وجل: قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم» ، ويُذكر أن بني إسرائيل كانوا إذا أذنب الواحد منهم ذنبـًا وجده مكتوبـًا على باب بيته فضيحة وعاراً، لكننا نحن ولله الحمد قد ستر الله علينا، فعلينا أن نتوب إلى الله ونستغفره من الذنب فتمحى آثاره». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٣٨).

وقال ابن عثيمين: «يحب سبحانه وتعالى الأعمال، ويحب العاملين، ويحب الأشخاص. يعني أن محبة الله قد تتعلق بشخص معين، مثل قول الرسول عليه الصلاة والسلام في يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله» فبات الناس، ثم غدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم كلهم يرجوا أن يُعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» قالوا: يشتكي عينيه، فدعا به، فأتى، فبصق في عينه، فبرأ كأن لم يكن به وجع في الحال، ثم أعطاه الراية وقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام». الشاهد قوله: (يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله)، فهنا أثبت أن الله يحب هذا

الرجل بعينه: علي بن أبي طالب، ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً على سرية صار يقرأ لهم في الصلاة ويختم القراءة بـ {قل هو الله أحد}، فلما رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلّم أخبروه بذلك، لأن عمله هذا وهو أنه يختم القراءة بـ {قل هو الله أحد} غير معروف، فقال: «سلوه لأي شيء كان يصنع ذلك؟» فسألوه فقال: إنها صفة الله وأنا أحب أن أقرأها، فقال النبي صلى الله عليه وسلّم: «أخبروه أن الله يحبه»، فهنا المحبة علقت بشخص معين يحبه الله.

وقد تكون محبة الله بمعينين بأوصافهم، مثل: {إن الله يحب المتقين}، {إن الله يحب المحسنين}، {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنهم بنيان مرصوص}. هذه ليست في شخص معين، لكن في شخص موصوف بصفة.

كذلك يحب الله سبحانه وتعالى الأماكن: «أحب البقاع إلى الله مساجدها»، وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن مكة أحب البقاع إلى الله، هذه المحبة متعلقة بالأماكن». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٣٨-١٤٠).

(ذو العرش المجيد):

قال ابن كثير: «{المجيد} فيه قراءتان: الرفع على أنه صفة للرب عز وجل. والجر على أنه صفة للعرش، وكلاهما معنى صحيح». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٧٢).

وقال ابن عثيمين: «والعرش هو الذي استوى عليه الله عز وجل، وهو أعظم المخلوقات وأكبرها وأوسعها، وقد جاء في الأثر أن السماوات السبع والأرضين السبع بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ألقيت في فلاة في الأرض، وأن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة. إذن لا أحد يقدّر سعته... فالحاصل أن العرش هو سقف المخلوقات كلها، عرش عظيم استوى عليه الرحمن ـ جل وعلا ـ كما قال تعالى: {الرحمن على العرش استوى}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٤٠).

(فعال لما يريد):

قال الطبري: «(فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) يقول: هو غفار لذنوب من شاء من عباده إذا تاب وأناب منها، معاقب من أصرّ عليها وأقام، لا يمنعه مانع مِنْ فِعْلٍ أراد أن يفعله، ولا يحول بينه وبين ذلك حائل، لأن له مُلك السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣٤٦).

وقال السعدي: «{فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} أي: مهما أراد شيئًا فعله، إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، وليس أحد فعالا لما يريد إلا الله. فإن المخلوقات، ولو أرادت شيئًا، فإنه لا بد لإرادتها من معاون وممانع، والله لا معاون لإرادته، ولا ممانع له مما أراد». «تفسير السعدي» (ص٩١٩).

(هل أتاك حديث الجنود * فرعون وثمود):

قال ابن عثيمين: «قصّ الله سبحانه على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نبأ موسى عليه السلام ما لم يقصّ من نبأ غيره، لأن النبي صلى الله عليه وسلم سوف يكون مهاجره إلى المدينة التي بها ثلاث قبائل من اليهود، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم من نبأهم الشيء الكثير، من أجل أن يكون على استعداد لمناظرتهم ومجادلتهم بالحق، حتى لا يخفى عليه من أمرهم شيء...

وفرعون هذا كان جباراً عنيداً متكبراً، يدعي أنه الرب، كما قال: (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)، وادعى أيضـًا الألوهية حينما قال: (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)، وكان يستهزئ بموسى عليه السلام وبما جاء به من الآيات ويتحداه، ويقول له صراحةً وجهـًا لوجه: (إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً)، ويفتخر على موسى وعلى قومه فيقول: (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ* أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ). فماذا كانت النتيجة؟ أن كفر به أخص الناس بكيده، وهم السحرة، فإن السحرة لما جمعوا كل ما عندهم من السحر، وجاءوا لمقابلة موسى عليه السلام، حيث إن موسى عليه السلام أتى بآية تشبه السحر، ولكنها ليست بسحر، بل آية من آيات الله عز وجل، وهي أن يضع العصى التي معه على الأرض فتنقلب حية تسعى، وجمع السحرة كلهم في مكان محدد (فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ

فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَاناً سُوَىً) يعني مكاناً مستوياً منبسطاً حتى يشاهد الناس ما يشاهدون من السحر وأعمال السحرة. فقال لهم: (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحىً). ويوم الزينة هو يوم عيدهم، وهو يوم تكثر فيه الجموع لتهنئة بعضهم بعضاً، واجتمعوا في الموعد المحدد والمكان المعين، وحُشر الناس ضحى في رابعة النهار، وألقى السحرة ما بأيديهم من الحبال والعصيّ، وخيل إلى الحاضرين من سحرهم أنها تسعى، فأوجس في نفسه خيفة موسى، لأنه شاهد أمراً عظيماً وكيداً كبيراً، فأوحى الله عز وجل إليه أن يلقي عصاه، فإذا هي تلقف ما يأفكون، وحينئذٍ علم السحرة أن موسى صادق وليس بساحر، لأنه لو كان ساحراً ما استطاع أن يغلبهم بسحره، فآمن السحرة بموسى عليه السلام، وكفروا بفرعون الطاغية، وقالوا: (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)، ووقفوا في وجه فرعون وتحدوه وانقلبوا عليه، وفي النهاية أغرق الله فرعون في الماء الذي كان يفتخر به بالأمس.

أما ثمود: فإن الله أعطاهم قدرة وقوة حتى كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً فارهين، ويتخذون من القصور سهولاً، وعندما كذبوا رسولهم صالحا عليه السلام أهلكهم الله برجفة وصيحة، فهلكوا عن بكرة أبيهم، فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

وكان من نبأ فرعون وثمود فائدتان:

الأولى: تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتقويته، وأن الذي نصر رسله من قبل سوف يؤيده وينصره ويعزره، وهذا لا شك أنه يقوي العزيمة، ويشحذ الهمم في الدعوة إلى الله وتبليغ رسالاته.

والفائدة الثانية: تهديد ووعيد شديد لقريش الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووقفوا له بالمرصاد، وأنهم ليسوا أشد قوة من فرعون وثمود، ومع ذلك أصابهم الدمار والهلاك، ووقعت عليهم كلمة العذاب». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٤١).

(بل الذين كفروا في تكذيب):

قال ابن عثيمين: «الذين كفروا يشمل كل من كفر بالله ورسوله سواء كان من المشركين أو من اليهود أو من النصارى، أو غيرهم، وذلك لأن اليهود والنصارى الآن وبعد بعثة الرسول الله صلى الله عليه وسلم ليسوا على دين مرضي عند الله، ولا تنفعهم أديانهم؛ لأنه – أي: النبي صلى الله عليه وسلم– خاتم

الأنبياء، فمن لم يؤمن به فليس على شيء من دينه، بل إن لم يؤمن برسول واحد من الرسل فهو كافر بجميع الرسل، فمثلاً من لم يؤمن بنوح أنه رسول ولو آمن بغيره من الأنبياء فإنه مكذب لغيره من الرسل، والدليل على ذلك قوله: (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ). فبين الله تعالى أن قوم نوح كذبوا جملة الرسل مع أنهم لم يدركوا إلا رسولهم وهو نوح عليه السلام، وكذلك الذي كذب محمداً صلى الله عليه وسلم هو مكذب لغيره من رسل الله وأنبيائه، فإذا ادعت اليهود أنهم على دين، وأنهم يتبعون التوراة التي جاء بها موسى، نقول لهم: أنتم كافرون بموسى عليه السلام، كافرون بالتوراة، وإذا ادعت النصارى الذين يسمون أنفسهم اليوم (بالمسيحيين) أنهم مؤمنون بعيسى قلنا لهم: كذبتم، أنتم كافرون بعيسى عليه السلام؛ لأنكم كافرون بمحمد عليه الصلاة والسلام.

والعجب أن هؤلاء اليهود والنصارى يكفرون بمحمد عليه الصلاة والسلام مع أنهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، لكن العناد والكبرياء والحسد منعهم أن يؤمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام... ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة -يعني: أمة الدعوة- يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بما جئت به إلا كان من أصحاب النار». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٤١-١٤٢).

(بل هو قرآن مجيد):

قال ابن عثيمين: «وصف القرآن بأنه مجيد لا يعني أن المجد وصف للقرآن نفسه فقط، بل هو وصف للقرآن، ولمن تحمل هذا القرآن فحمله وقام بواجبه من تلاوته حق تلاوته، فإنه سيكون لهم المجد والعزة والرفعة». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٤٢-١٤٥).

(في لوح محفوظ):

قال البغوي: «قرأ نافع: (محفوظٌ) بالرفع على نعت القرآن، فإن القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف، قال الله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٨٩).

وقال ابن عثيمين: «يعني بذلك اللوح المحفوظ عند الله عز وجل الذي هو أم الكتاب، كما قال الله تبارك وتعالى: {يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب}. وهذا اللوح كتب الله به مقادير كل شيء، ومن جملة ما كتب به أن هذا القرآن سينزل على محمد صلى الله عليه وسلّم فهو في لوح محفوظ، قال العلماء: {محفوظ} لا يناله أحد، محفوظ عن التغيير والتبديل.

والتبديل والتغيير إنما يكون في الكتب الأخرى؛ لأن الكتابة من الله عز وجل أنواع:

النوع الأول: الكتابة في اللوح المحفوظ، وهذه الكتابة لا تبدل ولا تغير، ولهذا سماه الله لوحـًا محفوظـًا، لا يمكن أن يبدل أو يغير ما فيه.

الثاني: الكتابة على بني آدم وهم في بطون أمهاتهم، لأن الإنسان في بطن أمه إذا تم له أربعة أشهر، بعث الله إليه ملكـًا موكلاً بالأرحام، فينفخ فيه الروح بإذن الله... ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد.

النوع الثالث: كتابة حولية كل سنة، وهي الكتابة التي تكون في ليلة القدر، فإن الله سبحانه وتعالى يقدر في هذه الليلة ما يكون في تلك السنة، قال الله تبارك وتعالى: {فيها يفرق كل أمر حكيم}. فيكتب في هذه الليلة ما يكون في تلك السنة.

النوع الرابع: كتابة يومية، وهي التي تقوم بها الملائكة حيث يكتبون كل ما يعمله الإنسان في ذلك اليوم، سواء كان قولاً بلسانه، أو عملاً بجوارحه، أو اعتقاداً بقلبه، وذلك في الصحف التي بأيدي الملائكة، وهذه الكتابة تكون بعد العمل، والكتابات الثلاث السابقة كلها قبل العمل». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٤٣-١٤٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة البروج ١٢-٢٢

١- احذر من الاستمرار في الظلم والبغي والعصيان، فإن بطش الله شديد، وأخذه أليم، وانتقامه عظيم، وهو سبحانه يُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يُفلته (إن بطش ربك لشديد).

٢- اعلم أن الله سبحانه هو الذي خلق الخلق من العدم، وهو الذي يعيدهم للحياة بعد الموت للحساب والجزاء، وإعادتهم بعد موتهم أهون من ابتداء خلقهم (إنه هو يُبدئ ويعيد).

٣- تودّد إلى ربك بالمداومة على التوبة والاستغفار؛ فإنك بذلك تُحزن الشيطان وتُرغمه، وتُرضي الرحمن وتُفرحه، وتجلب محبة الله لك، وأنعم بها من كرامة ومنزلة (وهو الغفور الودود).

٤- اعلم أن الله سبحانه يملك العرش وما دونه، ويفعل ما يريد في ملكه، فهو الذي يُنعم ويبتلي، ويرفع ويخفض، ويُغني ويُفقر، ويُعزّ ويُذلّ، ويُعطي ويمنع، فسَله وحده حاجاتك كلَّها (ذو العرش المجيد * فعّال لما يريد).

٥- اقرأ قصص الأنبياء السابقين مع أممهم، وكيف كان مصير تلك الأمم عندما كذبوا رسل الله، وتمرّدوا على أوامر الله؛ لتعلم أن العاقبة للمؤمنين، والعذاب على الكافرين (هل أتاك حديث الجنود * فرعون وثمود).

٦- أهل الكفر والزندقة والإلحاد يكذّبون بآيات الله وبراهينه ظلما وعلوا، وما علموا أن الله محيط بهم، وأنه قادر على أن يهلكهم في طرفة عين، أو أن يبتليهم بالأمراض والأوجاع التي تنغّص عليهم حياتهم، أو أن يصيبهم بالفقر والمسكنة والحاجة، ثم يبعثهم يوم القيامة ليذوقوا العذاب الدائم في جهنم، وبئس المصير (بل الذين كفروا في تكذيب * والله من ورائهم محيط).

٧- القرآن الكريم كتاب مجيد كريم عزيز محفوظ، فاقرأه وتدبّره واعمل به، واعلم أن من أخذه بحقه علما وعملا كان له من المجد والكرامة والعزة والحفظ بحسب ذلك (بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الانشقاق ١-١٥ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة الانشقاق: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] تذكير الإنسان برجوعه لربه، وبيان ضعفه، وتقلّب الأحوال به.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١﴾

إذا السماء تَصَدَّعت لنزول الملائكة منها.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢﴾

واستمعت لربها منقادة، وحُقَّ لها ذلك.

﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣﴾

وإذا الأرض مدّها الله كما يمدّ الأديم.

﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤﴾

وألقت ما فيها من الكنوز والأموات، وتخلّت عنهم.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٥﴾

واستمعت لربها منقادة، وحُقَّ لها ذلك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾

يا أيها الإنسان، إنك عامل إما خيرًا وإما شرًّا، فملاقيه يوم القيامة؛ ليجازيك الله عليه.

ولما ذكر عمل الإنسان مجملًا فصّل حالِ العاملين يوم القيامة، فقال:

﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧﴾

فأما من أُعْطِي صحيفة أعماله بيده اليمنى.

﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨﴾

فسوف يحاسبه الله حسابًا سهلًا يعرض عليه عمله دون مؤاخذة به.

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩﴾

ويرجع إلى أهله مسرورًا.

﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠﴾

وأما من أعْطِي كتابه بشماله من وراء ظهره.

﴿فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١﴾

فسينادي بالهلاك على نفسه.

﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢﴾

ويدخل نار جهنم يقاسي حرّها.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣﴾

إنه كان في الدنيا في أهله فرحًا بما هو عليه من الكفر والمعاصي.

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤﴾

إنه ظن أنَّه لن يرجع إلى الحياة بعد موته.

﴿بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ١٥﴾

بلى، ليرجعنَّه الله إلى الحياة كما خلقه أول مرة، إن ربه كان بحاله بصيرًا لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيه على عمله.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• خضوع السماء والأرض لربهما.

• كل إنسان ساعٍ إما لخير وإما لشرّ.

• علامة السعادة يوم القيامة أخذ الكتاب باليمين، وعلامة الشقاء أخذه بالشمال.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الانشقاق ١-١٥

الكلمة	المعنى
وأَذِنت لربّها	واستمعت لربها منقادة لأمره
وحُقّت	وحُقّ لها أن تنقاد لأمر ربها
مُدّت	بُسِطَت وسُوّيت
وألْقَت ما فيها	وأخرجت الأموات من جوفها
وتخلّت	ولم يَبق في بطنها شيء
كادِح إلى ربك	ساعٍ بِعَملك إلى لقاء ربك
فمُلاقِيه	فمُلاقٍ ربك أو عملك
أُوتِيَ كتابَه	أُعطِيَ صحيفةَ أعماله
وينقَلِبُ	ويرجِع
يَدعُو ثُبُورًا	يدعو على نفسه بالهلاك
لن يَحُور	لن يرجع إلى ربه للحساب والجزاء

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الانشقاق ١-١٥

فوائد عامة في سورة الانشقاق:

عن أبي رافع قال: «صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ: {إذا السماء انشقت} فسجد، فقلت: ما هذه؟ قال: سجدت بها خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم، فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه». وذلك في قول الله تعالى: (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون). «صحيح البخاري» (١/ ١٥٣)، «صحيح مسلم» (١/ ٤٠٧).

(إذا السماء انشقت):

قال السعدي: «يقول تعالى مبينًا لما يكون في يوم القيامة من تغير الأجرام العظام: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} أي: انفطرت وتمايز بعضها من بعض، وانتثرت نجومها، وخسف بشمسها وقمرها». «تفسير السعدي» (ص٩١٧).

وقال ابن عثيمين: «{إذا السماء انشقت} انشقت: انفتحت وانفرجت، كقوله تعالى: {وإذا السماء فُرجت}. وكقوله تعالى: {فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان}. إذاً فانشقاقها يوم القيامة». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٠٩).

(وأذنت لربها وحُقّت):

قال الطبري: «(وأذنت لربها وحقت) يقول: وسمعت السماوات في تصدعها وتشققها لربها وأطاعت له في أمره إياها، والعرب تقول: أذن لك في هذا الأمر أذنا بمعنى: استمع لك، ومنه الخبر الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن) يعني بذلك: ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن، ومنه قول الشاعر:

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣٠٩).

(وإذا الأرض مُدّت):

قال السعدي: «{وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ} أي: رجفت وارتجت، ونسفت عليها جبالها، ودك ما عليها من بناء ومعلم، فسويت، ومدها الله تعالى مد الأديم، حتى صارت واسعة جدًا، تسع أهل الموقف على كثرتهم، فتصير قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا». «تفسير السعدي» (ص٩١٧).

وقال ابن عثيمين: «{وإذا الأرض مدت} أي: تمد مدًّا واحداً كمد الأديم، يعني: كمد الجلد، كأنما تفرش جلداً أو سماطـًا، تُمد حتى إن الذين عليها ـ وهم الخلائق ـ يُسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، لكن الآن لا ينفذهم البصر، لو امتد الناس على الأرض لوجدت البعيدين منخفضين لا تراهم، لكن يوم القيامة إذا مُدت صار أقصاهم مثل أدناهم، كما جاء في الحديث: «يجمع الله تعالى يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيُسمعهم الداعي، وينفُذُهُم البصر». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١١٠).

(وألقت ما فيها وتخلّت):

قال السعدي: «{وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا} من الأموات والكنوز {وَتَخَلَّتْ} منهم، فإنه ينفخ في الصور، فتخرج الأموات من الأجداث إلى وجه الأرض، وتُخرج الأرض كنوزها، حتى تكون كالأسطوان العظيم، يشاهده الخلق، ويتحسرون على ما هم فيه يتنافسون». «تفسير السعدي» (ص٩١٧).

وقال ابن عثيمين: «تخرج من بطن الأرض يوم القيامة حافيـًا ليس عليك نعال، عاريـًا ليس عليك كساء، أغرل لست مختونـًا، ولما حدّث النبي عليه الصلاة والسلام بذلك قالت عائشة: يا رسول الله: الرجال والنساء جميعـًا، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»، الأمر شديد، كل إنسان لاهٍ بنفسه {لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه}. والإنسان إذا تصور الناس في ذلك الوقت مجرد تصور فإنه يرتعب ويخاف، وإذا كان عاقلاً مؤمنـًا عمل لهذا اليوم». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١١١).

(وأذنت لربها وحُقّت):

قال ابن عثيمين: «تأمل أيها الآدمي البشر الضعيف كيف كانت هذه المخلوقات العظيمة تسمع وتطيع لله عز وجل، هذه الطاعة العظيمة في ابتداء الخلق وفي انتهاء الخلق. في ابتداء الخلق قال: {ائتيا طوعـًا أو كرهـًا قالتا أتينا طائعين}، في انتهاء الخلق {إذا السماء انشقت. وأذنت لربها وحقت} حُق لها أن تأذن: تسمع وتطيع». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١١٠).

(يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه):

قال ابن كثير: «{فملاقيه} ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر. ويشهد له ما رواه أبو داود الطيالسي... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال جبريل: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه).

ومن الناس من يعيد الضمير على قوله: {ربك} أي: فملاق ربك، ومعناه: فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك. وعلى هذا فكلا القولين متلازم». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٥٦).

وقال البقاعي: «حثٌ على الاجتهاد في الإحسان في العمل؛ لأن من أيقن بأنه لا بد له من العرض على الملك أفرغ جهده في العمل بما يحمده عليه عند لقائه». «نظم الدرر» (٢١/ ٣٣٩).

وقال ابن عثيمين: «{كادح إلى ربك} يعني أنك تكدح كدحـًا يوصلك إلى ربك، يعني أن منتهى كدحك مهما كنت ينتهي إلى الله، لأننا سنموت، وإذا متنا رجعنا إلى الله عز وجل، فمهما عملت فإن المنتهى هو الله عز وجل: {وأن إلى ربك المنتهى}. ولهذا قال: {كادح إلى ربك كدحـًا}...

{فملاقيه} الفاء يقول النحويون: إنها تدل على الترتيب والتعقيب، يعني، فأنت ملاقيه عن قرب {إن ما توعدون لآت}. وكل آت قريب {وما يدريك لعل الساعة قريب}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١١١).

(فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابا يسيرا):

قال ابن كثير: «{فسوف يحاسب حسابا يسيرا} أي: سهلا بلا تعسير، أي: لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله؛ فإن من حوسب كذلك يهلك لا محالة...

عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من نوقش الحساب عذّب). قالت: فقلت: أليس قال الله: {فسوف يحاسب حسابا يسيرا}؟ قال: (ليس ذاك بالحساب، ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذّب). وهكذا رواه البخاري ومسلم». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٥٦-٣٥٧).

وقال ابن عثيمين: «{فسوف يحاسب حساباً يسيراً} أي: يحاسبه الله تعالى بإحصاء عمله عليه، لكنه حساب يسير، ليس فيه أي عسر، كما جاءت بذلك السنة: أن الله عز وجل يخلو بعبده المؤمن، ويقرره بذنوبه، فيقول: عملت كذا، عملت كذا، عملت كذا، ويقرّ بذلك ولا ينكر، فيقول الله تعالى: «قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»، ولا شك أن هذا حساب يسير، يظهر فيه منّة الله على العبد، وفرحه بذلك واستبشاره». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١١٣).

(وينقلب إلى أهله مسرورا):

قال البغوي: «{وينقلب إلى أهله} يعني: في الجنة من الحور العين والآدميات {مسرورا} بما أوتي من الخير والكرامة». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٧٤).

وقال البقاعي: «كان في الدنيا في أهله مشفقاً من العرض على الله، مغموماً مضروراً، يحاسب نفسه بكرة وعشياً حساباً عسيراً، مع ما هو فيه من نكد الأهل، وضيق العيش، وشرور المخالفين». «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (٢١/ ٣٤١).

وقال ابن عثيمين: «{وينقلب إلى أهله مسروراً} ينقلب من الحساب إلى أهله في الجنة مسروراً، أي: مسرور القلب، وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة

البدر، ثم هم بعد ذلك درجات، وهذا يدل على سرور القلب؛ لأن القلب إذا سُرّ استنار الوجه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١١٤).

(وأما من أوتي كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبورا * ويصلى سعيرا):

قال البغوي: «{وأما من أوتي كتابه وراء ظهره} تغل يده اليمنى إلى عنقه، وتجعل يده الشمال وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٧٤).

وقال ابن عثيمين: «{وأما من أوتي كتابه وراء ظهره. فسوف يدعو ثبورًا. ويصلى سعيًرا} هؤلاء هم الأشقياء والعياذ بالله، يؤتى كتابه وراء ظهره وليس عن يمينه، وفي الآية الأخرى في سورة الحاقة {وأما من أوتي كتابه بشماله}. فقيل: إن من لا يؤتى كتابه بيمينه ينقسم إلى قسمين: منهم من يؤتى كتابه بالشمال، ومنهم من يؤتى كتابه وراء ظهره. والأقرب والله أعلم أنه يؤتى كتابه بالشمال، ولكن تلوى يده حتى تكون من وراء ظهره، إشارة إلى أنه نبذ كتاب الله وراء ظهره، فيكون الأخذ بالشمال، ثم تلوى يده إلى الخلف إشارة إلى أنه قد ولى ظهره كتاب الله عز وجل ولم يبال به، ولم يرفع به رأسًا، ولم ير بمخالفته بأسًا». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١١٤).

(إنه كان في أهله مسرورا):

قال ابن كثير: «أي: فرحا لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٥٨).

وقال ابن عثيمين: «واربط بين قوله تعالى فيمن أوتي كتابه بيمينه {وينقلب إلى أهله مسروراً}، وهذا (يعني: من يأخذ كتابه من وراء ظهره) {كان في أهله مسروراً} تجد فرقًا بين السرورين، فسرور الأول سرور دائم ـ نسأل الله أن يجعلنا منهم ـ وسرور الثاني سرور زائل، ذهب {كان في أهله مسروراً}، أما الآن فلا سرور عنده». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١١٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الانشقاق ١-١٥

١- يوم القيامة يوم مهول عظيم، تنشقّ فيه السماء طاعة لأمر ربها، وتُمدّ الأرض وتلقي ما في بطنها من الأموات والكنوز انقيادا لأمر ربها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد. وإذا كانت السماوات والأرضين على عظمتها تنقاد لأمر ربها وتخضع لعظمته، فما بال بعض البشر الضعاف العاجزين يتكبّرون عن طاعة ربهم ويُعرضون عن الاستجابة له سبحانه؟! (إذا السماء انشقّت ❋ وأذنت لربها وحُقّت ❋ وإذا الأرض مُدّت ❋ وألقت ما فيها وتخلّت ❋ وأذنت لربها وحُقّت).

٢- اعلم أنك ستلاقي ربك، وتقف بين يديه للحساب والجزاء، فهل أعمالك ستبيّض وجهك وأنت واقف بين يدي ربك الذي أغدق عليك نعمه ظاهرة وباطنة أو الأمر على خلاف ذلك؟ (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه).

٣- كن في الدنيا خائفا من الله مشفقا من عذابه عاملا للآخرة حتى تكون في الآخرة آمِنا فرحا مسرورا مستبشرا راضيا، فتنال كتابك بيمينك، وتحاسب حسابا يسيرا، ويكرمك الكريم بمغفرة الذنوب في الآخرة بعد أن أكرمك بسترها في الدنيا (فأما من أوتي كتابه بيمينه ❋ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ❋ وينقلب إلى أهله مسرورا).

٤- احذر من الانشغال في الدنيا باللهو واللعب والفرح والضحك والسرور كحال أهل الكفر، فيؤدي بك ذلك إلى الانشغال عن الآخرة، والركون إلى نعيم الدنيا الزائل، فيقلّ رصيدك من الطاعات، وتتساهل في المعاصي، فيموت قلبك، واعلم أن الندم يوم القيامة لا يغني عنك شيئا، فانتقل بقلبك من سكرة نعيم الدنيا إلى يقظة نعيم الآخرة (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ❋ فسوف يدعو ثبورا ❋ ويصلى سعيرا ❋ إنه كان في أهله مسرورا ❋ إنه ظن أن لن يحور ❋ بلى إن ربه كان به بصيرا).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الانشقاق ١٦-٢٥ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦﴾.

أقسم الله بالحُمْرة التي تكون في الأفق بعد غروب الشمس.

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧﴾.

وأقسم بالليل وما جُمِع فيه.

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨﴾.

والقمر إذا اجتمع وتمّ وصار بدرًا.

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾.

لتركبّن -أيها الناس- حالًا بعد حال من نُطْفة فَعَلَقة فَمُضْغة، فحياة فموت فبعث.

﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠﴾.

فما لهؤلاء الكفار لا يؤمنون بالله، واليوم الآخر؟!

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ ۩ ٢١﴾.

وإذا قُرِئ عليهم القرآن لا يسجدون لربّهم؟!

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢﴾.

بل الذين كفروا يكذبون بما جاءهم به رسولهم.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣﴾.

والله أعلم بما تحويه صدورهم، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤﴾.

فأخْبِرْهم -أيها الرسول- بما ينتظرهم من عذاب موجع.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ٢٥﴾.

إلا الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات، لهم ثواب غير مقطوع؛ وهو الجنّة.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الانشقاق ١٦-٢٥

الكلمة	المعنى
بِالشّفَق	باحمرار الأفق عند غروب الشمس
وما وَسَق	وما جَمع
إذا اتّسَق	إذا اكتمل وصار بدرًا
طبَقًا عن طبَق	حالا بعد حال
يُوعُون	يكتمون في صدورهم، أو يجمعون من السيئات
غير مَمنُون	غير مقطوع ولا منقوص

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الانشقاق ١٦-٢٥

(فلا أقسم بالشفق):

قال ابن كثير: «قال الخليل بن أحمد: الشفق: الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة، فإذا ذهب قيل: غاب الشفق. وقال الجوهري: الشفق: بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب من العتمة. وكذا قال عكرمة: الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء.

وفي صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (وقت المغرب ما لم يغب الشفق)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٥٨).

وقال ابن عثيمين: «هذه الجملة مكونة من قسم، ومُقسَم به، ومقسَم عليه، ومُقسِم:

فالقسم في قوله: {لا أقسم بالشفق}، قد يظن الظان أن معنى {لا أقسم} نفي، وليس كذلك بل هو إثبات، و {لا} هنا جيء بها للتنبيه، ولها نظائر، مثل: {لا أقسم بهذا البلد}. {لا أقسم بيوم القيامة}. {فلا أقسم برب المشارق}. {فلا أقسم بما تبصرون}. وكلها يقول العلماء: إن (لا) فيها للتنبيه، وأن القسم مثبت.

أما المقسِم فهو الله عز وجل، أما المقسَم به في هذه الآية فهو الشفق وما عطف عليه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١١٥-١١٦).

(والليل وما وسق):

قال الطبري: «(والليل وما وسق) يقول: والليل وما جمع مما سكن وهدأ فيه من ذي روح كان يطير، أو يدب نهارا، يقال منه: وسقته أسقه وسقا، ومنه طعام موسوق، وهو المجموع في غرائر أو وعاء، ومنه الوسق: وهو الطعام المجتمع الكثير مما يكال أو يوزن، يقال: هو ستون صاعا، وبه جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣١٨).

(لتركبُنّ طبقا عن طبق):

قال البغوي: «{لتركبن} قرأ أهل مكة وحمزة والكسائي: "لتركَبَن" بفتح الباء، يعني: لتركبن يا محمد {طبقا عن طبق} قال الشعبي ومجاهد: سماء بعد سماء. قال الكلبي: يعني تصعد فيها. ويجوز أن يكون درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى والرفعة... قال ابن عباس: (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال، قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم.

وقيل: أراد به السماء تتغير لونا بعد لون، فتصير تارة كالدهان، وتارة كالمهل، وتنشق بالغمام مرة، وتطوى أخرى.

وقرأ الآخرون بضم الباء، لأن المعنى بالناس أشبه، لأنه ذكر من قبل: (فأما من أوتي كتابه بيمينه) (وشماله)، وذكر من بعد: (فما لهم لا يؤمنون)، وأراد: لتركبُن حالا بعد حال، وأمرا بعد أمر في موقف القيامة، يعني: الأحوال تنقلب بهم، فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا. و"عن" بمعنى بعد». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٧٥).

وقال ابن القيم: «{لتركبن طبقا عن طبق}. أي: حالا بعد حال، فأول أطباقه كونه نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم جنينا، ثم مولودا، ثم رضيعا، ثم فطيما، ثم صحيحا أو مريضا، غنيا أو فقيرا، معافى أو مبتلى، إلى جميع أحوال الإنسان المختلفة عليه إلى أن يموت، ثم يبعث، ثم يوقف بين يدي الله تعالى، ثم يصير إلى الجنة أو النار. فالمعنى: لتركبن حالا بعد حال، ومنزلا بعد منزل، وأمرا بعد أمر». «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص٤٠٧).

وقال ابن كثير: «قال ابن عباس: {لتركبن طبقا عن طبق} حالا بعد حال، قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم. هكذا رواه البخاري بهذا اللفظ، وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم، كأنه قال: سمعت هذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم، فيكون قوله: "نبيكم" مرفوعا على الفاعلية من "قال"، وهو الأظهر، والله أعلم...

ويحتمل أن يكون المراد: {لتركبن طبقا عن طبق} حالا بعد حال. قال: هذا، يعني المراد بهذا نبيكم صلى الله عليه وسلم، فيكون مرفوعا على أن "هذا" و "نبيكم" يكونان مبتدأ وخبرا، والله أعلم». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٥٩-٣٦٠).

وقال ابن عثيمين: «أي: لتتحولن حالاً عن حال، وهو يعني أن الأحوال تتغير، فيشمل أحوال الزمان، وأحوال المكان، وأحوال الأبدان، وأحوال القلوب:

الأول: أحوال الزمان تتنقل: {وتلك الأيام نداولها بين الناس}. فيوم يكون فيه السرور والانشراح وانبساط النفس، ويوم آخر يكون بالعكس... وهذا شيء يعرفه كل واحد بنفسه: تصبح اليوم فرحـًا مسروراً، وفي اليوم الثاني بالعكس بدون سبب، لكن هكذا لابد أن الإنسان يركب طبقـًا عن طبق. وتتغير حال الزمان من أمن إلى خوف، ومن حرب إلى سلم، ومن قحط إلى مطر، ومن جدب إلى خصب، إلى غير ذلك من تقلبات الأحوال.

الثاني: الأمكنة ينزل الإنسان هذا اليوم منزلاً، وفي اليوم التالي منزلاً آخر، وثالثـًا ورابعـًا إلى أن تنتهي به المنازل في الآخرة، وما قبل الآخرة وهي القبور هي منازل مؤقتة. القبور ليست هي آخر المنازل بل هي مرحلة. وسمع أعرابي رجلاً يقرأ قول الله تعالى: {ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر} فقال الأعرابي: «والله ما الزائر بمقيم» فالأعرابي بفطرته عرف أن وراء هذه القبور شيئـًا يكون المصير إليه، لأنه كما هو معلوم الزائر يزور ويمشي... والمثوى الأخير إما جنة وإما نار.

الثالث: الأبدان يركب الإنسان فيها طبقـًا عن طبق، واستمع إلى قول الله تعالى: {الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفـًا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير}. أول ما يخلق الإنسان طفلاً صغيراً يمكن أن تجمع يديه ورجليه بيد واحدة منك وتحمله بهذه اليد ضعيفًا، ثم لايزال يقوى رويداً رويداً حتى يكون شابـًا جلداً قويـًا، ثم إذا استكمل القوة عاد فرجع إلى الضعف، وقد شبه بعض العلماء حال البدن بحال القمر يبدو هلالاً ضعيفـًا، ثم يكبر شيئـًا فشيئـًا حتى يمتلىء نوراً، ثم يعود ينقص شيئـًا فشيئـًا حتى يضمحل، نسأل الله أن يحسن لنا ولكم الخاتمة.

الرابع: حال القلوب وما أدراك ما أحوال القلوب؟! أحوال القلوب هي النعمة وهي النقمة، والقلوب كل قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء ، فإن شاء أزاغه وإن شاء هداه، ولما حدّث النبي عليه الصلاة والسلام بهذا الحديث قال: «اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فالقلوب لها أحوال عجيبة، فتارة يتعلق القلب بالدنيا، وتارة يتعلق بشيء من الدنيا، وتارة يتعلق بالمال ويكون المال أكبر همه، وتارة يتعلق بالنساء وتكون النساء أكبر همه، وتارة يتعلق بالقصور والمنازل ويكون ذلك أكبر همه، وتارة يتعلق بالمركوبات والسيارات ويكون ذلك أكبر همه، وتارة يكون مع الله عز وجل، دائماً مع الله يتعلق بالله سبحانه وتعالى، ويرى أن الدنيا كلها وسيلة إلى عبادة الله وطاعته، فيستخدم الدنيا من أجل تحقيق العبودية لله عز وجل؛ لأنها خلقت له، ولا تستخدمه الدنيا. وهذه أعلى الأحوال.

وأصحاب الدنيا هم الذين يخدمونها، هم الذين أتعبوا أنفسهم في تحصيلها. لكن أصحاب الآخرة هم الذين استخدموا الدنيا وخدمتهم الدنيا، ولذلك لا يأخذونها إلا عن طريق رضى الله، ولا يصرفونها إلا في رضى الله عز وجل، فاستخدموها أخذاً وصرفاً، لكن أصحاب الدنيا الذين تعبوا بها سهروا الليالي يراجعون الدفاتر، يراجعون الشيكات، يراجعون المصروفات، يراجعون المدفوعات، يراجعون ما أخذوا وما صرفوا، هؤلاء في الحقيقة استخدمتهم الدنيا ولم يستخدموها، لكن الرجل المطمئن الذي جعل الله رزقه كفافاً يستغني به عن الناس، ولا يشقى به عن طاعة الله، هذا هو الذي خدمته الدنيا، هذه أحوال القلوب، وأحوال القلوب هي أعظم الأحوال الأربع، ولهذا يجب علينا جميعاً أن نراجع قلوبنا كل ساعة، كل لحظة، أين صُرفت أيها القلب؟ أين ذهبت؟ لماذا تنصرف عن الله؟ لماذا تلتفت يميناً وشمالاً؟». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١١٧).

(وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون):

قال ابن تيمية: «وأما هذه الآية ففيها نزاع: قال أبو الفرج: {وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون} فيه قولان: أحدهما: لا يصلون. قاله عطاء بن السائب. والثاني: لا يخضعون له ولا يستكينون له. قاله ابن جرير، واختاره القاضي أبو يعلى. قال: واحتج بها قوم على وجوب سجود التلاوة وليس فيها دلالة على

ذلك. وإنما المعنى: لا يخشعون، ألا ترى أنه أضاف السجود إلى جميع القرآن، والسجود يختص بمواضع منه.

قلت: القول الأول هو الذي يذكره كثير من المفسرين لا يذكرون غيره: كالثعلبي والبغوي، وحكوه عن مقاتل والكلبي، وهو المنقول عن مفسري السلف، وعليه عامة العلماء. وأما القول الثاني: فما علمت أحدا نقله عن أحد من السلف، والذين قالوه إنما قالوه لما رأوا أنه لا يجب على كل من سمع شيئا من القرآن أن يسجد، فأرادوا أن يفسروا الآية بمعنى يجب في كل حال. فقالوا: يخضعون ويستكينون. فإن هذا يؤمر به كل من قرئ عليه القرآن. ولفظ السجود يراد به مطلق الخضوع والاستكانة...

لكن يقال لهم: الخضوع مأمور به، وخضوع الإنسان وخشوعه لا يتم إلا بالسجود المعروف، وهو فرض في الجملة على كل أحد، وهو المراد من السجود المضاف إلى بني آدم: حيث ذكر في القرآن؛ إذ هو خضوع الآدمي للرب، والرب لا يرضى من الناس بدون هذا الخضوع؛ إذ هو غاية خضوع العبد، ولكل مخلوق خضوع بحسبه هو سجوده. وأما أن يكون سجود الإنسان لا يراد به إلا خضوع ليس فيه سجود الوجه: فهذا لا يعرف.

بل يقال: هم مأمورون: إذا قرئ عليهم القرآن بالسجود، وإن لم يكن السجود التام عقب استماع القرآن فإنه لا بد أن يكون بين صلاتين، فإذا قاموا إلى الصلاة فقد أتوا بالسجود الواجب عليهم، وهم لما قرئ عليهم حصل لهم نوع من الخضوع والخشوع باعتقاد الوجوب والعزم على الامتثال. فإذا اعتقدوا وجوب الصلاة وعزموا على الامتثال فهذا مبدأ السجود المأمور به، ثم إذا صلوا فهذا تمامه». «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ١٥١-١٥٢).

وقال ابن تيمية: «كان صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى الناس يدعوهم إلى الإسلام يقرأ عليهم القرآن. ويقرؤه على الناس في الصلاة وغير الصلاة. قال تعالى: {فما لهم لا يؤمنون. وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون}، وقال تعالى: {إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا}، وقال تعالى: {لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته}». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٤٨١).

وقال ابن عثيمين: «ومن علامات الخضوع لله عز وجل عند قراءة القرآن أن الإنسان إذا قرأ آية سجدة سجد لله ذلاً له وخضوعـاً». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٢٠).

(فبشّرهم بعذاب أليم):

قال ابن تيمية: «لفظ البشارة فإنه عند الإطلاق يراد به الإخبار بما يسرّ، كقوله تعالى: (مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ)، ونحو ذلك، ومع التقييد يراد به الإخبار بما يسوء فيقال: (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)». «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (٨/ ٤١٩).

وقال السعدي: «سميت البشارة بشارة، لأنها تؤثر في البشرة سرورًا أو غمًا». «تفسير السعدي» (ص٩١٧).

(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون):

قال ابن القيم – في كلامه عن فرقة القدرية –: «لم يجعلوا لله على العبد منة في إعطائه الجزاء، بل قالوا: ذلك محض حقه الذي لا منة لله عليه فيه، واحتجوا بقوله: {لهم أجر غير ممنون}، قالوا: أي: غير ممنون به عليهم، إذ هو جزاء أعمالهم وأجورها. قالوا: والمنة تكدر النعمة والعطية.

ولم يدع هؤلاء للجهل بالله موضعا، وقاسوا منته على منة المخلوق، فإنهم مشبهة في الأفعال، معطلة في الصفات. وليست المنة في الحقيقة إلا لله، فهو المان بفضله، وأهل سماواته وأهل أرضه في محض منته عليهم، قال تعالى: {يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين}، وقال تعالى لكليمه موسى: {ولقد مننا عليك مرة أخرى}، وقال: {ولقد مننا على موسى وهارون}، وقال: {ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين}. ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار: (ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟) قالوا: الله ورسوله أمنّ. وقالت الرسل لقومهم: {إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده}.

فمنته سبحانه محض إحسانه وفضله ورحمته، وما طاب عيش أهل الجنة فيها إلا بمنته عليهم، ولهذا قال أهلها وقد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون: {إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين. فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم}، فأخبروا لمعرفتهم بربهم وحقه عليهم أن نجاتهم من عذاب السموم بمحض منته عليهم». «شفاء العليل» (١/ ١٩٥-١٩٦).

وقال ابن عثيمين: «{غير ممنون} أي: غير مقطوع، بل هو مستمر أبد الآبدين، والآيات في تأبيد الجنة كثيرة معلومة في الكتاب والسنة، فأجر الآخرة لا ينقطع أبداً، ليس كالدنيا: فيه وقت تثمر الأشجار ووقت لا تثمر، أو وقت تنبت الأرض ووقت لا تنبت، فالجنة الأجر فيها دائم، {ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيـاً}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٢٣).

الوقف في الآية الأخيرة: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون)

لا وقف فيها؛ لأنه كلام متّصل في بيان جزاء المؤمنين.

ومن لم يقدر على قراءة الآية بنفَس واحد وأراد أن يقف وقفا حسنا فإنه يقف على: (لهم أجر)، ثم يعود: (لهم أجر غير ممنون).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الانشقاق ١٦-٢٥

١- تأمل في دخول الليل بالشفق الأحمر، ثم اشتداد ظلامه المؤدّي إلى اجتماع المخلوقات في مساكنها لتسكن وترتاح، وما يُنعم الله فيه بنور القمر وخاصة في أواسط الشهر، ولو جعل الله النهار سرمدا إلى يوم القيامة لم تجد وقتا للسكون والراحة، فاحمد لله على نعمائه وإحسانه (فلا أقسم بالشفق * والليل وما وَسَق * والقمر إذا اتّسق).

٢- اعلم أن هذه الدنيا ليست محل راحة وهدوء واستقرار، وأنها دار تقلب وتحول وتغيّر بين نعمة ومصيبة، وغنى وفقر، وصحة ومرض، ثم موت، ثم قبر، ثم بعث، ثم حساب وجزاء، وأنه لا استقرار لك ولا راحة ولا سكون إلا بدخول الجنة، فاعمل لذلك (لتركبُنّ طبقا عن طبق).

٣- اقرأ القرآن بتدبّر وتفهّم وتعقّل، حتى يظهر أثر ذلك في نفسك بأداء الصلاة لله، والسجود بين يديه، والتسليم لأحكامه، والرضا بقضائه، فتكون مسلما حقا، ومؤمنا صدقا (فما لهم لا يؤمنون * وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون)، واسجد عند قراءة هذه الآية سجدة التلاوة.

٤- كثير من الكفار كفرهم كفر عناد واستكبار بعد تبيّن الحق لهم، وقيام الحجة عليهم، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوّا، فلهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة (بل الذين كفروا يكذبون * والله أعلم بما يوعون * فبشرهم بعذاب أليم).

٥- احرص على تحقيق الإيمان في نفسك، والاستكثار من الأعمال الصالحة، حتى تفوز بثواب عظيم دائم غير مقطوع ولا منقوص في جنة عرضها السماوات والأرض (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المطففين ١-١٧ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة المطففين: مكية.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] تحذير المكذبين الظالمين من يوم القيامة وبشارة المؤمنين به.

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١﴾

هلاك وخسار للمُطَفِّفين.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢﴾

وهم الذين إذا اكتالوا من غيرهم يستوفون حقهم كاملًا دون نقص.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣﴾

وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصون الكيل والميزان؛ وكان ذلك حال أهل المدينة عند هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم – إليهم.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤﴾

ألا يتيقن هؤلاء الذين يفعلون هذا المنكر أنهم مبعوثون إلى الله؟!

﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥﴾

للحساب والجزاء في يوم عظيم لما فيه من المحن والأهوال.

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾

يوم يقوم الناس لرب الخلائق كلها؛ للحساب.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧﴾

ليس الأمر كما تصوّرتم من أنَّه لا بَعْث بعد الموت، إن كتاب أهل الفجور من الكفار والمنافقين لفي خسار في الأرض السفلى.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨﴾

وما أعلمك -أيها الرسول- ما سِجِّين؟!

﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٩﴾

إن كتابهم مكتوب لا يزول، ولا يُزَاد فيه ولا يُنْقص.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠﴾

هلاك وخسار في ذلك اليوم للمكذبين.

﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١﴾

الذين يكذبون بيوم الجزاء الَّذي يجازي فيه الله عباده على أعمالهم في الدنيا.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢﴾

وما يكذب بذلك اليوم إلا كل متجاوز لحدود الله، كثير الآثام.

﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣﴾

إذا تُقْرأ عليه آياتنا المنزلة على رسولنا قال: هي أقاصيص الأمم الأولى، وليست من عند الله.

﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾

ليس الأمر كما تصور هؤلاء المكذبون، بل غلب على عقولهم وغطاها ما كانوا يكسبون من المعاصي، فلم يبصروا الحق بقلوبهم.

﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾

حقا إنهم عن رؤية ربهم يوم القيامة لممنوعون.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦﴾

ثم إنهم لداخلو النار، يعانون حرّها.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾

ثم يقال لهم يوم القيامة تقريعًا لهم: هذا العذاب الَّذي لقيتموه هو ما كنتم تكذبون به في الدنيا عندما يخبركم به رسولكم.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• الجشع من الأخلاق الذميمة في التجار ولا يسلم منه إلا من يخاف الله.

• تذكر هول القيامة من أعظم الروادع عن المعصية

• خطر الذنوب على القلوب.

• حرمان الكفار من رؤية ربهم يوم القيامة.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المطففين ١-١٧

الكلمة	المعنى
ويلٌ	عذاب وهلاك
للمُطفّفين	للذين يبخسون المكيال والميزان عند البيع والشراء
اكتالُوا	اشترَوا بالكَيل، ومثله الوزن
يَستوفُون	يأخذون حقّهم كاملا دون نقص
كَالُوهم أو وزنُوهُم	باعوا غيرهم بالكَيل أو الوزن
يُخسِرُون	يُنقِصون الكَيل والوزن
ألا يَظُنّ	ألا يعتقد ويتيقّن
كتاب الفجّار	كتابَ أعمالهم، أو مصيرِهم
سِجّين	سجن وضيق وشدة، أو الأرض السفلى
كتابٌ مَرقُوم	مكتوب كتابة بيّنة ثابتة لا تزول، ولا يُزاد فيه ولا يُنقص منه
بِيَوم الدين	بِيوم الجزاء، وهو يوم القيامة
مُعتَدٍ	ظالم متجاوز لحدود الله
أساطِير الأوّلين	أباطيل الأمم السابقة المذكورة في كتبهم
ران على قُلوبهم	غلب على قلوبهم وغطّاها
عن رّبهم يومئذ لّمحجوبون	عن رؤية ربهم يوم القيامة لمَحرُومون

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المطففين ١-١٧

(ويل للمطففين):

«عن ابن عباس، قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا، فأنزل الله سبحانه: {ويل للمطففين}، فأحسنوا الكيل بعد ذلك». «سنن ابن ماجه» (٣/ ٣٣٦)، «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٧٧).

وقال البغوي: «{ويل للمطففين} يعني: الذين ينقصون المكيال والميزان، ويبخسون حقوق الناس. قال الزجاج: إنما قيل للذي ينقص المكيال والميزان: مطفف؛ لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلا الشيء اليسير الطفيف». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٥٨).

وقال ابن عثيمين: «كلمة (ويل) تكررت في القرآن كثيراً، وهي على الأصح كلمة وعيد يتوعد الله سبحانه وتعالى بها من خالف أمره، أو ارتكب نهيه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٩٣).

(الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسِرون):

قال البغوي: «{الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون}، وأراد: إذا اكتالوا من الناس، أي: أخذوا منهم و(مِن) و(على) متعاقبان... وأراد: الذين إذا اشتروا لأنفسهم استوفوا في الكيل والوزن...

{وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون} أي: كالوا لهم أو وزنوا لهم، أي: للناس، يقال: وزنتك حقك، وكلتك طعامك، أي: وزنت لك، وكِلت لك، كما يقال: نصحتك ونصحت لك، وكسبتك وكسبت لك». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٦٢).

وقال ابن القيم: «وأما: "كِلْتُ لزيد، ووزَنْتُ له"، فمفعولهما غير زيد؛ لأن مطلوبهما ما يُكال أو يُوْزَن، فالأصل دخول اللام، ثم قد يُحذَف لزيادة فائدة، لأن كيل الطعام ووزنه يتضمن معنى المبايعة والمعاوضة إلا مع حرف اللام؛ فإن قلت: "كِلْت لزيد"، أخبرت بكيل الطعام خاصة، وإذا قلت: "كِلْت

زيدًا"، فقد أخبرت بمعاملته ومبايعته مع الكيل، كأنك قلت: "بايعته بالكيل والوزن". قال تعالى: {وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ} أي: بايعوهم كيلًا ووزنًا.
وأما قوله: {اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ} فإنما دخلت "على" لتؤذِن أنَّ الكيل على البائع للمشتري، ودخلت "التاء" في "اكتالوا" لأن افتعل في هذا الباب كله للأخذ». «بدائع الفوائد» (٢/ ٥٠٤).

وقال ابن كثير: «وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان، فقال: {وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا}، وقال: {وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها}، وقال: {وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان}. وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس في المكيال والميزان». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٤٧).

وقال السعدي: «وإذا كان هذا الوعيد على الذين يبخسون الناس بالمكيال والميزان، فالذي يأخذ أموالهم قهرًا أو سرقة، أولى بهذا الوعيد من المطففين.
ودلت الآية الكريمة، على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له، يجب عليه أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات، بل يدخل في عموم هذا: الحجج والمقالات، فإنه كما أن المتناظرَين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يحرص على ما له من الحجج، فيجب عليه أيضًا أن يبين ما لخصمه من الحجج التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يُعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه، وتواضعُه من كبْره، وعقله من سفهه». «تفسير السعدي» (ص٩١٥).

وقال ابن عثيمين: «وهذا المثال الذي ذكره الله عز وجل في الكيل والوزن هو مثال، فيقاس عليه كل ما يشبهه، فكل من طلب حقه كاملاً ممن هو عليه ومنع الحق الذي عليه فإنه داخل في الآية الكريمة، فمثلاً: الزوج يريد من زوجته أن تعطيه حقه كاملاً ولا يتهاون في شيء من حقه، لكنه عند أداء حقها يتهاون ولا يعطيها الذي لها... كذلك أيضـاً نجد بعض الناس يريد من أولاده أن يقوموا بحقه على التمام لكنه مفرّط في حقهم، فيريد من أولاده أن يبَروه ويقوموا بحقه، أن يبروه في المال، وفي البدن، وفي كل شيء يكون به

البر، لكنه هو مضيع لهؤلاء الأولاد، غير قائم بما يجب عليه نحوهم، نقول: هذا مطفف». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٩٣).

(ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم):

قال ابن عثيمين: «{ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون} يعني: ألا يتيقن هؤلاء ويعلموا علم اليقين؛ لأن الظن هنا بمعنى اليقين، والظن بمعنى اليقين يأتي كثيراً في القرآن، مثل قوله تعالى: {الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون}. فقال: {الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم} وهم يتيقنون أنهم ملاقوا الله، لكن الظن يستعمل بمعنى اليقين كثيراً في اللغة العربية...

{ليوم عظيم} هذا اليوم عظيم، ولا شك أنه عظيم، كما قال تعالى: {إن زلزلة الساعة شيء عظيم}. عظيم في طوله، في أهواله، فيما يحدث فيه، في كل معنى تحمله كلمة عظيم، لكن هذا العظيم هو على قوم عسير، وعلى قوم يسير، قال تعالى: {على الكافرين غير يسير}. وقال تعالى: {يقول الكافرون هذا يوم عسر}، لكنه بالنسبة للمؤمنين ـ جعلنا الله منهم ـ يسير، كأنما يؤدي به صلاة فريضة من سهولته عليه ويسره عليه، لاسيما إذا كان ممن استحق هذه الوقاية العظيمة، وكان من الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فهذا اليوم عظيم، لكنه بالنسبة للناس يكون يسيراً ويكون عسيراً، {يوم يقوم الناس لرب العالمين} قال الله تعالى: (وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً)». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٩٥-٩٦).

(يوم يقوم الناس لرب العالمين):

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «{يوم يقوم الناس لرب العالمين} حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه». «صحيح البخاري» (٦/ ١٦٧).

وقال القرطبي: «وفي هذا الإنكار والتعجيب، وكلمة الظن، ووصف اليوم بالعظيم، وقيام الناس فيه لله خاضعين، ووصف ذاته برب العالمين، بيان بليغ لعظم الذنب، وتفاقم الإثم في التطفيف». «تفسير القرطبي» (١٩/ ٢٥٥).

وقال ابن عثيمين: «{يوم يقوم الناس لرب العالمين} يقومون من قبورهم حفاة ليس لهم نعال ولا خفاف، عراة ليس عليهم ثياب: لا قُمص ولا سراويل ولا أزر ولا أردية، غرلاً أي: غير مختونين، بمعنى أن القُلفة التي تقطع في الختان تعود يوم القيامة مع صاحبها، كما قال الله تعالى: {كما بدأنا أول خلق نعيده}. ويعيده الله عز وجل لبيان كمال قدرته تعالى، وأنه يعيد الخلق كما بدأهم... فالناس يقومون على هذا الوصف حفاة، عراة، غرلًا، وفي بعض الأحاديث: (بُهمًا) قال العلماء: البُهم يعني: الذين لا مال معهم، ففي يوم القيامة لا مال يفدي به الإنسان نفسه من العذاب في يوم القيامة، ليس هناك ابن يجزي عن أبيه شيئًا، ولا أب يجزي عن ابنه شيئًا، ولا صاحبة، ولا قبيلة، كلٌّ يقول: نفسي نفسي. {لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه}. نسأل الله تعالى أن يعيننا على أهواله وأن ييسره علينا». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٩٦).

(كلا إن كتاب الفجار لفي سجّين * وما أدراك ما سجّين):

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب. قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط}، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا. ثم قرأ: {ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق}». «مسند أحمد» (٣٠/ ٥٠١-٥٠٢).

وقال ابن تيمية: «قابل الله تعالى بين عليين وبين سجين في كتابه، فقال: (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين)، وقال: (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين) ،ولم يقل: في سِفلين، كما لم يقل هناك: في وِسعين؛ ليبين الضيق والحرج الذي في المكان، كما بين سفوله بمقابلته بعليين، وبين أيضا سعة عليين بمقابلة سجين، فيكون قد دل على العلو والسعة التي للأبرار، وعلى السفول والضيق الذي للفجار». «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» (٤/ ٣١).

وقال ابن كثير: «يقول: حقا {إن كتاب الفجار لفي سجين} أي: إن مصيرهم ومأواهم لفي سجين -فعيل من السجن، وهو الضيق- كما يقال: فسّيق وشرّيب وخمّير وسكّير، ونحو ذلك. ولهذا عظّم أمره فقال: {وما أدراك ما سجين}؟ أي: هو أمر عظيم، وسجن مقيم وعذاب أليم...
والصحيح أن "سجينا" مأخوذ من السجن، وهو الضيق، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق، وكل ما تعالى منها اتسع، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها، حتى ينتهي السفول المطلق والمحل الأضيق إلى المركز في وسط الأرض السابعة». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٤٩).

وقال ابن عثيمين: «{كلا} إذا وردت في القرآن لها معانٍ حسب السياق، قد تكون حرف ردع وزجر، وقد تكون بمعنى حقًّا، وقد يكون لها معانٍ أخرى يعيّنها السياق؛ لأن الكلمات في اللغة العربية ليس لها معنى ذاتي لا تتجاوزه، بل كثير من الكلمات العربية لها معانٍ تختلف بحسب سياق الكلام، في هذه الآية يقول الله عز وجل: {كلا إن كتاب الفجار لفي سجين} فتحتمل أن تكون بمعنى: حقًّا إن كتاب الفجار لفي سجين، أو تكون بمعنى: الردع عن التكذيب بيوم الدين». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٩٧).

(كتاب مرقوم):

قال البغوي: «{كتاب مرقوم} ليس هذا تفسير السجين، بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله: (إن كتاب الفجار) أي: هو كتاب مرقوم، أي: مكتوب فيه أعمالهم، مثبتة عليهم، كالرقم في الثوب، لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا به». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٦٤).

(ويل يومئذ للمكذّبين * الذين يكذبون بيوم الدين):

قال ابن عثيمين: «{الذين يكذبون بيوم الدين} أي: يكذبون بيوم الجزاء، وهو يوم القيامة؛ هؤلاء الذين يكذبون بيوم الدين توعدهم الله بالويل؛ لأن هؤلاء المكذبين بيوم الدين لا يمكن أن يستقيموا على شريعة الله. لا يستقيم على شريعة الله إلا من آمن بيوم الدين؛ لأن من لم يؤمن به وإنما آمن بالحياة فقط، فهو لا يهتم بما وراءها، ولا يعمل لذلك، وإنما يبقى كالأنعام، (يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم). والله يقرن الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر دائمـًا؛ لأن الإيمان بالله ابتداء، والإيمان باليوم الآخر انتهاء. فتؤمن بالله ثم تعمل لليوم الآخر الذي هو المقر، فهؤلاء ـ والعياذ بالله ـ كذبوا بيوم الدين، ومن كذب به لا يمكن أن يعمل له أبداً؛ لأن العمل مبني على عقيدة، فإذا لم يكن هناك عقيدة فلا عمل، ولهذا قال: {وما يكذب به إلا كل معتدٍ أثيم} أي: ما يكذب بيوم الدين وينكره {إلا كل معتد أثيم}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٩٨-٩٩).

(إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين):

قال ابن كثير: «{إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين} أي: إذا سمع كلام الله من الرسول يكذب به، ويظن به ظن السوء، فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل، كما قال تعالى: {وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين}، وقال: {وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٥٠).

وقال ابن عثيمين: «{قال أساطير الأولين} أي: هذه أساطير الأولين، وأساطير: جمع أسطورة، وهي الكلام الذي يذكر للتسلي ولا حقيقة له ولا أصل له، فيقول: هذا القرآن أساطير الأولين، ولم ينتفع بالقرآن، وهو أبلغ الكلام وأشده تأثيراً على القلب، حتى قال الله تعالى: {إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد}. لأنه يكذب بيوم الدين، وما يكذب به إلا كل معتدٍ أثيم، فلم يكن مؤمنًا، فلم يصل نور آيات الله عز وجل إلى قلبه، بل يراها مثل أساطير الأولين التي يتكلم بها العجائز وليس لها أي حقيقة، وليس فيها أي جدّ». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٩٩).

(كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون):

قال الطبري: «(ران على قلوبهم). يقول: غلب على قلوبهم وغمرها وأحاطت بها الذنوب فغطتها، يقال منه: رانت الخمر على عقله، فهي ترين عليه رينا، وذلك إذا سكر، فغلبت على عقله». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٨٦).

وقال القرطبي: «يقول: كثرت المعاصي منهم والذنوب، فأحاطت بقلوبهم، فذلك الرين عليها.

وروي عن مجاهد أيضا قال: القلب مثل الكف ورفع كفه، فإذا أذنب العبد الذنب انقبض، وضم إصبعه، فإذا أذنب الذنب انقبض، وضم أخرى، حتى ضم أصابعه كلها، حتى يطبع على قلبه. قال: وكانوا يرون أن ذلك هو الرين، ثم قرأ: (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون). ومثله عن حذيفة رضي الله عنه سواء.

وقال بكر بن عبد الله: إن العبد إذا أذنب صار في قلبه كوخزة الإبرة، ثم صار إذا أذنب ثانيا صار كذلك، ثم إذا كثرت الذنوب صار القلب كالمنخل، أو كالغربال، لا يعي خيرا، ولا يثبت فيه صلاح». «تفسير القرطبي» (١٩/ ٢٥٩).

وقال ابن تيمية: «قال حذيفة: إن الإيمان يبدو في القلب لمظةً بيضاء، فكلما ازداد العبد إيمانا ازداد قلبه بياضا، فلو كشفتم عن قلب المؤمن لرأيتموه أبيض مشرقا. وإن النفاق يبدو منه لمظةٌ سوداء فكلما ازداد العبد نفاقا ازداد قلبه سوادا، فلو كشفتم عن قلب المنافق لوجدتموه أسود مربدا.

وقال صلى الله عليه وسلم: (إن النور إذا دخل القلب انشرح وانفسح) قيل: فهل لذلك من علامة يا رسول الله؟ قال: (نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله)». «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٢٨٣).

وقال ابن القيم: «وإضعاف المعاصي للإيمان أمرٌ معلومٌ بالذوق والوجود، فإنَّ العبد كما جاء في الحديث: «إذا أذنب نُكِت في قلبه نكتةٌ سوداء، فإن تاب واستغفر صُقِل قلبُه، وإن عاد فأذنب نكت فيه نكتةٌ أخرى حتَّى تعلوَ قلبَه، وذلك الرَّان الذي قال الله: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.

فالقبائح تسوِّد القلب وتطفئ نوره. والإيمانُ هو نورٌ في القلب، والقبائح تَذهب به أو تقلِّله قطعًا، فالحسنات تزيد نور القلب، والسّيِّئات تطفئ نور القلب. وقد أخبر تعالى أنَّ كسب القلوب سببٌ للرَّان الذي يعلوها». «مدارج السالكين» (٢/ ٢٤٢).

وقال ابن القيم: «المكاشفة الصّحيحة: علومٌ يُحدِثها الرّبُّ تعالى في قلب العبد، ويُطلِعه بها على أمورٍ تخفى على غيره، وقد يُواليها سبحانه، وقد يُمسِكها عنه بالغفلة عنها، يُوارِيها عنه بالغَيْن الذي يَغشى قلبَه وهو أرقُّ الحجب، أو بالغَيْم وهو أغلظُ منه، أو بالرَّانِ وهو أشدُّها.

فالأوّل: يقع للأنبياء، كما قال النّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «إنّه لَيُغَانُ على قلبي، وإنِّي لأستغفر الله في كل يوم أكثرَ من سبعينَ مرّةً».

والثّاني: يكون للمؤمنين

والثّالث: لمن غلبت عليه الشِّقوة، قال تعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}. قال ابن عبّاسٍ وغيره: هو الذّنب بعد الذّنب يُغطِّي القلبَ حتّى يصير كالرَّانِ عليه». «مدارج السالكين» (٤/ ١١٠).

وقال ابن القيم: «منعتهم الذنوب أن يقطعوا المسافة بينهم وبين قلوبهم، فيصلوا إليها، فيروا ما يصلحها ويزكيها، وما يفسدها ويشقيها. وأن يقطعوا المسافة بين قلوبهم وبين ربهم، فتصل القلوب إليه، فتفوز بقربه وكرامته، وتقرّ به عينا، وتطيب به نفسا، بل كانت الذنوب حجابا بينهم وبين قلوبهم، وحجابا بينهم وبين ربهم وخالقهم». «الداء والدواء» (١/ ٢٧٨).

وقال السعدي: «وفي هذه الآيات، التحذير من الذنوب، فإنها ترين على القلب وتغطيه شيئا فشيئا، حتى ينطمس نوره، وتموت بصيرته، فتنقلب عليه الحقائق، فيرى الباطل حقًا، والحق باطلا، وهذا من بعض عقوبات الذنوب». «تفسير السعدي» (ص٩١٦).

وقال ابن عثيمين: «الأعمال السيئات تحول بين المرء وبين الهدى، كما قال الله تعالى: {والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم}. فمن اهتدى بهدي الله واتبع ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه، وصدّق بما أخبر الله به، وفعل مثل ذلك فيما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلا شك أن قلبه يستنير، وأنه يرى الحق حقًّا، ويرى الباطل باطلاً، ويعظم آيات الله عز وجل، ويرى أنها فوق كل كلام، وأن هدي محمد صلى الله عليه وسلّم فوق كل هدي، هذا من أنار الله قلبه بالإيمان. أما من تلطخ قلبه بأرجاس المعاصي وأنجاسها فإنه لا يرى هذه الآيات حقًّا، بل لا يراها إلا أساطير الأولين، كما في هذه الآية. {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٠٠).

(كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون):

قال البغوي: «قال بعضهم: عن كرامته ورحمته ممنوعون، وقال قتادة: هو ألا ينظر إليهم ولا يزكيهم. وقال أكثر المفسرين: عن رؤيته.

قال الحسن: لو علم الزاهدون العابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا.

قال الحسين بن الفضل: كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٦٥-٣٦٦).

وقال ابن تيمية: «روى ابن بطة بإسناده عن أشهب قال: قال رجل لمالك: يا أبا عبد الله هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعيّر الله الكفار بالحجاب، قال تعالى: {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون}...

قال الشافعي: في كتاب الله: {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون} دلالة على أن أولياءه يرونه على صفته.

وعن حنبل بن إسحاق قال: سمعت أبا عبد الله – يعني: أحمد بن حنبل – يقول: أدركت الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئا – أحاديث الرؤية –، وكانوا يحدثون بها على الجملة، يمرونها على حالها، غير منكرين لذلك ولا مرتابين. قال أبو عبد الله: {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون} فلا يكون حجاب إلا لرؤية، فأخبر الله أن من شاء الله ومن أراد فإنه يراه؛ والكفار لا يرونه». «مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٩٩).

وقال ابن القيم: «عذاب الحجاب من أعظم أنواع العذاب الذي يعذَّب به أعداؤه، ولذة النظر إلى وجهه الكريم أعظمُ أنواع اللذات التي ينعَّم بها أولياؤه، ولا تقومُ حظوظُهم من سائر المخلوقات مقامَ حظِّهم من رؤيته، وسماع كلامه، والدنو منه وقربه». «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (١/ ١٢٤).

وقال السعدي: «ذكر لهم ثلاثة أنواع من العذاب: عذاب الجحيم، وعذاب التوبيخ واللوم، وعذاب الحجاب من رب العالمين، المتضمن لسَخطه وغضبه عليهم، وهو أعظم عليهم من عذاب النار». «تفسير السعدي» (ص٩١٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة المطففين ١-١٧

١- عامل الناس كما تحب أن يعاملوك في البيع والشراء، بل وفي عامة التعاملات، فكن عدلا معهم قبل أن تطالبهم بالعدل معك، وكن صادقا معهم قبل أن تطالبهم بالصدق معك، وكن متأدبا معهم قبل أن تطالبهم بالأدب معك، واحذر كل الحذر أن تكون من المطففين الذين يطالبون غيرهم بالعدل والأدب والصدق وهم ظلمة كذبة عديمو الأدب. (ويلٌ للمطفّفين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسِرون)، وإذا كانت هذه العقوبة العظيمة لمن يُنقص شيئا يسيرا من المكاييل والموازين عند البيع مع استيفائه لحقه كاملا عند الشراء، فكيف بمن يأكل أموال الناس ظلما بالسرقة أو الغصب أو الاختلاس أو عدم ردّ الدَّين؟!

٢- عامّة المعاصي إنما يقع فيها المسلم لضعف استحضاره لليوم الآخر، وغفلته عن لحظة وقوفه بين يدي الرب سبحانه وتعالى للحساب والجزاء، فراقب نفسك، وذكّرها باليوم الآخر، وأيقظ فيها عظمة الوقوف بين يدي الله ليحيى قلبك، فتنفر عن الذنوب والمعاصي، وتأنس بالطاعات والقربات (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين).

٣- الكافر الذين لا يؤمن بالآخرة أصلا إنما يرفض الإيمان باليوم الآخر وما فيه من الحساب والجزاء والجنة والنار حتى لا يكون ذلك عائقا بينه وبين ارتكاب الفواحش، والتعدي على الناس، وإهمال الحقوق والواجبات، فإن مات على كفره استحقّ الحجب عن رؤية رب العالمين، وصلي عذاب الجحيم، واللوم والتوبيخ (كلا إن كتاب الفجار لفي سجّين * وما أدراك ما سجّين * كتاب مرقوم * ويل يومئذ للمكذبين * الذين يكذّبون بيوم الدين * وما يكذّب به إلا كل معتد أثيم)، (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم إنهم لصالوا الجحيم * ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون).

٤- احذر الذنوب والمعاصي، فإن كل ذنب تقترفه ولا تتوب منه يحجب عن قلبك شيئا من الحق والهدى، ويختلف ذلك باختلاف درجة الذنب كِبرا وصِغرا، فإذا كثرت الذنوب حتى غطّت أكثر القلب حجبت عنك كثيرا من معرفة الحق وحرمتك من العمل به، فإن تغطّى القلب كليا بالذنوب انتكس وعمي عن معرفة الحق حتى يَخرج صاحبه من الإسلام إلى الكفر أعاذنا الله من ذلك،

فأكثر من التوبة والاستغفار حتى تمحو أثر الذنوب عن قلبك، فتبصر الحق جليا واضحا، وتفهم آيات القرآن وحججه، وتوفّق للعمل به (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين * كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون).

٥- أكثر من سؤال الله أن يرزقك لذة النظر إلى وجهه الكريم والشوق إلى لقائه في غير ضراء مضرة ولا فتنة مُضلة، وابذل السبب المؤدّي إلى الفوز بذلك من ترك الذنوب والمعاصي وإن كانت محبوبة إلى النفس، وفعل الطاعات والقربات وإن ثقُلت عليك، واعلم أن من انحجب قلبه عن رؤية الحق والعمل به بسبب الذنوب في الدنيا انحجب بصره عن رؤية الرب الملك العظيم الجليل يوم القيامة – وما أعظمها من خسارة! – (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة المطففين ١٨-٣٦ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾

ليس الأمر كما تصورتم من أنَّه لا حساب ولا جزاء، إن كتاب أصحاب الطاعة لفي عِلِّيين.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩﴾

وما أعلمك -أيها الرسول- ما عِلِّيُّون؟!

﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠﴾

إن كتابهم مكتوب لا يزول، ولا يُزَاد فيه ولا يُنْقص.

﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١﴾

يحضر هذا الكتاب مقربو كل سماء من الملائكة.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢﴾

إن المكثرين من الطاعات لفي نعيم دائم يوم القيامة.

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣﴾

على الأسرّة المزينة ينظرون إلى ربهم، وإلى كل ما يبهج نفوسهم ويسرهم.

﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤﴾

إذا رأيتهم رأيت في وجوههم أثر التنعّم حُسْنًا وبهاء.

﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥﴾

يسقيهم خدمهم من خمر مختوم على إنائها.

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾

تفوح رائحة المسك منه إلى نهايته، وفي هذا الجزاء الكريم يجب أن يتسابق المتسابقون بالعمل بما يرضي الله، وترك ما يسخطه.

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧﴾

يُخْلط هذا الشراب المختوم من عين تَسْنيم.

﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾

وهي عين في أعلى الجنّة يشرب منها المقربون صافية خالصة، ويشرب سائر المؤمنين منها، مخلوطة بغيرها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩﴾

إن الذين أجرموا بما كانوا عليه من الكفر كانوا من الذين آمنوا يضحكون استهزاءً بهم.

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠﴾

وإذا مرّوا بالمؤمنين غمز بعضهم لبعض سخرية وتَنَدُّرًا.

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١﴾

وإذا رجعوا إلى أهليهم رجعوا فرحين بما هم عليه من الكفر والاستهزاء بالمؤمنين.

﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢﴾

وإذا شاهدوا المسلمين قالوا: إن هؤلاء لضالون عن طريق الحق، حيث تركوا دين آبائهم.

﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣﴾

وما وكلهم الله على حفظ أعمالهم حتَّى يقولوا قولهم هذا.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤﴾

فيوم القيامة الذين آمنوا بالله يضحكون من الكفار كما كان الكفار يضحكون منهم في الدنيا.

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥﴾

على الأسرّة المزينة ينظرون إلى ما أعدّ الله لهم من النعيم الدائم.

﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾

لَقَدْ جُوزِي الكفار على أعمالهم التي عملوها في الدنيا بالعذاب المُهِين.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• السخرية من أهل الدين صفة من صفات الكفار.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة المطففين ١٨-٣٦

الكلمة	المعنى
عِلّيّين	مرتبةٍ عاليةٍ في الجنّة
كتاب مرقوم	مكتوب كتابة بيّنة ثابتة لا تزول، ولا يُزاد فيه ولا يُنقص منه
يشهده المُقرّبون	يحضره ويطّلع عليه الملائكة المقرّبون
الأرائك	الأسرّةِ المزيّنة والمجالس الفاخرة
نَضرةَ النعيم	أثرَ التنعّم حُسنا وبهاءً
رحيقٍ مختوم	خمرٍ صافيةٍ لم يمسّها أحد قبلهم
ختامه مسك	آخره رائحة المسك، أو أن الإناء مغلق بالمسك بدل الطين
ومِزَاجُه	والشيءُ الذي يُخلط به
تَسنيم	عينٍ في أعلى الجنة
يتغامزون	يغمز بعضهم لبعض بالأعين سخرية واستهزاء
انقلبوا	رجعوا
فَكِهِين	فرحين بما هم عليه من الكفر والاستهزاء بالمؤمنين، أو: يتفكّهون مع أهليهم أيضا بالاستهزاء بالمؤمنين
حافظين	رقباءَ يُحصُون أعمالهم
ثُوِّب الكفار	جُوزُوا على أعمالهم

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة المطففين ١٨-٣٦

(كلا إن كتاب الأبرار لفي علّيّين * وما أدراك ما علّيّون * كتاب مرقوم * يشهده المقرّبون):

قال البغوي: «تقدير الآية على التقديم والتأخير، مجازها: إن كتاب الأبرار كتاب مرقوم في عليين، وهو محل الملائكة، ومثله: إن كتاب الفجار كتاب مرقوم في سجين، وهو محل إبليس وجنده». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٦٧).

وقال ابن القيم: «أخبر تعالى أن كتابهم كتابٌ مرقوم، تحقيقا لكونه مكتوبا كتابة حقيقية، وخصّ تعالى كتاب الأبرار بأنه يُكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار تنويها بكتاب الأبرار، وما وقع لهم به، وإشهارا له، وإظهارا بين خواصّ خلقه، كما تكتب الملوك تواقيع من تعظّمه بين الأمراء وخواصّ أهل المملكة تنويها باسم المكتوب له، وإشادة بذكره، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده.

وروى الإمام أحمد في مسنده، وابن حبان، وأبو عوانة الإسفراييني في صحيحيهما من حديث المنهال، عن زاذان عن البراء ابن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبر وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير، وهو يُلحد له، فقال: (أعوذ بالله من عذاب القبر) ثلاث مرات، ثم قال: (إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا؛ تنزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس، مع كل واحد منهم كفن وحنوط، فجلسوا منه مد بصره، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة: اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدَعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون بها -يعني على ملأ من الملائكة- إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان. بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، ويشيّعه من كل سماء مقرّبوها إلى السماء التي تليها؛ حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في

عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما عِلمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، قال: فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من رَوحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي». «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (١/ ١٤١-١٤٢).

(إن الأبرار لفي نعيم * على الأرائك ينظرون):

قال ابن القيم: «قال في حق الأبرار: {إن الأبرار لفي نعيم. على الأرائك ينظرون}، وهضم معنى الآية من قال: ينظرون إلى أعدائهم يعذبون، أو ينظرون إلى قصورهم وبساتينهم، أو ينظر بعضهم إلى بعض. وكل هذا عدول عن المقصود إلى غيره، وإنما المعنى ينظرون إلى وجه ربهم، ضد حال الكفار الذين هم عن ربهم محجوبون». «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (١/ ٤٩).

وقال ابن كثير: «قيل: معناه: ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد. وقيل: معناه {على الأرائك ينظرون} إلى الله عز وجل. وهذا مقابلة لما وَصف به أولئك الفجار: {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون}، فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم، كما تقدم في حديث ابن عمر: (إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أعلاه لمن ينظر إلى الله في اليوم مرتين)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٥٢).

وقال ابن عثيمين: «والنعيم هنا يشمل نعيم البدن ونعيم القلب، أما نعيم البدن فلا تسأل عنه فإن الله سبحانه وتعالى قال في الجنة: {وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون}. وقال تعالى: {فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون}. وأما نعيم القلب فلا تسأل عنه أيضـًا فإنهم يقال لهم وقد شاهدوا الموت قد ذبح يقال لهم: (يا أهل الجنة خلود ولا موت)، ويقال لهم: (ادخلوها بسلام)، ويقال لهم: (إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، وأن تصحوا فلا تمرضوا أبدا، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً)... والملائكة يدخلون عليهم من كل باب يقولون: {سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٠٣).

(تعرف في وجوههم نضرة النعيم):

قال البغوي: «{تعرف في وجوههم نضرة النعيم} إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة مما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٦٧).

(يُسقون من رحيق مختوم * ختامه مسك):

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مؤمن سقى مؤمنا على ظمإ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن كسا مؤمنا على عري كساه الله من خضر الجنة». «مسند أحمد» (١٧/ ١٦٧)، «سنن أبي داود» (٣/ ١١٠)، «سنن الترمذي» (٤/ ٦٣٣).

وقال البغوي: «{مختوم} ختم ومنع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه الأبرار.

وقال مجاهد: (مختوم) أي: مطين. {ختامه} أي: طينه {مسك}...

قال ابن زيد: ختامه عند الله مسك، وختام خمر الدنيا طين.

وقال ابن مسعود: (مختوم) أي: ممزوج ختامه أي: آخر طعمه وعاقبته مسك، فالمختوم الذي له ختام، أي آخر، وختم كل شيء الفراغ منه.

وقال قتادة: يمزج لهم بالكافور، ويختم بالمسك». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٦٧).

وقال السعدي: «{خِتَامُهُ مِسْكٌ} يحتمل أن المراد: مختوم عن أن يداخله شيء ينقص لذته، أو يفسد طعمه، وذلك الختام الذي ختم به مسك.
ويحتمل أن المراد: أنه الذي يكون في آخر الإناء، الذي يشربون منه الرحيق حُثالة، وهي المسك الأذفر، فهذا الكدر منه الذي جرت العادة في الدنيا أنه يراق، يكون في الجنة بهذه المثابة». «تفسير السعدي» (ص٩١٦).

وقال ابن عثيمين: «الضمير في قوله: {يُسقون} يعني الأبرار، يسقيهم الله عز وجل بأيدي الخدم الذين وصفهم الله بقوله: {يطوف عليهم ولدان مخلدون. بأكواب وأباريق وكأس من معين. لا يصدعون عنها ولا يُنزِفون}. {يسقون من رحيق} أي: من شراب خالص لا شوب فيه ولا ضرر فيه على العقل، ولا ألم فيه في الرأس، بخلاف شراب الدنيا فإنه يغتال العقل ويصدع الرأس. أما هذا فإنه رحيق خالص ليس فيه أي أذى {مختوم. ختامه مسك} أي: بقيته وآخره مسك، أي: طيّب الريح. بخلاف خمر الدنيا فإنه خبيث الرائحة. فهؤلاء القوم الأبرار لما حبسوا أنفسهم عن الملاذ التي حرمها الله عليهم في الدنيا أُعطوها يوم القيامة». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٠٤).

(وفي ذلك فليتنافس المتنافسون):

قال ابن تيمية: «{وفي ذلك فليتنافس المتنافسون} فأمر المنافس أن ينافس في هذا النعيم، لا ينافس في نعيم الدنيا الزائل، وهذا موافق لحديث النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه نهى عن الحسد إلا فيمن أوتي العلم فهو يعمل به ويعلّمه، ومن أوتي المال فهو ينفقه، فأما من أوتي علما ولم يعمل به ولم يعلمه أو أوتي مالا ولم ينفقه في طاعة الله فهذا لا يُحسد ولا يُتمنى مثل حاله، فإنه ليس في خير يرغب فيه، بل هو معرّض للعذاب». «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١١٣).

وقال ابن تيمية: «وكان بين الأوس والخزرج منافسةٌ على الدين، فكان هؤلاء إذا فعلوا ما يفضُلون به عند الله ورسوله أحب الآخرون أن يفعلوا نظير ذلك، فهو منافسة فيما يقربهم إلى الله، كما قال: {وفي ذلك فليتنافس المتنافسون}». «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٢٠).

وقال ابن القيم: «والفرق بين المنافسة والحسد: أن المنافسة المبادرة إلى الكمال الذي تشاهده من غيرك، فتنافسه فيه، حتى تلحقه أو تجاوزه. فهي من شرف النفس وعلو الهمة وكبر القدر. قال تعالى: {وفي ذلك فليتنافس المتنافسون}. وأصلها من الشيء النفيس الذي تتعلق به النفوس طلبا ورغبة، فتنافس فيه كل من النفسين الأخرى، وربما فرحت إذا شاركتها فيه، كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتنافسون في الخير، ويفرح بعضهم ببعض باشتراكهم فيه، بل يحض بعضهم بعضا عليه مع تنافسهم فيه. وهي نوع من المسابقة، وقد قال تعالى: {فاستبقوا الخيرات}، وقال تعالى: {سابقوا إلى مغفرة من ربكم}.

وكان عمر بن الخطاب يسابق أبا بكر فلم يظفر بسبقه أبدا. فلما علم أنه قد استولى على الأمد، قال: والله لا أسابقك إلى شيء أبدا! وقال: والله ما سابقته إلى خير إلا وجدته قد سبقني إليه.

والمتنافسان كعبدين بين يدي سيدهما يتباريان ويتنافسان في مرضاته، ويتسابقان إلى محابه، فسيدهما يعجبه ذلك منهما ويحثهما عليه، وكل منهما يحب الآخر ويحرضه على مرضاة سيده.

والحسد خلق نفس ذميمة وضيعة ساقطة، ليس فيها حرص على الخير. فلعجزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير والمحامد ويفوز بها دونها، وتتمنى أن لو فاته كسبُها حتى يساويها في العدم». «الروح» (٢/ ٧٠٣-٧٠٤).

وقال ابن القيم: «والمنافسة هي كمال الرّغبة في الشّيء، ومنعُ الغير منه إن لم تُمدح فيه المشاركة، والمسابقة إليه إن مُدِحت فيه المشاركة. قال تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}. وبين المنافسة والغِبطة جمعٌ وفرقٌ، وبينهما وبين الحسد أيضًا جمعٌ وفرقٌ. فالمنافسة تتضمّن مسابقةً واجتهادًا

وحرصًا. والحسد يدلُّ على مهانة الحاسد وعجزه، وإلّا فنافِسْ مَن حسدتَه، فذلك أنفعُ لك من حسدِه، كما قيل: إذا أعجبتْك خلالُ امرئٍ ... فكُنْه يكنْ منك ما يُعجِبُكْ

فليسَ على الجودِ والمكْرُمات ... إذا جِئتَها حاجبٌ يَحجُبكْ». «مدارج السالكين» (٣/ ٤٢٦).

(ومزاجه من تسنيم):

قال ابن القيم: «والتسنيم أعلى أشربة الجنة. فأخبر سبحانه أن مزاج شراب الأبرار من التسنيم، وأن المقربين يشربون منه بلا مزاج. ولهذا قال: {عينا يشرب بها المقربون} كما قال في سورة الإنسان سواء. قال ابن عباس وغيره: يشرب بها المقربون صِرفا، وتُمزج لأصحاب اليمين مزجا. وهذا لأن الجزاء وفاق العمل، فكما خلصت أعمال المقربين كلها لله خلص شرابهم؛ وكما مزج الأبرار الطاعات بالمباحات مزج لهم شرابهم. فمن أخلص أُخلص شرابه، ومن مزج مُزج شرابه». «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (١/ ٤٢٢).

(عينا يشرب بها المقرّبون):

قال ابن القيم: «{عينا يشرب بها المقربون} ولم يقل: "منها"، إشعارا بأن ريهم بالعين نفسها خالصة، لا بها وبغيرها. فضمّن (يشرب) معنى (يروى) فعدّى بالباء. وهذا ألطف مأخذا وأحسن معنى من أن تجعل الباء بمعنى "مِن"». «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (١/ ٤٢١).

(إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * وإذا مرّوا بهم يتغامزون):

قال ابن تيمية: «الكفار بالرسل من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب وقوم إبراهيم وموسى ومشركي العرب والهند والروم والبربر والترك واليونان والكشدانيين وسائر الأمم المتقدمين والمستأخرين يتبعون ظنونهم وأهواءهم، ويعرضون عن ذكر الله الذي آتاهم من عنده... ثم إنهم مع أنهم ما نزل الله بما هم عليه من سلطان {إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس}، يزعمون أن لهم العقلَ والرأي والقياس العقلي والأمثال المضروبة، ويسمون أنفسهم الحكماء والفلاسفة، ويدّعون الجدل

والكلام والقوة والسلطان والمال، ويصفون أتباع المرسلين بأنهم سفهاء وأراذل وضلال، ويسخرون منهم، قال الله تعالى: {فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون}، وقال: {وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون}، وقال تعالى: {إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون} إلى قوله {وما أرسلوا عليهم حافظين}، وقال تعالى عن قوم نوح: {أنؤمن لك واتبعك الأرذلون}، وقالوا: {وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي}، وقال: {زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا}، وقال: {وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه}. بل هم يصفون الأنبياء بالجنون والسفه والضلال وغير ذلك، كما قالوا عن نوح: {مجنون وازدجر}، وقالوا: {إنا لنراك في ضلال مبين}، ولهود: {إنا لنراك في سفاهة}». «مجموع الفتاوى» (١٢/ ١٠-١١).

(وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين):

قال السعدي: «{انْقَلَبُوا فَكِهِينَ} أي: مسرورين مغتبطين، وهذا من أعظم ما يكون من الاغترار، أنهم جمعوا بين غاية الإساءة والأمن في الدنيا، حتى كأنهم قد جاءهم كتاب من الله وعهد: أنهم من أهل السعادة». «تفسير السعدي» (ص٩١٦).

(وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون):

قال ابن عثيمين: «ولقد كان لهؤلاء السلف خلف في زماننا اليوم وما قبله وما بعده، من الناس من يقول عن أهل الخير: إنهم رجعيون، إنهم متخلفون، ويقولون عن المستقيم: إنه متشدد متزمت، وفوق هذا كله من قالوا للرسل عليهم الصلاة والسلام: إنهم سحرة أو مجانين، قال الله تعالى: {كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون}. فورثة الرسل من أهل العلم والدين سينالهم من أعداء الرسل ما نال الرسل من ألقاب السوء والسخرية وما أشبه ذلك». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٠٧).

(وما أُرسلوا عليهم حافظين):

قال ابن كثير: «أي: وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدر من أعمالهم وأقوالهم، ولا كلّفوا بهم؟ فلِمَ اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم، كما قال تعالى: {قال اخسئوا فيها ولا تكلمون. إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين. فاتخذتموهم سِخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون. إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٥٤).

(فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون):

قال البغوي: «قال أبو صالح: وذلك أنه يفتح للكفار في النار أبوابها، ويقال لهم: اخرجوا، فإذا رأوها مفتوحة أقبلوا إليها ليخرجوا، والمؤمنون ينظرون إليهم فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم، يُفعل ذلك بهم مرارا، والمؤمنون يضحكون.

وقال كعب: بين الجنة والنار كوى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له كان في الدنيا، اطلع عليه من تلك الكوى، كما قال: (فاطلع فرآه في سواء الجحيم)، فإذا اطلعوا من الجنة إلى أعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا، فذلك قوله عز وجل: (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون)». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٦٩).

وقال ابن عثيمين: «وهذا والله هو الضحك الذي لا بكاء بعده، أما ضحك المجرمين بالمؤمنين في الدنيا فسيعقبه البكاء والحزن والويل والثبور». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٠٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة المطففين ١٨-٣٦

١- اقرأ كثيرا عن نعيم الجنة الوارد في القرآن والسنة، ففيها والله النعيم الكبير الدائم الذي لم تره عين، ولم تسمعه أذن، ولم يخطر على قلب بشر، وفيها ستلقى الأحبة، محمدا صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه، وكل من أحببتهم في الله وأحبوك فيه، وهناك لا همّ يعتريك، ولا غمّ ينغّص عليك، ولا مرض يؤلمك، ولا عدوّ يتربّص بك، ولا حسد، ولا حقد، ولا غِلّ، ولا كِبْر، والملائكة يدخلون عليك مسلّمين مبشّرين مهنّئين، وفوق ذلك كله تفوز بالنظر إلى وجه ربك الكريم، فهذا النعيم والله هو الذي يستحق أن تُنافس فيه، وتسابق إليه، وتسارع للفوز به، فلا تشغلنّك الدنيا الدنيّة الفانية الزائلة المنغّصة بالأمراض والمصائب والهموم والغموم والحقد والحسد عن ذلك النعيم العظيم (كلا إن كتاب الأبرار لفي علّيّين * وما أدراك ما علّيّون * كتاب مرقوم * يشهده المقرّبون * إن الأبرار لفي نعيم * على الأرائك ينظرون * تعرف في وجوههم نضرة النعيم * يُسقون من رحيق مختوم * ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون * ومزاجه من تسنيم * عينا يشرب بها المقرّبون).

٢- اعلم أن أهل الجنة تتفاوت درجاتهم، فمنهم المقربون، ومنهم الأبرار، ومنهم دون ذلك، فنافس في الدرجات العلى من الجنة بالاستكثار من الأعمال الصالحات والمسارعة إليها، وإن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون).

٣- إذا كنت متمسكا بدينك وشرائعه وشعائره فكن معتزا بذلك، فخورا به، فأنت والله العاقل حقا، والموفّق صدقا، ولا يَحزنك من يضحك منك، ويستهزئ بك، ويصفك بالألقاب السيئة، والأوصاف الرديئة، واعلم أنهم سيضحكون قليلا ويبكون كثيرا، وأنك ستضحك منهم وأنت متكئ على أريكتك في جنات النعيم وهم يعذّبون في النار العذاب الأليم، والجزاء من جنس العمل، والعاقبة للمتقين (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * وإذا مرّوا بهم يتغامزون * وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين * وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالّون * وما

أرسلوا عليهم حافظين * فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون * على الأرائك ينظرون * هل ثُوّب الكفار ما كانوا يفعلون).

٤- كثير من أهل الباطل يصفون أهل الحق بأنهم ضالّون منحرفون، أو متشددون متزمّتون، أو متخلّفون رجعيّون، أو غيرها من الألقاب المنفّرة عنهم، ولم يبنوا ذلك على حجة أو علم أو يقين، بل بنوه على ما وجدوا عليه آباءهم، وعلى ما سوّلت لهم به أنفسهم الأمارة بالسوء، وعلى ما زيّن لهم الشيطان وجنده، فلا يضرنّك صراخهم، ولا يؤذينّك عويلهم، وكن شامخا بإسلامك، معتزا بإيمانك (وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الانفطار من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة الانفطار: مكية.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] تحذير الإنسان من الاغترار ونسيان يوم القيامة.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١﴾

إذا السماء تشققت لنزول الملائكة منها.

﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢﴾

وإذا الكواكب تساقطت متناثرة.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣﴾

وإذا البحار فتح بعضها على بعض فاختلطت.

﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ٤﴾

وإذا القبور قُلِب ترابها لبعث من فيها من الأموات.

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥﴾

عند ذلك تعلم كل نفس ما قدمت من عمل، وما أخرت منه فلم تعمله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦﴾

يا أيها الانسان الكافر بربك، ما الذي جعلك تخالف أمر ربك حين أمهلك ولم يعاجلك بالعقوبة تكرّمًا منه؟!

﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧﴾

الَّذي أوجدك بعد أن كنت عدمًا، وجعلك سويّ الأعضاء معتدلها.

﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾

في أي صورة شاء أن يخلقك خلقك، وقد أنعم عليك إذ لم يخلقك في صورة حمار ولا قرد ولا كلب ولا غيرها.

﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩﴾

ليس الأمر كما تصورتم -أيها المغترون- بل أنتم تكذبون بيوم الجزاء فلا تعملون له.

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠﴾

وإن عليكم ملائكة يحفظون أعمالكم.

﴿كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١﴾

كرامًا عند الله، كاتبين يكتبون أعمالكم.

﴿يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾

يعلمون ما تفعلون من فعل فيكتبونه.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣﴾

إن كثيري فعل الخير والطاعة لفي نعيم دائم يوم القيامة.

﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤﴾

وإن أصحاب الفجور لفي نار تستعر عليهم.

﴿يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥﴾

يدخلونها يوم الجزاء يعانون حرّها.

﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ١٦﴾

وليسوا عنها بغائبين أبدًا، بل هم خالدون فيها.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧﴾

وما أعلمك -أيها الرسول- ما يوم الدين؟!

﴿ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨﴾

ثم ما أعلمك ما يوم الدين؟!

﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾

يوم لا يستطيع أحد أن ينفع أحدًا، والأمر كله في ذلك اليوم لله وحده، يتصرّف بما يشاء، لا لأحد غيره.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• التحذير من الغرور المانع من اتباع الحق.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة الانفطار

الكلمة	المعنى
انفَطَرت	انشقّت، واختلّ نظامها
انتَثَرت	تساقطت متفرّقة
فُجّرت	فُتح بعضها على بعض فاختلطت وصارت بحرا واحدا
بُعثِرت	قُلب ترابها وأُخرج من فيها من الأموات
ما قدّمَت وأخّرَت	ما قدّمته من عمل صالح أو سيّء وما أخّرته فلم تعمله، أو: ما قدمته في حياتها من عمل صالح أو سيّء، وما أخّرته بعد مماتها من سنّة حسنة أو سيّئة
ما غرّك	ما خدعك وجرّأك على الكفر بالله وعصيانه؟
فسوّاك فعدلك	فجعلك سويّ الأعضاء معتدل الخِلقة
بالدّين	بالجزاء والحساب
لحافظين	لملائكة يكتبون أعمالكم
بغائبين	بمنقطعين عنها بخروج أو موت
يوم لا تملك نفسٌ لنفسٍ شيئا	يوم القيامة لا يقدر أحد على نفع أحد

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة الانفطار

فوائد عامة في سورة الانفطار:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت». «مسند أحمد» (٨/ ٤٢٤)، «سنن الترمذي» (٥/ ٤٣٣).

(إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب انتثرت * وإذا البحار فجّرت * وإذا القبور بعثرت):

قال ابن كثير: «{وإذا البحار فجرت} قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: فجر الله بعضها في بعض. وقال الحسن: فجر الله بعضها في بعض، فذهب ماؤها. وقال قتادة: اختلط مالحها بعذبها. وقال الكلبي: ملئت». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٤١).

وقال السعدي: «إذا انشقت السماء وانفطرت، وانتثرت نجومها، وزال جمالها، وفجرت البحار فصارت بحرا واحدا، وبعثرت القبور بأن أخرج ما فيها من الأموات، وحشروا للموقف بين يدي الله للجزاء على الأعمال. فحينئذ ينكشف الغطاء، ويزول ما كان خفيا، وتعلم كل نفس ما معها من الأرباح والخسران، هنالك يعض الظالم على يديه إذا رأى أعماله باطلة، وميزانه قد خف، والمظالم قد تداعت إليه، والسيئات قد حضرت لديه، وأيقن بالشقاء الأبدي والعذاب السرمدي. وهنالك يفوز المتقون المقدمون لصالح الأعمال بالفوز العظيم، والنعيم المقيم، والسلامة من عذاب الجحيم». «تفسير السعدي» (ص٩١٤).

(علمت نفس ما قدّمت وأخّرت):

قال البغوي: «{علمت نفس ما قدمت وأخرت} قيل: (ما قدمت) من عمل صالح أو سيئ، (وأخرت) من سنة حسنة أو سيئة.

وقيل: (ما قدمت) من الصدقات، (وأخرت) من التركات، على ما ذكرنا في قوله: (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر)». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٥٢).

وقال ابن عثيمين: «{علمت نفس ما قدمت وأخرت}: {نفس} هنا نكرة لكنها بمعنى العموم؛ إذ أن المعنى: علمت كل نفس ما قدمت وأخرت، وذلك بما يُعرض عليها من الكتاب، فكل إنسان ألزمه الله (طائره في عنقه ويخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً). وفي ذلك اليوم يقول المجرمون: (مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها)، فيعلم الإنسان ما قدم وأخر، بينما هو في الدنيا قد نسي، لكن يوم القيامة يعرض العمل فتعلم كل نفس ما قدمت وأخرت، والغرض من هذا: التحذير، تحذير العبد من أن يعمل مخالفة لله ورسوله؛ لأنه سوف يعلم بذلك ويحاسب عليه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٨٨).

(يا أيها الإنسان ما غرّك بربّك الكريم):

قال ابن القيم: «وكاغترار بعض الجهال بقوله تعالى: {يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم} فيقول: كرمه! وقد يقول بعضهم: إنه لقّن المغتر حجته، وهذا جهل قبيح. وإنما غره بربه الغَرور -وهو الشيطان- ونفسه الأمارة بالسوء، وجهله، وهواه.

وأتى سبحانه بلفظ (الكريم)، وهو السيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به ولا إهمال حقه، فوضع هذا المغتر الغرور في غير موضعه، واغترّ بمن لا ينبغي الاغترار به». «الداء والدواء» (١/ ٤١).

وقال ابن كثير: «{يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم}: هذا تهديد، لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب؛ حيث قال: {الكريم} حتى يقول قائلهم: غره كرمه. بل المعنى في هذه الآية: ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم -أي: العظيم- حتى أقدمت على معصيته، وقابلته بما لا يليق؟ كما جاء في الحديث: (يقول الله يوم القيامة: ابن آدم، ما غرّك بي؟ ابن آدم، ماذا أجبت المرسلين؟)...

عن سفيان: أن عمر سمع رجلا يقرأ: {يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم} فقال عمر: الجهل...

عن يحيى البكاء، سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية: {ياأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم} قال ابن عمر: غره -والله- جهله.

قال: وروي عن ابن عباس، والربيع بن خثيم والحسن، مثل ذلك.

وقال قتادة: {ما غرك بربك الكريم} ما غرّ ابن آدم غير هذا العدو الشيطان.

وقال الفضيل بن عياض: لو قال لي: ما غرك بي؟ لقلت: ستورك المرخاة...

قال البغوي: وقال بعض أهل الإشارة: إنما قال: {بربك الكريم} دون سائر أسمائه وصفاته، كأنه لقنه الإجابة.

وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل؛ لأنه إنما أتى باسمه {الكريم}؛ لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابَل الكريم بالأفعال القبيحة، وأعمال السوء.

وقد حكى البغوي، عن الكلبي ومقاتل أنهما قالا: نزلت هذه الآية في الأسود بن شريق، ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعاقَب في الحالة الراهنة، فأنزل الله: {ما غرك بربك الكريم}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٤١-٣٤٢).

وقال السعدي: «{يَا أَيُّهَا الإنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} أتهاونا منك في حقوقه؟ أم احتقارا منك لعذابه؟ أم عدم إيمان منك بجزائه؟ أليس هو {الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ} في أحسن تقويم؟ {فَعَدَلَكَ} وركبك تركيبا قويما معتدلا في أحسن الأشكال، وأجمل الهيئات؟ فهل يليق بك أن تكفر نعمة المنعم، أو تجحد إحسان المحسن؟

إنْ هذا إلا من جهلك وظلمك وعنادك وغشمك، فاحمد الله أن لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار، أو نحوهما من الحيوانات؛ فلهذا قال تعالى: {فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ}». «تفسير السعدي» (ص٩١٤).

وقال ابن عثيمين: «{يا أيها الإنسان} المراد بالإنسان هنا قيل: هو الكافر، وقيل: الإنسان من حيث هو إنسان؛ لأن الإنسان من حيث هو إنسان ظلوم جهول، ظلوم كفار {إن الإنسان لظلوم كفار}.

فيقول الله عز وجل: {يا أيها الإنسان} ويخاطب الإنسان من حيث هو إنسان بقطع النظر عن ديانته {ما غرك بربك الكريم} يعني: أي شيء غرك بالله حيث تكذبه في البعث، تعصيه في الأمر والنهي، بل ربما يوجد من ينكر الله عز وجل فما الذي غرك؟!». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٨٩).

(الذي خلقك فسوّاك فعدلك):

قال البغوي: «قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر: (فعدَلك) بالتخفيف، أي: صرفك وأمالك إلى أي صورة شاء حَسنا وقبيحا وطويلا وقصيرا. وقرأ الآخرون بالتشديد، أي: قوّمك وجعلك معتدل الخلق والأعضاء». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٥٦).

وقال ابن القيم: «من أين في الطبيعة والقوة هذا التركيب والتقدير والتشكيل، وهذه الأعضاء والرباطات، والقوى والمنافذ، والعجائب التي ركبت في هذه النطفة المهينة؟

لولا بدائع صنع الله ما وُجدت ... تلك العجائب في مستقذر الماء

{يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم. الذي خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ما شاء ركبك}.

{إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم}.

لقد دل سبحانه على نفسه أوضح دلالة بما أشهده كل عبد على نفسه من حاله وحدوثه، وإتقان صنعه، وعجائب خلقه، وآيات قدرته، وشواهد حكمته فيه». «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص٣٨٥).

وقال ابن كثير: «{الذي خلقك فسواك فعدلك} أي: جعلك سويا معتدل القامة منتصبها، في أحسن الهيئات والأشكال.

قال الإمام أحمد:... عن بسر بن جحاش القرشي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما في كفه، فوضع عليها أصبعه، ثم قال: (قال الله عز وجل: ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى إذا

سويتك وعدلتك، مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٤٢).

(في أي صورة ما شاء ركّبك):

قال ابن كثير: «{في أي صورة ما شاء ركبك} قال مجاهد: في أي شبه أب أو أم، أو خال أو عم؟...

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلاما أسود؟ قال: (هل لك من إبل؟). قال: نعم. قال: (فما ألوانها؟) قال: حمْر. قال: (فهل فيها من أورق؟) قال: نعم. قال: (فأنى أتاها ذلك؟) قال: عسى أن يكون نزعه عرق. قال: (وهذا عسى أن يكون نزعه عرق)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٤٣).

وقال ابن عثيمين: «من الناس من هو جميل، ومنهم من هو قبيح، ومنهم المتوسط، ومنهم الأبيض، ومنهم الأحمر، ومنهم الأسود، ومنهم ما بين ذلك، أي صورة يركبك الله عز وجل على حسب مشيئته». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٩٠).

(وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون):

قال ابن تيمية: «ذكر الله الحفظة الموكلين ببني آدم الذين يحفظونهم ويكتبون أعمالهم: في مواضع من كتابه. قال تعالى:... {كلا بل تكذبون بالدين. وإن عليكم لحافظين. كراما كاتبين. يعلمون ما تفعلون}... وقال تعالى: {ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد. إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد. ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد}. وقال تعالى: {وكلَّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا}. وقال تعالى: {وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون. هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون} وقال تعالى: {ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك

أحدا}. وقال تعالى: {وكل شيء فعلوه في الزبر. وكل صغير وكبير مستطر}». «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٥٠).

وقال ابن القيم: «قال بعض الصحابة: (إن معكم من لا يفارقكم، فاستحيوا منهم وأكرموهم). ولا ألأم ممن لا يستحي من الكريم العظيم القدر، ولا يجله، ولا يوقره. وقد نبه سبحانه على هذا المعنى بقوله: {وإن عليكم لحافظين. كراما كاتبين} أي: استحيوا هؤلاء الحافظين الكرام، وأكرموهم، وأجلوهم أن يروا منكم ما تستحيوا أن يراكم عليه من هو مثلكم. والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم. فإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه، وإن كان قد يعمل مثل عمله، فما الظن بأذى الملائكة الكرام الكاتبين؟ والله المستعان». «الداء والدواء» (١/ ٢٥٥-٢٥٦).

وقال ابن عثيمين: «هؤلاء الحفظة كرام ليسوا لئامًا، بل عندهم من الكرم ما ينافي أن يظلموا أحداً، فيكتبوا عليه ما لم يعمل، أو يُهدروا ما عمل؛ لأنهم موصوفون بالكرم.

{يعلمون ما تفعلون} إما بالمشاهدة إن كان فعلاً، وإما بالسماع إن كان قولاً، بل إن عمل القلب يُطلعهم الله عليه فيكتبونه، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من هم بالحسنة فلم يعملها كتبت حسنة، ومن همّ بالسيئة ولم يعملها كتبت حسنة كاملة»، لأنه تركها لله عز وجل، والأول يثاب على مجرد الهم بالحسنة». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٩٠).

(إن الأبرار لفي نعيم):

قال الطبري: «الأبرار: جمع بر، وهم الذين بروا الله بأداء فرائضه، واجتناب محارمه. وقد كان الحسن يقول: هم الذين لا يؤذون شيئا حتى الذرّ». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٩٠).

وقال ابن القيم: «ولا تحسب أن قوله تعالى: {إن الأبرار لفي نعيم. وإن الفجار لفي جحيم}، مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط، بل في دورهم الثلاثة هم كذلك، أعني: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار

القرار، فهؤلاء في نعيم، وهؤلاء في جحيم. وهل النعيم إلا نعيم القلب؟ وهل العذاب إلا عذاب القلب؟ وأي عذاب أشد من الخوف، والهم، والحزن، وضيق الصدر، وإعراضه عن الله والدار الآخرة، وتعلقه بغير الله، وانقطاعه عن الله». «الداء والدواء» (١/ ١٨٤).

وقال ابن عثيمين: «{لفي نعيم} أي: نعيم في القلب، ونعيم في البدن، ولهذا لا تجد أحداً أطيب قلباً، ولا أنعم بالاً من الأبرار أهل البر، حتى قال بعض السلف: «لو يعلم الملوك، وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف»، وهذا النعيم الحاصل يكون في الدنيا وفي الآخرة، أما في الآخرة فالجنة، وأما في الدنيا فنعيم القلب وطمأنينته ورضاه بقضاء الله وقدره، فإن هذا هو النعيم الحقيقي، ليس النعيم في الدنيا أن تترف بدنيًّا، النعيم نعيم القلب». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٩١).

(يصلونها يوم الدين):

«عن ابن عباس، قوله: (يوم الدين) من أسماء يوم القيامة، عظمه الله، وحذره عباده». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٧٢).

(وما هم عنها بغائبين):

قال ابن كثير: «أي: لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة، ولا يخفف عنهم من عذابها، ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة، ولو يوما واحدا». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٤٥).

(يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله):

قال الطبري: «يوم لا تغني نفس عن نفس شيئا، فتدفع عنها بلية نزلت بها، ولا تنفعها بنافعة، وقد كانت في الدنيا تحميها، وتدفع عنها من بغاها سوءا، فبطل ذلك يومئذ، لأن الأمر صار لله الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، واضمحلت هنالك الممالك، وذهبت الرياسات، وحصل المُلك للملك الجبار». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٧٢).

وقال ابن تيمية: «من ادعى أن شيخا من المشايخ يخلص مريديه يوم القيامة من العذاب: فقد ادعى أن شيخه أفضل من محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، ومن قال هذا فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل.

فإنه قد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، يا عباس عم رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، سلوني ما شئتم من مالي). وثبت عنه في الصحيح أنه قال: (لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة وعلى رقبته بعير له رغاء فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أغني عنك من الله شيئا، قد بلّغتك). الحديث بتمامه. وذكر مثل ذلك في غير ذلك من الأقوال.

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل هذا لأهل بيته وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه؛ من المهاجرين والأنصار -يقول: إنه ليس يغني عنهم من الله شيئا - فكيف يقال: في شيخ غايته أن يكون من التابعين لهم بإحسان؟ وقد قال تعالى: {وما أدراك ما يوم الدين. ثم ما أدراك ما يوم الدين. يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله} وقال: {واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا} وأمثال ذلك من نصوص القرآن والسنة. وقد علم أنه ليس للأنبياء وغيرهم يوم القيامة إلا الشفاعة». «مجموع الفتاوى» (٢/ ١٠٥).

وقال ابن تيمية: «وأما الشروط التي يلتزمها كثير من الناس... مثل أن يقول: على المشاركة في الحسنات وأينا خلص يوم القيامة خلّص صاحبه، ونحو ذلك. فهذه كلها شروط باطلة؛ فإن الأرض يومئذ لله: {يوم لا تملك نفس لنفس شيئا}، وكما قال تعالى: {ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون}. «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٠١).

وقال ابن تيمية: «من أحسن إلى مخلوق يرجو أن ذلك المخلوق يجزيه يوم القيامة كان من الأخسرين أعمالا: الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا؛ بل إنما يجزي على

الأعمال يومئذ الواحد القهار، الذي إليه الإياب والحساب، الذي لا يظلم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما. ولا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه». «مجموع الفتاوى» (١١/ ١١٢).

وقال ابن القيم: «قال الله تعالى: {لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم}. وقال تعالى: {يوم لا تملك نفس لنفس شيئا}. وقال تعالى: {واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا}، وقال: {واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق}.

وهذا كله تكذيب لأطماع المشركين الباطلة أن من تعلقوا به من دون الله من قرابة أو صهر أو نكاح أو صحبة ينفعهم يوم القيامة، أو يجيرهم من عذاب الله، أو يشفع لهم عند الله. وهذا أصل ضلال بني آدم وشركهم، وهو الشرك الذي لا يغفره الله، وهو الذي بعث الله جميع رسله وأنزل جميع كتبه بإبطاله ومحاربة أهله ومعاداتهم». «أعلام الموقعين عن رب العالمين» (١/ ٣٧٥).

وقال ابن القيم: «يوم المعاد الأكبر يوم مظهر الأسماء والصفات وأحكامها، ولهذا يقول سبحانه {لمن الملك اليوم لله الواحد القهار}، وقال: {الملك يومئذ الحق للرحمن}، وقال: {يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله}.

حتى إن الله سبحانه ليتعرف إلى عباده ذلك اليوم بأسماء وصفات لم يعرفوها في هذه الدار، فهو يوم ظهور المملكة العظمى، والأسماء الحسنى، والصفات العلى. فتأمل ما أخبر به الله ورسوله من شأن ذلك اليوم وأحكامه، وظهور عزته تعالى وعظمته وعدله وفضله ورحمته، وآثار صفاته المقدسة». «شفاء العليل» (٢/ ٢٦٥).

وقال ابن كثير: «قال قتادة: {يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله} والأمر -والله- اليوم لله، ولكنه يومئذ لا ينازعه أحد». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٤٥).

وقال ابن عثيمين: «{والأمر يومئذ لله} في الدنيا هناك أناس يأمرون: من الأمراء، والوزراء، والرؤساء، والآباء، والأمهات، لكن في الآخرة الأمر لله عز وجل، ولا تملك نفس لنفس شيئًا إلا بإذن الله، ولهذا كان الناس في ذلك اليوم يلحقهم من الغم والكرب ما لا يطيقون، ثم يطلبون الشفاعة من آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم الصلاة والسلام، حتى تنتهي إلى نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيشفع بإذن الله، فيريح الله العالم من الموقف». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٩١-٩٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة الانفطار

١- أهوال يوم القيامة شديدة، وأحداثه عظيمة، فالسماء تنشقّ، والكواكب تتناثر، والبحار تفجّر، والقبور تُبعثر، وحينها ستعلم ما جهلت من أعمالك، وتذكر ما نسيت من إجرامك، وتُعطى كتاب أعمالك، فتجده لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وتجد ما عملت حاضرا، ولا يظلم ربك أحدا، وحين ترى فيه سيئاتك تود لو أنّ بينك وبينها أمدا بعيدا، وتتحسّر على تفريطك في جنب الله، حينها تعظم الحسرات، وتبدو الآهات، وتخرج الزفرات، ويومئذ لا يملك أحد لأحد شيئا، فلن ينفعك قريب ولا صديق، فاحمد الله أنك لا زلت في دار العمل، وأن الله أمهلك حتى تتوب وتستغفر، فالبدار البدار قبل أن يفجأك الأجل (إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب انتثرت * وإذا البحار فجّرت * وإذا القبور بعثرت * علمت نفس ما قدّمت وأخّرت)، (وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين * يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله).

٢- احرص على الصدقات الجارية التي يجري لك ثوابها بعد مماتك، ومن أعظمها أن تسنّ في الناس سنة حسنة، وأن تنشر سنة قد نُسيت، وأن يهدي الله بك أناسا إلى الإسلام والسنة، فذلك كله من الأعمال التي يؤخّرها الإنسان فيجري عليه أجرها بعد مماته (علمت نفس ما قدّمت وأخّرت).

٣- تذكّر نعم الله عليك، واستحضر إحسانه إليك، ولا تكن ممن إذا أصابته مصيبة واحدة نسي آلاف النعم، بل كن عبدا شكورا، معترفا للمنعم بإنعامه، شاكرا له على عطائه (يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم * الذي خلقك فسوّاك فعدلك * في أيّ صورة ما شاء ركّبك).

٤- إذا هممت بمعصية لربك أو ظلما لعباده فتذكّر أن عن يمينك وشمالك ملَكان كريمان جليلان، يكتبان عليك كل صغيرة وكبيرة، وإذا كنت تتخفّى عن أعين الناس لارتكاب المعاصي حياء منهم فإنّ من عن يمينك وشمالك لا يفارقونك أبدا، فاستحي منهم وأكرمهم عن أن يروك على معصية (وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون).

٥- احرص على الإكثار من أعمال البر حتى تكون من الأبرار، فتجد لذة النعيم في الدنيا قبل الآخرة (إن الأبرار لفي نعيم).

٦- احذر من أعمال الفجار وأقوالهم وإراداتهم، ومن صحبتهم والجلوس معهم، حتى تسلم من سوء مصيرهم (وإن الفجار لفي جحيم * يصلونها يوم الدين * وما هم عنها بغائبين).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة التكوير ١-١٤ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة التكوير: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] كمال القرآن في تذكير الأنفس باختلال الكون عند البعث.

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١﴾

إذا الشمس جُمِع جِرْمها، وذهب ضوؤها.

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢﴾

وإذا الكواكب تساقَطت ومُحِي ضوؤها.

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣﴾

وإذا الجبال حُرِّكت من مكانها.

﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤﴾

وإذا النُّوق الحوامل التي يتنافس أهلها فيها أُهْمِلت بتركهم لها.

﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥﴾

وإذا الوحوش جُمعت مع البشر في صعيد واحد.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦﴾

وإذا البحار أُوقِدت حتى تصير نارًا.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧﴾

وإذا النفوس قُرِنت بمن يماثلها، فَيُقْرن الفاجر بالفاجر، والتقي بالتقي.

﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨﴾

وإذا الطفلة المدفونة وهي حيّة سألها الله.

﴿بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩﴾

بأي جريمة قتلك من قتلك؟!

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠﴾

وإذا صحف أعمال العباد نُشِرت؛ ليقرأ كل واحد صحيفة أعماله.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١﴾

وإذا السماء نُزِعت كما يُنْزَع الجلد عن الشاة.

﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ١٢﴾

وإذا النار أوقِدت.

﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣﴾

وإذا الجنّة قُرِّبت للمتقين.

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾

عندما يحصل ذلك تعلم كل نفس ما قدمت من الأعمال لذلك اليوم.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• حَشْر المرء مع من يماثله في الخير أو الشرّ.

• إذا كانت الموءُودة تُسأل فما بالك بالوائد؟ وهذا دليل على عظم الموقف.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة التكوير ١-١٤

الكلمة	المعنى
الشمس كُوِّرَت	لُفّت وذهب ضوءُها
النجوم انكَدَرَت	تناثرت وذهب نورها
الجبال سُيِّرَت	حرّكت من أماكنها وأُزيلت عن وجه الأرض فصارت هباءً
العِشار عُطّلت	النوق الحوامل أُهملت وتُركت
الوُحوش حُشرت	الحيوانات المتوحّشة جُمعت ليقتصّ الله لبعضها من بعض
البحار سُجّرَت	أُوقِدت نارا
النفوس زُوّجَت	أُلحقت وقُرنت بمن يشابهها في العمل
المَوؤُودَة	الطفلة التي دُفنت وهي حيّة
الصُحُف نُشرت	صحف الأعمال عُرضت على أصحابها
السماء كُشِطَت	قُلعت وأُزيلت
الجحيم سُعِّرَت	أُوقدت
الجنة أُزلِفت	قُرِّبت وهُيِّئت
ما أَحضَرت	ما قدّمت من عمل صالح أو سيّء

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة التكوير ١-١٤

فوائد عامة في سورة التكوير:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت». «مسند أحمد» (٨/ ٤٢٤)، «سنن الترمذي» (٥/ ٤٣٣).

«عن عمرو بن حريث قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر: إذا الشمس كورت». «مسند أحمد» (٣١/ ٣١).

(إذا الشمس كورت):

قال الطبري: «التكوير في كلام العرب: جمع بعض الشيء إلى بعض، وذلك كتكوير العمامة، وهو لفها على الرأس، وكتكوير الكارة، وهي جمع الثياب بعضها إلى بعض ولفها، وكذلك قوله: (إذا الشمس كورت)، إنما معناه: جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٣٨).

وقال ابن عثيمين: «الشمس كتلة عظيمة كبيرة واسعة، في يوم القيامة يكورها الله عز وجل فيلفها جميعاً ويطوي بعضها على بعض فيذهب نورها، ويلقيها عز وجل في النار؛ إغاظة للذين يعبدونها من دون الله». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٦٩).

(وإذا العشار عطلت):

قال ابن كثير: «والمقصود أن العشار من الإبل-وهي: خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلى الشهر العاشر-واحدها عُشراء، ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع- قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها

والانتفاع بها، بعدما كانوا أرغب شيء فيها، بما دهمهم من الأمر العظيم المفظع الهائل، وهو أمر القيامة وانعقاد أسبابها، ووقوع مقدماتها». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٣٠).

وقال السعدي: «عطّل الناس حينئذ نفائس أموالهم التي كانوا يهتمون لها ويراعونها في جميع الأوقات، فجاءهم ما يذهلهم عنها، فنبّه بالعشار، وهي النوق التي تتبعها أولادها، وهي أنفس أموال العرب إذ ذاك عندهم، على ما هو في معناها من كل نفيس». «تفسير السعدي» (ص٩١٢).

(وإذا الوحوش حشرت):

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «لتؤدَّن الحقوقُ إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء، من الشاة القرناء». «صحيح مسلم» (٤/ ١٩٩٧).

وقال البغوي: «{حشرت} جُمعت بعد البعث ليُقتص لبعضها من بعض. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: حشرها: موتها. وقال: حشر كل شيء: الموت، غير الجن والإنس، فإنهما يوقفان يوم القيامة». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٤٦).

وقال ابن القيم: «الدليل على حشر الوحوش وجوه:

الأول: قوله تعالى: {وإذا الوحوش حشرت}.

الثاني: قوله تعالى: {وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون}.

الثالث: حديث مانع صدقة الإبل والبقر والغنم، وأنها (تجيء يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه، تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها)، وهو متفق على صحته.

الرابع: حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شاتين تنتطحان، فقال: (يا أبا ذر، أتدري فيم تنتطحان)؟ قال: قلت: لا، قال: (لكن الله يدري، وسيقضي بينهما)، رواه أحمد في مسنده.

الخامس: الآثار الواردة في قوله تعالى: {يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا}، وأن الله تعالى يجمع الوحوش، ثم يقتص من بعضها لبعض، ثم يقول لها: كوني ترابا، فتكون ترابا، فعندها يقول الكافر {يا ليتني كنت ترابا}». «بدائع الفوائد» (٣/ ١١٣٢).

وقال ابن عثيمين: «الوحوش جمع وحش، والمراد بها جميع الدواب، لقول الله تعالى: {وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أُمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون}. فستحشر الدواب يوم القيامة، ويشاهدها الناس، ويُقتص لبعضها من بعض، حتى إنه يقتص للبهيمة الجلحاء التي ليس لها قرن من البهيمة القرناء، فإذا اقتص من بعض هذه الوحوش لبعض أمرها الله تعالى فكانت ترابـًا، وإنما يفعل ذلك سبحانه وتعالى لإظهار عدله بين خلقه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٧٠).

(وإذا البحار سجرت):

قال البغوي: «قال ابن عباس: أوقدت فصارت نارا تضطرم.

وقال مجاهد ومقاتل: يعني فُجر بعضها في بعض، العذب والمِلح، فصارت البحور كلها بحرا واحدا.

وقال الكلبي: ملئت، وهذا أيضا معناه: (والبحر المسجور) والمسجور: المملوء.

وقيل: صارت مياهها بحرا واحدا من الحميم لأهل النار.

وقال الحسن: يبست، وهو قول قتادة، قال: ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٤٦).

(وإذا النفوس زوجت):

قال البغوي: «{وإذا النفوس زوجت} روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية؟ فقال: يُقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويُقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، وهذا معنى قول عكرمة.

وقال الحسن وقتادة: أُلحق كل امرئ بشيعته، اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني.
قال الربيع بن خثيم: يحشر الرجل مع صاحب عمله.
وقيل: زوجت النفوس بأعمالها.
وقال عطاء ومقاتل: زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين، وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين.
وروي عن عكرمة قال: {وإذا النفوس زوجت}: ردت الأرواح في الأجساد». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٤٧).

وقال ابن القيم: «قرن كل صاحب عمل بشكله ونظيره، فقرن بين المتحابين في الله في الجنة، وبين المتحابين في طاعة الشيطان في الجحيم. فالمرء مع من أحب، شاء أم أبى. وفي «صحيح الحاكم» وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يحب المرء قوما إلا حشر معهم». «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٤/ ٣٩٠).

(وإذا الموءودة سئلت * بأي ذنب قتلت):
قال البغوي: «{وإذا الموءودة سئلت} وهي الجارية المدفونة حية... وكانت العرب تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة...
روى عكرمة عن ابن عباس: كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة، فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة، وإن ولدت غلاما حبسته». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٤٨).

وقال ابن تيمية: «قوله: {وإذا الموءودة سئلت. بأي ذنب قتلت} دليل على أنه لا يجوز قتل النفس إلا بذنب منها، فلا يجوز قتل الصبي والمجنون؛ لأن القلم مرفوع عنهما فلا ذنب لهما... والآية تقتضي ذمَّ قتلِ كل من لا ذنب له من صغير وكبير». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٨٠).

وقال ابن القيم: «وأما قوله تعالى: {وإذا الموءودة سئلت. بأي ذنب قتلت}، فهذا السؤال إنما هو إقامة لحجته سبحانه على تعذيب من وأدها، إذ قتل نفسا بغير حقها». «أحكام أهل الذمة» (٢/ ٢٤٤).

وقال ابن عثيمين: «الموءودة هي الأنثى تدفن حية، وذلك أنه في الجاهلية لجهلهم وسوء ظنهم بالله، وعدم تحملهم يعيّر بعضهم بعضاً إذا أتته الأنثى، فإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، ممتلئ همًّا وغمًّا {يتوارى من القوم} يعني: يختفي منهم {من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب}. يعني: إذا قيل لأحدهم: نبشرك أن الله جاء لك بأنثى ـ ببنت ـ اغتم واهتم، وامتلأ من الغم والهم، وصار يفكر هل يبقي هذه الأنثى على هون وذل؟ أو يدسها في التراب ويستريح منها؟ فكان بعضهم هكذا، وبعضهم هكذا. فمنهم من يدفن البنت وهي حية، إما قبل أن تميز أو بعد أن تميز، حتى إن بعضهم كان يحفر الحفرة لبنته فإذا أصاب لحيته شيء من التراب نفضته عن لحيته وهو يحفر لها ليدفنها ولا يكون في قلبه لها رحمة، وهذا يدلك على أن الجاهلية أمرها سَفال، فإن الوحوش تحنو على أولادها وهي وحوش، وهؤلاء لا يحنون على أولادهم، يقول عز وجل: {وإذا الموءودة سئلت} تُسأل يوم القيامة {بأي ذنب قتلت} هل أذنبت؟ فإذا قال قائل: كيف تُسأل وهي المظلومة، هي المدفونة، ثم هي قد تدفن وهي لا تميز، ولم يجر عليها قلم التكليف، فكيف تُسأل؟ قيل: إنها تُسأل توبيخاً للذي وأدها، لأنها تُسأل أمامه فيقال: بأي ذنب قُتِلْتِ أو قُتِلَتْ؟ نظير ذلك: لو أن شخصاً اعتدى على آخر في الدنيا فأتوا إلى السلطان إلى الأمير فقال للمظلوم: بأي ذنب ضربك هذا الرجل؟ وهو يعرف أنه معتدىً عليه ليس له ذنب. لكن من أجل التوبيخ للظالم». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٧١).

(وإذا الصحف نشرت):

قال ابن عثيمين: «واعلم أيها الإنسان أن كل عمل تعمله من قول أو فعل فإنه يكتب ويسجل بصحائف على يد أمناء كرام كاتبين يعلمون ما تفعلون، يسجل كل شيء تعمله حتى توافى به يوم القيامة، فإن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه: {وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه} يعني: عمله في عنقه {ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً} مفتوحاً {اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً}، كلامنا الآن ونحن

نتكلم يكتب، كلام بعضكم مع بعض يكتب، كل كلام يكتب {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد}. ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام:... «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»، لأن كل شيء سيكتب عليه، ومن كثُر كلامُه كثُر سقطه، يعني الذي يُكثر الكلام يكثر منه السقط والزلات، فاحفظ لسانك». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٧٢).

(وإذا السماء كشطت):

قال ابن عثيمين: «السماء فوقنا الآن سقف محفوظ قوي شديد. قال تعالى: {والسماء بنيناها بأيْد}. أي: بقوة. وقال تعالى: {وبنينا فوقكم سبعاً شداداً}. أي: قوية. وفي يوم القيامة تكشط -يعني تُزال عن مكانها- كما يكشط الجلد عند سلخ البعير عن اللحم، يكشطها الله عز وجل، ثم يطويها جل وعلا بيمينه كما قال تعالى: {والسمواتُ مطويات بيمينه}، {يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٧٣).

عام:

«عن أبي بن كعب، قال: ست آيات قبل يوم القيامة: بينا الناس في أسواقهم، إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك، إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك، إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحركت واضطربت واحترقت، وفزعت الجن إلى الإنس، والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطير والوحش، وماجوا بعضهم في بعض، (وإذا الوحوش حشرت) قال: اختلطت. (وإذا العشار عطلت) قال: أهملها أهلها. (وإذا البحار سجرت) قال: قالت الجن للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، قال: فانطلقوا إلى البحار، فإذا هي نار تأجج؛ قال: فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، قال: فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٣٧).

وقال ابن القيم: «إذا أتى الوقت المعلوم، فشق السموات وفطرها، ونثر الكواكب على وجه الأرض، ونسف جبال العالم ودكها مع الأرض، وكوّر شمس العالم وقمره، ورأى ذلك الخلائق عيانا= ظهر للخلائق كلهم صدقه وصدق رسله، وعموم قدرته وكمالها، وأن العالم بأسره منقاد لمشيئته، طوع قدرته، لا يستعصي عليه انفعاله لما يشاء ويريده منه، وعلم الذين كفروا وكذبوا رسله من الفلاسفة والمنجمين والمشركين والسفهاء الذين سموا أنفسهم الحكماء أنهم كانوا كاذبين.

واجتمع جماعة من الكبراء والفضلاء يوما، فقرأ قارئ: {إذا الشمس كورت. وإذا النجوم انكدرت. وإذا الجبال سيرت} حتى بلغ: {علمت نفس ما أحضرت}، وفي الجماعة أبو الوفاء ابن عقيل، فقال له قائل: يا سيدي، هب أنه أنشر الموتى للبعث والحساب، وزوّج النفوس بقرنائها للثواب والعقاب، فما الحكمة في هدم الأبنية، وتسيير الجبال، ودك الأرض، وفطر السماء، ونثر النجوم، وتخريب هذا العالم وتكوير شمسه، وخسف قمره؟!

فقال ابن عقيل على البديهة: إنما بنى لهم هذه الدار للسكنى والتمتع، وجعلها وما فيها للاعتبار والتفكر، والاستدلال عليه بحسن التأمل والتذكر، فلما انقضت مدة السكنى، وأجلاهم من الدار؛ خربها، لانتقال الساكن منها، فأراد أن يعلمهم بأن في إحالة الأحوال، وإظهار تلك الأهوال، وإبداء ذلك الصنع العظيم، بيانا لكمال قدرته، ونهاية حكمته، وعظمة ربوبيته، وعِز جلاله، وعظم شأنه، وتكذيبا لأهل الإلحاد وزنادقة المنجمين وعباد الكواكب والشمس والقمر والأوثان، ليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين، فإذا رأوا أن منار آلهتهم قد انهدم، وأن معبوداتهم قد انتثرت، والأفلاك التي زعموا أنها وما حوته هي الأرباب المستولية على هذا العالم قد تشققت وانفطرت؛ ظهرت حينئذ فضائحهم، وتبين كذبهم، وظهر أن العالم مربوب محدَث مدبر، له رب يصرفه كيف يشاء؛ تكذيبا لملاحدة الفلاسفة القائلين بقدمه.

فكم لله من حكمة في هدم هذه الدار! ودلالة على عظيم قدرته وعزته وسلطانه، وانفراده بالربوبية، وانقياد المخلوقات بأسرها لقهره، وإذعانها لمشيئته، فتبارك الله رب العالمين». «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (٣/ ١٢٨٠-١٢٨٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة التكوير ١-١٤

١- إذا أردت أن تستحضر عظمة ربك، وتتصوّر القيامة كأنها رأي عين، فاقرأ بداية سورة التكوير بقلب حاضر، ليُثمر لك ذلك الجدَّ في العمل، والبعد عن المعاصي، والزهد في الدنيا، والعمل للآخرة، فالشمس بسعتها وعظمتها تُكوّر وتُلفّ ويذهب ضوءها، والنجوم بكثرتها وتنوّعها تتناثر وتتساقط ويذهب نورها، والجبال بصلابتها وقوّتها تُسيّر وتصير هباءً، والبهائم بكثرتها وتفاوتها تُحشر، والبحار العظيمة العميقة توقد نارا، حينها يذهل كل ذي مال عن ماله، وينسى كل ذي جاه جاهه، ويُلحق كل أحد بقرينه ونظيره في العمل، ويُسأل المظلوم عن ظالمه وسبب ظلمه له؟ وتُنشر صحائف الأعمال بين الناس، وتزول السماء عن مكانها، وتُسعّر الجحيم للمجرمين، وتُزلف الجنة للمتقين، فتعلم كل نفس حينها ما أحضرت معها من عمل صالح أو سيّء، ويشتدّ الخطب، فيفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه، بل يودّ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه، ومن في الأرض جميعا لعله ينجيه، ولكن هيهات، فيعضّ حينها أصابع الندم، ويقول: يا ويلتى! ليتني قدّمت لحياتي، فبادر قبل الندم، وسارع قبل حضور الأجل، فاليوم عمل وغدا حساب، والله وحده المستعان (إذا الشمس كُوّرت * وإذا النجوم انكدرت * وإذا الجبال سُيّرت * وإذا العشار عُطّلت * وإذا الوحوش حُشرت * وإذا البحار سُجّرت * وإذا النفوس زُوّجت * وإذا الموءودة سئلت * بأي ذنب قتلت * وإذا الصحف نشرت * وإذا السماء كُشطت * وإذا الجحيم سُعّرت * وإذا الجنة أُزلِفت * علمت نفس ما أَحضرت).

٢- اعلم أن الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها وأموالها وذهبها وفضتها وجاهها ومناصبها وغير ذلك مما يتنافس الناس فيه تصغر في نفس الإنسان عندما يرى الموت أمامه، أو يشاهد أهوال يوم القيامة، فلا تغترّ بها، واعمل لحياتك الحقيقية في الآخرة (وإذا العشار عُطّلت).

٣- من كمال عدل الله سبحانه وتعالى أنه يحشر يوم القيامة حتى البهائم ليقتصّ لبعضها من بعض ثم يصيّرها ترابا، حينها يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابا (وإذا الوحوش حُشرت).

٤- احرص على محبة الأخيار ومجالستهم والعمل بمثل عملهم، فإن الإنسان يُحشر يوم القيامة مع من أحبّ (وإذا النفوس زُوّجت).

٥- من كمال الإسلام ورحمته أنه لا يجوز فيه قتل أحد بغير ذنب اقترفه كالصغير والمجنون، ولا يجوز فيه قتل أحد بسبب وجود الفقر والحاجة أو خوف وقوعهما، ولا يجوز فيه قتل أحد خوف العار والفضيحة، بل يجب الرضا بقضاء الله وقدره، واليقين التام أن الرزق بيد الله سبحانه، وبذل الوسع في تربية الأولاد وإصلاحهم (وإذا الموءودة سُئلت * بأي ذنب قتلت).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة التكوير ١٥-٢٩ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥﴾

أقسم الله بالنجوم الخفية قبل بزوغها في الليل.

﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦﴾

الجاريات في أفلاكها التي تغيب عند بزوغ الصبح مثل الظباء تدخل كِنَاسها؛ أي: بيتها.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧﴾

وأقسم بأول الليل إذا أقبل، وبآخره إذا أدبر.

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾

وأقسم بالصبح إذا بزغ نوره.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾

إن القرآن المنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - لكلام الله بلّغه ملك أمين، وهو جبريل عليه السلام، ائتمنه الله عليه.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠﴾

صاحب قوة، ذي منزلة عظيمة عند رب العرش سبحانه.

﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾

يطيعه أهل السماء، مُؤتَمن على ما يبلّغه من الوحي.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢﴾

وما محمد - صلى الله عليه وسلم - الملازم لكم الَّذي تعرفون عقله وأمانته وصدقه بمجنون كما تدّعون بهتانًا.

﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣﴾

ولقد رأى صاحبكم جبريل على صورته التي خُلِقَ عليها بأفق السماء الواضح.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤﴾

وليس صاحبكم ببخيل عليكم يبخل أن يبلغكم ما أُمِر بتبلغيه إليكم، ولا يأخذ أجرًا كما يأخذه الكهنة.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ٢٥﴾

وليس هذا القرآن من كلام شيطان مطرود من رحمة الله.

﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦﴾

فأي طريق تسلكونها لإنكار أنَّه من الله بعد هذه الحجج؟!

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧﴾

ليس القرآن إلا تذكيرًا وموعظة للجن والإنس.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾

لمن شاء منكم أن يستقيم على طريق الحق.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾

وما تشاؤون استقامة ولا غيرها إلا أن يشاء الله ذلك، رب الخلائق كلها.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة التكوير ١٥-٢٩

الكلمة	المعنى
فلا أُقسِم	فأُقسم، و (لا) لتأكيد القسم
بِالخُنَّس	بالنجوم التي تختفي أنوارها نهارا
الجَوَارِ	الجاريات في أفلاكها
الكُنَّس	التي تستتر في أبراجها
إذا عَسْعَس	إذا أقبل بظلامه أو أدبر
إذا تنفّس	إذا ظهر نوره وامتدّ
رسولٍ كريم	هو جبريل عليه السلام
مَكِينٍ	صاحبِ مكانة عظيمة عند الله
ثَمَّ	هناك في السماوات
صاحِبُكم	محمد صلى الله عليه وسلم الذي تعرفونه
رَآه بالأُفُق	رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية في أفق السماء
الغَيب	الوحي
بِضَنِين	بِبَخيل
رَجيم	مرجوم مطرود من رحمة الله
فأين تذهبون؟	فأين تذهب عقولكم في التكذيب بالقرآن بعد هذه الحجج القاطعة؟

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة التكوير ١٥-٢٩

(فلا أقسم بالخنّس * الجوار الكنّس):

قال البغوي: «قال قتادة: هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار، فتَخفى فلا تُرى.

وعن علي أيضا: أنها الكواكب تخنس بالنهار فلا ترى، وتكنس: تأوي إلى مجاريها...

وروى الأعمش عن إبراهيم، عن عبد الله: أنها هي الوحش.

وقال سعيد بن جبير: هي الظباء. وهي رواية العوفي عن ابن عباس.

وأصل الخنوس: الرجوع إلى وراء، والكنوس: أن تأوي إلى مكانسها، وهي المواضع التي تأوي إليها الوحوش». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٤٩).

وقال ابن كثير: «توقف ابن جرير في قوله: {الخنس. الجوار الكنس} هل هي النجوم، أو الظباء وبقر الوحش؟ قال: ويحتمل أن يكون الجميع مرادا». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٣٧).

(والليل إذا عسعس):

قال ابن كثير: «وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله: {إذا عسعس} إذا أدبر. قال لقوله: {والصبح إذا تنفس} أي: أضاء...

وعندي أن المراد بقوله: {عسعس} إذا أقبل، وإن كان يصح استعماله في الإدبار، لكن الإقبال هاهنا أنسب؛ كأنه أقسم تعالى بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرق، كما قال: {والليل إذا يغشى. والنهار إذا تجلى}، وقال: {والضحى. والليل إذا سجى}، وقال {فالق الإصباح وجعل الليل سكنا}، وغير ذلك من الآيات.

وقال كثير من علماء الأصول: إن لفظة "عسعس" تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك، فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما، والله أعلم». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٣٨).

(والصبح إذا تنفّس):

قال ابن عثيمين: «وإنما أقسم الله تعالى بهذه المخلوقات لعظمها وكونها من آياته الكبرى، فمن يستطيع أن يأتي بالنهار إذا كان الليل، ومن يستطيع أن يأتي بالليل إذا كان النهار، قال الله عز وجل: {قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة مَن إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون. قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة مَن إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون. ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٧٦).

(إنه لقول رسول كريم):

قال ابن تيمية: «وأما قوله تعالى: {إنه لقول رسول كريم} فهذا قد ذكره في موضعين:

فقال في الحاقة: {إنه لقول رسول كريم. وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون. ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون}. فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال في التكوير: {إنه لقول رسول كريم. ذي قوة عند ذي العرش مكين. مطاع ثمَّ أمين. وما صاحبكم بمجنون. ولقد رآه بالأفق المبين}. فالرسول هنا جبريل.

فأضافه إلى الرسول من البشر تارة، وإلى الرسول من الملائكة تارة، باسم الرسول، ولم يقل: إنه لقول ملك، ولا نبي، لأن لفظ الرسول يبين أنه مبلغ عن غيره، ليس من عنده: {وما على الرسول إلا البلاغ المبين}، فكان قوله: {إنه لقول رسول} بمنزلة قوله: لتبليغ رسول، أو مبلَّغ من رسول كريم، وليس معناه أنه أنشأه أو أحدثه أو أنشأ شيئا منه أو أحدثه رسول كريم، إذ لو كان منشئا لم يكن رسولا فيما أنشأه وابتدأه، ومعلوم أن الضمير عائد إلى القرآن مطلقا.

وأيضا فلو كان أحد الرسولين أنشأ حروفه ونظمه؛ امتنع أن يكون الرسول الآخر هو المنشئ المؤلف له؛ فبطل أن تكون إضافته إلى الرسول هنا لأجل إحداث لفظه ونظمه.

ولو جاز أن تكون الإضافة هنا لأجل إحداث الرسول له أو لشيء منه لجاز أن نقول إنه قول البشر، وهذا قول الوحيد الذي أصلاه الله سقر». «الفتاوى الكبرى لابن تيمية» (٥/ ١٠).

وقال ابن عثيمين: «وصفه الله بالكرم لحسن منظره، كما قال تعالى في آية أخرى: {ذو مرة فاستوى}، {ذو مرة} قال العلماء: المرة: الخَلْق الحسن والهيئة الجميلة». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٧٦).

(ذي قوة عند ذي العرش مكين)

قال البغوي: «كان من قوته أنه اقتلع قريات قوم لوط من الماء الأسود، وحملها على جناحه، فرفعها إلى السماء ثم قلبها، وأنه أبصر إبليس يكلم عيسى على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة ألقاه إلى أقصى جبل بالهند، وأنه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين، وأنه يهبط من السماء إلى الأرض ويصعد في أسرع من الطرف». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٥٠).

وقال ابن عثيمين: «{عند ذي العرش} أي: عند صاحب العرش وهو الله جل وعلا، والعرش فوق كل شيء، وفوق العرش رب العالمين عز وجل. قال الله تعالى: {رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده}. فذو العرش هو الله». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٧٧).

(مطاع ثمّ أمين):

قال البغوي: «{مطاع ثم} أي: في السماوات تطيعه الملائكة، ومن طاعة الملائكة إياه أنهم فتحوا أبواب السماوات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٥٠).

وقال السعدي: «{مُطَاعٍ ثَمَّ} أي: جبريل مطاع في الملأ الأعلى، لديه من الملائكة المقربين جنود، نافذ فيهم أمره، مطاع رأيه، {أَمِينٍ} أي: ذو أمانة وقيام بما أُمر به، لا يزيد ولا ينقص، ولا يتعدى ما حُدّ له، وهذا كله يدل على شرف القرآن عند الله تعالى، فإنه بعث به هذا الملك الكريم، الموصوف بتلك

الصفات الكاملة. والعادة أن الملوك لا ترسل الكريم عليها إلا في أهم المهمات، وأشرف الرسائل». «تفسير السعدي» (ص٩١٣).

وقال ابن القيم: «وقد أثنى الله سبحانه على عبده جبريل في القرآن أحسن الثناء، ووصفه بأجمل الصفات، فقال: {فلا أقسم بالخنس. الجوار الكنس. والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفس. إنه لقول رسول كريم. ذي قوة عند ذي العرش مكين. مطاع ثم أمين}، فهذا جبريل، فوصفه بأنه رسوله، وأنه كريم عنده، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه، وأنه مطاع في السماوات، وأنه أمين على الوحي.

فمن كرمه على ربه أنه أقرب الملائكة إليه. قال بعض السلف: منزلته من ربه منزلة الحاجب من الملك.

ومن قوته: أنه رفع مدائن قوم لوط على جناحه، ثم قلبها عليهم، فهو قوي على تنفيذ ما يؤمر به، غير عاجز عنه، إذ تطيعه أملاك السماوات فيما يأمرهم به عن الله تعالى». «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (٢/ ٨٤٤).

(وما صاحبكم بمجنون):

قال ابن عثيمين: «{وما صاحبكم بمجنون} أي: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلّم. وتأمل أنه قال: {وما صاحبكم} فأضافه إليهم ليكون أشد لومـًا وتوبيخـًا لهم حين ردوا دعوته، كأنه قال: ما صاحبكم الذي تعرفونه وأنتم وإياه دائمـًا، بقي فيهم أربعين سنة في مكة قبل النبوة يعرفونه، ويعرفون صدقه وأمانته، حتى كانوا يطلقون عليه اسم الأمين. {وما صاحبكم بمجنون} يعني: ليس مجنونـًا، بل هو أعقل العقلاء عليه الصلاة والسلام، أكمل الناس عقلاً بلا شك، وأسدُّهم رأيـًا». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٨٠).

(ولقد رآه بالأفق المبين):

عن مسروق، قال: كنت متكئا عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على

الله الفرية، قال: وكنت متكئا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني، ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: {ولقد رآه بالأفق المبين}، {ولقد رآه نزلة أخرى}؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطا من السماء سادًّا عِظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض»، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير}؟ أو لم تسمع أن الله يقول: {وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم}؟ «صحيح مسلم» (١/ ١٥٩).

وقال ابن كثير: «{ولقد رآه بالأفق المبين} يعني: ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، {بالأفق المبين} أي: البين، وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء، وهي المذكورة في قوله: {علمه شديد القوى. ذو مرة فاستوى. وهو بالأفق الأعلى. ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى} كما تقدم تفسير ذلك وتقريره...

والظاهر-والله أعلم- أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء؛ لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الأولى، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله: {ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى} فتلك إنما ذكرت في سورة النجم، وقد نزلت بعد سورة الإسراء». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٣٩).

(وما هو على الغيب بضنين):

قال البغوي: «{وما هو} يعني محمدا صلى الله عليه وسلم {على الغيب} أي: الوحي، وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عنه من الأنباء والقصص.

{بضنين} قرأ أهل مكة والبصرة والكسائي بالظاء، أي بمتهم، يقال: فلان يظِنّ بمال ويزن، أي يتهم به: والظِنة: التهمة.

وقرأ الآخرون بالضاد، أي يبخل، يقول: إنه يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم، بل يعلّمكم ويخبركم به، ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حُلوانا». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٥١).

وقال السعدي: «{وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ} أي: وما هو على ما أوحاه الله إليه بمتهم يزيد فيه أو ينقص أو يكتم بعضه، بل هو صلى الله عليه وسلم أمين أهل السماء وأهل الأرض، الذي بلّغ رسالات ربه البلاغ المبين، فلم يشِحّ بشيء منه، عن غني ولا فقير، ولا رئيس ولا مرءوس، ولا ذكر ولا أنثى، ولا حضري ولا بدوي، ولذلك بعثه الله في أمة أمية، جاهلة جهلاء، فلم يمت صلى الله عليه وسلم حتى كانوا علماء ربانيين، وأحبارا متفرسين، إليهم الغاية في العلوم، وإليهم المنتهى في استخراج الدقائق والفهوم، وهم الأساتذة، وغيرهم قصاراه أن يكون من تلاميذهم». «تفسير السعدي» (ص٩١٣).

(وما هو بقول شيطان رجيم):

قال ابن كثير: «{وما هو بقول شيطان رجيم} أي: وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، أي: لا يقدر على حمله، ولا يريده، ولا ينبغي له. كما قال: {وما تنزلت به الشياطين. وما ينبغي لهم وما يستطيعون. إنهم عن السمع لمعزولون}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٣٩).

وقال ابن تيمية: «لما كان جبرائيل هو الذي جاء بالرسالة، وهو صاحب الوحي، وهو غيب عن الناس؛ لم يروه بأبصارهم، ولم يسمعوا كلامه بآذانهم، وزعم زاعمون أن الذي يأتيه شيطان يعلمه ما يقول، أو أنه إنما يعلمه إياه بعض الإنس= أخبر الله العباد أن الرسول الذي جاء به، ونعته أحسن النعت. وبين حاله أحسن البيان، وذلك كله إنما هو تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم، ونفي عنه ما زعموه، وتقرير للرسالة؛ إذ كان هو صاحبه الذي يأتي بالوحي، فقال: {إنه لقول رسول كريم} أي أن الرسول البشري لم ينطق به من عند نفسه، وإنما هو مبلغ يقول ما قيل له؛ فكان في اسم الرسول إشارة إلى محض التوسط والسعاية. ثم وصفه بالصفات التي تنفي كل عيب؛ من القوة والمُكنة والأمانة والقرب من الله سبحانه، فلما استقرّ حال الرسول الملكي بين أنه من جهته، وأنه لا يجيء إلا بالخير.

وكان الرسول البشري معلوم ظاهره عندهم وهو الذي يبلغهم الرسالة، ولولا هؤلاء لما أطاقوا الأخذ عن الرسول الملكي؛ وإنما قال: {صاحبكم} إشارة إلى أنه قد صحبكم سنين قبل ذلك، ولا سابقة له بما تقولون فيه وترمونه؛ من الجنون والسحر وغير ذلك؛ وأنه لولا سابقته وصحبته إياكم لما استطعتم الأخذ عنه؛ ألا تسمعه يقول: {ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا} تمييزا من المرسلين؟ ثم حقق رسالته بأنه رأى جبرائيل، وأنه مؤتمن على ما يأخذه عنه، فقام أمر الرسالة بهاتين الصفتين، وجاء على الوجه الأبلغ والأكمل والأصلح». «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٨٩).

وقال البقاعي: «فمن علم هذه الأوصاف للقرآن والرسولين الآتيين به الملكي والبشري أحبه وأحبهما، وبالغ في التعظيم والإجلال، وأقبل على تلاوته في كل أوقاته، وبالغ في السعي في كل ما يأمر به، والهرب مما ينهى عنه، ليحصل له الاستقامة». «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (٢١/ ٢٩٤).

(فأين تذهبون):

قال ابن كثير: «{فأين تذهبون} أي: فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن، مع ظهوره ووضوحه، وبيان كونه جاء من عند الله عز وجل؟ كما قال الصديق رضي الله عنه لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين، وأمرهم فتلوا عليه شيئا من قرآن مسيلمة الذي هو في غاية الهذيان والركاكة، فقال: ويحكم، أين يذهب بعقولكم؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إلّ، أي: من إله». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٤٠).

(إن هو إلا ذكر للعالمين):

قال السعدي: «{إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} يتذكرون به ربهم، وما له من صفات الكمال، وما ينزه عنه من النقائص والرذائل والأمثال، ويتذكرون به الأوامر والنواهي وحِكمها، ويتذكرون به الأحكام القدرية والشرعية والجزائية، وبالجملة: يتذكرون به مصالح الدارين، وينالون بالعمل به السعادتين». «تفسير السعدي» (ص٩١٣).

وقال ابن عثيمين: «والمراد بالعالمين: من بُعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما قال الله تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}. وقال تعالى: {تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٨١).

(لمن شاء منكم أن يستقيم):

«عن سليمان بن موسى، قال: لما نزلت هذه الآية: (لمن شاء منكم أن يستقيم) قال أبو جهل: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله: (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين)». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٦٤).

وقال ابن عثيمين: «كأنه قال: «إن هو إلا ذكر لمن شاء منكم أن يستقيم» فخصّ بعد التعميم، وأما من لا يشاء الاستقامة فإنه لا يتذكر بهذا القرآن ولا ينتفع به، كما قال تعالى: {إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد}. فالإنسان الذي لا يريد الاستقامة لا يمكن أن ينتفع بهذا القرآن». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٨١).

(وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين):

قال البغوي: «أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه، وأنهم لا يقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله، وفيه إعلام أن أحدا لا يعمل خيرا إلا بتوفيق الله، ولا شرا إلا بخذلانه». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٥١).

وقال ابن عثيمين: «إذا قال قائل: هل مشيئة الإنسان باختياره؟

نقول: نعم، مشيئة الإنسان باختياره. فالله عز وجل جعل للإنسان اختياراً وإرادة، إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل؛ لأنه لو لم يكن كذلك لم تقم الحجة على الخلق الذين أُرسلت إليهم الرسل بإرسال الرسل، فما نفعله هو باختيارنا وإرادتنا، ولولا ذلك ما كان لإرسال الرسل حجة علينا، فالإنسان لا شك فاعل باختياره، وكل إنسان يعرف أنه إذا أراد أن يذهب إلى مكة فهو باختياره، وإذا أراد أن يذهب إلى المدينة

فهو باختياره، وإذا أراد أن يذهب إلى بيت المقدس فهو باختياره وإذا أراد أن يذهب إلى الرياض فهو باختياره، أو إلى أي شيء أراده فهو باختياره، لا يرى أن أحداً أجبره عليه، ولا يشعر أن أحداً أجبره على ذلك، كذلك أيضاً من أراد أن يقوم بطاعة الله فهو باختياره، ومن أراد أن يعصي الله فهو باختياره، فللإنسان مشيئة، ولكن نعلم علم اليقين أنه ما شاء شيئاً إلا وقد شاءه الله من قبل، ولهذا قال: {وما تشاؤون إلا أن يشاء الله}، ما نشاء شيئاً إلا بعد أن يكون الله قد شاءه، فإذا شئنا الشيء علمنا أن الله قد شاءه، ولولا أن الله شاءه ما شئناه. كما قال تعالى: {ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا}. فنحن إذا عملنا الشيء نعمله بمشيئتنا واختيارنا، ولكن نعلم أن هذه المشيئة والاختيار كانت بعد مشيئة الله عز وجل، ولو شاء الله ما فعلنا.

فإن قال قائل: إذن لنا حجة في المعصية لأننا ما شئناها إلا بعد أن شاءها الله.

فالجواب: أنه لا حجة لنا؛ لأننا لم نعلم أن الله شاءها إلا بعد أن فعلناها، وفِعلنا إياها باختيارنا، ولهذا لا يمكن أن نقول: إن الله شاء كذا إلا بعد أن يقع، فإذا وقع فبأي شيء وقع؟ وقع بإرادتنا ومشيئتنا، لهذا لا يتجه أن يكون للعاصي حجة على الله عز وجل، وقد أبطل الله هذه الحجة في قوله: {سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا}. فلولا أنه لا حجة لهم ما ذاقوا بأس الله، ولسَلِموا من بأس الله، ولكنه لا حجة لهم، فلهذا ذاقوا بأس الله.

وكلنا نعلم أن الإنسان لو ذُكر له أن بلداً آمناً مطمئناً، يأتيه رزقه رغداً من كل مكان، فيه من المتاجر والمكاسب ما لا يوجد في البلاد الأخرى، وأن بلداً آخر بلدٌ خائف غير مستقر، مضطرب في الاقتصاد، مضطرب في الخوف والأمن، فإلى أيهما يذهب؟ بالتأكيد سيذهب إلى الأول ولا شك، ولا يرى أن أحداً أجبره أن يذهب إلى الأول، يرى أنه ذهب إلى الأول بمحض إرادته، وهكذا الآن طريق الخير وطريق الشر، فالله بيّن لنا: هذه طريق جهنم وهذه طريق الجنة، وبيّن لنا ما في الجنة من النعيم، وما في النار من العذاب. فأيهما نسلك؟ بالقياس الواضح الجلي أننا سنسلك طريق الجنة لا شك، كما أننا في المثال الذي قبل نسلك طريق البلد الآمن الذي يأتيه رزقه رغداً من كل مكان. ولو أننا سلكنا طريق النار فإنه

سيكون علينا العتب والتوبيخ واللوم، ويُنادى علينا بالسفه، كما لو سلكنا في المثال الأول طريق البلد المخوف المتزعزع الذي ليس فيه استقرار، فإن كل أحد يلومنا ويوبخنا.

إذاً ففي قوله: {لمن شاء منكم أن يستقيم} تقرير لكون الإنسان يفعل الشيء بمشيئته واختياره، ولكن بعد أن يفعل الشيء ويشاء الشيء نعلم أن الله قد شاءه من قبل، ولو شاء الله ما فعله، وكثيراً ما يعزم الإنسان على شيء ويتجه بعد العزيمة إلى هذا الشيء، وفي لحظة يجد نفسه منصرفًا عنه، أو يجد نفسه مصروفًا عنه؛ لأن الله لم يشأه...

ولهذا قيل لأعرابي: بم عرفت ربك؟ قال: بنقض العزائم وصرف الهمم.

بنقض العزائم: يعني الإنسان يعزم على الشيء عزمًا مؤكداً وإذا به ينتقض! مَن نقض عزيمته؟ لا يشعر أن هناك مرجحًا أوجب أن يعدل عن العزيمة الأولى، بل بمحض إرادة الله.

صرف الهمم: يهم الإنسان بالشيء ويتجه إليه تمامًا وإذا به يجد نفسه منصرفًا عنه سواء كان الصارف مانعًا حسيًّا أو كان الصارف مجرد اختيار.. اختار الإنسان أن ينصرف، كل هذا من الله عز وجل».

«تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٨١-٨٤).

وقال ابن عثيمين: «{ربُّ العالمين} إشارة إلى عموم ربوبية الله، وأن ربوبية الله تعالى عامة، ولكن يجب أن نعلم أن العالمين هنا ليست كالعالمين في قوله: {إن هو إلا ذكر للعالمين}، فالعالمين الأولى {ذكر للعالمين} من أُرسل إليهم الرسول، أما هنا {رب العالمين} فالمراد بالعالمين كل من سوى الله، فكل من سوى الله فهو عالَم؛ لأنه ما ثمّ إلا رب ومربوب، فإذا قيل: (رب العالمين) تعيّن أن يكون المراد بالعالمين كل من سوى الله». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٨٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة التكوير ١٥-٢٩

١- تأمل في مخلوقات الله من حولك: في عظيم خَلقها، ودقيق صُنعها، وحركتها وسكونها، وإقبالها وإدبارها، وسنن الله الكونية فيها، وقل: سبحان ربي العظيم (فلا أُقسم بالخنّس * الجوار الكُنّس * والليل إذا عسعس * والصبح إذا تنفّس).

٢- القرآن الكريم كلام الله، وكفى بهذا الوصف شرفا ومكانة وهيبة وجلالا، ومن عظمته أن الذي نزل به أفضل الملائكة عند الله جبريل عليه السلام الكريم القوي المكين المُطاع الأمين، وأن الذي نزل عليه القرآن أفضل البشر على الإطلاق محمد صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين، فاعتنِ بكتاب الله، وأجِلّه من نفسك مكانة سامية ومنزلة عالية (إنه لَقول رسول كريم * ذي قوّة عند ذي العرش مكين * مُطاع ثمّ أمين * وما صاحبكم بمجنون * ولقد رآه بالأفق المبين * وما هو على الغيب بضنين * وما هو بقول شيطان رجيم * فأين تذهبون * إن هو إلا ذكرٌ للعالَمين).

٣- جبريل عليه السلام أفضل الملائكة، وأعظمهم قدرا، وأجلّهم مكانة، وأعلاهم رتبة، وهو كريم الخَلق والخُلق، شديد القوة، مكين عند الله، مطاع في السماء، أمين على الوحي، ولقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم على صورته الحقيقية له ستمائة جناح، وقد سدّ بعِظم خلقه ما بين السماء والأرض، وهذا كله يدعو إلى محبته وتعظيمه عليه السلام (ولقد رآه بالأفق المبين).

٤- رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وما من خير إلا ودلّنا عليه، وما من شر إلا وحذّرنا منه، فلنتعلّم سنّته، ولنهتدِ بهديه، لننال الدرجات العلى من الجنة (وما هو على الغيب بضنين).

٥- نزل القرآن تذكرة للعالمين، فمن تذكّر به فهو الموفّق، ومن أعرض عنه فإنه في ضلال مبين، فاحرص على تدبره حتى تكون من المتذكّرين (إن هو إلا ذكرٌ للعالَمين * لمن شاء منكم أن يستقيم).

٦- اعلم أن الاستقامة على الهدى بيد الله، يؤتيها من يشاء من عباده، ولن تنالها بقوتك أو ذكائك أو حرصك أو مالك أو جاهك، بل بمحض توفيق الله وفضله، فاسأل الله أن يهديك صراطه المستقيم (لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالَمين).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة عبس ١-١٦ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة عبس: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] تذكير الكافرين المستغنين عن ربهم ببراهين البعث.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١﴾

قطّب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجهه وأعرض.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢﴾

لأجل مجيء عبد الله بن أم مكتوم يسترشد، وكان أعمى، جاء والرسول - صلى الله عليه وسلم - منشغل بأكابر المشركين أملًا في هدايتهم.

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣﴾

وما يُعْلِمُكَ -أيها الرسول- لعل هذا الأعمى يتطهر من ذنوبه؟!

﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤﴾

أو يتعظ بما يسمع منك من المواعظ، فينتفع بها.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥﴾

أما من استغنى بنفسه بما لديه من المال عن الإيمان بما جئت به.

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦﴾

فأنت تتعرَّض له، وتُقبل إليه.

﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧﴾

وأي شيء يلحقك إذا لم يتطهر من ذنوبه بالتوبة إلى الله.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨﴾

وأما من جاءك يسعى بحثًا عن الخير.

﴿وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩﴾

وهو يخشى ربه.

﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠﴾

فأنت تتشاغل عنه بغيره من أكابر المشركين.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١﴾

ليس الأمر كذلك، إنما هي موعظة وتذكير لمن يقبل.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢﴾

فمن شاء أن يذكر الله ذكره، واتعظ بما في هذا القرآن.

﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣﴾

فهذا القرآن في صحف شريفة عند الملائكة.

﴿مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤﴾

مرفوعة في مكان عال، مطهرة لا يصيبها دَنَس ولا رِجْس.

﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥﴾

وهي بأيدي رسل من الملائكة.

﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦﴾

كرام عند ربهم، كثيري فعل الخير والطاعات.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• عتاب الله نبيَّه في شأن عبد الله بن أم مكتوم دل على أن القرآن من عند الله.

• الاهتمام بطالب العلم والمُستَرْشِد.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة عبس ١-١٦

الكلمة	المعنى
عَبَسَ وتولّى	ظهر التغيّر في وجهه وأعرض
أن جاءه الأعمى	لأجل مجيء الأعمى عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه يسأله
يزّكّى	يتطهّر من الذنوب
تصدّى	تتعرّض له وتُقبل إليه
تلهّى	تتشاغل
مُكرّمة	معظّمة
مُطهّرة	منزّهة من الدنَس والزيادة والنقصان
سَفَرَة	ملائكة سفراء بين الله وخلقه
بَرَرَة	مطيعين لله لا يعصونه

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة عبس ١-١٦

(عبس وتولى ❋ أن جاءه الأعمى):

«عن عائشة قالت: أنزلت (عبس وتولى) في ابن أم مكتوم، قالت: أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: أرشدني، قالت: وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظماء المشركين، قالت: فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه، ويقبل على الآخر ويقول: (أترى بما أقوله بأسا؟) فيقول: لا، ففي هذا أنزلت: (عبس وتولى)». «سنن الترمذي» (٥/ ٤٣٢)، «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢١٧).

«قال ابن زيد: كان يقال: لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم من الوحي شيئا، كتم هذا عن نفسه». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢١٩).

وقال البغوي: «فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه - يعني: ابن أم مكتوم-... واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما، قال أنس بن مالك: فرأيته يوم القادسية عليه درع ومعه راية سوداء [أحمد]». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣٢).

وقال ابن عثيمين: «كان النبي عليه الصلاة والسلام في عبوسه وتوليه يلاحظ هذين الأمرين:
الأمر الأول: الرجاء في إسلام هؤلاء العظماء. والأمر الثاني: ألا يزدروا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في كونه يلتفت إلى هذا الرجل الأعمى الذي هو محتقر عندهم.
ولا شك أن هذا اجتهاد من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وليس احتقاراً لابن أم مكتوم؛ لأننا نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلّم لا يهمه إلا أن تنتشر دعوة الحق بين عباد الله، وأن الناس عنده سواء، بل من كان أشد إقبالاً على الإسلام فهو أحب إليه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٦٠).

وقال ابن عثيمين: «هذه الآيات فيها تأديب من الله عز وجل للخلق ألا يكون همهم هما شخصيًّا، بل يكون همهم هما معنويًّا، وألا يفضلوا في الدعوة إلى الله شريفـاً لشرفه، ولا عظيمـاً لعظمته، ولا قريبـاً لقربه، بل يكون الناس عندهم سواء في الدعوة إلى الله: الفقير والغني، الكبير والصغير، القريب والبعيد.

وفيها أيضـاً: تلطف الله عز وجل بمخاطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال في أولها: {عبس وتولى. أن جاءه الأعمى} ثلاث جمل لم يخاطب الله فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنها عتاب، فلو وُجّهت إلى الرسول بالخطاب لكان شديدا عليه، لكن جاءت بالغيبة {عبس}، وإلا كان مقتضى الحال أن يقول: عبست وتوليت أن جاءك الأعمى، ولكنه قال: (عبس وتولى)، فجعل الحكم للغائب كراهية أن يخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الكلمات الغليظة الشديدة، ولأجل ألا يقع بمثل ذلك من يقع من هذه الأمة، والله سبحانه وتعالى وصف كتابه العزيز بأنه بلسان عربي مبين، وهذا من بيانه.

وفي الآيات أيضـاً دليل على جواز لقب الإنسان بوصفه: مثل الأعمى والأعرج والأعمش، وقد كان العلماء يفعلون هذا: الأعرج عن أبي هريرة، الأعمش عن ابن مسعود، وهكذا، قال أهل العلم: واللقب بالعيب إذا كان المقصود به تعيين الشخص فلا بأس به، وأما إذا كان المقصود به تعيير الشخص فإنه حرام؛ لأن الأول ـ إذا كان المقصود به تبيين الشخص ـ تدعو الحاجة إليه، والثاني ـ إذا كان المقصود به التعيير ـ فإنه لا يقصد به التبيين، وإنما يقصد به الشماتة، وقد جاء في الأثر: «لا تظهر الشماتة في أخيك فيرحمه الله ويبتليك». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٦٢-٦٣).

(وما يدريك لعله يزّكّى * أو يذّكّر فتنفعَه الذكرى):

قال ابن تيمية: «قال في حق الأعمى: {وما يدريك لعله يزكى. أو يذكر فتنفعه الذكرى}. فذكر الانتفاع بالذكرى، كما قال: {وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين}. والنفع نوعان: حصول النعمة واندفاع النقمة. ونفس اندفاع النقمة نفع وإن لم يحصل معه نفع آخر، ونفس المنافع التي يُخاف معها عذاب نفع، وكلاهما نفع. فالنفع تدخل فيه الثلاثة، والثلاثة تحصل بالذكرى، كما قال تعالى: {وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين}، وقال: {وما يدريك لعله يزكى. أو يذكر فتنفعه الذكرى}.

وأما ذكر التزكي مع التذكر فهو كما ذكر في قصة فرعون الخشية مع التذكر. وذلك أن التزكي هو الإيمان والعمل الصالح الذي تصير به نفس الإنسان زكية». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ١٨٤).

وقال السعدي: «{أو يذكر فتنفعه الذكرى} أي: يتذكر ما ينفعه، فيعمل بتلك الذكرى. وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فإقبالك على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك هو الأليق الواجب، وأما تصديك وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير مع تركك من هو أهم منه فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزك فلست بمحاسب على ما عمله من الشر. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: "لا يُترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة"، وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم المفتقر إليه الحريص عليه أزيد من غيره». «تفسير السعدي» (ص٩١٠).

(أما من استغنى * فأنت له تصدّى * وما عليك ألا يزّكّى):

قال ابن تيمية: «الأمر بالتذكير أمر بالتذكير التام النافع، كما هو أمر بالتذكير المشترك. وهذا التام النافع يَخصّ به المؤمنين المنتفعين. فهم إذا آمنوا ذكّرهم بما أُنزل، وكلما أُنزل شيء من القرآن ذكّرهم به، ويذكّرهم بمعانيه، ويذكّرهم بما نزل قبل ذلك. بخلاف الذين قال فيهم: {فما لهم عن التذكرة معرضين. كأنهم حمر مستنفرة. فرت من قسورة}. فإن هؤلاء لا يذكّرهم كما يذكّر المؤمنين إذا كانت الحجة قد قامت عليهم وهم معرضون عن التذكرة لا يسمعون. ولهذا قال: {عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكى. أو يذكر فتنفعه الذكرى. أما من استغنى. فأنت له تصدى. وما عليك ألا يزكى. وأما من جاءك يسعى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهى}، فأمره أن يُقبل على من جاءه يطلب أن يتزكى وأن يتذكر. وقال: {سيذكر من يخشى} إلى قوله {قد أفلح من تزكى}، فذكر التذكر والتزكي كما ذكرهما هناك. وأمره أن يقبل على من أقبل عليه دون من أعرض عنه، فإن هذا ينتفع بالذكرى دون ذاك. فيكون مأمورا أن يذكّر المنتفعين بالذكرى تذكيرا يخصّهم به غير التبليغ العام الذي تقوم به الحجة». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ١٦٣).

(كلا إنها تذكرة):

قال البغوي: «{كلا} زجر، أي: لا تفعل بعدها مثلها، {إنها} يعني هذه الموعظة. وقال مقاتل: آيات القرآن {تذكرة} موعظة وتذكير للخلق». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣٦).

(فمن شاء ذكره):

قال ابن عثيمين: «{فمن شاء ذكره} أي: فمن شاء ذكر ما نزل من الموعظة فاتعظ، ومن شاء لم يتعظ، لقول الله تعالى: {وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}. فالله جعل للإنسان الخيار قدراً بين أن يؤمن ويكفر، أما شرعـًا فإنه لا يرضى لعباده الكفر، وليس الإنسان مخير شرعـًا بين الكفر والإيمان، بل هو مأمور بالإيمان، ومفروض عليه الإيمان، لكن من حيث القدر هو مخير، وليس كما يزعم بعض الناس: مسير مجبر على عمله». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٦١).

(مرفوعةٍ مطهرة):

قال البغوي: «{مرفوعة} رفيعة القدر عند الله عز وجل، وقيل: (مرفوعة) يعني في السماء السابعة». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣٧).

(بأيدي سفرة):

قال ابن عثيمين: «السفرة: الملائكة، وسموا سفرة لأنهم كتبة، مأخوذة من السَّفَر أو من السَّفْرِ، وهو الكتاب. كقوله تعالى: {كمثل الحمار يحمل أسفاراً}. وقيل: السفرة: الوسطاء بين الله وبين خلقه، من السفير وهو الواسطة بين الناس، ومنه حديث أبي رافع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تزوج ميمونة رضي الله عنها قبل أن يحرم قال: «وكنت السفير بينهما» أي: الواسطة.

والصحيح أنهم سموا سفرة لهذا وهذا؛ لأنهم سفراء بين الله وبين الخلق، فجبريل عليه الصلاة والسلام واسطة بين الله وبين الخلق في النزول بالوحي، والكتبة الذين يكتبون ما يعمل الإنسان أيضـًا يكتبونه

ويبلغونه إلى الله عز وجل، والله تعالى عالم به حين كتابته وقبل كتابته». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٦٢).

(كرامٍ بررة):

قال ابن كثير: «(كرام بررة) أي: خَلْقهم كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة. ومن هاهنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد...قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٢١).

وقال ابن عثيمين: «(بررة) جمع بَر، وهو كثير الفضل والإحسان؛ ولهذا وصف الله الملائكة بأنهم كرام كاتبون يعلمون ما تفعلون، وأنهم عليهم الصلاة والسلام لا يستكبرون عن عبادة الله ولا يستحسرون. يسبحون الليل والنهار لا يفترون». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٦٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة عبس ١-١٦

١- بقاء معاتبة الله تعالى لنبيه قرآنا يُتلى هو من أعظم الأدلة على صدق النبي ﷺ، إذ لو كتم عنّا شيئا من القرآن لكتم هذا – وحاشاه عليه الصلاة والسلام –، فدل على أن القرآن الكريم إنما نزل من عند الله عز وجل (عبس وتولى ❁ أن جاءه الأعمى).

٢- احرص على دعوة وتعليم كل مقبل على الخير راغب فيه طالب له، ولو كان فقيرا أو صغيرا أو ضعيفا، مع الرفق به والإحسان إليه، فإنك لا تدري من الذي يتزكّى ويتذكّر، وقد يكون لهذا الضعيف والصغير والفقير شأن في الإسلام والدعوة إليه والذبّ عنه، فيكون سعيه كله في ميزان حسناتك، واعلم أننا إنما نُنصر ونُرزق بضعفائنا، وفي المقابل لو أسأت إلى أحد أو أعرضت عنه فقد ينقلب إلى عدو للإسلام والمسلمين، فكن داعيا إلى الله، راجيا ما عند الله (عبس وتولى ❁ أن جاءه الأعمى ❁ وما يدريك لعله يزكى ❁ أو يذكر فتنفعه الذكرى).

٣- كل شخص له حق في الدعوة إلى الإسلام، وبيان محاسنه له، فمن أعرض بعد ذلك وتولّى واستغنى وتكبّر فقد قامت عليه الحجة وبلغته الرسالة، فإن وجد الداعي في نفسه همة لدعوته بعد ذلك ورغبة في تكرار بيان الحق له فذاك حسن على أن لا يُخلّ بما هو أوجب عليه من دعوة من لم تصله الدعوة ونحو ذلك (أما من استغنى ❁ فأنت له تصدّى ❁ وما عليك ألّا يزكّى ❁ وأما من جاءك يسعى ❁ وهو يخشى ❁ فأنت عنه تلهّى ❁ كلا إنها تذكرة ❁ فمن شاء ذكره).

٤- كما أن القرآن في صحف مكرّمة، مرفوعة مطهّرة، بأيدي سفرة، كرام بررة، فكذلك ينبغي أن يكون من حفظ القرآن في صدره، فيُكرم قلبه بالإخلاص، ويرفعه عن سفاسف الأمور، ويطهّره من المعاصي، ويكون كريم اليد، كثير الطاعات (في صحف مكرّمة ❁ مرفوعة مطهّرة ❁ بأيدي سفرة ❁ كرام بررة).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة عبس ١٧-٣٢ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧﴾

لُعِن الإنسان الكافر، ما أشدّ كفره بالله!

﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨﴾

من أيّ شيء خلقه الله حتَّى يتكبّر في الأرض وَيكْفُرَهُ؟!

﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩﴾

من ماء قليل خلقه، فَقَدَّر خلقه طورًا بعد طور.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠﴾

ثم يسّر له بعد هذه الأطوار الخروج من بطن أمه.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١﴾

ثم بعد ما قَدَّر له من عمر في الحياة أماته، وجعل له قبرًا يبقى فيه إلى أن يبعث.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢﴾

ثم إذا شاء بَعَثَهُ للحساب والجزاء.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ٢٣﴾

ليس الأمر كما يتوهم هذا الكافر أنه أدى ما عليه لربه من حق، فهو لم يؤدّ ما أوجب الله عليه من الفرائض.

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤﴾

فلينظر الإنسان الكافر بالله إلى طعامه الَّذي يأكله كيف حصل؟!

﴿أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥﴾

فأصله من المطر النازل من السماء بقوة وغزارة.

﴿ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦﴾

ثم فَتَقْنا الأرض فانشقت عن النبات.

﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧﴾

فأنبتنا فيها الحبوب من قمح وذرة وغيرهما.

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ٢٨﴾

وأنبتنا فيها عنبًا وقتًّا رطبًا؛ ليكون علفًا لدوابهم.

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ٢٩﴾

وأنبتنا فيها زيتونًا ونخلًا.

﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ٣٠﴾

وأنبتنا فيها بساتين كثيرة الأشجار.

﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ٣١﴾

وأنبتنا فيها فاكهة، وأنبتنا فيها ما ترعاه بهائمكم.

﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ٣٢﴾

لانتفاعكم، وانتفاع بهائمكم.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة عبس ١٧-٣٢

الكلمة	المعنى
قُتل الإنسان	لُعن الإنسان الكافر وعُذِّب
ما أكفرَه!	ما أشدّ كفره!
من نُطفةٍ	من ماءٍ قليل مهين، وهو المنيّ
فقدّره	فسوّاه طورا بعد طور، وهيّأه لما يصلح له
ثم السبيل يسّره	ثم بيّن له طريق الخير والشر، أو: يسّر له الخروج من بطن أمه
فأقبره	فجعل له مكانا يُدفن فيه إكراما له
أنشَرَه	أحياه بعد الموت للحساب والجزاء
لمّا يَقضِ ما أَمَره	لم يُؤدِّ بعدُ جميع ما أمره الله به
شقَقنا الأرض	بالنبات والحرث
وقَضْبًا	وعلفا رطبًا للدواب
وحدائق غُلبًا	وبساتين كثيرة الأشجار
وأبًّا	وكلأً للبهائم

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة عبس ١٧-٣٢

(قُتل الإنسان ما أكفره):

«عن مجاهد قال: ما كان في القرآن (قُتل الإنسان) أو فُعل بالإنسان، فإنما عني به: الكافر». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٢٢).

وقال ابن عثيمين: «(قُتل الإنسان) قال بعض العلماء: إن معناها لُعن، والذي يظهر أن معناها أُهلك؛ لأن القتل يكون به الهلاك، وهو أسلوب تستعمله العرب في تقبيح ما كان عليه صاحبه، فيقولون مثلاً: قتل فلان ما أسوأ خلقه، قتل فلان ما أخبثه، وما أشبه ذلك...

{ما أكفره} قال بعض العلماء إن {ما} هنا استفهامية أي: أي شيء أكفره؟ ما الذي حمله على الكفر؟ وقال بعض العلماء: إن هذا من باب التعجب يعني: ما أعظم كفره! وإنما كان كفر الإنسان عظيمـًا لأن الله أعطاه عقلاً، وأرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب وأمده بكل ما يحتاج إلى التصديق، ومع ذلك كفر، فيكون كفره عظيمـًا. والفرق بين القولين أنه على القول الأول تكون {ما} استفهامية أي: ما الذي أكفره؟ وعلى القول الثاني تكون تعجبية، يعني عجبـًا له كيف كفر مع أن كل شيء متوفر لديه في بيان الحق والهدى والكفر والإيمان!! والكفر هنا يشمل كل أنواع الكفر، ومنه إنكار البعث، فإن كثيراً من الكفار كذبوا بالبعث، وقالوا: لا يمكن أن يُبعث الناس بعد أن كانت عظامهم رميمـًا كما قال تعالى: {وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٦٣).

(من أيّ شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدّره):

قال القرطبي: «(من أي شيء خلقه) أي من أي شي خلق الله هذا الكافر فيتكبر؟ أي: اعجبوا لخلقه من نطفة، أي: من ماء يسير مهين جماد خلقه، فلِمَ يغلط في نفسه؟! قال الحسن: كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين». «تفسير القرطبي» (١٩/ ٢١٨).

وقال القرطبي: «روي أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب بن أبي صفرة يتبختر في مِطرف خز وجُبّة خز، فقال له: يا عبد الله، ما هذه المشية التي يبغضها الله؟! فقال له: أتعرفني؟ قال: نعم، أوّلك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة. فمضى المهلب وترك مشيته.

نظم الكلام محمود الوراق فقال:

عجبت من معجب بصورته ... وكان في الأصل نطفةً مذرة

وهو غدا بعد حسن صورته ... يصير في اللحد جيفةً قذرة

وهو على تيهه ونخوته ... ما بين ثوبيه يحمل العذرة

وقال آخر:

هل في ابن آدم غير الرأس مكرمة ... وهو بخمس من الأوساخ مضروب

أنف يسيل وأذن ريحها سهك ... والعين مرمصة والثغر ملهوب

يا ابن التراب ومأكول التراب غدا ... قصّر فإنك مأكول ومشروب». «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٩٤-٢٩٥).

وقال ابن القيم: «وإذا تأملت ما دعا الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر فيه أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله، من عموم قدرته وعلمه، وكمال حكمته ورحمته وإحسانه وبره ولطفه وعدله ورضاه وغضبه وثوابه وعقابه؛ فبهذا تعرّف إلى عباده، وندبهم إلى التفكر في آياته. ونذكر لذلك أمثلة مما ذكرها الله سبحانه في كتابه؛ ليستدل بها على غيرها:

فمن ذلك: خلق الإنسان، وقد ندب سبحانه إلى التفكر فيه والنظر في غير موضع من كتابه؛ كقوله تعالى: {فلينظر الإنسان مم خلق}، وقوله تعالى: {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}. وقال تعالى: {ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا}. وقال تعالى: {أيحسب الإنسان أن يترك سدى. ألم يك نطفة من مني يمنى. ثم كان علقة فخلق فسوى. فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى. أليس

ذلك بقادر على أن يحيي الموتى}، وقال تعالى: {ألم نخلقكم من ماء مهين. فجعلناه في قرار مكين. إلى قدر معلوم. فقدرنا فنعم القادرون}. وقال تعالى: {أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين}، وقال: {ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين}.

وهذا كثير في القرآن؛ يدعو العبد إلى النظر والفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره؛ إذ نفسُه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه، وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه؛ وهو غافل عنه، معرض عن التفكر فيه، ولو فكر في نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره؛ قال الله تعالى: {قتل الإنسان ما أكفره. من أي شيء خلقه. من نطفة خلقه فقدره. ثم السبيل يسره. ثم أماته فأقبره. ثم إذا شاء أنشره}.

فلم يكرر سبحانه على أسماعنا وعقولنا ذكر هذا لنسمع لفظ النطفة والعلقة والمضغة والتراب، ولا لنتكلم بها فقط، ولا لمجرد تعريفنا بذلك، بل لأمر وراء ذلك كله هو المقصود بالخطاب، وإليه جرى ذلك الحديث.

فانظر الآن إلى النطفة بعين البصيرة؛ وهي قطرة من ماء مهين ضعيف مستقذر، لو مرت بها ساعة من الزمان فسدت وأنتنت، كيف استخرجها رب الأرباب العليم القدير من بين الصلب والترائب، منقادة لقدرته، مطيعة لمشيئته، مذللة القياد على ضيق طرقها واختلاف مجاريها، إلى أن ساقها إلى مستقرها ومجمعها.

وكيف جمع سبحانه بين الذكر والأنثى، وألقى المحبة بينهما، وكيف قادهما بسلسلة الشهوة والمحبة إلى الاجتماع الذي هو سبب تخليق الولد وتكوينه.

وكيف قدّر اجتماع ذينك الماءين مع بعد كل منهما عن صاحبه، وساقهما من أعماق العروق والأعضاء، وجمعهما في موضع واحد جعل لهما قرارا مكينا، لا يناله هواء يفسده، ولا برد يجمده، ولا عارض يصل إليه، ولا آفة تتسلط عليه، ثم قلب تلك النطفة البيضاء المشرقة علقة حمراء تضرب إلى سواد، ثم جعلها

مضغة لحم مخالفة للعلقة في لونها وحقيقتها وشكلها، ثم جعلها عظاما مجردة لا كسوة عليها، مباينة للمضغة في شكلها وهيئتها وقدرها وملمسها ولونها.

وانظر كيف قسم تلك الأجزاء المتساوية المتشابهة إلى الأعصاب والعظام والعروق والأوتار واليابس واللين، وبيْن ذلك، ثم كيف ربط بعضها ببعض أقوى رباط وأشده وأبعده من الانحلال.

وكيف كساها لحما ركبه عليها، وجعله وعاء لها وغشاء وحافظا، وجعلها حاملة له مقيمة له؛ فاللحم قائم بها، وهي محفوظة به.

وكيف صورها فأحسن صورها، وشق لها السمع والبصر والفم والأنف وسائر المنافذ، ومد اليدين والرجلين وبسطهما، وقسم رؤوسهما بالأصابع، ثم قسم الأصابع بالأنامل، وركب الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والأمعاء، كل واحد منها له قدر يخصه ومنفعة تخصه.

ثم انظر الحكمة البالغة في تركيب العظام قواما للبدن وعمادا له، وكيف قدرها ربها وخالقها بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة؛ فمنها الصغير والكبير، والطويل والقصير، والمنحني والمستدير، والدقيق والعريض، والمصمت والمجوّف، وكيف ركب بعضها في بعض؛ فمنها ما تركيبه تركيب الذكر في الأنثى، ومنها ما تركيبه تركيب اتصال فقط، وكيف اختلفت أشكالها باختلاف منافعها؛ كالأضراس، فإنها لما كانت آلة للطحن جعلت عريضة، ولما كانت الأسنان آلة للقطع جعلت مستدِقّةً محدّدة.

ولما كان الإنسان محتاجا إلى الحركة بجملة بدنه وببعض أعضائه للتردد في حاجته لم يجعل عظامه عظما واحدا، بل عظاما متعددة، وجعل بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة، وكان قدْر كل واحد منها وشكله على حسب الحركة المطلوبة منه.

وكيف شد أسر تلك المفاصل والأعضاء وربط بعضها ببعض بأوتار ورباطات أنبتها من أحد طرفي العظم، وألصق العظم بالطرف الآخر كالرباط له، ثم جعل في أحد طرفي العظم زوائد خارجة عنه، وفي الآخر نُقَرا غائصة فيه موافقة لشكل تلك الزوائد؛ ليدخل فيها وينطبق عليها، فإذا أراد العبد أن يحرك جزءا من بدنه لم يمتنع عليه، ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك». «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٥٣٨-٥٤٢).

(ثم السبيل يسّره):

قال البغوي: «{ثم السبيل يسره} أي: طريق خروجه من بطن أمه.

قال السدي ومقاتل، والحسن ومجاهد: يعني طريق الحق والباطل، سهل له العلم به، كما قال: (إنا هديناه السبيل)، (وهديناه النجدين).

وقيل: يسر على كل أحد ما خلقه له وقدره عليه». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣٧).

ورجّح الطبري فقال: «وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: ثم الطريق، وهو الخروج من بطن أمه يسره. وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب، لأنه أشبههما بظاهر الآية، وذلك أن الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفته خلقه وتدبيره جسمه، وتصريفه إياه في الأحوال، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وما بعده». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٢٤).

وقال ابن عثيمين: «{ثم السبيل يسره} السبيل هنا بمعنى الطريق، يعني يسر له الطريق ليخرج من بطن أمه إلى عالم المشاهدة، ويسر له أيضاً بعد ذلك ما ذكره تعالى في قوله: {وهديناه النجدين}. يسر له ثديي أمه يتغذى بهما، ويسر له بعد ذلك ما فتح له من خزائن الرزق، ويسر له فوق هذا كله ما هو أهم وهو طريق الهدى والفلاح، وذلك بما أرسل إليه من الرسالات، وأنزل عليه من الكتب». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٦٥).

(ثم أماته فأقبره):

قال البغوي: «{ثم أماته فأقبره} جعل له قبرا يوارى فيه. قال الفراء: جعله مقبورا ولم يجعله ممن يلقى كالسباع والطيور. يقال: قبرت الميت إذا دفنته، وأقبره الله: أي صيره بحيث يقبر، وجعله ذا قبر». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣٧).

(ثم إذا شاء أنشره):

قال ابن كثير: «(ثم إذا شاء أنشره) أي: بعثه بعد موته، ومنه يقال: البعث والنشور، {ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون}، {وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما}...
عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه)، قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: (مثل حبة خردل منه ينشؤون). وهذا الحديث ثابت في الصحيح من رواية الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، بدون هذه الزيادة، ولفظه: (كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركّب)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٢٣).

(فلينظر الإنسان إلى طعامه):

قال البغوي: «{فلينظر الإنسان إلى طعامه} كيف قدره ربه ودبره له وجعله سببا لحياته.
وقال مجاهد: إلى مدخله ومخرجه». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣٨).

وقال ابن كثير: «(فلينظر الإنسان إلى طعامه) فيه امتنان، وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعدما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٢٣).

وقال ابن عثيمين: «قال عز وجل مذكراً للإنسان بما أنعم الله عليه: {فلينظر الإنسان إلى طعامه}. أي: فلينظر إلى طعامه من أين جاء؟ ومن جاء به؟ وهل أحدٌ خلقه سوى الله عز وجل؟ وينبغي للإنسان أن يتذكر عند هذه الآية قول الله تبارك وتعالى: {أفرأيتم ما تحرثون. أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون. لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون. إنا لمغرمون. بل نحن محرومون}. من الذي زرع هذا الزرع حتى استوى ويسر الحصول عليه حتى كان طعاماً لنا؟ هو الله عز وجل، ولهذا قال: {لو نشاء لجعلناه حطاماً} أي: بعد أن نخرجه نحطمه حتى لا تنتفعوا به». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٦٦).

(أنا صببنا الماء صبا * ثم شققنا الأرض شقا):

قال ابن القيم: «جعل سبحانه نظره في إخراج طعامه من الأرض دليلا على إخراجه هو منها بعد موته، استدلالا بالنظير على النظير». «أعلام الموقعين عن رب العالمين» (١/ ٣٠٤).

(وعِنبا وقضبا):

قال البغوي: «{وقضبا} وهو القت الرطب، سمي بذلك لأنه يُقضب في كل الأيام، أي: يُقطع. وقال الحسن: القضْب: العلف للدواب». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣٨).

وقال ابن تيمية: «وهم سموا العنب "الكرْم" لأنه أنفع الفواكه، يؤكل رطبا ويابسا، ويعصر فيتخذ منه أنواع. وهو أعم وجودا من النخل، يوجد في عامة البلاد، والنخل لا يكون إلا في البلاد الحارة. ولهذا قال في رزق الإنسان {فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الأرض شقا. فأنبتنا فيها حبا. وعنبا وقضبا. وزيتونا ونخلا. وحدائق غلبا. وفاكهة وأبا. متاعا لكم ولأنعامكم} فقدّم العنب. وقال في صفة الجنة {إن للمتقين مفازا. حدائق وأعنابا} ومع هذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تسميته بالكرْم، وقال: {الكرْم قلب المؤمن}». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢٩٤).

(وزيتونا ونخلا):

قال ابن تيمية: «في القرآن: يمتن الله على عباده بنعمه التي لم تكن بأرض الحجاز، كقوله تعالى: {فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الأرض شقا. فأنبتنا فيها حبا. وعنبا وقضبا. وزيتونا ونخلا. وحدائق غلبا. وفاكهة وأبا}. ولم يكن بأرض الحجاز زيتون، ولا نُقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أكل زيتونا. ولكن لعل الزيت كان يجلب إليهم. وقد قال تعالى: {والتين والزيتون} ولم يكن بأرضهم لا هذا ولا هذا، ولا نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أكل منهما، وكذلك قوله: {وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين}، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: {كلوا الزيت وادّهنوا به فإنه من شجرة مباركة} وقال تعالى: {الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة

زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار}. وكذلك قوله: {وحدائق غلبا}». «مجموع الفتاوى» (٢١/ ٣١٥).

وقال ابن كثير: «(وزيتونا) وهو معروف، وهو أدم، وعصيره أدم، ويُستصبح به، ويُدّهن به. (ونخلا) يؤكل بلحا بسرا، ورطبا، وتمرا، ونيئا، ومطبوخا، ويعتصر منه رب، وخل». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٢٤).

(وحدائق غُلبا):

قال الطبري: «(وحدائق غلبا) وقد بينا أن الحديقة البستان المحوّط عليه. وقوله: (غُلبا) يعني: غلاظا. ويعني بقوله: (غلبا) أشجارا في بساتين غلاظ. والغلب: جمع أغلب، وهو الغليظ الرقبة من الرجال». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٢٧).

(وفاكهة وأبّا):

قال ابن كثير: «عن أنس قال: قرأ عمر بن الخطاب: (عبس وتولى) فلما أتى على هذه الآية: (وفاكهة وأبا) قال: عرفنا ما الفاكهة، فما الأبّ؟ ثم قال: لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف. فهو إسناد صحيح، وقد رواه غير واحد عن أنس به. وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه، وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض، لقوله: (فأنبتنا فيها حبا. وعنبا وقضبا. وزيتونا ونخلا. وحدائق غلبا. وفاكهة وأبا)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٢٥).

(متاعا لكم ولأنعامكم):

قال السعدي: «{مَتَاعًا لَكُمْ وَلأنْعَامِكُمْ} التي خلقها الله وسخرها لكم، فمن نظر في هذه النعم أوجب له ذلك شكرَ ربه، وبذل الجهد في الإنابة إليه، والإقبال على طاعته، والتصديق بأخباره». «تفسير السعدي» (ص٩١١).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة عبس ١٧-٣٢

١- الكفر بالله جُرم عظيم، وإثم كبير، إذ كيف يكفر الإنسان بالله الذي خلقه من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل له السمع والأبصار والأفئدة، وأتقن خلقه، وأعدّ له ما يحتاج إليه لجسده وروحه، وأمدّه بالنعم الظاهرة والباطنة (قُتل الإنسان ما أكفره * من أيّ شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدّره * ثم السبيل يسّره).

٢- الموت حق لا بد منه، ولا موعد محدد له، فالعاقل من أعدّ العدّة لما بعد الموت، وعمّر آخرته بما يسرّه ويُفرحه (ثم أماته فأقبره * ثم إذا شاء أنشره).

٣- احرص على أداء ما أمرك الله به من الفرائض والواجبات، حتى تسلم من حال الكافر الذي لم يؤدّ ما أمره الله به (كلا لمّا يقضِ ما أمره).

٤- تأمّل في طعامك الذي تأكله، والمراحل التي هيّأها الله حتى وصل إليك، فقد صبّ الله المطر صبّا، ثم شقّ الأرض شقا، فأنبت فيها الحبوب والأعناب والزيتون والتمور والفواكه وغيرها، كل ذلك يُهيّأ لك من غير حول منك ولا قوة، ولو شاء الله لأفسده وبدّله وغيّره، لكنه بلُطفه وفضله وإحسانه يفتح خزائن رحمته وإنعامه، فحقه سبحانه أن تشكره عدد أنفاسك، وملء أوقاتك (فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صبا * ثم شققنا الأرض شقا * فأنبتنا فيها حبا * وعنبا وقضبا * وزيتونا ونخلا * وحدائق غلبا * وفاكهة وأبا * متاعا لكم ولأنعامكم).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة عبس ٣٣-٤٢ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣﴾

فإذا جاءت الصيحة العظيمة التي تصخ الآذان وهي النفخة الثانية.

﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤﴾

يوم يهرب المرء من أخيه.

﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥﴾

ويفرّ من أمه وأبيه.

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦﴾

ويفرّ من زوجته وأولاده.

﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾

لكلّ واحد منهم ما يشغله عن الآخر من شدّة الكرب في ذلك اليوم.

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨﴾

وجوه السعداء في ذلك اليوم مضيئة.

﴿ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩﴾

ضاحكة فرحة بما أعدّ الله لها من رحمته.

﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠﴾

ووجوه الأشقياء في ذلك اليوم عليها غبار.

﴿تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ٤١﴾

تغشاها ظلمة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ٤٢﴾

أولئك الموصوفون بتلك الحال هم الذين جمعوا بين الكفر والفجور.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• شدة أهوال يوم القيامة حيث لا ينشغل المرء إلا بنفسه، حتَّى الأنبياء يقولون: نفسي نفسي.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة عبس ٣٣-٤٢

الكلمة	المعنى
الصاخّة	الصيحة العظيمة التي تُصِمّ الآذان من هولها، وهي النفخة الثانية في الصور (نفخة البعث)
وصاحبته	وزوجته
شأنٌ يُغنيه	أمرٌ يَشغله عن غيره
مُسفِرة	مُشرقة مُضيئة
غَبَرَة	سواد وظُلمة
تَرهَقُها	تغشاها
قَتَرَة	ذِلّة

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة عبس ٣٣-٤٢

(فإذا جاءت الصاخة):

قال ابن كثير: «قال ابن عباس: (الصاخة) اسم من أسماء يوم القيامة، عظمه الله، وحذره عباده. قال ابن جرير: لعله اسم للنفخة في الصور. وقال البغوي: (الصاخة) يعني صيحة القيامة؛ سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع، أي: تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٢٥).

(يوم يفرّ المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه):

قال القرطبي – في سياق ذكر أسماء يوم القيامة –: «يوم الفرار. قال الله تعالى: {يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه} فيفر كل واحد من صاحبه حذراً من مطالبته إياه، إما لما بينهم من التبعات، أو لئلا يروا ما هو فيه من الشدة.

وقال عبد الله بن طاهر الأبهري: يفر منهم لما يتبين له من عجزهم وقلة حيلتهم إلى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه، ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد شيئًا سوى ربه تعالى». «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص٥٧٨).

وقال ابن تيمية: «ولجماعة من الفضلاء كلام في قوله تعالى: {يوم يفر المرء من أخيه. وأمه وأبيه} لم ابتدأ بالأخ؟ ومن عادة العرب أن يبدأ بالأهم؟

فلما سئلت عن هذا قلت: إن الابتداء يكون في كل مقام بما يناسبه، فتارة يقتضي الابتداء بالأعلى وتارة بالأدنى، وهنا المناسبة تقتضي الابتداء بالأدنى؛ لأن المقصود بيان فراره عن أقاربه مفصلا شيئا بعد شيء، فلو ذكر الأقرب أولا لم يكن في ذكر الأبعد فائدة طائلة، فإنه يُعلم أنه إذا فر من الأقرب فر من الأبعد، ولمَا حصل للمستمع استشعار الشدة مفصلة، فابتدئ بنفي الأبعد منتقلا منه إلى الأقرب فقيل أولا: {يفر المرء من أخيه} فعُلم أن ثم شدة توجب ذلك. وقد يجوز أن يفر من غيره ويجوز أن لا يفر. فقيل: {وأمه وأبيه} فعُلم أن الشدة أكبر من ذلك بحيث توجب الفرار من الأبوين. ثم قيل: {وصاحبته

وبنيه} فعُلم أنها طامة بحيث توجب الفرار ممن لا يَفر منهم إلا في غاية الشدة، وهي الزوجة والبنون».
«مجموع الفتاوى» (١٦/ ٧٤).

وقال ابن كثير: «(يوم يفر المرء من أخيه. وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه) أي: يراهم، ويفر منهم، ويبتعد عنهم؛ لأن الهول عظيم، والخطب جليل.

قال عكرمة: يلقى الرجل زوجته فيقول لها: يا هذه، أي بعل كنت لك؟ فتقول: نعم البعل كنت! وتثني بخير ما استطاعت، فيقول لها: فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبينها لي لعلي أنجو مما ترين. فتقول له: ما أيسر ما طلبت، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذي تخاف. قال: وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول: يا بني، أي والد كنت لك؟ فيثني بخير. فيقول له: يا بني، إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترى. فيقول ولده: يا أبت، ما أيسر ما طلبت، ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئا. يقول الله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه).

وفي الحديث الصحيح -في أمر الشفاعة-: أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق، يقول: نفسي نفسي، لا أسأله اليوم إلا نفسي، حتى إن عيسى ابن مريم يقول: لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدتني. ولهذا قال تعالى: (يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٢٥).

(لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه):

قال ابن عثيمين: «كل إنسان مشتغل بنفسه لا ينظر إلى غيره، ولهذا لما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إنكم تحشرون يوم القيامة حفاة، عراة، غرلاً» قالت عائشة رضي الله عنها: «الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض»؟ قال النبي صلى الله عليه وسلّم: «الأمر أعظم من أن ينظر بعضهم إلى بعض».
«تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٦٨).

(وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة):

قال الطبري: «(وجوه يومئذ مسفرة) يقول تعالى ذكره: وجوه يومئذ مشرقة مضيئة، وهي وجوه المؤمنين الذين قد رضي الله عنهم، يقال: أسفر وجه فلان: إذا حسن، ومنه أسفر الصبح: إذا أضاء، وكل مضيء فهو مسفر، وأما سَفَر بغير ألف، فإنما يقال للمرأة إذا ألقت نقابها عن وجهها أو برقعها، يقال: قد سفرت المرأة عن وجهها، إذا فعلت ذلك فهي سافر؛ ومنه قول توبة بن الحمير:

وكنت إذا ما زرت ليلى تبرقعت ... فقد رابني منها الغداةَ سفورها

يعني بقوله: "سفورها" إلقاءها برقعها عن وجهها». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٣٢-٢٣٣).

وقال ابن عثيمين: «{وجوه يومئذ} يعني يوم القيامة (مسفرة) من الإسفار، وهو الوضوح؛ لأنها وجوه المؤمنين، تُسفر عما في قلوبهم من السرور والانشراح، {ضاحكة} يعني متبسمة، وهذا من كمال سرورهم، {مستبشرة} أي: قد بُشرت بالخير؛ لأن الملائكة تتلقاهم بالبشرى يقولون: {سلام عليكم}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٦٨).

(ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قترة):

«قال ابن زيد، في قوله: (ترهقها قترة) قال: هذه وجوه أهل النار؛ قال: والقترة من الغبرة، قال: وهما واحد، قال: فأما في الدنيا فإن القترة: ما ارتفع، فلحق بالسماء، ورفعته الريح، تسميه العرب القترة، وما كان أسفل في الأرض فهو الغبرة». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٣٤).

(أولئك هم الكفرة الفجرة):

قال الطبري: «هؤلاء الذين هذه صفتهم يوم القيامة هم الكفرة بالله، كانوا في الدنيا الفجرة في دينهم، لا يبالون ما أتوا به من معاصي الله، وركبوا من محارمه، فجزاهم الله بسوء أعمالهم ما أخبر به عباده». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٣٤).

وقال ابن كثير: «(أولئك هم الكفرة الفجرة) أي: الكفرة قلوبهم، الفجرة في أعمالهم، كما قال تعالى: {ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٢٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة عبس ٣٣-٤٢

١- احذر من أن تعصي ربك لإرضاء ابنك أو زوجك أو أبيك أو أمك أو أخيك أو غيرهم، فإن هؤلاء كلهم سيتخلّون عنك يوم القيامة ويفرّون منك، ويقول كل واحد منهم: نفسي نفسي، ولن ينفعك حينها إلا تقديم رضا الله على رضا كل أحد، فاعمل بطاعة الله وقدّم ما يحبه الله، لتنجو من هول يوم القيامة (فإذا جاءت الصاخة * يوم يفرّ المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئٍ منهم يومئذ شأن يًغنيه).

٢- ينقسم الناس يوم القيامة إلى سعداء وأشقياء، فأما السعداء فتعرف في وجوههم نضرة النعيم، ضاحكون فرحون مستبشرون، وأما الأشقياء فوجوههم مسودّة شاحبة، تعلوها غبرة، وتغشاها ذلة، فاعمل لأن تكون من السعداء، وطريق ذلك: أن تقوّي إيمانك بالله، وتصدّق أخباره، وتثق في أحكامه، وتتوكّل عليه وحده، وتحسن الظن به، ولا تترك بابا للخير إلا وترمي فيه بسهم، ولا بابا للشر إلا وتجعل بينك وبينه مسافات طويلة، فإنك لا تدري ما الحسنة التي تنجو بها، ولا تدري ما السيئة التي قد تهوي بك في النار سبعين خريفا (وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة * ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قترة * أولئك هم الكفرة الفجرة).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النازعات ١-١٤ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة النازعات: مَكيّة.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] التذكير بالله واليوم الآخر.

﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرۡقٗا ١﴾

أقسم الله بالملائكة التي تجذب أرواح الكفار بشدة وعنف.

﴿وَٱلنَّـٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢﴾

وأقسم بالملائكة التي تستلُّ أرواح المؤمنين بسهولة ويسر.

﴿وَٱلسَّـٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣﴾

وأقسم بالملائكة التي تَسْبح من السماء إلى الأرض بأمر الله.

﴿فَٱلسَّـٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤﴾

وأقسم بالملائكة التي تسبق بعضها في أداء أمر الله.

﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾

وأقسم بالملائكة التي تنفذ ما أمرهم الله به من قضائه مثل الملائكة الموكلين بأعمال العباد؛ أقسم بذلك كله ليبعثنَّهم للحساب والجزاء.

﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦﴾

يوم تهتزّ الأرض عند النفخة الأولى.

﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾

تتبع هذه النفخة نفخة ثانية.

﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨﴾

قلوب الكافرين والفاسقين في ذلك اليوم خائفة.

﴿أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ٩﴾

يظهر على أبصارها أثر الذلة.

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠﴾

وكانوا يقولون: هل نرجع إلى الحياة بعد أن متنا؟!

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١﴾

أإذا كنا عظامًا بالية فارغة نرجع بعد ذلك؟!

﴿قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ١٢﴾

قالوا: إذا رجعنا تكون تلك الرجعة خاسرة، مغبونًا صاحبها.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣﴾

أَمْر البعث يسير، فإنما هي صيحة واحدة من الملك الموكل بالنفخ.

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤﴾

فإذا الجميع أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا أمواتًا في بطنها.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• قبض روح الكافر بشدّة وعنف، وقبض روح المؤمن برفق ولين.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة النازعات ١-١٤

الكلمة	المعنى
والنازعات غَرْقًا	قَسَم بالملائكة التي تنزِع أرواح الكفار من أقاصي أجسادهم بشدة وعنف
والناشطات نشْطا	قَسَم بالملائكة التي تستلُّ أرواح المؤمنين بسهولة ويسر
والسابحات سبْحا	قَسَم بالملائكة التي تَسْبح بين السماء والأرض بأمر الله
فالسابقات سبْقا	فالملائكة التي تسبق بعضها في أداء أمر الله، أو: التي تسبق الشياطين في إيصال الوحي إلى الرسل
فالمدبّرات أمرًا	فالملائكة التي تنفّذ ما أمر الله به من قضائه
ترجُف الراجفة	تضطرب الأرض عند النفخة الأولى وهي نفخة الصعْق
تَتبعها الرادفة	تليها النفخة الثانية للبعث
وَاجِفة	مضطربة خائفة
أبصارُها خَاشِعَة	أبصارها ذليلة من الفزَع
في الحَافِرَة	إلى الحياة بعد الموت
عظَامًا نَخِرَة	عظامًا بالية مفتّتة
كرَّةٌ خاسرة	رَجْعة خائبة
زَجْرة واحدة	صيحة واحدة وهي نفخة البعْث
بالسَّاهِرَة	أحياءٌ على وجه الأرض

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة النازعات ١-١٤

(والنازعات غرقا * والناشطات نشطا):

قال البغوي: «{والنازعات غرقا} يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم، كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد بعد ما نزعها، حتى إذا كادت تخرج ردها في جسده، فهذا عمله بالكفار...

قال ابن مسعود: ينزعها ملك الموت وأعوانه من تحت كل شعرة ومن الأظافير وأصول القدمين، ويرددها في جسده بعدما ينزعها، حتى إذا كادت تخرج ردها في سجده بعدما ينزعها...

{والناشطات نشطا} هي الملائكة تنشَط نفس المؤمن، أي تَحُلّ حلا رفيقا فتقبضها، كما يُنشَط العقال من يد البعير...

وعن ابن عباس: هي نفس المؤمن تنشط للخروج عند الموت، لما يرى من الكرامة؛ لأنه تعرض عليه الجنة قبل أن يموت». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٢٠-٣٢٤).

وقال ابن عثيمين: «الملائكة الموكلة بقبض أرواح الكفار إذا دعت الروح إلى الخروج تناديها بأقبح الأوصاف، تقول الملائكة لروح الكافر: اخرجي أيتها النفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث، اخرجي إلى غضب الله، فتنفر الروح، لا تريد أن تخرج إلى هذا، وتتفرق في الجسد حتى يقبضوها بشدة، وينزعوها نزعـًا يكاد يتمزق الجسد منها من شدة النزع.

أما أرواح المؤمنين ـ جعلني الله وإياكم منهم ـ فإن الملائكة إذا نزلت لقبضها تبشرها: اخرجي يا أيتها النفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب، اخرجي إلى رضوان الله، فيهون عليها أن تفارق جسدها الذي ألفته فتخرج بسهولة، ولهذا لما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». قالت عائشة: يا رسول الله: إنَّا لنكره الموت، فقال: «ليس ذلك، ولكنّ المؤمن إذا حضره الموت بُشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه»، لأنه في تلك اللحظة يرى أنه سينتقل إلى دار أحسن من الدار التي فارقها، فيفرح كما يفرح أحدنا إذا قيل له: اخرج من بيت الطين إلى البيت المسلح القصر المشيد الطيب، فيفرح فيحب لقاء

الله، والكافر ـ والعياذ بالله ـ بالعكس، إذا بشر بالغضب والعذاب فإنه يكره أن يموت، يكره لقاء الله فيكره الله لقاءه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٣٩).

(والسابحات سبحا):

قال البغوي: «قال مجاهد وأبو صالح: هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد، يقال له: سابح، إذا أسرع في جريه». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٢٥).

(فالسابقات سبقا):

قال البغوي: «{فالسابقات سبقا} قال مجاهد: هي الملائكة تسبق ابن آدم بالخير والعمل الصالح.

وقال مقاتل: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

وعن ابن مسعود قال: هي أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها شوقا إلى لقاء الله وكرامته، وقد عاينت السرور». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٢٥).

وقال السعدي: «{فَالسَّابِقَاتِ} لغيرها {سَبْقًا} فتبادر لأمر الله، وتسبق الشياطين في إيصال الوحي إلى رسل الله حتى لا تسترقه». «تفسير السعدي» (ص٩٠٨).

وقال ابن عثيمين: «الملائكة أسبق إلى أمر الله وأقوم بأمر الله من بني آدم، قال الله تعالى في وصف ملائكة النار: {عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون}. وقال عز وجل: {ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون. يسبحون الليل والنهار لا يفتُرون}. فهم سباقون إلى أمر الله عز وجل بما يأمرهم، لا يعصونه ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، لقوتهم وقدرتهم على فعل أوامر الله عز وجل». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٤١).

(فالمدبرات أمرا):

قال ابن القيم: «الملائكة موكلة بالعالم العلوي والسفلي، تدبره بأمر الله عز وجل، كما قال تعالى: {فالمدبرات أمرا}، وقال: {فالمقسمات أمرا}. وقال تعالى: {والمرسلات عرفا. فالعاصفات عصفا. والناشرات نشرا. فالفارقات فرقا. فالملقيات ذكرا}. وقال: {والنازعات غرقا. والناشطات نشطا. والسابحات سبحا. فالسابقات سبقا. فالمدبرات أمرا}.

وقد وكل الله سبحانه بالأفلاك والشمس والقمر ملائكة تحركها، ووكل بالرياح ملائكة تصرفها بأمره، وهم خزنتها، قال تعالى: {وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية}. قال غير واحد من السلف: عتت على الخُزّان فلم يقدروا على ضبطها. ذكره البخاري في صحيحه.

ووكل بالقطر ملائكة، وبالسحاب ملائكة تسوقه إلى حيث أمرت به...

ووكل الله سبحانه بالجبال ملائكة... ووكل بالرحم ملكا يقول: يا رب نطفة؟ يا رب علقة؟ يا رب مضغة؟ يا رب ذكر أم أنثى؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ وشقي أم سعيد؟

ووكل بكل عبد أربعة من الملائكة في هذه الدنيا: حافظان عن يمينه وعن شماله يكتبان أعماله، ومعقبات من بين يديه ومن خلفه، أقلهم اثنان، يحفظونه من أمر الله.

ووكل بالموت ملائكة، ووكل بمساءلة الموتى ملائكة في القبور، ووكل بالرحمة ملائكة، وبالعذاب ملائكة، وبالمؤمن ملائكة يثبتونه، ويؤزّونه إلى الطاعات أزا، ووكل بالنار ملائكة يبنونها، ويوقدونها، ويصنعون أغلالها وسلاسلها، ويقومون بأمرها، ووكل بالجنة ملائكة يبنونها، ويفرشونها، ويصنعون أرائكها، وسررها، وصحافها، ونمارقها، وزرابيها.

فأمر العالم العلوي والسفلي والجنة والنار بتدبير الملائكة بإذن ربهم تبارك وتعالى وأمره، {لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون}، و {لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون}...

ولهذا كان الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الذي لا يتم إلا به...

وإذا عُرف ذلك عُرف أن كل حركة في العالم فسببها الملائكة، وحركتهم طاعة لله بأمره وإرادته، فيرجع الأمر كله إلى تنفيذ مراد الرب ـ تعالى ـ شرعا وقدرا، والملائكة هم المنفذون ذلك بأمره، ولذلك سموا

ملائكة، من الألوكة، وهي الرسالة، فهم رسل الله في تنفيذ أوامره». «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٨٩-٩٣).

وقال ابن القيم: «أعظم جند الله الملائكة. ولفظ "الملك" يشعر بأنه رسول منفذ لأمر غيره وليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله. وهم يدبرون الأمر، ويقسمونه بأمر الله وإذنه. قال تعالى إخبارا عنهم: {وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا}، وقال تعالى: {وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى}». «الداء والدواء» (١/ ٤٦٧).

وقال ابن القيم: «الله سبحانه وكل بالعالم العلوي والسفلي ملائكة عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام، فهي تدبر أمر العالم بإذنه ومشيئته وأمره، فلهذا يضيف التدبير إلى الملائكة تارة لكونهم هم المباشرين للتدبير كقوله: {فالمدبرات أمرا}، ويضيف التدبير إليه كقوله: {إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون}، وقوله: {قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت} إلى قوله: {ومن يدبر الأمر فسيقولون الله}، فهو المدبر أمرا وإذنا ومشيئة، والملائكة المدبرات مباشرة وامتثالا. وهذا كما أضاف التوفي إليهم تارة، كقوله: {توفته رسلنا}، وإليه تارة، كقوله: {الله يتوفى الأنفس}، ونظائره.

والملائكة الموكلة بالإنسان من حين كونه نطفة إلى آخر أمره، لهم وله شأن آخر، فإنهم موكلون بتخليقه، ونقله من طور إلى طور، وتصويره، وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث، وكتابة رزقه، وعمله، وأجله، وشقاوته، وسعادته، وملازمته في جميع أحواله، وإحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه في حياته، وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفاطره، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ وبعد البعث، وهم الموكلون بعمل آلات العذاب، وهم المثبّتون للعبد المؤمن بإذن الله، والمعلمون له ما ينفعه، والمقاتلون الذابون عنه، وأولياؤه في الدنيا والآخرة، وهم الذين يُرُونه في منامه ما يخافه ليحذره،

وما يحبه ليقوى قلبه ويزداد شكرا، وهم الذين يعدونه بالخير ويدعونه إليه، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه.

فهم أولياؤه، وأنصاره، وحفظته، ومعلموه، وناصحوه، والداعون له، والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه مادام في طاعة ربه، ويصلون عليه مادام يعلم الناس الخير، ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه، وعند موته، ويوم بعثه، وهم الذين يزهدونه في الدنيا، ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين يذكرونه إذا نسي، وينشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته.

فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، تتنزل بالأمر من عنده في أقطار العالم، وتصعد إليه بالأمر، قد أطت بهم السماوات، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم، أو راكع، أو ساجد، ويدخل البيت المعمور كل يوم منهم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخر ما عليهم».

«إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (٢/ ٨٤٧-٨٤٩).

جواب القسَم:

قال الطبري: «واختلف أهل العربية في موضع جواب قوله: (والنازعات غرقا):

فقال بعض نحويي البصرة: قوله (والنازعات غرقا) قسم -والله أعلم- على (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى)، وإن شئت جعلتها على (يوم ترجف الراجفة)، (قلوب يومئذ واجفة)...

وقال بعض نحويي الكوفة: جواب القسم في النازعات: ما ترك لمعرفة السامعين بالمعنى، كأنه لو ظهر كان: لتُبعثُن ولتحاسبُن. قال: ويدل على ذلك (أإذا كنا عظاما نخرة). ألا ترى أنه كالجواب لقوله: (لتبعثن) إذ قال: (أإذا كنا عظاما نخرة)...

والصواب من القول في ذلك عندنا، أن جواب القسم في هذا الموضع مما استغني عنه بدلالة الكلام، فترك ذكره». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٩٢).

(يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة):

«عن الحسن، في قوله: (يوم ترجف الراجفة. تتبعها الرادفة) قال: هما النفختان: أما الأولى فتميت الأحياء، وأما الثانية فتحيي الموتى، ثم تلا الحسن: (ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)...

عن قتادة: (يوم ترجف الراجفة. تتبعها الرادفة) قال: هما الصيحتان، أما الأولى فتميت كل شيء بإذن الله، وأما الأخرى فتحيي كل شيء بإذن الله، إن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: (بينهما أربعون)، قال أصحابه: والله ما زادنا على ذلك. وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: (يُبعث في تلك الأربعين مطر يقال له الحياة، حتى تطيب الأرض وتهتز، وتنبت أجساد الناس نبات البقل، ثم تنفخ الثانية، فإذا هم قيام ينظرون)». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٩١).

وقال ابن كثير: «عن مجاهد: أما الأولى -وهي قوله: {يوم ترجف الراجفة}- فكقوله جلت عظمته: {يوم ترجف الأرض والجبال}، والثانية -وهي الرادفة- فهي كقوله: {وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة}.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلث الليل قام فقال: (يا أيها الناس! اذكروا الله، جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣١٣).

(قلوب يومئذ واجفة * أبصارها خاشعة):

قال البغوي: «{قلوب يومئذ واجفة} خائفة قلقة مضطربة، وسمي "الوجيف" في السير، لشدة اضطرابه... وقال مجاهد: وجلة. وقال السدي: زائلة عن أماكنها، نظيره: (إذ القلوب لدى الحناجر)». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٢٧).

وقال ابن تيمية: «ليس من الأعضاء أشد ارتباطا بالقلب من العينين؛ ولهذا جمع بينهما في قوله: {ونقلب أفئدتهم وأبصارهم}، {تتقلب فيه القلوب والأبصار}، {وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر}،

{قلوب يومئذ واجفة. أبصارها خاشعة}؛ ولأن كليهما له النظر؛ فنظر القلب الظاهر بالعينين والباطن به وحده». «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢٢٥).

وقال ابن القيم: «وهو -يعني البصر- مقدمة القلب وطليعته ورائده، فمنزلته منه أقرب من منزلة السمع؛ ولهذا كثيرا ما يُقرن بينهما في الذكر؛ كقوله تعالى: {فاعتبروا يا أولي الأبصار}؛ فالاعتبار بالقلب والبصر بالعين. وقال تعالى: {ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة}، ولم يقل: وأسماعهم. وقال تعالى: {فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور}، وقال: {يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار}، وقال تعالى: {قلوب يومئذ واجفة. أبصارها خاشعة}، وقال تعالى: {يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور}. وقال في حق رسوله: {ما كذب الفؤاد ما رأى}، ثم قال: {ما زاغ البصر وما طغى}، وهذا يدل على شدة الوَصلة والارتباط بين القلب والبصر، ولهذا يقرأ الإنسان ما في قلب الآخر من عينه، وهذا كثير في كلام الناس نظمه ونثره، وهو أكثر من أن نذكره هنا.

ولما كان القلب أشرف الأعضاء كان أشدها ارتباطا به أشرف من غيره.

قالوا: ولهذا يأتمنه القلب ما لا يأتمن السمع عليه، بل إذا ارتاب من جهته -يعني السمع- عرض ما يأتيه به على البصر ليزكيه أم يرده، فالبصر حاكم عليه مؤتمن عليه.

قالوا: ومن هذا: الحديث الذي رواه أحمد في «مسنده» مرفوعا: «ليس المخبَر كالمعايِن».

قالوا: ولهذا أخبر الله سبحانه موسى أن قومه افتتنوا من بعده وعبدوا العجل، فلم يلحقه في ذلك ما لحقه عند رؤية ذلك ومعاينته من إلقاء الألواح وكسرها؛ لقوة المعاينة على الخبر.

قالوا: وهذا إبراهيم خليل الله يسأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، وقد علم ذلك بخبر الله له، ولكن طلب أفضل المنازل وهي طمأنينة القلب.

قالوا: ولليقين ثلاث مراتب: أولها: للسمع. وثانيها: للعين. وهي المسماة بعين اليقين، وهي أفضل من المرتبة الأولى وأكمل.

قالوا: وأيضا؛ فالبصر يؤدي إلى القلب، ويؤدي عنه؛ فإن العين مرآة القلب، يظهر فيها ما يكنه من المحبة والبغض، والموالاة والمعاداة، والسرور والحزن، وغيرها». «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٨٩-٢٩٢).

(يقولون أإنا لمردودون في الحافرة):

قال البغوي: «{يقولون} يعني المنكرين للبعث إذا قيل لهم إنكم مبعوثون من بعد الموت: {أئنا لمردودون في الحافرة} أي: إلى أول الحال وابتداء الأمر، فنصير أحياء بعد الموت كما كنا؟ تقول العرب: رجع فلان في حافرته، أي رجع من حيث جاء، والحافرة عندهم اسم لابتداء الشيء، وأول الشيء». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٢٧).

(أإذا كنا عظاما نخرة):

قال البغوي: «قرأ حمزة، والكسائي، وأبو عمرو: (عظاما ناخرة)، وقرأ الآخَرون (نخرة) وهما لغتان، مثل الطمع والطامع والحذر والحاذر، ومعناهما: البالية، وفرّق قوم بينهما، فقالوا: النخرة: البالية، والناخرة: المجوّفة التي تمر فيها الريح فتنخر، أي: تصوّت». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٢٧).

(فإنما هي زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة):

قال ابن كثير: «{فإنما هي زجرة واحدة. فإذا هم بالساهرة} أي: فإنما هو أمر من الله لا مثنوية فيه ولا تأكيد، فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث، فإذا الأولون والآخِرون قيام بين يدي الرب عز وجل ينظرون، كما قال: {يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا}. وقال تعالى: {وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر}. وقال تعالى: {وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب}...

وقال إبراهيم التيمي: أشد ما يكون الرب غضبا على خلقه يوم يبعثهم...

عن سهل بن سعد الساعدي: {فإذا هم بالساهرة} قال: أرض بيضاء عفراء خالية كالخبزة النقي». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣١٤).

وقال ابن عثيمين: «{فإنما هي زجرة واحدة. فإذا هم بالساهرة} زجرة من الله عز وجل يزجرون ويصاح بهم فيقومون من قبورهم قيام رجل واحد على ظهر الأرض بعد أن كانوا في بطنها، قال الله تبارك وتعالى: {إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون}. كل الخلق بهذه الكلمة الواحدة يخرجون من قبورهم أحياء، ثم يُحضرون إلى الله عز وجل ليجازيهم، ولهذا قال: {فإنما هي زجرة واحدة. فإذا هم بالساهرة}، وهذا كقوله تعالى: {وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر}. يعني أنَّ الله إذا أراد شيئًا إنما يقول له: (كن) مرة واحدة فقط فيكون، ولا يتأخر هذا عن قول الله لحظة، {كلمح بالبصر}، والله عز وجل لا يعجزه شيء، فإذا كان الخلق كلهم يقومون من قبورهم لله عز وجل بكلمة واحدة، فهذا أدل دليل على أن الله تعالى على كل شيء قدير، وأن الله لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، كما قال تعالى: {وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليمًا قديراً}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٤٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة النازعات ١-١٤

١- اسأل الله حسن الخاتمة، واستعِذ به من سوء الخاتمة، واسأله دوما أن يجعلك ممن يُبشّر عند الموت فيحبّ لقاء ربه، واستعِذ به أن تكون ممن يخوّف عند الموت فيكره لقاء ربه (والنازعات غرقا * والناشطات نشطا).

٢- آمِن بالملائكة الكرام وأحبّهم، لما يقومون به من طاعة الله، وتنفيذ أوامره في الكون، والدعاء والاستغفار للمؤمنين، واعلم أنهم عباد مُكرَمون، لا يسبقون ربهم بالقول وهم بأمره يعملون، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (والسابحات سبحا * فالسابقات سبقا * فالمدبرات أمرا).

٣- تأمل وصف الله ليوم القيامة وأهواله لتعلم أنه يوم عظيم شديد مهُول مُفزع رهيب، حيث تأتي الصيحة الأولى فيموت كل أحد، ثم تأتي الصيحة الثانية فيحيا كل أحد للحساب والجزاء، حينها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد، في ذلك المقام يودّ الكافر لو كان ترابا، ويودّ العاصي لو أن بينه وبين معاصيه أمدا بعيدا، ويتحسّر المقصّر فيقول: يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله، ويعضّ الظالم على يديه، ويقول: يا ليتني قدّمت لحياتي، ويغضب الربّ جلّ جلاله غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، حينها يودّ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه، ولكن هيهات، يومَها يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، فماذا قدّمت أنت لهذا اليوم العظيم؟ (يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة * قلوب يومئذ واجفة * أبصارها خاشعة).

٤- بعث الناس بعد موتهم، وإحياؤهم بعد فنائهم أهون على الله من ابتداء خلقهم، فما هي إلا نفخة واحدة في الصُّور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون، فيا ويل المكذّبين بالبعث من ذلك اليوم العظيم (يقولون أإنا لمردودون في الحافرة * أإذا كنا عظاما نخرة * قالوا تلك إذا كرة خاسرة * فإنما هي زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النازعات ١٥-٣٣ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥﴾

هل جاءك -أيها الرسول- خبر موسى مع ربه ومع عدوّه فرعون؟!

﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٦﴾

حين ناداه ربه سبحانه بوادي طُوَى المطهر.

﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧﴾

قال له فيما قال: سرْ إلى فرعون، إنه تجاوز الحد في الظلم والاستكبار.

﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾

فقل له: هل لك -يا فرعون- أن تتطهر من الكفر والمعاصي؟

﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩﴾

وأرشدك إلى ربك الَّذي خلقك ورعاك فتخشاه، فتعمل بما يرضيه، وتتجنب ما يسخطه؟

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠﴾

فأظهر له موسى عليه السلام العلامة العظمى الدالة على أنَّه رسول من ربه، وهي اليد والعصا.

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١﴾

فما كان من فرعون إلا أنَّه كذّب بهذه العلامة، وعصى ما أمره به موسى عليه السلام.

﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢﴾

ثم أعرض عن الإيمان بما جاء به موسى عليه السلام مجتهدا في معصية الله ومعارضة الحق.

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣﴾

فجمع قومه وأتباعه لمغالبة موسى، فنادى قائلًا:

﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾

أنا ربكم الأعلى، فلا طاعة لغيري عليكم.

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ٢٥﴾

فأخذه الله فعاقبه في الدنيا بالغرق في البحر، وعاقبه في الآخرة بإدخاله في أشدّ العذاب.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ٢٦﴾

إن فيما عاقبنا به فرعون في الدنيا والآخرة لموعظةً لمن يخشى الله؛ فهو الَّذي ينتفع بالمواعظ.

﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧﴾

أإيجادكم على الله -أيها المكذبون بالبعث- أصعب، أم إيجاد السماء التي بناها؟!

﴿رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨﴾

جعل سَمْتها في جهة العلوّ رفيعًا، فجعلها مستوية، لا فطور فيها ولا شقوق ولا عيب.

﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩﴾

وأظلم ليلها إذا غربت شمسها، وأظهر نورها إذا أشرقت.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾

والأرض بعد أن خلق السماء بسطها، وأودع فيها منافعها.

﴿أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ٣١﴾

أخرج منها ماءها عيونًا تجري، وأنبت فيها من النبات ما ترعاه الدواب.

﴿وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ٣٢﴾

والجبال جعلها ثابتة على الأرض.

﴿مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٣﴾

كل ذلك منافع لكم -أيها الناس- ولأنعامكم، فالذي خلق هذا كله لا يعجز عن إعادة خلقهم من جديد.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• وجوب الرفق عند خطاب المدعوّ.

• بيان الله لتفاصيل خلق السماء والأرض.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة النازعات ١٥-٣٣

الكلمة	المعنى
المُقدَّس	المُطهَّر المبارك
طُوى	اسم الوادي الواقع في جانب جبل الطور
إنّه طغى	إنه تجاوز الحد في الظلم والاستكبار والعصيان
تزكّى	تتطهّر من الكفر والمعاصي وتتحلى بالإيمان والتقوى
أَدبَر يسعى	أعرض مجتهدا في معارضة موسى عليه السلام
فحَشَرَ	فجَمَعَ
نَكَال	عقوبة
رفع سَمْكَهَا	أعلى سقفها
وأغطَشَ لَيْلَها	وأظلم ليلها
وأخرج ضُحاها	وأظهر نهارها
دَحَاهَا	بسطها وأودع فيها منافعها
ومَرْعاها	ونبَاتَها الذي يُرعى
أرْسَاهَا	جعلها ثابتة على الأرض
متاعًا لكم	منفعة لكم

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة النازعات ١٥-٣٣

(هل أتاك حديث موسى):

قال ابن القيم: «(هل) في مثل هذا الموضع بمعنى (قد) التي تقتضي التحقيق. ولكن في ورود الكلام في مثل هذا بصيغة الاستفهام سر لطيف، ومعنى بديع، فإن المتكلم إذا أراد أن يخبر المخاطَب بأمر عجيب ينبغي الاعتناء به، وإحضار الذهن له صدّر له الكلام بأداة الاستفهام لتنبيه سمعه وذهنه للمخبَر به، فتارة يصدّره بـ (ألا)، وتارة يصدّره بـ (هل).

فقول: هل علمت ما كان من كيت وكيت؟ إما مذكرا به، وإما واعظاً له مخوفا، وإما منبها على عظم ما يخبر به، وإما مقرراً له، فقوله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى} و {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ} و {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ} و {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ} متضمن لتعظيم هذه القصص والتنبيه على تدبرها ومعرفة ما تضمنته.

وفيه أمر آخر، وهو التنبيه على أن إتيان هذا إليك علم من أعلام النبوة، فإنه من الغيب الذي لا تعمله أنت ولا قومك، فهل أتاك من غير إعلامنا وإرسالنا وتعريفنا؟ أم لم يأتك إلا من قبلنا؟

فانظر ظهور هذا الكلام بصيغة الاستفهام، وتأمل عظم موقعه من جميع موارده يشهد أنه من الفصاحة في ذروتها العليا». «الرسالة التبوكية» (ص٦٥).

وقال ابن كثير: «يخبر تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم عن عبده ورسوله موسى، عليه السلام، أنه ابتعثه إلى فرعون، وأيده بالمعجزات، ومع هذا استمر على كفره وطغيانه، حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر. وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به؛ ولهذا قال في آخر القصة: {إن في ذلك لعبرة لمن يخشى}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣١٥).

وقال ابن عثيمين: «{هل أتاك} للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يتأتى خطابه ويصح توجيه الخطاب إليه، ويكون على المعنى الأول (هل أتاك يا محمد)، وعلى المعنى الثاني: (هل أتاك أيها الإنسان).

{حديث موسى} وهو ابن عمران عليه الصلاة والسلام، أفضل أنبياء بني إسرائيل، وهو أحد أولي العزم الخمسة الذين هم: محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح عليهم الصلاة والسلام، وقد ذُكر هؤلاء الخمسة في القرآن في موضعين، أحدهما في الأحزاب في قوله تعالى: {وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم}. والثاني في قوله تعالى: {شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى}.

وحديث موسى عليه الصلاة والسلام ذُكر في القرآن أكثر من غيره؛ لأن موسى هو نبي اليهود، وهم كثيرون في المدينة وحولها في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكانت قصص موسى أكثر ما قُصّ علينا من نبأ الأنبياء وأشمله وأوسعه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٤٥).

(إذ ناداه ربه بالواد المقدّس طُوى):

قال ابن تيمية: «وهو سبحانه نادى موسى بصوت سمعه موسى، فإنه قد أخبر أنه نادى موسى في غير موضع من القرآن، كما قال تعالى: {هل أتاك حديث موسى. إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى}، والنداء لا يكون إلا صوتا باتفاق أهل اللغة، وقد قال تعالى: {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا. ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما}، فقد فرق الله بين إيحائه إلى النبيين وبين تكليمه لموسى، فمن قال: إن موسى لم يسمع صوتا؛ بل أُلهم معناه لم يفرّق بين موسى وغيره». «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٥٨٧).

(اذهب إلى فرعون إنه طغى):

قال ابن عثيمين: «وفي سورة طه قال: {اذهبا إلى فرعون إنه طغى}. ولا منافاة بين الآيتين، وذلك أن الله تعالى أرسل موسى أولاً، ثم طلب موسى صلى الله عليه وآله وسلم من ربه أن يشدّ أزره بأخيه هارون، فأرسل هارونَ عليه الصلاة والسلام مع موسى، فصار موسى وهارون كلاهما مرسل إلى فرعون». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٤٦).

(فقل هل لك إلى أن تزكّى * وأَهديَك إلى ربك فتخشى):

«قال ابن زيد في قوله: (هل لك إلى أن تزكّى) قال: إلى أن تُسلم. قال: والتزكّي في القرآن كله: الإسلام، وقرأ قول الله: (وذلك جزاء من تزكّى) قال: من أسلم، وقرأ: (وما يدريك لعله يزّكّى) قال: يسلم، وقرأ: (وما عليك ألّا يزّكّى): ألّا يُسلم». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٠١).

وقال ابن تيمية: «قال تعالى: {فقل هل لك إلى أن تزكّى. وأهديك إلى ربك فتخشى} فالتزكية وإن كان أصلها النماء والبركة وزيادة الخير فإنما تحصل بإزالة الشر؛ فلهذا صار التزكّي يجمع هذا وهذا». «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٩٧).

وقال ابن القيم: «مخاطبة الرؤساء بالقول اللين أمر مطلوب شرعا وعقلا وعرفا، ولذلك تجد الناس كالمفطورين عليه، وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب رؤساء العشائر والقبائل.

وتأمل امتثال موسى لما أُمر به، كيف قال لفرعون: {هل لك إلى أن تزكّى. وأهديك إلى ربك فتخشى}، فأخرج الكلام معه مخرج السؤال والعرض لا مخرج الأمر، وقال: {إلى أن تزكّى} ولم يقل: إلى أن أزكّيَك، فنسب الفعل إليه هو، وذكَر لفظ التزكّي دون غيره؛ لما فيه من البركة والخير والنماء، ثم قال: {وأهديك إلى ربك} أكون كالدليل بين يديك الذي يسير أمامك، وقال: {إلى ربك} استدعاء لإيمانه بربه الذي خلقه ورزقه ورباه بنعمه صغيرا ويافعا وكبيرا». «بدائع الفوائد» (٣/ ١٠٦١).

وقال ابن عاشور: «وتفريع (فتخشى) على (أهديك) إشارة إلى أن خشية الله لا تكون إلا بالمعرفة، قال تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)، أي العلماء به، أي يخشاه خشية كاملة لا خطأ فيها ولا تقصير... وفي الاقتصار على ذكر الخشية إيجاز بليغ لأن الخشية ملاك كل خير». «التحرير والتنوير» (٣٠/ ٧٧).

وقال ابن عثيمين: «{فقل هل لك إلى أن تزكى} الاستفهام هنا للتشويق، تشويق فرعون أن يتزكى مما هو عليه من الشر والفساد، وأصل الزكاة النمو والزيادة، وتطلق بمعنى الإسلام والتوحيد، ومنه قوله تعالى: {وويل للمشركين. الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون}. ومنه قوله تعالى: {قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٤٦).

(فأراه الآية الكُبرى):

قال السعدي: «{فأراه الآية الكبرى} أي: جنس الآية الكبرى، فلا ينافي تعددها {فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين. ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين}». «تفسير السعدي» (ص٩٠٩).

وقال ابن عثيمين: «لما كان البشر لا يؤمنون ولا يقبلون دعوى شخص أنه رسول إلا بآية، كما أنه لا يقبل من أحد دعوى إلا ببينة= جعل الله سبحانه وتعالى مع كل رسول آيةً تدل على صدقه، وهنا قال: {فأراه الآية الكبرى} يعني أرى موسى فرعونَ الآية الكبرى، فما هي هذه الآية؟ الآية أن معه عصاً من خشب من فروع الشجر كما هو معروف، فكان إذا وضعها في الأرض صارت حية تسعى، ثم يحملها فتعود عصا، وهذا من آيات الله أن شيئاً جماداً إذا وُضع على الأرض صار حية تسعى، وإذا حُمل من الأرض عاد في الحال فوراً إلى حاله الأولى عصا من جملة العصي، وإنما بعثه عليه الصلاة والسلام بهذه الآية، وبكونه يدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، أي من غير عيب، أي: بيضاء بياضاً ليس بياض البرص ولكنه بياض جعله الله آية، إنما بعثه الله بالعصا واليد؛ لأنه كان في زمن موسى السحرُ منتشراً شائعاً، فأرسله الله عز وجل بشيء يغلب السحرة الذين تصدوا لموسى عليه الصلاة والسلام.
قال أهل العلم: وفي عهد عيسى صلى الله عليه وآله وسلم انتشر الطب انتشاراً عظيماً، فجاء عيسى بأمر يُعجز الأطباء، وهو أنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ، إذا جيء إليه بشخص فيه عاهة، أي عاهة تكون مسحه بيده ثم برىء بإذن الله، {يبرىء الأكمه والأبرص}... وأشد من هذا وأعظم أنه يحيي الموتى بإذن الله، يؤتى إليه بالميت فيتكلم معه ثم تعود إليه الحياة، وأشد من ذلك وأبلغ أنه يُخرج الموتى بإذن الله من

قبورهم، يقف على القبر وينادي صاحب القبر فيخرج من القبر حيًّا، وهذا شيء لا يمكن لأي طب أن يبلغه، ولهذا كانت آية عيسى في هذا الوقت مناسبة تماماً لما كان عليه الناس.

قال أهل العلم: أما رسول الله محمدٌ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقد أتى إلى العرب وهم يتفاخرون في الفصاحة، ويرون أن الفصاحة أعظم منقبة للإنسان، فجاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم بهذا القرآن العظيم الذي أعجز أمراء الفصاحة، وعجزوا عن أن يأتوا بمثله، قال الله تعالى: {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً}. يعني لو كان بعضهم يعاون بعضاً فإنهم لن يأتوا بمثله.

حينئذ نقول إن موسى عليه الصلاة والسلام أرى فرعون الآية الكبرى ولكن لم ينتفع بالآيات {وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون}. {إنما تُنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب}، فالذين ليس في قلوبهم استعداد للهداية لا يهتدون ولو جاءتهم كل آية ـ والعياذ بالله ـ». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٤٧-٤٩).

(فكذّب وعصى * ثم أدبر يسعى):

قال ابن تيمية: «(السعي) في كتاب الله لمعنى الفعل والعمل، دون العدو. قال تعالى: {إن سعيكم لشتى}. وقال: {ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا}. وقال: {وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها}. وقال تعالى عن فرعون: {ثم أدبر يسعى}. وقال: {وأما من جاءك يسعى}. وقال: {إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا}. «شرح عمدة الفقه» (٢/ ٦١٣).

(فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلى):

قال ابن تيمية: «فرعون موسى استخف قومه فأطاعوه، وهو الذي قال لهم – دون الفراعنة المتقدمين –؛ {ما علمت لكم من إله غيري}، ثم قال لهم بعد ذلك: {أنا ربكم الأعلى}: {فأخذه الله نكال الآخرة والأولى} نكال الكلمة الأولى. ونكال الكلمة الأخيرة، وكان فرعون في الباطن عارفا بوجود الصانع،

وإنما استكبر كإبليس وأنكر وجوده، ولهذا قال له موسى: {لقد علمتَ ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر}». «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٣١).

(فأخذه الله نكال الآخرة والأولى):

قال ابن كثير: «{فأخذه الله نكال الآخرة والأولى} أي: انتقم الله منه انتقاما جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين في الدنيا، {ويوم القيامة بئس الرفد المرفود}، كما قال تعالى: {وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون}. هذا هو الصحيح في معنى الآية، أن المراد بقوله: {نكال الآخرة والأولى} أي: الدنيا والآخرة، وقيل: المراد بذلك كلمتاه الأولى والثانية. وقيل: كفره وعصيانه. والصحيح الذي لا شك فيه الأول». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣١٥).

وقال ابن عثيمين: «{نكال الآخرة والأولى} يعني أنه نكّل به في الآخرة وفي الأولى، فكان عبرة في زمنه، وعبرة فيما بعد زمنه إلى يوم القيامة، كل من قرأ كتاب الله وما صنع الله بفرعون فإنه يتخذ ذلك عبرة يعتبر به، وكيف أهلكه الله مع هذا المُلك العظيم، وهذا الجبروت، وهذا الطغيان، فصار أهون على الله تعالى من كل هين». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٤٩).

(إن في ذلك لعبرة لمن يخشى):

قال السعدي: «من يخشى الله هو الذي ينتفع بالآيات والعبر، فإذا رأى عقوبة فرعون، عرف أن كل من تكبر وعصى، وبارز الملك الأعلى، عاقبه في الدنيا والآخرة، وأما من ترحلت خشية الله من قلبه، فلو جاءته كل آية لم يؤمن بها». «تفسير السعدي» (ص٩٠٩).

(أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها * رفع سَمكها فسوّاها):

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره للمكذبين بالبعث من قريش، القائلين: (أئذا كنا عظاما نخرة. قالوا تلك إذا كرة خاسرة): أأنتم أيها الناس أشد خلقا، أم السماء بناها ربكم، فإن من بنى السماء فرفعها سقفا، هين

عليه خلقكم وخلق أمثالكم، وإحياؤكم بعد مماتكم، وليس خلقكم بعد مماتكم بأشد من خلق السماء». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٠٥).

وقال ابن القيم: «لا نسبة لجميع ما في الأرض إلى عجائب السموات؛ قال الله تعالى: {أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها. رفع سمكها فسواها}، وقال تعالى: {إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس} إلى قوله: {لآيات لقوم يعقلون}؛ فبدأ بذكر خلق السموات، وقال تعالى: {إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب}. وهذا كثير في القرآن.

فالأرض والبحار والهواء وكل ما تحت السموات ـ بالإضافة إلى السموات ـ كقطرة في بحر، ولهذا قل أن تجيء سورة في القرآن إلا وفيها ذكرها؛ إما إخبارا عن عظمتها وسعتها، وإما إقساما بها، وإما دعاء إلى النظر فيها، وإما إرشادا للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيها ورافعها، وإما استدلالا منه سبحانه بخلقها على ما أخبر به من المعاد والقيامة، وإما استدلالا منه بربوبيته لها على وحدانيته، وأنه الله الذي لا إله إلا هو، وإما استدلالا منه بحسنها واستوائها والتئام أجزائها وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته.

وكذلك ما فيها من الكواكب والشمس والقمر والعجائب التي تتقاصر عقول البشر عن قليلها، فكم من قسم في القرآن بها؛ كقوله: {والسماء ذات البروج}، {والسماء والطارق}، {والسماء وما بناها}، {والسماء ذات الرجع}...

ولم يقسم في كتابه بشيء من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والشمس والقمر، وهو سبحانه يقسم بما يقسم به من مخلوقاته لتضمنه الآيات والعجائب الدالة عليه، وكلما كان أعظم آية وأبلغ في الدلالة كان إقسامه به أكثر من غيره». «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (٢/ ٥٦٠).

وقال ابن كثير: «يقول تعالى محتجا على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه: {أأنتم} أيها الناس {أشد خلقا أم السماء}؟ يعني: بل السماء أشد خلقا منكم، كما قال تعالى: {لخلق السماوات والأرض

أكبر من خلق الناس}، وقال: {أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣١٦).

وقال ابن عثيمين: «{بناها} هذه الجملة لا تتعلق بالتي قبلها، ولهذا ينبغي للقارئ إذا قرأ أن يقف على قوله {أم السماء}، ثم يستأنف فيقول: {بناها} فالجملة استئنافية لبيان عظمة السماء، {بناها} أي بناها الله عز وجل». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٥٠).

وقال ابن عثيمين: «{فسواها} أي جعلها مستوية تامة كاملة، كما قال تعالى في خلق الإنسان: {يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم. الذي خلقك فسواك}. فسواك: أي جعلك سويًّا تام الخلقة، فالسماء كذلك سواها الله عز وجل». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٥١).

(وأغطش ليلها وأخرج ضحاها):

قال ابن عثيمين: «{وأغطش ليلها} أغطشه: أي أظلمه، فالليل مظلم، قال الله تعالى: {وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة}. {وأخرج ضحاها} بينه بالشمس التي تخرج كل يوم من مطلعها وتغيب من مغربها». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٥١).

(والأرض بعد ذلك دحاها):

قال البغوي: «قال ابن عباس: خلق الله الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات، ثم دحا الأرض بعد ذلك.

وقيل: معناه: والأرض مع ذلك دحاها، كقوله عز وجل: (عتل بعد ذلك زنيم) أي مع ذلك». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٢٩).

وقال السعدي: «فدحي الأرض بعد خلق السماء، كما هو نص هذه الآيات. وأما خلق نفس الأرض فمتقدم على خلق السماء، كما قال تعالى: {قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين} إلى أن قال: {ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين}». «تفسير السعدي» (ص٩٠٩).

(والجبال أرساها):

قال ابن عثيمين: «{والجبال أرساها} أي جعلها راسية في الأرض فلا تنسفها الرياح مهما قويت، وهي أيضاً تمسك الأرض لئلا تضطرب بالخلق، كما قال تعالى: {وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٥١).

(متاعا لكم ولأنعامكم):

قال ابن كثير: «{متاعا لكم ولأنعامكم} أي: دحا الأرض فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها، وثبّت جبالها، لتستقرّ بأهلها ويقَرّ قرارها، كل ذلك متاعا لخلقه، ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار، إلى أن ينتهي الأمد، وينقضي الأجل». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣١٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة النازعات ١٥-٣٣

١- اعتَنِ بتدبّر قصص القرآن واستنباط الدروس والعِبَر منها، وخاصة قصة موسى عليه السلام التي تكررت في القرآن كثيرا بمواقف متنوعة وسياقات مختلفة (هل أتاك حديث موسى * إذ ناداه ربه بالواد المُقدّس طُوى).

٢- احرص على أن تكون رفيقًا في دعوتك، ليّنًا في نُصحك، سهلا في أمرك ونهيك، فإنك إنما تقصد هداية المدعوّ لا الانتصار للنفس أو التشفّي من المخاطَب أو مراءاة الناس، واعلم أن أكثر الناس معرضون عن الحق، وواجبك تحبيب الحق إلى قلوبهم بحسن تعاملك معهم، وحسن عرض الحق لهم، ولا تمتنع عن دعوة أحد ولو كان شديد الكفر عظيم الفسق سليط اللسان سيّء الأخلاق، فالله سبحانه قد أمر موسى عليه السلام بدعوة فرعون، وأن يقول له قولا لينا، وهو أكفر خلق الله، وأشدّهم تكبرا وظلما وعنادا (اذهب إلى فرعون إنه طغى * فقل هل لك إلى أن تزكّى * وأهديك إلى ربك فتخشى * فأراه الآية الكبرى * فكذّب وعصى * ثم أدبر يسعى).

٣- لما تكبّر فرعون واستعلى أهلكه الله رغم قوته وشدته وجبروته وكثرة جنوده وسعة سلطانه، فليحذر الذين يستكبرون عن عبادة ربهم من عذاب الله، ولا يغترّوا بإمهال الله لهم وإمدادهم بالنعم، وليعلموا أن الله يُمهل ولا يُهمل، وأن أخذه أليم شديد (فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلى * فأخذه الله نكال الآخرة والأولى * إن في ذلك لعبرة لمن يخشى).

٤- تأمل في عظيم خلق الله للسماوات والأرض، وما أودع فيهما من مخلوقات، وما سخّره فيهما من المنافع لمصلحة الإنسان، فاحمد الله على ذلك حمدا كثيرا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، واعلم أن من قدر على هذا الخلق العظيم قادر على أن يحقق حاجاتك بقول: كُن فتكون، وقادر على بعث الناس كلهم يوم القيامة للحساب والجزاء (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها * رفع سمكها فسوّاها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعا لكم ولأنعامكم).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النازعات ٣٤-٤٦ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤﴾

فإذا جاءت النفخة الثانية التي تغمر كل شيء بهولها، وقامت القيامة.

﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥﴾

يوم تجيء يتذكر الإنسان ما قدّم من عمل، خيرًا كان أو شرًّا.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ٣٦﴾

وجيء بجهنم وأظْهِرت عيانًا لمن يبصرها.

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧﴾

فأما من تجاوز الحدّ في الضلال.

﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨﴾

وفضل الحياة الدنيا الفانية على الحياة الأخرى الباقية.

﴿فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩﴾

فإن النار هي مستقرّه الَّذي يأوي إليه.

﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾

وأما من خاف قيامه بين يدي ربه، وكفّ نفسه عن اتباع ما تهواه مما حرّمه الله، فإن الجنّة هي مستقرّه الَّذي يأوي إليه.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ٤٢﴾

يسألك -أيها الرسول- هؤلاء المكذبون بالبعث: متى تقع الساعة؟

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ٤٣﴾

ليس لك علم بها حتَّى تذكرها لهم، وليس من شأنك ذلك، إنما شأنك الاستعداد لها.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ٤٤﴾

إلى ربك وحده مُنتهى علم الساعة.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ٤٥﴾

إنما أنت منذر من يخشى الساعة؛ لأنه الَّذي ينتفع بإنذارك.

﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ٤٦﴾

كأنهم يوم يرون الساعة مشاهدة، لم يلبثوا في حياتهم الدنيا إلا عشية يوم واحد أو بكرته.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• الخوف من الله وكفّ النفس عن الهوى من أسباب دخول الجنَّة.

• علم الساعة من الغيب الَّذي لا يعلمه إلا الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة النازعات ٣٤-٤٦

الكلمة	المعنى
الطامّة الكُبرى	الشدة العظمى وهي النفخة الثانية التي يقوم الناس بها ليوم القيامة
وبُرِّزَت الجحيم	وأُظهرت الجحيم إظهارا بيّنا
وآثر الحياة الدنيا	وفَضّل الدنيا على الآخرة
هِي المَأْوَى	هي المصير والمسكن
مَقام ربّه	القيام بين يدي ربه للحساب
أيّان مُرساها	متى وقتُها؟
فِيمَ أنت مِن ذِكراها	ليس عندك علمها فتَذكُره لهم
مُنتهَاها	مردُّها إلى الله
عَشِيّة	ما بين الظهر إلى غروب الشمس
ضُحاها	ما بين طلوع الشمس إلى منتصف النهار

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة النازعات ٣٤-٤٦

(فإذا جاءت الطامة الكبرى):

قال البغوي: «{فإذا جاءت الطامة الكبرى} يعني النفخةُ الثانية التي فيها البعث، وقامت القيامة، وسميت القيامة: "طامة" لأنها تطم على كل هائلة من الأمور، فتعلو فوقها وتغمر ما سواها، و"الطامة" عند العرب: الداهية التي لا تستطاع». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣٠).

(يوم يتذكر الإنسان ما سعى):

قال السعدي: «{يتذكر الإنسان ما سعى} في الدنيا، من خير وشر، فيتمنى زيادة مثقال ذرة في حسناته، ويغمه ويحزن لزيادة مثقال ذرة في سيئاته. ويعلم إذ ذاك أن مادة ربحه وخسرانه ما سعاه في الدنيا، وينقطع كل سبب ووصلة كانت في الدنيا سوى الأعمال». «تفسير السعدي» (ص٩١٠).

وقال ابن عثيمين: «ما يعمله في الدنيا يتذكره مكتوباً بكتاب عنده، يقرؤه هو بنفسه، قال الله تعالى: {ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً} . فإذا قرأه تذكر ما سعى، أي ما عمل، أما اليوم فإننا قد نسينا ما عملنا، عملنا أعمالاً كثيرة منها الصالح، ومنها اللغو، ومنها السيئ، لكن كل هذا ننساه، وفي يوم القيامة يُعرض علينا هذا في كتاب، ويقال: اقرأ كتابك أنت بنفسك {كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً} . فحينئذ يتذكر ما سعى {ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً} ». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٥٢).

(وبُرّزت الجحيم لمن يرى):

قال الشوكاني: «معنى (بُرّزت): أظهرت إظهارا لا يخفى على أحد. قال مقاتل: يُكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق، وقيل: (لمن يرى) من الكفار لا من المؤمنين، والظاهر أن تبرز لكل راء، فأما المؤمن فيعرف برؤيتها قدر نعمة الله عليه بالسلامة منها، وأما الكافر فيزداد غما إلى غمه، وحسرة إلى حسرته». «فتح القدير للشوكاني» (٥/ ٤٥٩).

وقال ابن عثيمين: «{وبُرِّزت الجحيم لمن يرى} {برزت} أظهرت تجيء تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام فيه سبعون ألف ملك يجرونها، إذا ألقي منها الظالمون مكاناً ضيقاً مقرّنين دعوا هنالك ثبوراً، فتنخلع القلوب، ويشيب المولود». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٥٢).

(فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى):

قال ابن عثيمين: «{فأما من طغى. وآثر الحياة الدنيا} هذان وصفان هما وصفا أهل النار، الطغيان وهو مجاوزة الحد، وإيثار الدنيا على الآخرة بتقديمها على الآخرة، وهما متلازمتان فكل من طغى فقد آثر الحياة الدنيا، وكذلك العكس، والطغيان مجاوزة الحد، وحد الإنسان مذكور في قوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}. فمن جاوز حده ولم يعبد الله فهذا هو الطاغي لأنه تجاوز الحد، فأنت مخلوق لا لتأكل وتتنعم وتتمتع كما تتمتع الأنعام، بل أنت مخلوق لعبادة الله، فاعبد الله عز وجل، فإن لم تفعل فقد طغيت، فهذا هو الطغيان، ألّا يقوم الإنسان بعبادة الله. {وآثر الحياة الدنيا} أي قدمها على طاعة الله عز وجل، مثاله: إذا أذن الفجر آثر النوم على الصلاة، وإذا قيل له: اذكر الله آثر اللغو على ذكر الله، وهكذا». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٥٣).

(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى):

قال ابن القيم: «فأما مخالفة الهوى؛ فلم يجعل الله للجنة طريقا غير مخالفته، ولم يجعل للنار طريقا غير متابعته، قال تعالى: {فأما من طغى. وآثر الحياة الدنيا. فإن الجحيم هي المأوى. وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. فإن الجنة هي المأوى}. وقال تعالى: {ولمن خاف مقام ربه جنتان} قيل: هو العبد يهوى المعصية، فيذكر مقام الله عليه في الدنيا، ومقامه بين يديه في الآخرة، فيتركها لله.

وقد أخبر تعالى: أن اتباع الهوى يضل عن سبيله، فقال الله تعالى: {يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله}، ثم ذكر مآل الضالين عن سبيله ومصيرهم، فقال: {إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب}.

وأخبر سبحانه: أن باتباع الهوى يُطبع على قلب العبد، فقال: {أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم} . وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: أن العاجز هو الذي اتبع هواه، وتمنى على الله.

وذكر الإمام أحمد من حديث راشد بن سعد، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تحت ظل السماء إله يُعبد أعظم عند الله من هوى متبع».

وذكر من حديث جعفر بن حبان، عن أبي الحكم، عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم، ومُضلّات الهوى».

وفي نسخة كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه، عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أخوف ما أخاف على أمتي حُكم جائر، وزلة عالم، وهوى متبع».

وقيل لبعض الحكماء: أي الأصحاب أبرّ؟ قال: العمل الصالح، قيل: فأي شيء أضر؟ قال: النفس والهوى.

وقال بعض الحكماء: إذا اشتبه عليك أمران؛ فانظر أقربهما من هواك؛ فاجتنبه...

وفي المسند وغيره من حديث قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، فالمهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه. والمنجيات: تقوى الله في السر والعلانية، والعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى».

وفي جامع الترمذي من حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بئس العبد عبد تجبر واعتدى، ونسي الجبار الأعلى. بئس العبد عبد تخيل واختال، ونسي الكبير المتعال. بئس العبد عبد سها ولها، ونسي المقابر والبِلى. بئس العبد عبد بغى وعتا، ونسي المبتدأ والمنتهى. بئس العبد عبد يختِل الدين بالشبهات، بئس العبد عبد طمَع يقوده، بئس العبد عبد هوى يضله».

وقد أقسم النبي صلى الله عليه وسلم: أنه «لا يؤمن العبد حتى يكون هواه تبعا لما جاء به»، فيكون هواه تابعا، لا متبوعا، فمن اتبع هواه؛ فهواه متبوع له، ومن خالف هواه لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهواه تابع له، فالمؤمن هواه تابع له، والمنافق الفاجر هواه متبوع له.

وقد حكم الله تعالى لتابع هواه بغير هدى منه: أنه أظلم الظالمين، فقال الله عز وجل: {فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين} . وأنت تجد تحت هذا الخطاب: أن الله لا يهدي من اتبع هواه. وجعل سبحانه وتعالى المتبع قسمين، لا ثالث لهما: إما ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وإما الهوى. فمن اتبع أحدهما؛ لم يمكنه اتباع الآخر، والشيطان يطيف بالعبد من أين يدخل عليه، فلا يجد عليه مدخلا، ولا إليه طريقا إلا من هواه. فلذلك كان الذي يخالف هواه يفرَق الشيطان من ظله. وإنما يطاق مخالفة الهوى بالرغبة في الله وثوابه، والخشية من حجابه وعذابه، ووجْد حلاوة الشفاء في مخالفة الهوى، فإن متابعته الداء الأكبر، ومخالفته الشفاء الأعظم.

قيل لأبي القاسم الجنيد: متى تنال النفوس مناها؟ فقال: إذا صار داؤها دواءها، فقيل له: ومتى يصير داؤها دواءها؟ فقال: إذا خالفت هواها. ومعنى قوله: يصير داؤها دواءها: أن داءها هو الهوى، فإذا خالفته؛ تداوت منه بمخالفته.

وقد قيل: إنه إنما سمي هوى؛ لأنه يهوي بصاحبه إلى أسفل السافلين. والهوى ثلاثة أرباع الهوان، وهو شارع النار الأكبر، كما أن مخالفته شارع الجنة الأعظم». «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٥٤٤-٥٥٠).

وقال ابن القيم: «النفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، والرب تعالى يدعو العبد إلى خوفه ونهي النفس عن الهوى، والقلب بين الداعيين، يميل إلى هذا الداعي مرة وإلى هذا مرة، وهذا موضع المحنة والابتلاء». «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان» (١/ ١٢٦).

وقال ابن القيم: «من المعلوم أن الإنسان يكون آمرا لنفسه ناهيا لنفسه، قال تعالى: {إن النفس لأمارة بالسوء}، وقال: {وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى}، وقال الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم». «بدائع الفوائد» (٢/ ٦٤٣).

وقال ابن عثيمين: «{وأما من خاف مقام ربه} يعني خاف القيام بين يديه؛ لأن الإنسان يوم القيامة سوف يقرره الله عز وجل بذنوبه حين يخلو به، ويقول عملت كذا، عملت كذا، عملت كذا كما جاء في الصحيح، فإذا أقر قال الله له: «قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»، فهذا الذي خاف هذا المقام، {ونهى النفس عن الهوى} أي عن هواها المخالف لأمر الله ورسوله، والنفس أمَّارة بالسوء لا تأمر إلا بالشر. ولكن هناك نفس أخرى تقابلها وهي النفس المطمئنة؛ وللإنسان ثلاث نفوس: مطمئنة، وأمارة، ولوامة، وكلها في القرآن، أما المطمئنة ففي قوله تعالى: {يا أيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي. وادخلي جنتي}. وأما الأمَّارة بالسوء ففي قوله تعالى: {وما أبرّئ نفسي إن النفس لأمَّارة بالسوء إلا ما رحم ربي}. وأما اللوامة ففي قوله تعالى: {لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة}.

والإنسان يحس بنفسه بهذه الأنفس؛ يرى في نفسه أحيانـاً نزعة خير يحب الخير ويفعله، وهذه هي النفس المطمئنة، ويرى أحيانـاً في نفسه نزعة شر فيفعله، وهذه النفس الأمارة بالسوء، وتأتي بعد ذلك النفس اللوامة التي تلومه على ما فعل، فتجده يندم على ما فعل من المعصية، أو لوامة أخرى تلومه على ما فعل من الخير، فإن من الناس من قد يلوم نفسه على فعل الخير، وعلى مصاحبة أهل الخير، ويقول: كيف أصاحب هؤلاء الذين صدوني عن حياتي.. عن شهواتي.. عن لهوي، وما أشبه ذلك. فاللوامة نفس تلوم الأمارة بالسوء مرة، وتلوم المطمئنة مرة أخرى». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٥٣).

(فإن الجنة هي المأوى):

قال ابن عثيمين: «{فإن الجنة هي المأوى} الجنة هي دار النعيم التي أعدها الله عز وجل لأوليائه، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، قال الله تعالى: {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين}. هكذا جاء في القرآن، وجاء في الحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»، هذه الجنة يدركها الإنسان قبل أن يموت، إذا حضر الأجل ودعت الملائكة النفس للخروج قالت: اخرجي أيتها النفس المطمئنة إلى رضوان الله. وتبشر

النفس بالجنة، قال الله تعالى: {الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم} يقولونه حين التوفي {ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون}، فيبشر بالجنة، فتخرج روحه راضية متيسرة سهلة... فالجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والإنسان قد يدركها قبل أن يموت بما يبشر به، وقد قال أنس بن النضر رضي الله عنه لسعد بن معاذ: «يا سعد، والله إني لأجد ريح الجنة دون أحد»، وهذا ليس معناه الوجدان الذوقي، وجدان حقيقي، قال ابن القيم رحمه الله: (إن بعض الناس قد يدرك الآخرة وهو في الدنيا)، ثم انطلق فقاتل وقُتل رضي الله عنه». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٥٤-٥٥).

(يسألونك عن الساعة أيان مرساها * فيم أنت من ذكراها * إلى ربك منتهاها):

«عن عائشة، قالت: لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة، حتى أنزل الله عز وجل: (فيم أنت من ذكراها. إلى ربك منتهاها)». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢١٣).

وقال الطبري: «(أيان مرساها) متى قيامها وظهورها. وكان الفراء يقول: إن قال القائل: إنما الإرساء للسفينة، والجبال الراسية وما أشبههن، فكيف وصف الساعة بالإرساء؟ قلت: هي بمنزلة السفينة إذا كانت جارية فرست، ورسوّها: قيامها؛ قال: وليس قيامها كقيام القائم، إنما هي كقولك: قد قام العدل، وقام الحق: أي ظهر وثبت». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢١٣).

وقال السعدي: «{فيم أنت من ذكراها} أي: ما الفائدة لك ولهم في ذكرها ومعرفة وقت مجيئها؟ فليس تحت ذلك نتيجة، ولهذا لما كان علم العباد للساعة ليس لهم فيه مصلحة دينية ولا دنيوية، بل المصلحة في خفائه عليهم، طوى علم ذلك عن جميع الخلق، واستأثر بعلمه فقال: {إلى ربك منتهاها} أي: إليه ينتهي علمها، كما قال في الآية الأخرى: {يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون}». «تفسير السعدي» (ص٩١٠).

وقال ابن عثيمين: «سؤال الناس عن الساعة ينقسم إلى قسمين:

سؤال استبعاد وإنكار، وهذا كفر، كما سأل المشركون النبي صلى الله عليه وسلّم عن الساعة واستعجلوها، وقد قال الله عن هؤلاء: {يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق}.

وسؤال عن الساعة يسأل: متى الساعة؟ ليستعدّ لها، وهذا لا بأس به، وقد قال رجل للنبي عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله متى الساعة؟ قال له: «ماذا أعددت لها؟» قال: حب الله ورسوله. قال: «المرء مع من أحب»، فالناس يسألون النبي عليه الصلاة والسلام ولكن تختلف نياتهم في هذا السؤال، ومهما كانت نياتهم ومهما كانت أسئلتهم فعلم الساعة عند الله، ولهذا قال: {فيمَ أنت من ذكراها} يعني أنه لا يمكن أن تذكر لهم الساعة، لأن علمها عند الله، كما قال تعالى في آية أخرى: {قل إنما علمها عند الله}. وقد سأل جبريل عليه السلام وهو أعلم الملائكة بوحي الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو أعلم البشر بذلك قال: أخبرني عن الساعة. فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، يعني أنت إذا كانت خافية عليك فأنا خافية عليّ، وإذا كان أعلم الملائكة وأعلم البشر لا يعلمان متى الساعة فما بالك بمن دونهما، وبهذا نعرف أن ما يشيعه بعض الناس من أن الساعة تكون في كذا وفي كذا وفي زمن معين كله كذب، نعلم أنه كذب؛ لأنه لا يعلم متى الساعة إلا الله عز وجل». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٥٦).

(إنما أنت منذر من يخشاها):

قال السعدي: «{إنما أنت منذر من يخشاها} أي: إنما نذارتك نفعها لمن يخشى مجيء الساعة، ويخاف الوقوف بين يديه، فهم الذين لا يهمهم سوى الاستعداد لها والعمل لأجلها. وأما من لا يؤمن بها، فلا يبالى به ولا بتعنته، لأنه تعنت مبني على العناد والتكذيب، وإذا وصل إلى هذه الحال، كان الإجابة عنه عبثا، ينزّه الحكيم عنه». «تفسير السعدي» (ص٩١٠).

وقال ابن عثيمين: «السؤال الذي يجب أن يرد على النفس، ويجب أن يكون لديك جواب عليه هو: على أي حال تموت؟! ولستُ أريد على أي حال تموت هل أنت غني أو فقير، أو قوي أو ضعيف، أو ذو عيال أو عقيم، بل على أي حال تموت في العمل، فإذا كنت تسأل نفسك هذا السؤال فلابد أن تستعد؛ لأنك لا تدري متى يفجَؤُك الموت، كم من إنسان خرج يقود سيارته ورجع به محمولاً على الأكتاف، وكم من إنسان خرج من أهله يقول هيئوا لي طعام الغداء أو العشاء ولكن لم يأكله، وكم من إنسان لبس قميصه وزرّ أزرّته ولم يفكها إلا الغاسل يغسّله، وهذا أمر مشاهد لكل أحد بحوادث بغتة.

فانظر الآن وفكر على أي حال تموت، ولهذا ينبغي لك أن تكثر من الاستغفار ما استطعت، فإن الاستغفار فيه من كل هم فرج، ومن كل ضيق مخرج... لذلك أوصيكم بالمراقبة، وكثرة الاستغفار، ومحاسبة النفس حتى نكون على أهبة الاستعداد خشية أن يفجأنا الموت، نسأل الله أن يحسن لنا الخاتمة». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٥٧-٥٨).

(كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها):

«عن قتادة، قوله: (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة». «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢١٤).

وقال البغوي: «{إلا عشية أو ضحاها} قال الفراء: ليس للعشية ضحى، إنما الضحى لصدر النهار، ولكن هذا ظاهر من كلام العرب أن يقولوا: آتيك العشية أو غداتها، إنما معناه: آخر يوم أو أوله، نظيره قوله: (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار)». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣١).

وقال ابن تيمية: «ويجوز أن يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيئا من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويغسل ويسقى، كما نص على ذلك أحمد وغيره. قال عبد الله بن أحمد: قرأت على أبي ثنا يعلى بن عبيد؛ ثنا سفيان؛ عن محمد بن أبي ليلى، عن الحكم؛ عن سعيد بن جبير؛ عن ابن عباس قال: إذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب: بسم الله، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم،

الحمد لله رب العالمين، {كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها}، {كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون}.

قال أبي: ثنا أسود بن عامر بإسناده بمعناه، وقال: يكتب في إناء نظيف فيسقى.

قال أبي: وزاد فيه وكيع: فتسقى وينضح ما دون سرتها.

قال عبد الله: رأيت أبي يكتب للمرأة في جام أو شيء نظيف...

قال علي (يعني ابن الحسن بن شقيق): يكتب في كاغدة، فيعلق على عضد المرأة، قال علي: وقد جربناه فلم نر شيئا أعجب منه، فإذا وضعت تحلّه سريعا، ثم تجعله في خرقة أو تحرقه» «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٦٤-٦٥).

وقال ابن القيم: «وأما الرابحون، فإنهم باعوا فانيا بباق، وخسيسا بنفيس، وحقيرا بعظيم، وقالوا: ما مقدار هذه الدنيا من أولها إلى آخرها حتى نبيع حظنا من الله والدار الآخرة بها؟ فكيف بما ينال العبد منها في هذا الزمن القصير الذي هو في الحقيقة كغفوة حُلُم، لا نسبة له إلى دار البقاء البتة؟

قال تعالى: {ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم}. وقال تعالى: {يسألونك عن الساعة أيان مرساها. فيم أنت من ذكراها. إلى ربك منتهاها. إنما أنت منذر من يخشاها. كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها}. وقال تعالى: {كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار}. وقال تعالى: {قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين. قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادّين. قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون}. وقال تعالى: {يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا. يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا. نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما}.

فهذا حقيقة هذه الدنيا عند موافاة القيامة. فلما علموا قلة لبثهم فيها، وأن لهم دارا غير هذه الدار، هي دار الحيوان ودار البقاء = رأوا من أعظم الغبن بيع دار البقاء بدار الفناء، فاتجروا تجارة الأكياس، ولم يغتروا بتجارة السفهاء من الناس، فظهر لهم يوم التغابن ربح تجارتهم ومقدار ما اشتروه. وكل أحد في هذه الدنيا بائع مشتر متّجر، وكل الناس يغدو، فبائع نفسه فموبقها، أو مبتاعها فمعتقها». «الداء والدواء» (١/ ٢٤٦-٢٤٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة النازعات ٣٤-٤٦

١- يَنفخ إسرافيل عليه السلام في الصُّور النفخة الثانية فتُزلزِل الأرض زلزالها، وتُخرج ما في بطنها من الموتى، ويقوم الناس لرب العالمين، وتدنو منهم الشمس، ويُلجمهم العرَق، وتُبرز الجحيم للرائين، فيتذكّر الإنسان أعماله، ويندم على ذنوبه، ويتحسّر على تفريطه، ويتمنى أن يعود إلى الدنيا ليعمل صالحا، ولكن هيهات، فاستعدّ لذلك الموقف العصيب، واجعله أمامك كأنه رأيُ عين، وازدد من الأعمال الصالحة التي يسرُّك رؤيتها غدا في صحائف أعمالك (فإذا جاءت الطامة الكبرى * يوم يتذكر الإنسان ما سعى * وبُرّزت الجحيم لمن يرى).

٢- تجنّب الطغيان بمجاوزة الحد في العصيان، وتجنّب إيثار الحياة الدنيا على الآخرة بتقديم محابّ النفس وشهواتها على محابّ الله ومراضيه، فهذان -أعني الطغيان وإيثار الحياة الدنيا- من أبرز الطرق المؤدية إلى الجحيم (فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى).

٣- ازرع في قلبك الخوف من الله، ومن الوقوف بين يديه للحساب والجزاء في موقف لا تخفى عليه منك خافية، وانهَ نفسك عن غَيّها وهواها، وأدّبها بفعل نوافل الطاعات حتى تألف الفرائض، وبترك المكروهات حتى تأنف من المحرمات، لتمهّد لنفسك الطريق إلى رضوان الله وجنات النعيم (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى).

٤- لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله عز وجل، ولم يُطلع الله على وقت قيامها ملَكا مقرّبا ولا نبيا مرسلا، فاقطع الطمع عن إدراك موعدها، وأعدّ العُدّة لساعتك التي تموت فيها، فإن من مات قامت قيامته (يسألونك عن الساعة أيّان مُرساها * فيم أنت من ذكراها * إلى ربك منتهاها * إنما أنت منذر من يخشاها).

٥- ما الدنيا في الآخرة إلا كعشية نهار أو ضحاه، بل كساعة من نهار، فلا تستحق العناء لأجلها، ولا تضييع الحظ الدائم النفيس في الجنة بمتاعها الزائل الخسيس، وما هي إلا صبر ساعات على طاعة وعن معصية وعلى أقدار مؤلمة لتكون النتيجة جنةً عرضها السماوات والأرض، فهل من مُشمّر؟ (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النبأ ١-١٦ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

سورة النبأ: مكية.

[مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ] بيان أدلة القدرة على البعث، والتخويفُ من العاقبة.

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١﴾

عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون بعدما بعث الله إليهم رسوله - صلى الله عليه وسلم -؟!

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ٢﴾

يسأل بعضهم بعضًا عن الخبر العظيم، وهو هذا القرآن المنزل على رسولهم المتضمن لخبر البعث.

﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ٣﴾

هذا القرآن الَّذي اختلفوا فيما يصفونه به؛ من كونه سحرًا أو شعرًا أو كهانة أو أساطير الأولين.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ٤﴾

ليس الأمر كما زعموا، سيعلم هؤلاء المكذبون بالقرآن عاقبة تكذيبهم السيئة.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ٥﴾

ثم سيتأكد لهم ذلك.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ٦﴾

ألم نُصَيِّر الأرض مُمَهَّدة لهم صالحة لاستقرارهم عليها؟!

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ٧﴾

وجعلنا الجبال عليها بمنزلة أوتاد تمنعها من الاضطراب.

﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ٨﴾

وخلقناكم -أيها الناس- أصنافًا: منهم الذُّكران والإناث.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ٩﴾

وجعلنا نومكم انقطاعًا عن النشاط لتستريحوا.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ١٠﴾

وجعلنا الليل ساترًا لكم بظلمته مثل اللباس الَّذي تسترون به عوراتكم.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ١١﴾

وجعلنا النهار ميدانًا للكسب والبحث عن الرزق.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ١٢﴾

وبنينا فوقكم سبع سماوات متينة البناء محكمة الصنع.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ١٣﴾

وصيَّرنا الشمس مصباحًا شديد الاتقاد والإنارة.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ١٤﴾

وأنزلنا من السحب التي حان لها أن تمطر ماءً كثير الانصباب.

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ١٥﴾

لنخرج به أصناف الحَب، وأصناف النبات.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ١٦﴾

ونخرج به بساتين مُلْتَفَّة من كثرة تداخل أغصان أشجارها.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• إحكام الله للخلق دلالة على قدرته على إعادته.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة النبأ ١-١٦

الكلمة	المعنى
عمّ يتساءلون	عن أي شيء يتساءل المشركون
عن النبأ العظيم	عن الخبر العظيم، وهو القرآن الذي فيه خبر البعث للحساب والجزاء
مِهَادًا	ممهّدة لكم كالفراش
أوتادًا	رواسي تثبّت الأرض وتمنعها من الاضطراب
وخلقناكم أزواجًا	وخلقناكم أصنافا: ذكورا وإناثا
سُباتا	راحة لأبدانكم
لِباسًا	ساترا لكم بظُلمته كاللباس
معاشًا	ميدانا للكسب والرزق
سبعًا شِدادًا	سبع سماوات محكمة الصُنع متينة البناء
سراجا وهّاجًا	مصباحا وقّادًا مُضيئا وهو الشمس
المُعصِرَات	السحب الممطرة
ثجّاجًا	منصبّا بكثرة
حبًّا ونباتا	طعاما لكم ولأنعامكم
وجناتٍ ألفافًا	وبساتين كثيرة الأشجار

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة النبأ ١-١٦

(عمّ يتساءلون * عن النبأ العظيم * الذي هم فيه مختلفون):

قال البغوي: «{عمّ} أصله: "عن ما" فأدغمت النون في الميم وحذفت ألف "ما" كقوله: "فيم" و "بم"؟ {يتساءلون} أي: عن أي شيء يتساءلون، هؤلاء المشركون؟ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعاهم إلى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت، وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون: ماذا جاء به محمد؟ قال الزجاج: اللفظ لفظ استفهام ومعناه التفخيم، كما تقول: أيّ شيء زيد؟ إذا عظّمت أمره وشأنه. ثم ذكر أن تساؤلهم عماذا فقال: {عن النبإ العظيم} قال مجاهد والأكثرون: هو القرآن، دليله: قوله: (قل هو نبأ عظيم). وقال قتادة: هو البعث». «تفسير البغوي» (٨/ ٣٠٩).

(كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون):

قال ابن القيم: «وقوله: {كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}، قيل: هو تأكيد لحصول العلم كقوله: {كَلَّا سَيَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ}. وقيل: ليس بتأكيد، بل العلم الأول عند المعاينة ونزول الموت، والعلم الثاني في القبر. هذا قول الحسن ومقاتل ورواه عطاء عن ابن عباس. ويدل على صحة هذا القول عدة أوجه:

أحدها: أن الفائدة الجديدة والتأسيس هو الأصل، وقد أمكن اعتباره مع فخامة المعنى وجلالته وعدم الإخلال بالفصاحة.

الثاني: توسط {ثُمَّ} بين العِلمين، وهي مؤذنة بتراخي ما بين المرتبتين زمانًا وخَطَرًا.

الثالث: أن هذا القول مطابق للواقع، فإن المحتضر يعلم عند المعاينة حقيقة ما كان عليه، ثم يعلم في القبر وما بعده ذلك علمًا هو فوق العلم الأول.

الرابع: أن عليّ بن أبي طالب وغيره من السلف فهموا من الآية عذاب القبر». «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» (١/ ٣٦٠).

(ألم نجعل الأرض مهادا):

قال ابن عثيمين: «بين الله تعالى نعمه على عباده ليقرر هذه النعم فيلزمهم شكرها، فقال: {ألم نجعل الأرض مهاداً} أي جعل الله الأرض مهاداً ممهدة للخلق، ليست بالصلبة التي لا يستطيعون حرثها ولا المشي عليها إلا بصعوبة، وليست باللينة الرخوة التي لا ينتفعون بها ولا يستقرون فيها، ولكنها ممهدة لهم على حسب مصالحهم، وعلى حسب ما ينتفعون به». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٦).

(والجبال أوتادا):

قال ابن عثيمين: «{والجبال أوتاداً} أي جعلها الله تعالى أوتاداً للأرض بمنزلة الوتد للخيمة، حيث يثبّتها فتثبت به، وهي أيضاً ثابتة كما قال تعالى: {وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها}. وهذه الأوتاد قال علماء الأرض: إن هذه الجبال لها جذور راسخة في الأرض كما يرسخ جذر الوتد بالجدار، أو وتد الخيمة في الأرض، ولذلك تجدها صلبة قوية لا تزعزعها الرياح، وهذا من تمام قدرته ونعمته». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٦).

(وخلقناكم أزواجا):

قال ابن كثير: «{وخلقناكم أزواجا} يعني: ذكرا وأنثى، يستمتع كل منهما بالآخر، ويحصل التناسل بذلك، كقوله: {ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٠٢).

وقال ابن عثيمين: «{وخلقناكم أزواجاً} أي أصنافاً ما بين ذكر وأنثى، وصغير وكبير، وأسود وأحمر، وشقي وسعيد إلى غير ذلك مما يختلف الناس فيه، فهم أزواج مختلفون على حسب ما أراده الله عز وجل واقتضته حكمته ليعتبر الناس بقدرة الله تعالى، وأنه قادر على أن يجعل هذا البشر الذين خلقوا من مادة واحدة ومن أب واحد على هذه الأصناف المتنوعة المتباينة». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٦).

(وجعلنا نومكم سباتا):

قال الطبري: «(وجعلنا نومكم سباتا) يقول: وجعلنا نومكم لكم راحة ودعة، تهدؤون به وتسكنون، كأنكم أموات لا تشعرون، وأنتم أحياء لم تفارقكم الأرواح، والسبت والسبات: هو السكون، ولذلك سمي السبت سبتا، لأنه يوم راحة ودعة». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٥١).

وقال ابن عثيمين: «{وجعلنا نومكم سباتـًا} أي قاطعـًا للتعب، فالنوم يقطع ما سبقه من التعب، ويستجد به الإنسان نشاطـًا للمستقبل، ولذلك تجد الرجل إذا تعب ثم نام استراح وتجدد نشاطه، وهذا من النعمة، وهو أيضـًا من آيات الله كما قال الله تعالى: {ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٦).

(وجعلنا الليل لباسا):

قال ابن تيمية: «وأما لفظ "اللباس": فهو مستعمل في كل ما يغشى الإنسان ويلتبس به، قال تعالى: {وجعلنا الليل لباسا}. وقال: {ولباس التقوى ذلك خير}. وقال: {هن لباس لكم وأنتم لباس لهن}. ومنه يقال: لبَس الحق بالباطل إذا خلطه به حتى غشيه فلم يتميز». «مجموع الفتاوى» (٧/ ١١٠).

وقال ابن عثيمين: «{وجعلنا الليل لباسـًا} أي جعل الله هذا الليل على الأرض بمنزلة اللباس، كأن الأرض تلبسه ويكون جلبابـًا لها، وهذا لا يعرفه تمام المعرفة إلا من صعد فوق ظل الأرض، وقد رأينا ذلك من الآيات العجيبة إذا صعدت في الطائرة وارتفعْت وقد غابت الشمس عن سطح الأرض، ثم تبينت لك الشمس بعد أن ترتفع، تجد الأرض وكأنما كسيت بلباس أسود. لا ترى شيئـًا من الأرض، كله سواد من تحتك، فتبين من هذا معنى قوله تعالى: {وجعلنا الليل لباسا}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٦-٢٧).

(وبنينا فوقكم سبعا شدادا):

قال ابن القيم: «وقد أثنى سبحانه في كتابه على المتفكرين في خلق السموات والأرض، وذم المعرضين عن ذلك؛ فقال: {وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون}.

وتأمل خلق هذا السقف الأعظم -مع صلابته وشدته ووثاقته- من دخان، وهو بخار الماء؛ قال الله تعالى: {وبنينا فوقكم سبعا شدادا}، وقال تعالى: {أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها. رفع سمكها فسواها}، وقال: {وجعلنا السماء سقفا محفوظا}. فانظر إلى هذا البناء الشديد العظيم الواسع الذي رَفع سمكه أعظم ارتفاع، وزيّنه بأحسن زينة، وأودعه العجائب والآيات، وكيف ابتدأ خلقَه من بخار ارتفع من الماء وهو الدخان. فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ... ومن هو فوق العرش فرد موحد.

لقد تعرّف إلى خلقه بأنواع التعرّفات، ونصب لهم الدلالات، وأوضح لهم الآيات البينات؛ {ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم}.

فارجع البصر إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها ودورانها، وطلوعها وغروبها، وشمسها وقمرها، واختلاف مشارقها ومغاربها، ودُؤوبها في الحركة على الدوام، من غير فتور في حركتها، ولا تغير في سيرها، بل تجري في منازل قد رُتّبت لها بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص، إلى أن يطويها فاطرها وبديعها. وانظر إلى كثرة كواكبها، واختلاف ألوانها ومقاديرها، فبعضها يميل إلى الحمرة، وبعضها إلى البياض، وبعضها إلى اللون الرصاصي». «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٥٦٣-٥٦٤).

(وجعلنا سراجا وهّاجا):

قال ابن تيمية: «ولفظ الضياء والنور ونحو ذلك، يراد به الشيء بنفسه المستنير، كالشمس والقمر وكالنار، قال تعالى: {هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا}، وقال: {وجعلنا سراجا وهاجا}. وسمى سبحانه الشمس سراجا وضياء؛ لأن فيها مع الإنارة والإشراق تسخينا وإحراقا، فهي بالنار أشبه بخلاف القمر، فإنه ليس فيه مع الإنارة تسخينا، فلهذا قال: {جعل الشمس ضياء والقمر نورا}». «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٤/ ٣٦٨).

وقال ابن القيم: «انظر إلى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة، ثم هي في كل يوم تطلع وتغرب بسير سخرها له خالقها، لا تتعداه ولا تقصر عنه، ولولا طلوعها وغروبها لما عُرف الليل والنهار ولا المواقيت، ولأطبق الظلام على العالم أو الضياء، ولم يتميز وقت المعاش عن وقت السبات والراحة.
وكيف قدّر لها العزيز العليم سفرين متباعدين:
أحدهما: سفرها صاعدة إلى أوجها. والثاني: سفرها هابطة إلى حضيضها.
تنتقل في منازل هذا السفر منزلة منزلة حتى تبلغ غايتها منه، فأحدث ذلك السفرُ بقدرة الرب الخالق القادر اختلافَ الفصول من الصيف والشتاء والخريف والربيع، فإذا انخفض سيرها عن وسط السماء برد الهواء وظهر الشتاء، وإذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ، وإذا كانت بين المسافتين اعتدل الزمان، وقامت مصالح العباد والحيوان والنبات بهذه الفصول الأربعة، واختلفت بسببها الأقوات، وأحوال النبات والألوان، ومنافع الحيوان والأغذية وغيرها». «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (٢/ ٥٦٤-٥٦٥).

وقال ابن عثيمين: «وحرارتها في أيام الصيف حرارة شديدة مع بعدها الساحق عن الأرض، فما ظنك بما يقرب منها، ثم إنها تكون في أيام الحر في شدة حرها من فيح جهنم، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم». وقال عليه الصلاة والسلام: «اشتكت النار إلى الله فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضـًا، فأذِن لها بنفَسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم، وأشد ما يكون من الحر من فيح جهنم».
ومع ذلك فإن فيها مصلحةً عظيمة للخلق، فهي توفر على الخلق أموالاً عظيمة في وقت النهار، حيث يستغني الناس بها عن إيقاد الأنوار، وكذلك الطاقة التي تُستخرج منها تكون فيها فوائد كثيرة. وكذلك إنضاج الثمار، وغير هذا من الفوائد العديدة من هذا السراج الذي جعله الله عز وجل لعباده». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٧).

(وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا):

قال الطبري: «لا يُعرف في كلام العرب من صفة الكثرة: الثج، وإنما الثج: الصب المتتابع. ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أفضل الحج: العج والثج)، يعني بالثج: صب دماء الهدايا والبُدن بذبحها». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٥٥).

وقال البغوي: «{وأنزلنا من المعصرات} قال مجاهد، وقتادة، ومقاتل، والكلبي: يعني الرياح التي تعصر السحاب، وهي رواية العوفي عن ابن عباس. قال الأزهري: هي الرياح ذوات الأعاصير، فعلى هذا التأويل تكون "مِن" بمعنى الباء، أي: بالمعصرات، وذلك أن الريح تستدرّ المطر.

وقال أبو العالية، والربيع، والضحاك: المعصرات: هي السحاب. وهي رواية الوالبي عن ابن عباس. قال الفراء: المعصرات: السحائب التي تتحلب بالمطر ولا تمطر، كالمرأة المعصر هي التي دنا حيضها ولم تحض. وقال ابن كيسان: هي المغيثات، من قوله: (فيه يغاث الناس وفيه يَعصرون).

وقال الحسن، وسعيد بن جبير، وزيد بن أسلم، ومقاتل بن حيان: (من المعصرات) أي من السماوات». «تفسير البغوي» (٨/ ٣١٢-٣١٣).

وقال ابن كثير: «والأظهر أن المراد بالمعصرات: السحاب، كما قال الله تعالى: {الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله} أي: من بينِه». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٠٣).

وقال ابن عثيمين: «لما ذكر السراج الوهاج الذي به الحرارة واليبوسة ذكر ما يقابل ذلك فقال: {وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجَّاجـًا}، والماء فيه رطوبة وفيه برودة، وهذا الماء أيضـًا تنبت به الأرض وتحيا به، فإذا انضاف ماء السماء إلى حرارة الشمس حصل في هذا إنضاج للثمار ونموّ لها على أكمل ما يكون». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٨).

(لنخرج به حبا ونباتا * وجنات ألفافا):

قال ابن كثير: «{لنخرج به حبا ونباتا. وجنات ألفافا} أي: لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك {حبا} يُدّخر للأناسيّ والأنعام، {ونباتا} أي: خضرا يؤكل رطبا، {وجنات} أي: بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة، وألوان مختلفة، وطعوم وروائح متفاوتة، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعا؛ ولهذا قال: {وجنات ألفافا} قال ابن عباس، وغيره: {ألفافا} مجتمعة. وهذه كقوله تعالى: {وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل} الآية». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٠٤).

وقال السعدي: «فالذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة، التي لا يقدر قدرها، ولا يحصى عددها، كيف تكفرون به وتكذبون ما أخبركم به من البعث والنشور؟! أم كيف تستعينون بنعمه على معاصيه وتجحدونها؟». «تفسير السعدي» (ص٩٠٦).

وقال ابن عثيمين: «{لنخرج به} أي لنخرج بهذا الماء الذي أنزل من السماء إلى الأرض {حبًّا ونباتـًا} فتنبت الأرض ويخرج الله به من الحب بجميع أصنافه وأنواعه البر والشعير والذرة وغيرها، والنبات من الثمار كالتين والعنب وما أشبه ذلك، {وجنات ألفافا} أي بساتين ملتفـًا بعضها إلى بعض، من كثرتها وحسنها وبهائها حتى إنها لتستر من فيها لكثرتها والتفاف بعضها إلى بعض، وهي الأشجار التي لها ساق، فيخرج من هذا الماء الثجاج: الزروع والنخيل والأعناب وغيرها، سواء خرج منه مباشرة أو خرج منه بواسطة استخراج الماء من باطن الأرض؛ لأن الماء الذي في باطن الأرض هو من المطر، كما قال تعالى: {فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين}. وقال تعالى في آية أخرى: {فسلكه ينابيع في الأرض}». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة النبأ ١-١٦

١- هذا القرآن الكريم نبأ عظيم، أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليكون حجة على خلقه إلى يوم الدين، فاستمسك بعروته الوثقى، واعتصم بحبله المتين، وافهمه على مراد الله تعالى منه كما فهمه النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام، حتى يكون هاديا لك في الدنيا، وحجة لك يوم القيامة (عمّ يتساءلون * عن النبأ العظيم * الذي هم فيه مختلفون * كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون).

٢- افتح عيني بصيرتك على نعم الله العظيمة من حولك: كبيرها وصغيرها، ظاهرها وباطنها، عامّها وخاصّها، ليلهج لسانك بالشكر لله العظيم الكريم الرحيم، ويرتقي إيمانك إلى أعلى درجات اليقين، وتنشط جوارحك لطاعته سبحانه والذل بين يديه، فهذه الأرض ممهدة لعيشك، والجبال مثبّتة لها أن تميد وتضطرب، والزوج لسكنك وراحتك، والنوم قاطع لتعبك، والليل مظلم لتحقيق راحتك، والنهار مضيء لتسعى في مصالحك، والسماوات من فوقك بناء محكم لتتأمل في الكون الفسيح لزيادة إيمانك، والشمس تمنحك ضياء وحرارة لتحقيق منافعك، والمطر نازل من السماء لسقياك وسقيا بهائمك وزروعك، فمن خلق هذا كله وأعدّه إعدادا دقيقا قادر على أن يبعثك بعد موتك للحساب والجزاء، فأعدّ لذلك اليوم عُدّته (ألم نجعل الأرض مهادا * والجبال أوتادا * وخلقناكم أزواجا * وجعلنا نومكم سباتا * وجعلنا الليل لباسا * وجعلنا النهار معاشا * وبنينا فوقكم سبعا شدادا * وجعلنا سراجا وهاجا * وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا * لنخرج به حبا ونباتا * وجنات ألفافا).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النبأ ١٧-٣٠ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

ولما ذكر الله هذه النعم الدالة على قدرته أتبعها بذكر البعث والقيامة؛ لأن القادر على خلق هذه النعم قادر على بعث الموتى وحسابهم، فقال:

﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧﴾

إن يوم الفصل بين الخلائق كان موعدًا محددًا بوقتٍ لا يتخلّف.

﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨﴾

يوم يَنفُخُ الملَك في القرن النفخة الثانية، فتأتون -أيها الناس- جماعات جماعات.

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩﴾

وفُتِحت السماء فصار لها فتوح وشقوق مثل الأبواب المفتحة.

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠﴾

وجُعِلت الجبال تسير حتَّى تتحول هباءً منثورًا، فتصير مثل السراب.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١﴾

إن جهنم كانت راصدة مُرْتَقِبة.

﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ٢٢﴾

للظالمين مرجعًا يرجعون إليه.

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣﴾

ماكثين فيها أزمنة ودهورًا لا نهاية لها.

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ٢٤﴾

لا يذوقون فيها هواءً باردًا يبرد حر السعير عنهم، ولا يذوقون فيها شرابًا يُتَلذَّذ به.

﴿إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ٢٥﴾

لا يذوقون إلا ماءً شديد الحرارة، وما يسيل من صديد أهل النار.

﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا ٢٦﴾

جزاءً موافقًا لما كانوا عليه من الكفر والضلال.

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ٢٧﴾

إنهم كانوا في الدنيا لا يخافون محاسبة الله إياهم في الآخرة؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث، فلو كانوا يخافون البعث لآمنوا بالله، وعملوا صالحًا.

﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ٢٨﴾

وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا تكذيبًا.

﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ٢٩﴾

وكلَّ شيء من أعمالهم ضبطناه وعددناه، وهو مكتوب في صحائف أعمالهم.

﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ٣٠﴾

فذوقوا -أيها الطغاة- هذا العذاب الدائم، فلن نزيدكم إلا عذابًا على عذابكم.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• الطغيان سبب دخول النار.

• مضاعفة العذاب على الكفار.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة النبأ ١٧-٣٠

الكلمة	المعنى
يومَ الفصْل	اليومَ الذي يحاسب الله فيه الخلائق، وهو يوم القيامة
مِيقاتا	وقتا وموعدا محددا
الصّور	القرنِ الذي يَنفخ فيه إسرافيل عليه السلام
فتأتون أفواجا	فتأتون أُمما، كلُّ أمة مع إمامهم
وفُتحت السماء	وشُقّقت السماء
وسُيّرت الجبال	ونُسفت الجبال بعدما كانت راسية
فكانت سرابا	فصارت كالسراب الذي يظن من يراه من بعيد ماء، وهو في الحقيقة لا شيء
مِرصادا	ترصد أهلها وترقُبهم
لِلطّاغِين مَآبا	مَرجِعا ومأوى لهم
لابثين فيها أحقابا	ماكثين فيها أزمانا طويلة لا نهاية لها
بَردًا	ما يبرّد حرّ النار عن أجسادهم
حَمِيمًا	ماءً حارا بالغا أعلى درجات الحرارة
وغسّاقًا	وصديدا يسيل من جلود أهل النار
جزاءً وِفَاقا	جزاءً عادلا موافقا لأعمالهم في الدنيا
لا يَرجُون حسابا	لا يتوقعون وقوع الحساب والجزاء يوم القيامة
كِذّابًا	تكذيبا شديدا
أحصيناه كِتابًا	حَفظناه مكتوبا

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة النبأ ١٧-٣٠

(إن يوم الفصل كان ميقاتا):

قال ابن عثيمين: «{إن يوم الفصل كان ميقاتـًا} وهو يوم القيامة، وسمي يوم فصل لأن الله يفصل فيه بين العباد فيما شجر بينهم، وفيما كانوا يختلفون فيه، فيَفصل بين أهل الحق وأهل الباطل، وأهل الكفر وأهل الإيمان، وأهل العدوان وأهل الاعتدال، ويفصل فيه أيضـًا بين أهل الجنة والنار، فريق في الجنة وفريق في السعير. {كان ميقاتـًا} يعني ميقاتـًا للجزاء موقوتـًا لأجل معدود، كما قال تعالى: {وما نؤخره إلا لأجل معدود}. وما ظنك بشيء له أجل معدود وأنت ترى الأجل كيف يذهب سريعـًا يومـًا بعد يوم حتى ينتهي الإنسان إلى آخر مرحلة، فكذلك الدنيا كلها تسير يومـًا بعد يوم حتى تنتهي إلى آخر مرحلة، ولهذا قال تعالى: {وما نؤخره إلا لأجل معدود} كل شيء معدود فإنه ينتهي». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٩).

(يوم يُنفخ في الصور فتأتون أفواجا):

قال الطبري: «وإنما قيل: (فتأتون أفواجا) لأن كل أمة أرسل الله إليها رسولا تأتي مع الذي أُرسل إليها، كما قال: (يوم ندعو كل أناس بإمامهم)». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٥٨).

وقال ابن عثيمين: «{يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجـًا} والنافخ الموكل فيها إسرافيل، ينفخ فيها نفختين: الأولى: يفزع الناس ثم يَصعقون فيموتون، والثانية: يُبعثون من قبورهم، وتعود إليهم أرواحهم، ولهذا قال هنا: {يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجـًا} وفي الآية إيجاز بالحذف، أي فتحيون فتأتون أفواجـًا؛ فوجـًا مع فوج أو يتلو فوجـًا». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٢٩).

(وسُيّرت الجبال فكانت سرابا):

قال ابن كثير: «{وسيرت الجبال فكانت سرابا} كقوله: {وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب}. وكقوله: {وتكون الجبال كالعهن المنفوش}. وقال هاهنا: {فكانت سرابا} أي: يخيل إلى

الناظر أنها شيء، وليست بشيء، بعد هذا تذهب بالكلية، فلا عين ولا أثر، كما قال: {ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا. فيذرها قاعا صفصفا. لا ترى فيها عوجا ولا أمتا}. وقال: {ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٠٥).

(إن جهنم كانت مرصادا):

قال الطبري: «كان الحسن إذا تلا هذه الآية: (إن جهنم كانت مرصادا) قال: ألا إن على الباب الرصد، فمن جاء بجواز جاز، ومن لم يجئ بجواز احتُبس...

عن الحسن، في قوله: (إن جهنم كانت مرصادا) قال: لا يدخل الجنة أحد حتى يجتاز النار». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٥٩).

وقال البغوي: «{إن جهنم كانت مرصادا} طريقا وممرا، فلا سبيل لأحد إلى الجنة حتى يقطع النار.

وقيل: (كانت مرصادا) أي: مُعدةً لهم، يقال: أرصدت له الشيء إذا أعددته له.

وقيل: هو من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته. والمرصاد: المكان الذي يرصد الراصد فيه العدو.

وقوله: (إن جهنم كانت مرصادا) أي ترصد الكفار.

وروى مقسم عن ابن عباس: أن على جسر جهنم سبعَ محابس، يُسأل العبد عند أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله، فإن أجابها تامة جاز إلى الثاني، فيُسأل عن الصلاة، فإن أجابها تامة جاز إلى الثالث، فيُسأل عن الزكاة، فإن أجابها تامة جاز إلى الرابع، فيُسأل عن الصوم، فإن جاء به تاما جاز إلى الخامس، فيُسأل عن الحج، فإن جاء به تاما جاز إلى السادس، فيُسأل عن العمرة، فإن أجابها تامة جاز إلى السابع، فيُسأل عن المظالم، فإن خرج منها وإلا يقال: انظروا فإن كان له تطوع أكمل به أعماله، فإذا فَرغ منه انطُلق به إلى الجنة». «تفسير البغوي» (٨/ ٣١٤).

(للطاغين مآبا):

قال ابن عثيمين: «{للطاغين مآبا} والطاغون جمع طاغ، وهو الذي تجاوز الحد، كما قال تعالى: {إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية}. أي زاد وتجاوز حده، وحد الإنسان مذكور في قوله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}. وتجاوز الحد يكون في حقوق الله ويكون في حقوق العباد، أما في حقوق الله عز وجل فإنه التفريط في الواجب أو التعدي في المحرم، وأما الطغيان في حقوق الآدميين فهو العدوان عليهم في أموالهم ودمائهم وأعراضهم. وهذه الثلاثة التي حرمها رسول الله صلى الله وآله وسلم، وأعلن تحريمها في حجة الوداع في أكثر من موضع فقال: (إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام).

فالطغاة في حقوق الله وفي حقوق العباد هم أهل النار -والعياذ بالله- ولهذا قال: {للطاغين مآبا}. أي مكان أواب، والأوب في الأصل الرجوع، كما قال تعالى: {نعم العبد إنه أواب} أي رجاع إلى الله».

«تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٣٠).

(لابثين فيها أحقابا):

قال البغوي: «قال الحسن: إن الله لم يجعل لأهل النار مدة، بل قال: (لابثين فيها أحقابا)، فوالله ما هو إلا إذا مضى حِقب دخل آخر ثم آخر إلى الأبد، فليس للأحقاب عدةٌ إلا الخلود.

وروى السدي عن مرة عن عبد الله قال: (لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا، ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا)». «تفسير البغوي» (٨/ ٣١٥).

وقال ابن عثيمين: «{لابثين فيها أحقابا} أي باقين فيها، {أحقابا} أي مدداً طويلة؛ وقد دل القرآن الكريم على أن هذه المدد لا نهاية لها، وأنها مدد أبدية، كما جاء ذلك مصرحـًا به في ثلاث آيات من كتاب الله، في سورة النساء في قوله تعالى: {إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا. إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا}. وفي سورة الأحزاب: {إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً. خالدين فيها أبدا لا يجدون وليـًا ولا نصيرا}. وفي سورة الجن في قوله تعالى: {ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا}. فإذا كان الله تعالى صرّح في ثلاث آيات من كتابه بأن

أصحاب النار مخلدون فيها أبداً، فإنه يلزم أن تكون النار باقيةً أبد الآبدين، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة...

والمهم أنه يجب علينا أن نعتقد شيئين:

الشيء الأول: وجود الجنة والنار الآن، وأدلة ذلك من القرآن والسنة كثيرة، منها قوله تعالى: {وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين}. والإعداد التهيئة، وهذا الفعل (أعدت) فعل ماضٍ يدل على أن الإعداد قد وقع، وكذلك قال الله تعالى في النار: {واتقوا النار التي أعدت للكافرين}. والإعداد تهيئة الشيء، والفعل هنا ماض يدل على الوقوع، وقد جاءت السنة صريحة في ذلك في أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأى الجنة ورأى النار.

الشيء الثاني: اعتقاد أنهما داران أبديتان، من دخلهما وهو من أهلهما فإنه يكون فيهما أبداً، أما الجنة فمن دخلها لا يخرج منها، كما قال تعالى: {وما هم منها بمخرجين}. وأما النار فإن عصاة المؤمنين يدخلون فيها ما شاء الله أن يبقوا فيها، ثم يكون مآلهم الجنة، كما شهدت بذلك الأخبار الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٣٠-٣١).

(لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا):

قال البغوي: «{لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا} روي عن ابن عباس: أن البرد النوم، ومثله قال الكسائي.

وقال أبو عبيدة: تقول العرب: مَنع البردُ البردَ، أي أذهب البرد النوم.

وقال الحسن وعطاء: (لا يذوقون فيها بردا) أي: روحا وراحة.

وقال مقاتل: (لا يذوقون فيها بردا) ينفعهم من حر، (ولا شرابا) ينفعهم من عطش». «تفسير البغوي» (٨/ ٣١٥).

وقال ابن عثيمين: «{لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً} نفى الله سبحانه وتعالى عنهم البرد الذي تبرد به ظواهر أبدانهم، والشراب الذي تبرد به أجوافهم. ذلك لأنهم -والعياذ بالله- إذا عطشوا واستغاثوا كانوا كما قال الله تعالى: {وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً}.

وهل الماء الذي كالمهل وإذا قُرِّب من الوجه شوى الوجه هل ينتفع به صاحبه؟ الجواب: استمع قول الله تعالى: {وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم}. أما في ظاهر الجسم فقد قال الله تعالى: {خذوه فاعتِلوه إلى سواء الجحيم. ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم}. وقال تعالى: {يُصبّ من فوق رؤوسهم الحميم. يُصهر به ما في بطونهم والجلود}. ما في بطونهم الأمعاء، وهي باطن الجسم، فمن كان كذلك فإنهم لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً يطفئ حرارة بطونهم.

ومن تدبر ما في القرآن والسنة من الوعيد الشديد لأهل النار فإنه كما قال السلف: (عجبت للنار كيف ينام هاربها، وعجبت للجنة كيف ينام طالبها). إننا لو قال لنا قائل: إن لكم في أقصى الدنيا قصوراً وأنهاراً وزوجات وفاكهة لا تنقطع عنا، ولا ننقطع دونها، بل هي إلى أبد الآبدين، لكُنّا نسير على أهداب أعيننا ليلاً ونهاراً لنصل إلى هذه الجنة التي بها هذا النعيم العظيم، والتي نعيمها دائم لا ينقطع، وشباب ساكنها دائم لا يهرم، وصحته دائمة ليس فيها سقم، وانظروا إلى الناس اليوم يذهبون إلى مشارق الأرض ومغاربها لينالوا درهماً أو ديناراً قد يتمتعون بذلك وقد لا يتمتعون به، فما بالنا نقف هذا الموقف من طلب الجنة، وهذا الموقف من الهرب من النار، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من النار، وأن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٣٠).

(إلا حميما وغساقا):

قال الطبري: «والغساق عندي: هو الفعّال، من قولهم: غسقت عين فلان: إذا سالت دموعها، وغسق الجرح: إذا سال صديده، ومنه قول الله: (ومن شر غاسق إذا وقب) يعني بالغاسق: الليل إذا لبس الأشياء وغطاها، وإنما أريد بذلك هجومه على الأشياء، هجومَ السيل السائل. فإذا كان الغساق هو ما وصفت من الشيء السائل، فالواجب أن يقال: الذي وعد الله هؤلاء القوم، وأخبر أنهم يذوقونه في الآخرة من الشراب هو السائل من الزمهرير في جهنم، الجامع مع شدة برده النتن.

... عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (لو أن دلوا من غسّاق يهراق إلى الدنيا لأنتن أهل الدنيا).

... عن عبد الله بن عمرو أنه قال: (أتدرون أي شيء الغساق؟)، قالوا: الله أعلم، قال: (هو القيح الغليظ، لو أن قطرة منه تهراق بالمغرب لأنتن أهل المشرق، ولو تهراق بالمشرق، لأنتن أهل المغرب)». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٦٦).

وقال ابن عثيمين: «{إلا حميماً وغساقاً} الاستثناء هنا منقطع عند النحويين؛ لأن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه، والمعنى ليس لهم إلا هذا الحميم، وهو الماء الحار المنتهي في الحرارة، {يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه}. {وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم}.

{وغساقاً} قال المفسرون: إن الغساق هو شراب منتن الرائحة شديد البرودة، فيُجمع لهم ـ والعياذ بالله ـ بين الماء الحار الشديد الحرارة، والماء البارد الشديد البرودة، ليذوقوا العذاب من الناحيتين: من ناحية الحرارة، ومن ناحية البرودة، بل إن بعض أهل التفسير قالوا: إن المراد بالغساق صديد أهل النار، وما يخرج من أجوافهم من النتن والعرق وغير ذلك. وعلى كل حال فالآية الكريمة تدل على أنهم لا يذوقون إلا هذا الشراب الذي يقطع أمعاءهم من حرارته، ويفطّر أكبادهم من برودته، نسأل الله العافية. وإذا اجتمعت هذه الأنواع من العذاب كان ذلك زيادة في مضاعفة العذاب عليهم». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٣٠).

(جزاء وِفاقا):

قال ابن القيم: «من هدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم، الذي أرسل به رسوله، وأنزل به كتابه، هدي هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته ودار ثوابه. وعلى قدر ثبوت قدمه على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم. وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط. فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الركاب، ومنهم من يسعى سعيا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يحبو حبوا، ومنهم المخدوش المسلم، ومنهم المكردس في النار.

فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا، حذو القذة بالقذة {جزاء وفاقا}، {هل تجزون إلا ما كنتم تعملون}. ولينظر الشهوات والشبهات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم، فإنها الكلاليب التي بجنبتي ذاك الصراط، تخطفه وتعوقه عن المرور عليه؛ إن كثرت هنا وقويت، فكذلك هي هناك، {وما ربك بظلام للعبيد}». «مدارج السالكين» (١/ ١٤).

وقال ابن القيم: «اعلم أن لك ذنوبا بينك وبين الله تخاف عواقبها، وترجوه أن يعفو عنها ويغفرها لك ويهبها لك، ومع هذا لا يقتصر على مجرد العفو والمسامحة حتى يُنعم عليك ويكرمَك ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله، فإذا كنت ترجو هذا من ربك أن يقابل به إساءتك، فما أولاك وأجدرك أن تُعامِل به خلقه وتقابل به إساءتهم، ليعاملك الله هذه المعاملة، فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل الله معك في ذنوبك وإساءتك (جزاء وفاقا)، فانتقم بعد ذلك أو اعف، وأحسن أو اترك، فكما تدين تدان، وكما تفعل مع عباده يَفعل معك». «بدائع الفوائد» (٢/ ٧٧٣-٧٧٤).

(وكلَّ شيء أحصيناه كِتابا):

قال السعدي: «{وكلَّ شيء} من قليل وكثير، وخير وشر {أحصيناه كتابا} أي: كتبناه في اللوح المحفوظ، فلا يخشى المجرمون أنا عذبناهم بذنوب لم يعملوها، ولا يحسبوا أنه يضيع من أعمالهم شيء، أو يُنسى منها مثقالُ ذرة، كما قال تعالى: {ووُضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا}». «تفسير السعدي» (ص٩٠٧).

وقال ابن عثيمين: «{وكل شيء} يشمل ما يفعله الله عز وجل من الخلق والتدبير في الكون، ويشمل ما يعمله العباد من أقوال وأفعال، ويشمل كل صغير وكبير {أحصيناه} أي ضبطناه بالإحصاء الدقيق الذي لا يختلف...

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن الله تعالى كتب مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة، ومن جملة ذلك أعمال بني آدم فإنها مكتوبة، بل كل قول يكتب، قال الله تعالى: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد}. رقيب يعني مراقب، والعتيد يعني الحاضر.

ودخل رجل على الإمام أحمد رحمه الله وهو مريض يئن من مرضه فقال له: يا أبا عبد الله إن طاووساً وهو أحد التابعين المشهورين يقول: إن أنين المريض يُكتب، فتوقف رحمه الله عن الأنين خوفاً من أن يكتب عليه أنين مرضه. فكيف بأقوال لا حدّ لها ولا مُمسك لها، ألفاظ تترى طوال الليل والنهار، ولا يحسب لها الحساب، فكل شيء يكتب حتى الهم يكتب إما لك وإما عليك، من همّ بالسيئة فلم يعملها عاجزاً عنها فإنها تكتب عليه، وإن هم بها وتركها لله فإنها تكتب له، فلا يضيع شيء». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٣٢).

(فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا):

قال ابن تيمية: «قال تعالى: {لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا. إلا حميما وغساقا}، وقال: {ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر}، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا). فاستعمال لفظ "الذوق" في إدراك الملائم والمنافر كثير. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان)... فوجود المؤمن حلاوة الإيمان في قلبه، وذوق طعم الإيمان أمر يعرفه من حصل له هذا الوجد. وهذا الذوق أصحابه فيه يتفاوتون، فالذي يحصل لأهل الإيمان عند تجريد توحيد قلوبهم إلى الله وإقبالهم عليه دون ما سواه بحيث يكونون حنفاء له مخلصين له الدين لا يحبون شيئا إلا له، ولا يتوكلون إلا عليه، ولا يوالون إلا فيه، ولا يعادون إلا له، ولا يسألون إلا إياه، ولا يرجون إلا إياه، ولا يخافون إلا إياه، يعبدونه ويستعينون له وبه، بحيث يكونون عند الحق بلا خلق، وعند الخلق بلا هوى؛ قد فنيت عنهم إرادة ما سواه بإرادته، ومحبة ما سواه بمحبته، وخوف ما سواه بخوفه، ورجاء ما سواه برجائه، ودعاء ما سواه بدعائه، هو أمر لا يعرفه بالذوق والوجد إلا من له نصيب، وما من مؤمن إلا له منه نصيب. وهذا هو حقيقة الإسلام الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه». «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٣٤-٣٣٦).

وقال ابن كثير: «{فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا} أي: يقال لأهل النار: ذوقوا ما أنتم فيه، فلن نزيدكم إلا عذابا من جنسه، {وآخر من شكله أزواج}.

قال قتادة: عن أبي أيوب الأزدي، عن عبد الله بن عمرو قال: (لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه: {فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا} قال: فهم في مزيد من العذاب أبدا)». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٠٧).

وقال ابن عثيمين: «{فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً} هذا الأمر للإهانة والتوبيخ، يعني يقال لأهل النار: ذوقوا العذاب إهانة وتوبيخاً، فلن نرفعه عنكم، ولن نخففه عنكم، بل ولا نبقيكم على ما أنتم عليه، لا نزيدكم إلا عذاباً في قوته ومدته ونوعه، وفي آية أخرى أنهم يقولون لخزنة جهنم: {ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب} تأمل هذه الكلمة من عدة أوجه:

أولاً: أنهم لم يسألوا الله سبحانه وتعالى، وإنما طلبوا من خزنة جهنم أن يدعوا لهم. لأن الله قال لهم: {اخسئوا فيها ولا تكلمون}. فرأوا أنفسهم أنهم ليسوا أهلاً لأن يسألوا الله ويدعوه بأنفسهم، بل لا يدعونه إلا بواسطة.

ثانياً: أنهم قالوا: {ادعوا ربكم} ولم يقولوا: ادعوا ربنا، لأن وجوههم وقلوبهم لا تستطيع أن تتحدث أو أن تتكلم بإضافة ربوبية الله لهم أي بأن يقولوا ربنا، عندهم من العار والخزي ما يرون أنهم ليسوا أهلاً لأن تضاف ربوبية الله إليهم، بل قالوا {ربكم}.

ثالثاً: لم يقولوا يرفع عنا العذاب بل قالوا: {يخفف} لأنهم آيسون نعوذ بالله، آيسون من أن يرفع عنهم.

رابعاً: أنهم لم يقولوا يخفف عنا العذاب دائماً، بل قالوا {يوماً من العذاب} يوماً واحداً، بهذا يتبين ما هم عليه من العذاب والهوان والذل، {وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي}. أعاذنا الله منها». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٣٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة النبأ ١٧-٣٠

١- اعلم أن الله تعالى جعل يوم القيامة موعدا يجمع فيه جميع الناس للحساب والجزاء، فيُنفخ في الصور النفخةُ الثانية، وتأتي كل أمة مع إمامها، وتُفتح السماء فتكون أبوابا، وتُسيّر الجبال فتكون سرابا، يومئذٍ ستقف بين يدي ربك للحساب، وتُعرَض على الله لا تخفى منك خافية، فكُن عاقلا واعمل صالحا، عسى أن تنجو في ذلك اليوم العصيب (إن يوم الفصل كان ميقاتا * يوم يُنفخ في الصور فتأتون أفواجا * وفتحت السماء فكانت أبوابا * وسُيّرت الجبال فكانت سرابا).

٢- اتّقِ النار، اتّقِ النار، اتّقِ النار، فإن جهنم سترصد الطاغين يوم القيامة لتأخذهم، فيلبثون فيها مددا طويلة لا نهاية لها، لا يموتون فيها ولا يخرجون منها، ولا يذوقون فيها ما يبرّد ظاهر أجسادهم ولا باطنها، بل يكون شرابهم الماء الحار شديد الحرارة الذي يشوي الوجوه ويقطّع الأمعاء، مع صديد أهل النار المنتن الخبيث -والعياذ بالله-، فأكثر من الاستعاذة بالله من النار، واسأله سبحانه دوما أن يجيرك من النار (إن جهنم كانت مرصادا * للطاغين مآبا * لابثين فيها أحقابا * لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا * إلا حميما وغساقا)، (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا).

٣- اعلم أن جزاءَك يوم القيامة سيكون وِفق أعمالك، وأعمالك كلها مكتوبة عليك، ولن تُظلم مثقال ذرة، فاعمل ما تُحبّ أن تجزى به يوم القيامة (جزاءً وِفاقا)، (وكلّ شيء أحصيناه كتابا).

٤- حاسب نفسك قبل أن تُحاسَب، وزِن أعمالك قبل أن توزَن، واعلم أن من عاش في الدنيا مشفقا من الحساب يوم القيامة فهو المؤمن حقا، وعاقبته في الآخرة الجنة، ومن عاش في الدنيا لاهيا عابثا غير خائف من الحساب كانت عاقبته النار -والعياذ بالله- (إنهم كانوا لا يرجون حسابا * وكذبوا بآياتنا كِذّابا).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النبأ ٣١-٤٠ من المختصر في تفسير القرآن الكريم

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾

إن للمتقين ربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، مكانَ فوزٍ يفوزون فيه بمطلوبهم وهو الجنة.

﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾

بساتين وأعنابًا.

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾

وناهدات مستويات السن.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾

وكأس خمر ملأى.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾

لا يسمعون في الجنّة كلامًا باطلًا، ولا يسمعون كذبًا، ولا يكذب بعضهم بعضًا.

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾

كل ذلك مما منحهم الله مِنَّة وعطاء منه كافيًا.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾

رب السماوات والأرض ورب ما بينهما، رحمن الدنيا والآخرة، لا يملك جميع من في الأرض أو السماء أن يسألوه إلا إذا أذن لهم.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾

يوم يقوم جبريل والملائكة مُصْطفِّين، لا يتكلمون بشفاعة لأحد إلا من أذن له الرحمن أن يشفع، وقال سدادًا ككلمة التوحيد.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾

ذلك الموصوف لكم هو اليوم الَّذي لا ريب أنَّه واقع، فمن شاء النجاة فيه من عذاب الله فليتخذ سبيلًا إلى ذلك من الأعمال الصالحة التي ترضي ربه.

﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾

إنا حذرناكم -أيها الناس- عذابًا قريبًا يحصل، يوم ينظر المرء ما قدم من عمله في الدنيا، ويقول الكافر متمنيًا الخلاص من العذاب: يا ليتني صرت ترابًا مثل الحيوانات عندما يقال لها يوم القيامة: كوني ترابًا.

[مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ]

• التقوى سبب دخول الجنّة.

• تذكر أهوال القيامة دافع للعمل الصالح.

بسم الله الرحمن الرحيم

معاني كلمات سورة النبأ ٣١-٤٠

الكلمة	المعنى
مَفَازًا	فَوزًا ونجاةً بدخولهم الجنة
وكَوَاعِب	وزوجاتٍ حديثات السنّ، أَثْداؤهنّ مرتفعة لم تتكسّر
أَترابا	مستوياتٍ في السنّ
وكأسًا دِهَاقًا	وكأسًا ممتلئةً خمرا
لَغوًا	كلاما باطلا أو لا فائدة فيه
عطاءً حِسابًا	عطاءً كثيرًا كافيًا لهم
لا يَملكون منه خطابا	لا يقدر أحد على مخاطبته وسؤاله سبحانه إلا بإذنه
الرُّوح	جبريل عليه السلام
لا يتكلّمون	لا يشفعون
وقال صوابًا	وقال كلاما حقا
مَآبًا	مرجعا بالعمل الصالح

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد سورة النبأ ٣١-٤٠

(إن للمتقين مفازا):

قال ابن عثيمين: «ذَكر الله عز وجل ما للمتقين من النعيم بعد قوله: {إن جهنم كانت مرصاداً. للطاغين مآبـاً}؛ لأن القرآن مثاني، إذا ذُكر فيه العقاب ذكر فيه الثواب، وإذا ذكر الثواب ذكر العقاب، وإذا ذكر أهل الخير ذكر أهل الشر، وإذا ذكر الحق ذكر الباطل، مثاني حتى يكون سير الإنسان إلى ربه بين الخوف والرجاء؛ لأنه إن غلب عليه الرجاء وقع في الأمن من مكر الله، وإن غلب عليه الخوف وقع في القنوط من رحمة الله، وكلاهما من كبائر الذنوب، كلاهما شر، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «ينبغي أن يكون الإنسان في عبادته لربه بين الخوف والرجاء، فأيهما غلب هلك صاحبه». لذلك تجد القرآن الكريم يأتي بهذا وبهذا، ولئلا تمل النفوس من ذكر حال واحدة والإسهاب فيها دون ما يقابلها. وهكذا، لأجل أن يكون الإنسان حين يقرأ القرآن راغبـاً راهبـاً، وهذا من بلاغة القرآن الكريم». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٣٤).

وقال ابن عثيمين: «المتقون هم الذين اتقوا عقاب الله، وذلك بفعل أوامر الله واجتناب نواهيه، وأحيانـاً يأمر الله بتقواه، وأحيانـاً يأمر بتقوى يوم الحساب، وأحيانـاً يأمر بتقوى النار، قال الله تعالى: {واتقوا الله لعلكم تفلحون. واتقوا النار}. فجمع بين الأمر بتقواه والأمر بتقوى النار، وقال تعالى: {واتقوا يومـاً ترجعون فيه إلى الله}. فأمر بتقوى يوم الحساب، وكل هذا يدور على معنى واحد، وهو: أن يتقي الإنسان محارم ربه فيقوم بطاعته وينتهي عن معصيته». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٣٤).

(وكواعب أترابا):

قال السعدي: «{كواعب} وهي: النواهد اللاتي لم تتكسر ثُديّهن من شبابهن وقوتهن ونضارتهن. والأتراب: اللاتي على سن واحد متقارب، ومن عادة الأتراب أن يكنّ متآلفات متعاشرات». «تفسير السعدي» (ص٩٠٧).

(وكأسا دهاقا):

قال ابن الجوزي: «(وكأسا دهاقا) فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الملأى، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، وابن زيد.

والثاني: أنها المتتابعة. رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير. وعن مجاهد كالقولين.

والثالث: أنها الصافية، قاله عكرمة». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٩٠).

(لا يسمعون فيها لغوا ولا كِذَّابا):

قال ابن الجوزي: «(لا يسمعون فيها) أي: في الجنة إذا شربوها -يعني: الخمر-... (لغوا ولا كذابا) أي: لا يكذّب بعضهم بعضا، لأن أهل الدنيا إذا شربوا الخمر تكلموا بالباطل، وأهل الجنة منزهون عن ذلك». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٩١).

وقال ابن عاشور: «لا يسمعون في الجنة الكلام السافل ولا الكذب، فلما أحاط بأهل جهنم أشد الأذى بجميع حواسهم من جراء حرق النار وسقيهم الحميم والغساق لينال العذابُ بواطنهم كما نال ظاهر أجسادهم، كذلك نفى عن أهل الجنة أقل الأذى، وهو أذى سماع ما يكرهه الناس، فإن ذلك أقل الأذى». «التحرير والتنوير» (٣٠/ ٤٦).

(جزاء من ربك عطاء حسابا):

«عن ابن زيد يقول في قول الله: (جزاء من ربك عطاء حسابا) فقرأ: (إن للمتقين مفازا. حدائق وأعنابا. وكواعب أترابا) إلى (عطاء حسابا) قال: فهذه جزاء بأعمالهم، عطاء الذي أعطاهم، عملوا له واحدة فجزاهم عشرا، وقرأ قول الله: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)، وقرأ قول الله: (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء)». «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٧٤).

وقال البغوي: «{جزاء من ربك عطاء حسابا} أي جازاهم جزاء وأعطاهم عطاء (حسابا) أي: كافيا وافيا، يقال: أحسبت فلانا، أي أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي. وقال ابن قتيبة: (عطاء حسابا) أي كثيرا». «تفسير البغوي» (٨/ ٣١٦).

(رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا):

قال ابن الجوزي: «(لا يملكون منه خطابا) فيه قولان:

أحدهما: لا يملكون الشفاعة إلا بإذنه، قاله ابن السائب.

والثاني: لا يقدر الخلق أن يكلموا الرب إلا بإذنه، قاله مقاتل». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٩١).

وقال ابن كثير: «{لا يملكون منه خطابا} أي: لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه، كقوله: {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}، وكقوله: {يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٠٩).

(يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا):

قال ابن الجوزي: «(وقال صوابا) أي: قال في الدنيا صوابا، وهو الشهادة بالتوحيد عند أكثر المفسرين». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٩٢).

وقال ابن تيمية: «يومئذ لا تنفع الشفاعة لا شافعا ولا مشفوعا {إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا}. ولذلك جاء في الصحيح: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا بني عبد مناف! لا أملك لكم من الله من شيء. يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم! لا أملك لك من الله من شيء، يا عباس عم رسول الله! لا أملك لك من الله من شيء}. وفي الصحيح أيضا قال: (لا أُلفِينّ أحدَكم يأتي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء أو شاة لها يعار أو رقاع تخفق، فيقول: أغثني أغثني، فأقول: قد أبلغتك، لا أملك لك من الله من شيء). فيُعلم من هذا: أن قوله: {ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة}، و {لا يملكون منه خطابا} على مقتضاه. وأن قوله في الآية: {لا يملكون منه} كقوله صلى الله عليه وسلم: (لا أملك لكم من

الله من شيء)، وهو كقول إبراهيم لأبيه: {وما أملك لك من الله من شيء}». «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٣٩٥).

وقال السعدي: «فلا يتكلم أحد إلا بهذين الشرطين: أن يأذن الله له في الكلام، وأن يكون ما تكلم به صوابا، لأن {ذلك اليوم} هو {الحق} الذي لا يروج فيه الباطل، ولا ينفع فيه الكذب». «تفسير السعدي» (ص٩٠٨).

(إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا):

عن أبي هريرة، في قوله عز وجل: {أمم أمثالكم} قال: (يُحشر الخلق كلهم يوم القيامة: البهائم، والدواب، والطير، وكل شيء، فيَبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني ترابا، فذلك حين {يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا}. «تفسير الطبري» (١١/ ٣٤٧)، «المستدرك على الصحيحين للحاكم» (٢/ ٣٤٥).

وقال ابن الجوزي: «قال الحسن: إذا سمع الله الخلائق يوم القيامة وقضى للثقلين الجن والإنس، وأروا منازلهم قال لسائر الخلق: كونوا ترابا فحينئذ يقول الكافر (يا ليتني كنت ترابا).

وحكى الزجاج أن معنى: يا ليتني كنت ترابا. يا ليتني لم أبعث.

وحكى الثعلبي عن بعض أشياخه. أنه رأى في بعض التفاسير أن الكافر هاهنا: إبليس، وذلك أنه عاب آدم، لأنه خلق من التراب، فتمنى يوم القيامة أنه كان بمكان آدم، فقال: (يا ليتني كنت ترابا)». «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ٣٩٢).

وقال ابن تيمية: «الكافر يقول ذلك يوم القيامة -أي: يا ليتني كنت ترابا- حين لا تُقبل توبة، ولا تنفع حسنة. وأما من يقول ذلك في الدنيا، فهذا يقوله في دار العمل على وجه الخشية لله، فيثاب على خوفه من

الله. وقد قالت مريم: {يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا}. ولم يكن هذا كتمني الموت يوم القيامة». «منهاج السنة النبوية» (٦/ ١٥).

وقال ابن كثير: «{يوم ينظر المرء ما قدمت يداه} أي: يعرض عليه جميع أعماله، خيرها وشرها، قديمها وحديثها، كقوله: {ووجدوا ما عملوا حاضرا}، وكقوله: {ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر}». «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣١٠).

وقال السعدي: «{يوم ينظر المرء ما قدمت يداه} أي: هذا الذي يهمه ويفزع إليه، فلينظر في هذه الدنيا إليه، كما قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون} الآيات. فإن وجد خيرا فليحمد الله، وإن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ولهذا كان الكفار يتمنون الموت من شدة الحسرة والندم». «تفسير السعدي» (ص٩٠٨).

وقال ابن عثيمين: «{يا ليتني كنت تراباً} تحتمل ثلاثة معانٍ:

المعنى الأول: يا ليتني كنت تراباً فلم أُخلق، لأن الإنسان خُلق من تراب.

المعنى الثاني: يا ليتني كنت ترابًا فلم أُبعث، يعني كنت ترابًا في أجواف القبور.

المعنى الثالث: أنه إذا رأى البهائم التي قضى الله بينها وقال لها: كوني تراباً فكانت تراباً قال: ليتني كنت تراباً، أي كما كانت هذه البهائم ـ والله أعلم ـ». «تفسير العثيمين: جزء عم» (ص٣٨).

الوقف والابتداء:

هل يصح الوقف على (رب السماوات والأرض وما بينهما)، أو على (الرحمن)، أو لا وقف؟

عامة علماء الوقف والابتداء ذهبوا إلى التفصيل في الوقف في هذه الآية بحسب القراءات الواردة فيها، وخلاصة كلامهم:

أن الوقف على: (وما بينهما) لا يصح إلا على قراءة من قرأ (ربِّ السماوات والأرض) بالخفض، ثم رفع (الرحمنُ)، على أن (الرحمن) مبتدأ، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره (هو).

أما من قرأ الموضعين بالخفض (ربِّ السماوات والأرض وما بينهما الرحمنِ) كعاصم، أو قرأهما بالرفع (ربُّ السماوات والأرض وما بينهما الرحمنُ) كنافع فلا يصح الوقف على (وما بينهما) على قراءتهما؛ لأن (الرحمن) يصير بدلا من (رب) على قراءة الخفض، أو يصير خبرا له على قراءة الرفع.

لكن يصح على قراءة الموضعين بالخفض أو الرفع الوقف على (الرحمن) لا على (وما بينهما)؛ لأن الجملة تكون قد انتهت إما بالمبتدأ والخبر على قراءة الرفع، أو بالبدل والمبدل منه على قراءة الخفض، ثم جاء بعدها ذكر أمر آخر مما يكون يوم القيامة بجملة منفيّة في قوله: (لا يملكون منه خطابا)، فصحّ الوقف. والله أعلم.

هل يصح الوقف على: (يوم يقوم الروح والملائكة صفا)؟

جوّز الوقف هنا السجاوندي وحده، والأقرب أنه لا وقف هنا؛ لأن جملة: (لا يتكلّمون) من تتمة وصف حالهم في ذلك اليوم، فهم يقومون صفا لا يتكلمون. فلا وقف هنا. والله أعلم.

هل يصح الوقف على: (ذلك اليوم الحق)؟

نعم يصح، وقد جوّزه جماعة من علماء الوقف والابتداء؛ لأن الإشارة إلى يوم القيامة انتهت؛ ثم جاءت جملة شرطية للحث على العمل في ذلك اليوم في قوله: (فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا)، فصح الفصل بينهما. والله أعلم.

هل يصح الوقف على: (إنا أنذرناكم عذابا قريبا)؟

هذا الموضع رأس آية عند البصري، وجوّز الوقف عليه السجاوندي والأشموني دون غيرهما، وإذا تأملنا فإن جملة: (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) ظرف ووقت للعذاب القريب الذي أنذر الله به الناس، فهو من تتمة الجملة، لكنه يحتمل أيضا أن يكون قوله: (يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه) منصوبا بمحذوف تقديره: اذكر يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، فيصح الوقف، والأمر في هذا محتمل، والله أعلم.

هل يصح الوقف على: (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه)؟

نصّ جماعة من علماء الوقف والابتداء على صحة الوقف هنا وخالفهم آخرون، وإذا تأملنا فإن جملة: (ويقول الكافر) معطوفة على جملة (ينظر المرء)، والتقدير: يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، ويوم يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا، وبالتالي لا وقف؛ لأن الجملة الثانية المعطوفة واقعة في الظرف المذكور وهو يوم القيامة، لكنّ عطف الجمل مما يصح الفصل فيه إذا لم تُشكل الجملة المعطوفة عند قراءتها مفرَدة، ولعل هذا هو منطلق من صحّح الوقف هنا، والأولى عدم الوقف. والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بسورة النبأ ٣١-٤٠

١- حقّق التقوى في قلبك، ليظهر أثرها على جوارحك، فتفوز بجنة عرضها السماوات والأرض، فيها من الحدائق الجميلة ما تبتهج به النفس، ومن الأعناب اللذيذة ما يلتذّ به الفم، ومن الحور العِين ما تقرّ به العَين، ومن الخمر اللذيذ ما يسُرّ الخاطر، وفوق هذا كله لا تسمع فيها لغوا ولا باطلا ولا كذبا ولا فُحشا (إن للمتقين مفازا ❋ حدائق وأعنابا ❋ وكواعب أترابا ❋ وكأسا دهاقا ❋ لا يسمعون فيها لغوا ولا كِذّابًا ❋ جزاءً من ربك عطاء حسابا).

٢- في يوم القيامة يظهر بجلاء ملك الله وعظمته وسلطانه وقوّته وجبروته وكبرياؤه وعزته، وتزول الألقاب الدنيوية عن أهلها، فلا ملك ولا وزير ولا كبير ولا عزيز ولا قوي ولا عظيم إلا الله، فتخشع الأصوات، وترجُف القلوب، وينادي الجبار: لمن الملك اليوم؟ ثم يجيب نفسه: لله الواحد القهار، ويخاف في ذلك اليوم كل أحد حتى الأنبياء، ولا يملك أحد أن يتكلّم بين يدي الله سبحانه إلا بإذنه، فهنيئا لمن أمّنه الله في ذلك اليوم العظيم وأظلّه في ظله (رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا ❋ يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ❋ ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا).

٣- احذر عذاب الله، فإن عذاب الله شديد، ولا طاقة لأحد بتحمّله ولو للحظات، بل إن أنعم أهل الدنيا لو غُمس في النار غمسة واحدة لنسي نعيم الدنيا جميعا، فاعمل لنفسك ما يكون نورا بين يديك، وقائدا لك إلى جنات النعيم (إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا).